# بيت الحكمة في عصر العباسيين

الدكتور خضر أحمد عطا الله

كلية التقنية العليا بأبو ظبي
جامعة الامارات العربية المتحدة

الطبعة الأولى

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
١١ ش جواد حسني . القاهرة
ص.ب ١٣٠ ت: ٣٩٢٥٥٢٣

# إهداء

إلى والدي ...

إلى أمي ...

إلى أخي الأكبر عبد الباري



# مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم .

وبعد ..

حينما بدأت فى تسجيل موضوع **رسالتى للدكتوراه** عن « بيت الحكمة فى عصر العباسيين » أدركت صعوبة الموضوع من حيث عدم توفر مصادره ومراجعه ، وأن ذلك يتطلب وقتا وجهدا ، وبحثا وتنقيبا من اجل الوصول الى الحقيقة ، وهذا ما سعيت اليه وبذلت فيه جهدا مضنيا ، فتسلحت بسلاح الايمان والصبر والجهد والمثابرة وشمرت عن ساعد الجد وطوفت أبحث وأنقب ، فوجدت بعضا من هذه المصادر والمراجع فى بعض البلدان منها الباكستان بجامعة البنجاب بلاهور والعراق ومصر وسوريا والمغرب وليبيا ولندن وأمريكا .

ولكن هذا البحث كلفنى من العناء والجهد فى ترك الأهل والولد وكل ذلك يهون فى سبيل اخراج بحث نشعر أننا قدمنا فيه شيئا جديدا خدمة لكل راغب فى التزود بزاد العلم .

أما عن اختيار موضوع « بيت الحكمة فى عصر العباسيين » فلأن المكتبات الاسلامية تعتبر من أهم المؤسسات الثقافية التى يفخر بها الاسلام ، ولها دور بارز فى نشر المعرفة والثقافة بين المسلمين ، وساعدت فى اقبال المسلمين على التعليم بعد ظهور الاسلام ، ويمكنهم تفهم تعاليم هذا الدين ، وترغيب الأمم الأخرى فى الدخول فى الدين الجديد .

كما أن المكتبات المنظمة الغنية بمحتوياتها هى الدعائم الاساسية التى تشاد عليها صروح العلم والثقافة والحضارة والمعرفة وهى أيضا الينابيع الفياضة التى تغذى تقدم الأمم العلمى والحضارى بماء الحياة والبقاء .

ويقاس رقى أمة من الأمم أو تأخرها بكثرة المكتبات وما تلقاه من عناية ورعاية أو ندرتها أو اهمالها ، واعتبارها شيئا ذا اهمية ثانوية .

ولهذا فبيت الحكمة باعتبارها احدى المؤسسات العلمية والثقافية قد أدت دورا بارزا فى العصر العباسى كمكتبة عظيمة ودار ترجمة وجامعة اسلامية عريقة فيها دار اقامة للطلاب والأساتذة يدرس بها الطب وغيره من العلوم الأخرى ، وقد ساهمت فى النهضة العلمية والفكرية الاسلامية فى بغداد كما كان تأثيرها كبيرا فى القاهرة وقرطبة والأندلس وغيرها من البلاد الأخرى .

وقد قسمت البحث الى خمسة أبواب ، وقسمت كل باب الى فصول .

الباب الأول : يتكون من مقدمة وأربعة فصول تحدثت فى الفصل الأول عن تأسيس بيت الحكمة واهدافها ، وفى الفصل الثانى عن انشائها والفصل الثالث شمل النظام الادارى بها والفصل الرابع عن أثر بيت الحكمة فى المجتمع العباسى .

الباب الثانى : قسمته ايضا الى أربعة فصول ، فيه المقدمة . ذكرنا فى الفصل الأول تاريخ المدارس الاسلامية واثر بيت الحكمة فيها .

والفصل الثانى : التدريس والمدرسون فى بيت الحكمة ، عملهم ورواتبهم فيها ، والمواد الدراسية التى تدرس فيها .

الفصل الثالث : حركة التاليف فى بيت الحكمة من حيث حركة التاليف فيها وتشجيع حركة التاليف على يد الخلفاء والوزراء وعمل المؤلفين فى بيت الحكمة ورواتبهم . والفصل الرابع : تحدثت فيه عن المباحثة والمناظرة بين العلماء والخلفاء والوزراء فى بيت الحكمة . ومدى تشجيع الخلفاء للمباحثة والمناظرة فيها ، ورغبة الخلفاء والوزراء فى المباحثة والمناظرة فى بيت الحكمة . ومشاركة العلماء والشعراء والأدباء فى المناظرة والمباحثة فيها .

أما الباب الثالث : فيتكون من المقدمة وأربعة فصول . اشرنا فى الفصل

الأول عن بيت الحكمة فى عهد المـــأمون ، وحالتها قبل عهد المـــأمون ، وعناية واهتمام المـــأمون ببيت الحكمة ، وصرف الأموال فى سبيل ازدهار وارتقاء بيت الحكمة .

الفصـــل الثانى : بيت الحكمة بعـــد عهد المـــأمون ، وكيف انها استمرت فى رحلتها العلمية والأدبية ، ومدى عناية الخلفاء والوزراء بها بعـــد المـــأمون ، ثم ذكرت الحركة العلمية ونشاطها فى بيت الحكمة بعـــد عهد المـــأمون .

الفصـــل الثالث : تأثير بيت الحكمة كمؤسسة علمية وتعليمية على المدارس الاسلامية ، فبيت الحكمة نمـــوذج رائع للمدارس الاسلامية فى النواحى العلميـــة والتعليميـــــة .

وكيف أن المدارس الاسلامية قـــد تأثرت بالعلوم التى تدرس فى بيت الحكمة كالفلسفة والطب والمنطق والفلك والتنجيم والرياضيات . أما موقف المدارس الاسلامية من بيت الحكمة ومدى تأثرها بها ، فهـــذا ما سنوضحه فى مكانه من البحث .

أما الفصـــل الرابع : فيشتمل على بيت الحكمة كجامعة اسلامية عظيمة ، فقد كانت جامعة بيت الحكمة يدرس فيها الطب ويقيم فيها الطلاب والأساتذة ، كما أنها كانت تهتم بالمراصـــد الفلكية التى اقيمت فى دمشق وفى بغـــداد ، وذلك من قبيـــل حرص الدولة العباسية على الاسلام والمسلمين ، كمعرفة مواقيت الصلاة ... الخ .

والبـــاب الرابع : يتكون من مقـــــدمة وثلاثة فصـــول : الفصـــل الأول بيت الحكمة كمؤسسة علمية وحركة الترجمة فيها . وكذلك أيضا العلوم الاسلامية فى بيت الحكمة ، كعلم الكلام والمنطق والفلسفة والطب والرياضيات والفلك والتنجيم . وفى الفصـــل الثانى : الحيـــاة العلمية ونشاط الترجمة فى بيت الحكمة ، تحـــدثت فيه عن المترجمين الذين عملوا فى بيت الحكمة : كحنين بن اسحاق ، ويوحنا بن ماسويه ، والكندى ، والفارابى ، والفضـــل بن نوبخت .

وما كان لحركة النقل والترجمة على أيدى الموالى : كعلان الشعوبى والفضل بن سـهل ، وسعيد بن هارون ، وكانوا يريدون بذلك اثبـــــات وجودهم أمام العرب المســـــلمين .

ولعب المترجمون دورا هاما فى تنشيط حركة التأليف والترجمة من أمثال : أولاد موسى بن شـــاكر ( محمد واحمد والحسن ) ، وثابت بن قره .

ويجب ان نذكر أن ترجمة التراث والفكر العالمى الى اللغة العربية قد اكسب الدولة العباسية مكانة مرموقة بين العالم الاسلامى والأجنبى . وقد تم ذلك على يد حنين بن اسحاق ، وأولاد موسى بن شاكر والكندى والفارابى .

أما الفصل الثالث : فهو العلاقة بين مؤسسة بيت الحكمة والحكومة والعلماء الذين عملوا فيها . اذ كان للخلفاء والوزراء دور بارز من حيث تشجيعهم للذين عملوا

فى بيت الحكمة كحنين بن اسحاق والكندى ويوحنا بن ماسويه . وقد حافظ الخلفاء والوزراء على نشاط مؤسسة بيت الحكمة بتشجيعهم للترجمة والتأليف ونقل التراث والفكر العالمى الى اللغة العربية . كما حرص الخلفاء والوزراء على تقوية أواصر المحبة والتعاون بين من عملوا داخل بيت الحكمة .

الباب الخامس : يتكون من مقدمة وثلاثة فصول . الفصل الأول : مكانة بيت الحكمة بين مدارس وجامعات العالم . فكانت بيت الحكمة ذات تأثير عظيم فى المدارس الاسلامية والجامعات الاسلامية كجامعة دار الحكمة فى القاهرة ، ودار الحكمة فى الأندلس وجامعة القرويين بالمغرب والزيتونة فى تونس .

ومن مميزات بيت الحكمة أنها ساهمت بانقاذ التراث العالمى من الفناء بجلب كنوز المعرفة من انحاء العالم كعمورية وأنقره وغيرها . الفصل الثانى : ازدهار العلوم الاسلامية فى بيت الحكمة . فقد كان لبيت الحكمة تأثير فى العلوم الاسلامية مثل : علم الكلام والفلسفة والمنطق والرياضيات . كما تم نشر التعليم والمعرفة بين المسلمين وحثهم على طلب العلم والمعرفة بادخال نظام جديد للمكتبات على العالم الاسلامى من حيث التصنيف والنسخ والاشراف والطبع ... الخ .

الفصل الثالث : مميزات بيت الحكمة بين الجامعات الحديثة فجامعة بيت الحكمة جامعة اسلامية عريقة تتمتع بمكانة مرموقة بين الجامعات الحديثة فقد اثرت فيها وخاصة جامعة الأزهر بالقاهرة كما كان تأثيرها أكبر فى الجامعات الأجنبية الأوروبية كجامعة اكسفورد وكمبردج ومونبلييه بفرنسا . وقد كان لجامعة بيت الحكمة اثر فكرى وفلكى على الجامعات الحديثة فمعرفة الاسطرلاب وقياس مساحة الأرض ودورانها ومحيطها . كل ذلك كان بواسطة المراصد الاسلامية التى كانت فى الدولة العباسية . وكانت جامعة بيت الحكمة الرائدة فى ذلك رغم عدم اكتشاف الآلات الحديثة الآن . كما كانت جامعة بيت الحكمة ذات تأثير فى الجامعات

الحـديثة حيث تاثرت بعلومها : كالطب والكيمياء والفلك والتنجيم والفلسفة والمنطـق والرياضـــيات .

وهكذا حظيت بيت الحكمة كمؤسسة علمية وتعليمية وجامعة اسلامية عظيمة ، حيث تزودت بزاد فكرى لا ينضب ، ولعـل هـذا راجع الى تشجيع خلفاء الدولة العباسية للحركة العلمية حيث أصبح العلم ميسرا لطلابه ومحبيه ، وقـد لعب هـذا العـامل دورا بارزا فى ازدهار الحركة العلمية اذ قـام الخلفـاء بالاشراف عليها وتشجيع العلمـاء على البحث والمناقشة والمناظرة والتأليف حتى أصبحت قصورهم تعج بالعلماء والفقهاء والأدباء الذين يتبارون فى مجلس الخليفة ويتنافسون فى قـوة الحجة وسرعة **البديهـة** .

وان من أمتن الأسس التى تشيد عليها صروح المجـد والسؤدد ومن أقـوى مقـومات الشخصية الدولية ولا سيما أن الاسلام قـد جعل العلم فريضة على كل مسلم ، وأوصاهم بطلبه من المهـد الى اللحـد وحثهم على السعى وراءه أينما كان .

هـذا هـو جهـد المقـل — اللهم أن أحسنا فثبتنا على الحـق ، وان جانبنا الصـواب فأرشـدنا الى طريق الحق والخير .

عليك توكلنا واليك أنبنا ، والحمد لله رب العالمين ..



# بحث فى المصادر والمراجع

تقدمت لدراسة « بيت الحكمة فى عصر العباسيين » بخطى بطيئة ولكنها ثابتة ، فقد كنت أدرك ما يحتاجه هذا الموضوع من فكر وجهد ، وهو موضوع بكر لم يعالج من قبل على النسق الذى يعرض به الآن . ودراسة « بيت الحكمة فى عصر العباسيين » كدراسة غيره من موضوعات الحضارة وتحقيق التراث تحتاج الى صبر ودأب ومثابرة . ولهذا احتاج هذا البحث الى جهد متصل وكفاح طويل فى سبيل اتمامه ، واذكر اننى طالما قرات كتبا ضخمة بعضها يقع فى عدة أجزاء ، وكنت آمل أن أجد فيها ما يفيدنى فى بحثى ، ولكنى كنت أخرج منها بمحصول ضئيل أو أخرج بلا شىء . وهناك حقيقة أخرى ذات أهمية كبرى ، هى أن كل باب من أبواب هذا البحث كان يحتاج الى مصدر غير تلك التى تلزم عند كتابة باب آخر منه . بل ان كل فصل من فصول الباب الواحد كان يحتاج الى مصادر غير مصادر فصل آخر فى نفس الباب . وعلى ذلك فقد احتاج هذا البحث الى عدد كبير من الكتب والمخطوطات والوثائق لتمد الموضوع بالمادة التى تشرح جوانبه ، وتكشف عن غموضه ، ومن أجل هذا قمت برحلة طويلة زرت فيها الباكستان ومصر وسوريا والاردن والعراق والمغرب وتركيا — كما استطعت فى هذه الرحلات أن أزور مكتباتها التى أمدتنى بمخطوطات ومؤلفات أفادتنى فائدة عظيمة القيمة جليلة الشأن ، كما كانت اتصالاتى بأستاذى البروفسور أمان الله خان رئيس قسم الدراسات الاسلامية بمعهد الدراسات الاسلامية بجامعة البنجاب بلاهور ، وقد كان لتوجيهاته وارشاداته خير عون لى فى بحثى جزاه الله عنى كل خير . اما المصادر التى اعتمدت عليها فى بحثى هذا فكثيرة ومتنوعة وبخاصة فيما يتعلق بالمصادر ذات الصلة الوثيقة بالبحث .

فابن النديم ( ت ٤٣٨ هـ/١٠٤٦ م ) فى كتابه ( الفهرست ) يزودنا بمعلومات قيمة جدا عن موضوع بحثنا هذا بصفة عامة ، فقد ذكر أن بيت الحكمة كانت اكاديمية مختصة بالبحث والدرس وترجمة الكتب العلمية والأدبية ، كما تحدث عمن كانوا يعملون فى بيت الحكمة من حيث تنوع ثقافاتهم ومعارفهم كسهل بن هارون وغيره ، وكيف أن بيت الحكمة ازدهرت وارتقت فى عهد المأمون لميله للفلسفة

والعلوم العقلية ، وحبه للعلم والعلماء وتشجيعه لهم . وأشار ابن النديم الى دور أهل الذمة ممن كانوا يعملون فى بيت الحكمة واسهامهم فى حركة الترجمة ونقل التراث والفكر العالمى الى اللغة العربية : مثل يوحنا بن ماسويه ، وحنين بن اسحاق ، وابن البطريق ، وقسطا بن لوقا . وتحدث أيضا عن مكانة المدرسين عند الخلفاء العباسيين واحترامهم لهم ، وكيف كانوا يجرون عليهم الرواتب والأرزاق ، كما وصف ترتيب وتنظيم التلاميذ داخل الحلقات الدراسية فى داخل بيت الحكمة أمثال : حلقة الفارابى والرازى . وكيف كانت تعقد فيها مجالس للعلم والمناظرة من أجل التوصل للحقائق العلمية . وذكر ابن النديم ان بيت الحكمة بقيت تؤدى واجبها العلمى بكل همة ونشاط حتى النصف الأخير من القرن السابع الهجرى ، وهذا بفضل تشجيع الخلفاء والوزراء ورعايتهم للحركة العلمية فيها . ومرجع ذلك الى أن ابن النديم قد عاش فى بغداد ، وكان مطلعا على ما فى هذه المدينة العالمية من الكتب . فكتابه يحتوى حصيلة التأليف الذى تم أو وجد فى بغداد التى كانت أكبر مركز ثقافى فى العالم الاسلامى . وكانت صلتها أوثق ببقية مدن العراق وخراسان وبلاد الجزيرة والشام . ففى سنة ٣٧٧ هـ أتم محمد ابن اسحاق النديم كتابه ( الفهرست ) فهو أوسع كتاب شمل اسماء الكتب المؤلفة بالعربية أو المترجمة اليها حتى سنة تأليفه مع معلومات عن بعض رجال العلم ، وعن نشأة بعض العلوم ، ويتكون كتابه من ثلاثة أقسام رئيسية عرض فى أحدها المؤلفات فى العلوم العقلية بما فى ذلك القرآن الكريم والحديث واللغة والتاريخ والأدب ، وعرض فى الثانى ما يتعلق بعلوم الأوائل فى الفلسفة والطب والرياضيات والهندسة والحيل . أما القسم الثالث ففيه أبحاث عن نشأة الكتابة وقد وضعه فى أول الكتاب وعن معتقدات وتاريخ بعض الاديان والملل وقد وضعها فى آخر الكتاب .

كما حظى كتاب ( الفهرست ) لابن النديم بالتقدير الجدير به فنقل عنه عدد ممن تلاه من المؤلفين المعنيين بهذا الجانب ، ومن أبرز من نقل عنه ياقوت الحموى فى كتابه « معجم الأدباء » والقفطى فى كتابه « أخبار الحكماء » و « الانباه فى أخبار النحاة » وابن أبى أصيبعة فى كتابه « عيون الأنباء فى طبقات الأطباء » وابن خلكان فى كتابه « وفيات الأعيان » .

وألف جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف القفطى ( ت ٦٤٦ هـ/١٢٤٨ م ) كتابه ( أخبار العلماء بأخبار الحكماء ) أو ( تاريخ الحكماء ) الذى يعد وثيقة هامة فى مجال البحث فيه ذكر من اشتهر ذكره من الحكماء من كل قبيلة وأمة قديمها وحديثها حتى زمن المؤلف وما حفظ عنه من قول انفرد به أو كتاب صنفه .

والواقع ان فائدة مؤلف القفطى هــذا قــد شملت معظم فصــول البحث فقــــد أشــار القفطى الى أهمية مزج الثقافات المختلفة والمعارف المتباينة فى بيت الحكمة ، الذى ولده دخول الموالى والبرامكة فى احضان الدولة العباسية .

وأهم الشخصيات التى قامت بهــذا الدور هى : الفضيل بن نوبخت وأولاد شاكر ، ويوحنا بن ماسويه الذى ولاه الرشيد ترجمة الكتب الطبية القــديمة وجعله أمينا عليها . كما تحــدث عن المجالس العلمية والحلقات والمنــاظرات . وأورد القفطى قائمـــة كاملة لمؤلفات حنين بن اسحاق باللغتين السريانية والعربية ، اذ أنه أورد فى كتابه تراجم العلمـــاء الذين ذكرهم وأسماء كتبهم ويبلغ عـــدد من ترجم لهم من الفلاسفة والأطباء والمنجمين وعلماء الحساب والهندسة أربعمائة وتسعة . وتحـــدث القفطى عن بداية نشأة بيت الحكمة وكيف أن الرشيد قسمها الى عــــدة خزائن أو أقسام لكل منها من يقوم بالاشراف عليها ولهـــا تراجمة يتولون الترجمـــة فيها ومجلدون يجلدون الكتب فصار لهـــا دوائر علمية . كما ذكر القفطى الكثير من البعثات التى أرسلها الخلفاء العباسيون لجلب كنوز المعرفة والثقافة من جميع أنحاء المعمورة أمثال البعثة التى أرسلها الرشيد الى أنقرة وعمورية لاختيار كتب الفلسفة والطب والكتب القيمة التى يندر وجودها . وكذلك البعثة التى أرسلها المـــأمون برئاسة يحيى بن البطريق لاحضار الكتب اللاتينية لأنه يعرف اللاتينية .

أما ابن أبى أصيبعة موفـــق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفـــة الخزرجى ( ت ٦٦٨ هـ/١٢٩٦ م ) فى كتابه ( عيون الأنبـــاء فى طبقات الاطباء ) الذى يعتبر ذكرا خالدا له ، ومؤلفا ضخما وهو أحسن كتاب فى التراجم لا يشبهه الا كتاب أخبـــار الحكماء السابق الذكر ، لكنـــه امتاز عليه بأنه أوسع واوفر مادة ، وقـــد ابتـــدأ المؤلف بترجمـــة كبار الاطباء زمن الاغريق والرومان والهنود وقسمه الى عـــدة أقسام . وهـــو يحتـــوى على ما ينـــوف عن أربعمائة ترجمة . هـــذا وان المؤلف المذكور كان خير عـــون لى ابان بحثى لمعظم الشخصيات من الاطباء والعلمـــــاء والفلاسفة ورجال الأدب ، الذين كان لهم دور فى ازدهار الحركة العلمية وحركة الترجمة فى بيت الحكمة فى العصر العباسى امثال : آل بختيشوع . ويوحنا بن ماسويه وحنين بن اســـحاق والخوارزمى وسعيد بن هارون وثابت بن قرة وعمر بن الفرخان الطبرى . . وحبيش بن الاعسم .وخص حـــديثه اشهر المترجمين والنقلة فى عهـــد الرشيد والمـــأمون من جميع اللغات اليونانية والهندية والفارسية والسريانية الى اللغة العربية . وعن رواتبهم حيث بلغت ٥٠٠ دينار للنقلة والملازمة . كما تحـــدث عن اهتمام الوزراء بالنقـــل والترجمة من أمثال : محمد بن عبد الملك الزيات حيث

نقلت باسمه عدة كتب . والوزير أحمد بن محمد المعروف بابن المدبر الكاتب ، وابراهيم بن محمد بن موسى الكاتب وغيرهم من وزراء البرامكة أمثال : أبو سلمة الخلال . وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات ، أما الطبعة التى اعتمدت عليها فهى طبعة د. نزار رضا سنة ١٩٦٥ م فى بيروت .

أما ياقوت الحموى ( ت ٦٢٦ هـ/١٢٢٩ م ) فى كتابيه ( معجم الأدباء ) و ( معجم البلدان ) فهو يؤكد أن بيت الحكمة كان فى حيز الوجود أيام هارون الرشيد اذ يقول : « أن علان الشعوبى انوراق كان ينسخ فى بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة » .

كما يؤكد ذلك ابن النديم . ويشير الى أن هناك خزائن أخرى على غرار بيت الحكمة أمثال : خزائن الحكمة التى أنشأها على بن المنجم فى قصره وفتحها للراغبين فى الدرس يقيمون فيها ويطالعون الكتب والفقه على حساب يحيى بن المنجم . كما تحدث أيضا عن اهتمام العلماء والخلفاء بخزائن الكتب . ويذكر كيف كانت المساجد والجوامع الاسلامية فى العراق معاهد مهمة يشد اليها الرحال من جميع أنحاء العالم . فقد نالت بغداد شهرة فى آفاق العالم الاسلامى وكيف أنها كانت مركزا للعلم والعلماء .

وتحدث عن المدارس فى بغداد فى العصر العباسى . وكيف كانت دكاكين الوراقين منتدى لالتقاء الأدباء والفضلاء يتناشدون الاشعار . واشار الى أثر مدرسة المعتزلة فى اثراء الفكر الاسلامى وخاصة فى النحو والتفسير واللغة . وان بيت الحكمة يضم العلماء المسلمين والمسيحيين والمجوس وحتى من الشعوبيين المغالين فى بغض العرب امثال علان الشعوبى وسهل بن هارون . كما أشاد بتشجيع الخلفاء والوزراء للحركة العلمية فى بيت الحكمة كالفضل بن جعفر وسهل ابن جعفر وسهل بن هارون ودوره فى حركة النقل والترجمة . ويذكر ياقوت أن بيت الحكمة كان بها خبراء بالعلوم الالهية والعقلية : كالهندسة . والطب ، والتنجيم ، والمنطق ، وبها تعقد المجالس لأهل العلم والأدب .

وابن خلكان ( ت ٦٨١ هـ/١٢٨١ م ) فى كتابه ( وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ) فيعتبر من أهم كتب التراجم التى رجعت اليها ، بالاضافة الى كتاب ياقوت الحموى « معجم الأدباء » حيث وجدت فى كل منهما عددا غير قليل من تراجم العلماء . فقد تحدث ابن خلكان عن اشهر فلاسفة وعلماء المسلمين الذين عاصروا بيت الحكمة أمثال : أولاد شاكر والخوارزمى والبتانى واسحاق بن حنين . وال

قره ( ثابت بن قره وابنه سعيد بن سنان ) . كما كان لهؤلاء جميعا آثار فى الفكر والتراث الاسلامى فى مختلف ألوان العلوم مثل الطب والفلسفة والرياضيات والميكانيكا والمنطق والفلك . وأشار الى سخاء وعطاء الخلفاء والوزراء وتشجيعهم للحركة العلمية . وتحدث عن البرامكة والمعتزلة ومكانتهم عند الخلفاء ، مما أثار التنافس فى التاليف بين العلماء وخاصة فى النحو والأدب واللغة . كما ذكر ابن خلكان البعثات التى أرسلت الى بلاد الروم لاحضار الكتب والنقلة الذين عنوا بعلوم الهندسة والموسيقى والنجوم .

وكذلك غريغوريوس أبو الفرج المعروف بابن العبرى ( ت ٦٨٥ هـ/١٢٨٦ م ) وكان له اطلاع واسع بالعربية والسريانية واليونانية وقد ألف كتابه المشهور ( تاريخ مختصر الدول ) الذى يعتبر من المصادر العلمية الثمينة فى تاريخ اليهود ، ومن عاصرهم من الكلدانيين والفرس واليونان ، وقد تناول المؤرخ دول ملوك العرب حتى سقوط بغداد على يد المغول . وان ما رواه من الأخبار والوقائع والسير والتراجم يدل على خبرة ومعرفة وذلك من مقارنتها بالحوادث والوقائع التى أشار اليها الطبرى ، وابن الأثير ، والمسعودى ، وابن خلدون، وابن الطقطقى وغيرهم .

فقد تحدث ابن العبرى عن أبرز مترجمى الخليفة المأمون من أهل الذمة أمثال : يوحنا بن ماسويه الذى عينه المأمون أمينا على بيت الحكمة وقد كان طبيبا ماهرا ، كما أشار الى ثابت بن قره الذى اشتغل بالتنجيم وخبرته باللغات الأخرى . والخوارزمى الذى ألف فى الرياضيات والفلك ، ويحيى بن البطريق وأبى على عيسى ابن زرعه الذى اشتغل بالمنطق وبرع فى الفلسفة . ويشير الى تشجيع الخلفاء وتنشيطهم لحركة الترجمة والتأليف فى بيت الحكمة . وهذا واضح فى اغداق الرشيد الأموال على طبيبه بختيشوع بن جرجيس .

والمؤرخ صاعد بن احمد الأندلسى ( ت ٤٦٢ هـ/١٠٦٩ م ) فى مؤلفه ( طبقات الأمم ) الذى يضم بين دفتيه معلومات هامة فى مضمار البحث ، وخاصة فيما يتعلق بالجوانب المختلفة من حياة الشخصيات العلمية التى لمع واقترن اسمها ببيت الحكمة البغدادى كحنين بن اسحاق وابنه اسحاق ، وثابت بن قره ، وعمر ابن الفرخان الطبرى ، وقسطا بن لوقا ، وسنان بن ثابت وعن الحاسب كمنجم . كما تناول أيضا اهتمام الخلفاء والوزراء بالعلماء وحبهم وتشجيعهم لهم وارسالهم البعثات العلمية محملة بالهدايا الى ملك الروم للحصول على ما لديهم من كتب قيمة

منها . فكتاب ( طبقات الأمم ) كتاب صغير الحجم لكنه ذو قيمة كبيرة لما احتواه من معلومات غنية وملاحظات ذكية وأحكام رصينة ونظرة شاملة أفادتنى فى بحثى .

أما الجاحظ ( ت ٢٥٥ هـ/٨٦٨ م ) فقد تناول فى كتبه ( البيان والتبيين ) و ( الحيوان ) و ( التاج ) نظم ورسوم الدولة العباسية ، وسياسة خلفائها وأمرائها ، ومدى التأثير فى الحضارة الاسلامية ، وهو يعد بحق مفخرة من مفاخر الكتاب المسلمين بما تضمنه من صدق الأخبار وتصوير الحقائق بالاضافة الى أسلوب التعبير والتفكير ، حيث كان يجانس بين آداب الفرس وأحوالهم ، وسياسات ملوكهم ، وبين ما يماثل هذه الأحوال والسياسات عند العرب والمسلمين ، وذلك على سبيل المقارنة والاستطراد اللذين هما من أخص سجاياه . فقد تحدث عن ازدهار الحركة العلمية فى العصر العباسى الأول الذى عاصره الجاحظ وخاصة فى عصر الرشيد ، فذكر أهم الشخصيات التى لعبت دورا هاما فى تنشيط هذه الحركة كسهل بن هارون وعلان الشعوبى . كما ذكر مجالس البرامكة وكيف كانت مقامة على سلطان العقل والحرية العقلية فى مجالس الخلفاء والندوات التى كان يعقدها ابن أبى دؤاد المعتزلى مستشار المأمون والمعتصم والواثق ويحضرها كبار المترجمين والأطباء . كما أشار الى استعمال الاسطرلاب لمعرفة حركة النجوم وشهرة الهند بالحساب وعلم النجوم وأسرار الطب .

كذلك المسعودى ( ت ٣٤٦ هـ/٩٥٧ م ) فى كتابيه ( مروج الذهب ) و ( التنبيه والاشراف ) ومع أنه ألف أكثر من عشرين كتابا لم يصل الينا الا هذين الكتابين . أما التنبيه والاشراف فقد أتم تأليفه فى سنة ٣٤٥ هـ عنى فيه بما يتعلق بالفلك والجغرافيا ، وذكر معلومات قيمة عن أحوال الأمم الأخرى مما له علاقة بالعلم وتطوره ، فذكر كيف تدرج التعليم من المساجد الى المدارس الى بيوت خاصة فى العلم أطلق عليها بيوت الحكمة أو خزائن الحكمة والتى كان من أشهرها بيت الحكمة البغدادى .

وأشار الى مجالس البرامكة والندوات الكبيرة للمتكلمين والفلاسفة من كل النحل مما أذكى الحركة العلمية فى بيت الحكمة فى عهد الرشيد والمأمون حيث كان الخلفاء يغدقون عليهم الأرزاق والرواتب . كما ذكر بعض الشخصيات الهامة التى كان لها دور فى حركة النقل والترجمة كسهل بن هارون وعبد الله بن المقفع . وأشار فى حديثه عن علم الفلك ومن اشتهر به .

كذلك رجعت الى ابن خلدون ( ت ٨٠٨ هـ/١٤٠٥ م ) فى كتابه ( المقدمة )

فقد عرض فى مقـدمته وتاريخه عن الأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى العصرين الأموى والعباسى وبين رأيه فيها . تحـدث ابن خلدون عن دور صاحب بيت الحكمة وأنواع الطوائف العاملين بها وقسمهم الى عـدة طوائف كالنساخين والمترجمين والمجلدين ... الخ . ومهمة كل طائفة منهم . كما تحـدث عن الدوافع التى ساعدت على ازدهار حركة الترجمة فى العصر العباسى الأول . والجهود التى بذلهـا الخلفـاء العباسيون فى سـبيل ازدهارها . والبعثات التى أرسلوها لعقـد صفقات لشراء الكتب وكيف تدفـع فى سـبيلها أغلى الأثمـان . وعن حب العرب للمكتبات فى الأندلس اقتداء بمـا فعله الخلفاء العباسيون فى بغـداد .

أما المقريزى ( ت ٨٤٥ هـ/١٤٤١ م ) فى كتابه ( المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ) فقـد تحـدث عن المدارس فى القرنين الثالث والرابع الهجريين ثم أشاد بدور المـأمون فى جلب كنوز المعرفة من بلاد الروم ، وكيف عربهـا عن طريق المعتزلة وخاصة كتب الفلسفة ، بل قام خلفاء الدولة العباسية الآخرون بنفس الدور فكانت قصورهم مركز اشعاع فكرى وثقافى أمثال المعتضد بالله . ثم انتقل للحـديث عن انشاء دار الحكمة فى مصر التى أنشأها الحاكم بأمر الله . وكيف كانت مذهبية خاصة على عكس بيت الحكمة البغدادى الذى كان فيه الفكر حرا غير مقيد بمذهب معين .

وابن قتيبة ( محمد بن مسلم بن قتيبة ) ( ت ٢٧٦ هـ ) فى كتبه ( المعـارف ) و ( الامامة والسياسة ) و ( عيون الأخبار ) كان من اقـدم الكتب . وهو كتاب شامل نقـل فيه نصوصا كثيرة عن مواضيع متعـددة منها ما يتصل بمكانة العلماء والأطباء عنـد الحـكام الذين نقـل عنهم ومنهم أرسـطو ، وماسرجويه ، وبختيشوع ، وماسرجيس ، وسلمويه ، وحنين . وكان لكتاب عيون الأخبار مكانة كبيرة ، واعتبره ابن خلدون احـد الأركان الأربعة من كتب الأدب عند العرب . وقـد اقتبس منـه عـدد كبير من المؤلفين . وقـد تناول ابن قتيبة المباحثة والمناظرة فى مجلس الخليفة المـأمون ودوره كرئيس للمجلس حيث كان الحوار مذهبيا ، فأشار الى المعتزلة ومذهبهم فى بداية العصر العباسى الأول وموقف الخلفاء منهم . وأكد ابن قتيبة فى كتابيه ( الامامة والسياسة ) و ( المعارف ) تشجيع الخلفاء والوزراء العباسيين للعلماء والمؤلفين وبذل العطاء لهم . وسيادة التسامح الفكرى واثر ذلك فى ظهور الفرق الكلامية واحتدام الجـدل بينها .

كما تحـدث عن الكنـدى فيلسوف العـرب ونشاطه الفـكرى فى الفلسـفة والتاريخ الطبيعى وعلم الظـواهر الجـوية .

أما الطبرى ( ت ٣١٠ هـ/٩٢٢ م ) فى كتابه ( تاريخ الرسل والملوك ) الذى اعتمدت عليه اعتمادا خاصا توضيحا للدور الذى لعبه الوزراء فى الدولة العباسية من خلال الحوادث التاريخية كما عنى الطبرى بسرد الحوادث السياسية وتطرق فى مقدمته الى جوانب هى من صميم علم الفلك فتحدث عن انشاء المراصد والمكتبات والبيمارستانات والمدارس فى بيت الحكمة . وذكر بعض الأمور الادارية والعمرانية ، ولكنه لم يبحث ما يتصل بالعلم والعلماء ، علما بأنه ألف كتبا أخرى هى تفسير القرآن والفقه ، وفيها معلومات اضافية لبعض جوانب التاريخ ، اذ تعرض للحديث عن الحياة الاجتماعية فى زمن الرشيد وكيف كانت قائمة على التوازن بين الجد واللهو ، وناقش قضية خلق القرآن وموقف المأمون منها من حيث انتصر لآرائهم أيما انتصار ، وتشدد فى التمسك بهم .

وقد تبعه فى ذلك ابن الأثير ( ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٢ م ) فى كتابه ( الكامل فى التاريخ ) فى منهاجه واعتمد عليه فى أخباره وروايته الا انه أخذ من هذه الروايات والأخبار أوثقها فى نظره . فقد تحدث ابن الأثير عن تشجيع الخلفاء والوزراء العباسيين للحركة العلمية عن طريق المباحثة والمناظرة فى سبيل اثراء التراث الثقافى فى جميع جوانبه الدينية والعلمية والفلسفية فى بيت الحكمة ، كما أشاد بدور الفضل بن جعفر فى جمع الكثير من الكتب التى يحتاج نقلها الى أربعمائة بعير ، وكان ما كتبه الطبرى وابن الأثير فى التاريخ موسوعات تاريخية قيمة وكاملة .

واما الخطيب البغدادى ( ت ٤٦٣ هـ ) فى كتابه ( تاريخ بغداد أو مدينة السلام ) فهو مؤرخ مدينة بغداد ، فقد خصص لها مجلدا كبيرا فى تاريخه تناول خططها وصروحها وآثارها بافاضة . وهو مجموعة تراجم للعلماء الذين عاشوا فى بغداد وما حولها ولمن زارها وعرف بالرواية فيها خلال تلك الزيارة ، وهو على كل حال وأحد من أكبر معاجم التراجم المخصصة للعلماء ، اذ كثيرا ما تجد فى تاريخ بغداد معلومات عن مواقع المساجد والقصور ومنازل العلماء ودكاكينهم ، خاصة منهم الذين عاشوا فى القرنين الرابع والخامس الهجريين .

والف ظهير الدين البيهقى ( ت ٥٦٥ هـ ) فى كتاب ( تتمة صوان الحكمة ) الذى طبعه محمد شفيع فى لاهور سنة ١٩٣٥ م معتمدا على مخطوطة فى برلين ثم طبعها محمد كرد على سنة ١٩٤٦ م بعنوان ( تاريخ حكماء الاسلام ) معتمدا على نسختين مخطوطتين فى استانبول . وفى هذا الكتاب ترجمة لمائة واحد عشر من العلماء والحكماء فى الاسلام ، معظمهم ممن عاش بعد تأليف « صوان الحكمة » وذكر عن

كل منهم اسمه ونسبه وبعض أقواله وكتبه . ومن العلماء الذين تحدث عنهم البيهقى ثابت بن قرة وابن على الشريف البغدادى وكيف كان عالمـا بالهندسة واجزائها وعارفا بالقانون الفيثاغورى من الموسيقى ، وحنين بن اسحاق ، وحبيش ابن حسن الدمشقى ، وكان من الأطباء المتقدمين والمهندسين متى بن يونس كان حكيمـا نصرانيـا ».

واشار القلقشندى ( ت ٨٢١ هـ/١٤٤٨ م ) فى كتابه ( صبح الأعشى فى صناعة الانشاء ) الى خزانة بيت الحكمة ، وكيف كان يستفيد منها الرواد والعلماء وطلاب العلم الى أن استولى عليها المغول . كما اشاد بحركة الترجمة التى قامت فى بيت الحكمة فلم تكن مقصورة على الخلفاء العباسيين بل اهتم الأثرياء منهم بها كأولاد موسى بن شاكر الذين عهدوا الى حنين بن اسحاق بذلك .

وابن الجوزى ( ت ٥٩٧ هـ/١٢٠١ م ) فى كتابه ( المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ) مؤلف غزير كل الغزارة متنوع كل التنوع ألف فى كثير من الموضوعات كالتاريخ والتراجم والحديث الشريف والتفسير والتصوف ، وكان ذا حظوة لدى الخلفاء العباسيين ، وألف كتابه هذا ليقص سيرة التاريخ العام من بدء الخليقة حتى عصره هو . تحدث عن المدارس فى العصر العباسى ، ودور الخلفاء والوزراء فى نشاط مؤسسة بيت الحكمة حتى أن الصاحب بن عباد أنفق على الفقهاء والأدباء خمسة آلاف دينار توزع عليهم .

أما الجهشيارى ( ت ٣٣١ هـ/٩٤٢ م ) فى كتابه ( الوزراء والكتاب ) والذى يعد مصدرا هاما من مصادر التاريخ الاسلامى فيعنى بدراسة الوزارة والوزراء فى الدولة العباسية . فتحدث عن موقف الرشيد من المعتزلة ، ودور الفضل ابن سهل فى حركة النقل والترجمة . وانه كان مقربا من الخلفاء والبرامكة . كما أشار الى دور الخلفاء والوزراء وتشجيعهم لحركة الترجمة وخاصة آل سهل وعلى رأسهم الفضل الذى يترجم للمأمون .

كذلك ابن الطقطقى ( ت ٧٠٩ هـ/١٣٠٩ م ) فى كتابه ( الفخرى فى الآداب السلطانية ) الذى عالج الأمور السلطانية والسياسات الملكية ثم تحدث عن الخلفاء العباسيين ووزرائهم فى هذا العصر والعصر الذى يليه . فقد ذكر المباحثة والمناظرة ووصف الدولة العباسية بأنها ساست العلم سياسة ممزوجة بالدين والملك فوصفها بأنها دولة كثيرة المحاسن جمة المكارم ... الخ .

ومن هـــذه المصادر أيضا كتاب ( طبقات الأطباء والحكماء ) لسليمان بن حسان المعروف بابن جلجل ( ت ٣٨٤ هـ/٩٩٤ م ) وهـــو طبيب أندلسى عاش زمن عبد الرحمن الناصر الذى وصف عصره بأنه « تتابعت الخبرات فى أيامه ودخلت الكتب الطبية من المشرق وجميع العلوم ، وقامت الهمم وظهر الناس ممـــا كان فى صـــدر دولته من الأطبـــاء المشهورين » . يضم كتاب طبقات الأطبـــاء والحكماء تراجم سبعة وخمسين عالمـــا وطبيبا » . وقـــد أفادنى المؤلف المذكور بصفة خاصة عند بحثى لرعاية حركة الترجمة وأشهر النقـــلة على الرغم من أن المعلومات هنا كانت كثيرة تتميز بالايجاز الشديد . والكتاب هـــذا يعتبر وثيقـــة هامة فى تاريخ العـــلوم ، وتطـــور حركة التأليف والترجمة فى القرن الرابع الهجرى ( العاشر الميلادى ) الذى يعـــد بحـــق العصر الذى ازدهرت فيـــه الحضارة العربية الاسلامية ونمت وبلغت غايتها من الانتاج الواسع فى شتى ميادين العلوم والآداب ، ولعل ميزة هـــذا الكتاب الأولى التى جعلت لـــه قيمة علمية خاصـــة ، ونصا قـــديما لـــه خطره فى تاريخ العلم ، ان مؤلفه يعتمد فيما رجـــع اليه من مصادر على تراجم عربية لأصـــول لاتينية تاريخية . فتحـــدث عن الكندى ووصـــفه بأنه من كبـــار مفكرى العرب الذين يسروا العلوم لمن بعـــدهم ، وذكر يوحنا بن ماسويه الذى قلده الرشيد الكتب الطبية لترجمتها ووضـــعه أمينا على الترجمـــة .

أما اليعقوبى ( ت ٢٨٤ هـ/٨٩٧ م ) فقـــد ألف كتاب ( معجم البلـــدان ) وفيـــه وصف جغرافى وبشرى لأقاليم العالم الاسلامى ، وعنى اليعقوبى بذكر العلم ، وخص بعض علماء الطب والرياضيات والجغرافيا بعناية خاصة ، وكان ما كتبه فى ذلك معتمدا ذا قيمة . كما ذكر أيضا أن بغـــداد كانت قبلة العلماء من جميع أنحاء العالم .

أما البلاذرى فى كتابه ( فتوح البلـــدان ) فتحـــدث عن التراث فى قصـــور المعتصم ، وتشجيع الحركة العلمية فى عصره من قبـــل الخلفاء والوزراء ، وأن عصر المستنجد كان عصر ازدهار الترجمة ممـــا انعش التراث الاسلامى فيما نقـــل عن الفرس واليـــونان .

ويذكر أبو المحاسن بن تغرى بردى ( ت ٨٧٤ هـ/١٤٩٦ م ) فى كتابه ( النجوم الزاهرة ) فقـــد تحـــدث عن مجالس الخلفاء والوزراء فى المباحثة والمناظرة فى بيت الحكمة رغم اختلاف الملل والنحل وكفل الحركة لكل المتحـــدثين والمتكلمين . كمـــا أشاد بدور الخلفاء والوزراء فى المحافظة على نشاط مؤسسة بيت الحكمة وخاصة الصاحب بن عباد من مخالطته العلماء والاغـــداق عليهم .

كما رجعت ايضا الى الصابى ( ت ٤٤٨ هـ/١٠٥٦ م ) فى كتابه ( تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء ) الذى أفرد حـديثه للوزراء العباسيين مبينا الأنظمة التى كانت تسير عليهـا الدولة العباسية ومدى ما بلغتـه من تنظيم الأمور والدواوين ، فكان لتشجيع الخلفاء والوزراء للحركة العلمية أثره فى تقـدمها بمنحهم الأموال لقـاء ما يقـدمونه من أمثال على بن عيسى وزير الخليفة المقتـدر .

أما الأربلى فى كتابه ( خلاصة الذهب المسبوك ) الذى يعتبر من المؤرخـين الثقـات الذين عاصروا الدولة العباسية وشهدوا كثيرا من وقائعها واحـداثها ، لذلك يعتبر تاريخه مرجعا هاما لنـا على الرغم من تدويناته التى جاءت مختصرة ، وتناول فى كتابه تاريخ الدولة العباسية منـذ الدعـوة العباسية الى سقوطها سـنة ٦٥٦ هـ/١٢٥٨م .

أما ابن دحيـه فى كتابه ( النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس ) فتحـدث عن اسهام الخلفاء والوزراء فى المناظرات وحظـوة العلماء عند الرشيد والمـأمون وتنافسهم فى ازدهار الحركة العلمية فى بيت الحكمة . وهنـاك مصادر عـديدة ذات أهمية ثانوية ، لأنها اعتمدت الى حـد كبير على المصادر الآنفـة الذكر بالنسبة لبحثنا والتى رجعت اليها وهى مثبتة فى قائمة المراجع ومن أهمها :

المقـدسى ( ت ٣٧٥ هـ/٩٨٥ م ) فى كتـابه ( أحسن التقاسـيم فى معرفة الأقـاليم ) .

و ( تاريخ الخلفاء ) للسيوطى ( ت ٩١١ هـ/١٥٠٥ م ) والمقرى فى كتـابه ( نفح الطيب ) ، وحاجى خليفة ( كشف الظنون ) ( ت ١٠٦٧ هـ ) وقـد طبـع فى استانبول سنة ١٩٤٣ م بمجلدين ذكر فيهما أسماء الكتب مرتبة على العـلوم بترتيب الفبائى . وابن شاكر الكتبى فى كتـابه ( فوات الوفيات ) ويمتاز هـذا الكتاب بأنه يضم قائمة بأسماء مؤلفين مما الفه كل منهم وانه كتاب شامل لكل العلوم والمعارف .

ومن الكتب المؤلفة فى أسماء الكتب كتاب ( مفتاح السعادة ومصباح السيادة ) لطاش كبرى زاده . وقـد طبع هـذا الكتاب فى حيدر آباد فى أربعـة أجزاء يبـدأ بمقـدمة عن التعليم والعلم ثم أصناف العلوم وأبرز الكتب المؤلفة فى كل صـنف أهم . كما يعتبر ابن مسكويه من المؤرخين الموثوقين فى التاريخ الاسلامى وكتـابه المسمى باسم ( تجارب الأمم وتعاقب الهمم ) يعكس وجهـة نظره فى التاريخ ، فالتاريخ فى رأيه تجارب الأمم ، ومن واجب الحاكم العاقل أن يستفيد من تجارب

الأمم السابقة . وهناك كتاب ( الجامع المختصر ) لابن الساعي الخازن . هـذا كتاب ضخم فى تاريخ العراق خاصة ، لكنه لم يصل منه الا جزء صغير جـداً يغطى عـدداً قليلاً من سنوات حكم الخليفة الناصر .

وتعتبر الكتب الحـديثة من المراجع المهمة فى دراسة بيت الحكمة فى عصر العباسيين فلقـد كتب الكثير من المؤرخين العرب والمستشرقين عـدة بحـوث ومقالات تخص المدارس الاسلامية والنهضة التعليمية فى ذلك العصر ، تنـاولوا فيها تشجيع الخلفـاء والوزراء للحركة العلمية واثر ذلك فى ازدهار بيت الحكمة وتألقها على ما كانت عليه ، معتمدين على روايات المؤرخين القـدامى ، فكانت لآرائهم وتحليلاتهم للنصوص التاريخية وعرضها للأحـداث ومناقشتها أهمية كبرى فى بيان العلوم المختلفة التى كانت موجودة فى العصر العباسى كالطب والفلك والهندسـة والرياضيات بالاضافة الى ما كتبه المؤرخون المسلمون ليكون بحثى أبعـد عن الهوى والتحيز . فقـد خصص رفائيل أبو اسحاق دراسة خاصة لأحـوال نصارى بغداد والعراق وتكلم عن حياتهم الاجتماعية والثقافيـة ، وموقف المسلمين منهم ، ودور المدارس فى ازدهار الثقافة وأثرهم فى حركة الترجمة والنقـل من اليونانية والسريانية الى العربية فى العراق فى العصر العباسى .

وكتب غيره كثير من المستشرقين أثناء بحثهم فى الحضارة العربية الاسلامية عن مواقف المسلمين من أهـل الذمة ، وقـد أسهب البعض منهم فى تصوير المواقف السامية التى وقفهـا الحكام المسلمون تجـاههم ، وتسامح الاسـلام معهم وقـد رد هـؤلاء المستشرقون على أولئك الذين اتهموا الاسلام والحكام المسلمين باتبـاع سياسة الاضطهاد والاكراه والاحتقار لأهـل الذمة . ومن ابرز هـؤلاء المؤرخين المنصفين المستشرق الفرنسى جوستاف لوبون فى كتابه « الحضـارة الاسـلامية » وبارثولد فى كتـابه « تاريخ الحضارة العربية » وآدم متز فى كتـابه « الحضـارة الاسـلامية فى القرن الرابع الهجرى » وديورانت فى كتـابه « قصـة الحضـارة » وخودابخش فى كتابه « الحضارة الاسلامية » وفـون كريمر « الحضارة الاسلامية ومـدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية » واوليرى « الفكر العربى ومكانه فى التاريخ » و « مسالك الثقافة الاغريقية » وجرونيباوم فى كتابه « حضارة الاسـلام » الذى ترجمـه عبد العزيز جاويد .

وزيغريد هـونكه فى كتابها « شمس العرب تسطع على الغرب » وجاك . س . ريسلر فى كتابه « الحضارة العربية » وستانوود كب فى كتابه « المسلمون فى تاريخ

الحضارة » يعرض فيه قصة الحضارة الاسلامية ، نشوئها وازدهارها وعطائها ، ومكانة الحضارة الاسلامية فى تاريخ الحضارة الانسانية ، وكيف أن المسلمين تمثلوا بالمعارف الاغريقية والفرس والهنود والقدماء . وديبور فى كتابه « تاريخ الفلسفة فى الاسلام » ونالينو فى كتابه « تاريخ الفلك عند العرب » وهل فى كتابه « الحضارة العربية » . وقد أشار هؤلاء جميعا فى كتبهم اشارات عابرة فى أثناء التكلم عن النظم العربية الاسلامية الى اهتمام الخلفاء والوزراء العباسيين بمختلف فروع المعرفة المتعددة فى بغداد من طب وفلك ورياضيات وكيمياء ... الخ .

على أن الباحثين العرب لم يقصروا جهودهم على ترجمة الدراسات العربية فى هذا المجال ومن الكتابات المبكرة فى الحضارة العربية الاسلامية كتاب « تاريخ التمدن الاسلامى » لجرجى زيدان ، وكتاب محمد كرد على « الاسلام والحضارة العربية » وكتاب جميل نخلة المدور « حضارة الاسلام فى دار السلام » ثم توالت الدراسات العربية فى هذا السبيل مدرجة فى نطاق مؤلفات تاريخية ، وابحاث منفصلة ؛ فقد حرص الاستاذ الدكتور حسن ابراهيم حسن فى كتابه الضخم الذى ظهر فى أجزاء أربعة « تاريخ الاسلام السياسى والاجتماعى والثقافى » كاملة مسهبة لدراسة الحضارة الاسلامية فى مختلف جوانبها . كما ظهر للأستاذ أحمد أمين مجموعته الطيبة فى التاريخ الفكرى للاسلام « فجر الاسلام » ، « ضحى الاسلام » ، « ظهر الاسلام » . ثم نجد لدينا الدراسات التى ظهرت فى تاريخ الفن الاسلامى كأبحاث الدكتور محمد زكى حسن مثلا « كنوز الفاطميين » ، « الفن الاسلامى » والدراسات العربية المتعددة فى تاريخ الادب العربى وفى تاريخ الفلسفة الاسلامية وقد ظهرت مؤلفات جامعة مفردة تؤرخ الحضارة الاسلامية من جانب بعض الباحثين العرب المحدثين مثل د. عبد المنعم ماجد فى كتبه « العصر العباسى الأول » و « تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى » . و د. على حسنى الخربوطلى فى كتابه « الحضارة الاسلامية » . وأوضح د. عبد العزيز الدورى فى كتبه « العصر العباسى الأول » ، « تاريخ العراق فى القرن الرابع الهجرى » ، « العصور العباسية المتأخرة » ، « مقدمة فى تاريخ الاقتصاد العربى واحوال المجتمع العراقى خلال العصور العباسية » . ومشيرا الى آثار أهل الذمة فى النواحى السياسية والدينية والثقافية والاقتصادية ومحللا الظواهر الاجتماعية والسياسية والدينية فى المجتمع العراقى . واشار غيرهم الى احوال أهل الذمة اشارات عابرة نجدها فى المصادر المثبتة فى فهرست الرسالة . وقد رجعت الى بعض المقالات والبحوث فى المجلات فيما يخص موضوع البحث « بيت الحكمة فى عصر العباسيين » فقد كانت لهذه الكتب جميعا اهميتها فى استكمال جوانب البحث والقاء الضوء

على الجوانب الفكرية والثقافية والسياسية فيه .

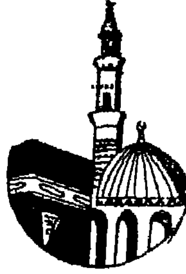
هـذه أهم المصادر والمراجع التى اعتمدنا عليها ورجعنا اليها . ونقول أهم المصادر والمراجع لأن وراءها مصادر ومراجع كثيرة لم تعرض هنا اكتفاء باثباتها فى هوامش البحث وادراجها فى الثبت الأخير الذى تفرض علينا التقاليد العلمية أن نختم به أبحاثنـا الجامعيـة .

وبعـد ، فلسنا ندعى أننا قلنا الكلمة الأخيرة فى الموضوع ، أو أننـا أحطنـا علمـا بكل جـوانبه ، فتلك دعوى لا تتفق مع العلم الذى نخلص له ، ولا مـع الجامعية التى نؤمن بها ، وانما حسبنا أن نذكر أن هـذا البحث محاولة حاولناها ، وأنضينا رواحلنا فى سبيلها ، فان تكن انتهت بنـا الى الغاية التى تمثلناها فما نبالى ، وان تكن قصرت بنا عن بلوغها فلنتذكر قول شاعر الكوفة أبى العتاهية :

« ما كل ما يتمنى المرء يدركه » .

والله يهـدينا الى سـواء السبيل .

# الباب الأول



**ويشمل الفصـــول الآتيـــة :**

**الفصـــل الأول : تأسيس بيت الحكمة وأهـــدافها .**

**الفصـــل الثانى : انشاء بيت الحكمة .**

**الفصـــل الثالث : النظام الادارى فى بيت الحكمة .**

**الفصـــل الرابع : أثر بيت الحكمة فى حياة المجتمع العباسى .**

# الفصل الأول : تأسيس بيت الحكمة وأهدافها



١ ـ المؤسسون لبيت الحكمـــة ٠

٢ ـ تاريخ تأسيس بيت الحكمـــة ٠

٣ ـ الأهـــداف المراد تحقيقها من تأسيس بيت الحكمـــة ٠

ان احـــدى مميزات الحضـارة الاسلامية الرئيسية حبها للكتب ونشرها المعرفة واحتضانها المكتبات وتعميمها وجعلها فى متناول أفراد الشعب ، دون اعتبار للعمر أو الجنس أو اللون . ومما قيل فى هـذا الصـدد : « لم يبز شعب من شعوب الأرض كلها المسلمين فى حبهم للكتب وحدبهم عليها » . ولقـد بدأت هـذه العناية فى عصر مبكر ، فما كاد العرب يؤسسون دولتهم حتى جـدوا فى جمع تراثهم القديم ، وتدوينه ونشطوا فى التأليف فى علوم الاسلام ، وسايرت هـذا النشاط الجاد حركة منظمة لترجمة الآثار الفكرية والعلمية لمختلف الشعوب ذات الميراث الحضارى ، ثم امتدت نظرتهم الثاقبة الى الأفـق العالمى الرحب ، فأقبلوا يجمعون ما عرفت الدنيا لعهدهم من كتب ذات بال . فقد أهـل القرن الثانى للهجرة وقـد امتدت الفتوحات الاسلامية وبدأت الدولة الاسلامية تأخـذ دورها القيادى للبشرية فى الحضـارة المادية والمعنوية ، فكانت نهضتها الفكرية والعلمية من دعائم هـذه الحضـارة وعنايتها باحياء تراثها وتشييد دور للكتب تساير هـذه النهضة مؤثرة ومتأثرة بها .

## أولا ــ المؤسسون لبيت الحكمـة :

جاء العصر العباسى وكان عصر الحضارة الاسلامية فبانتقال السلطة الى العباسيين سنة ١٣٢ هـ/ ٧٥٠ م انتقلت عاصمة العالم الاسلامى الى بغداد ، وحرص خلفاء بنى العباس مثل الرشيد والمـأمون والمتوكل وغيرهم على استحثاث طلب العلم ودفـع عجلته الى الأمام . فكانت السمة البارزة فى تاريخ الدولة العباسية هى اهتمام خلفائها بتعميم المعرفة ، وتعضيد من يعمل بها وترجمة ما كتب فيها الى اللغة العربية ، وكان الخليفة المنصور هــو الراعى الذى فعل أكثر ما يمكن لاجتذاب الأطبـاء النساطرة الى مدينة بغـداد . فقـد ترجمت لـه كتب فى الطب والنجـوم والهندسة والآداب ، كما ألفت لـه معظم كتب الحـديث والتاريخ . فقـد ترجم جرجيس بن بختيشوع مؤلفات كثيرة فى الطب من اليونانية الى العربية . فخصص المنصور خزانات لهـذه الترجمات وغيرها من المخطوطات القيمة[١] . وحتى آخر

---

(١) ابن القفطى : جمال الدين ابو الحسن على بن يوسف ( ت ٦٤٦ هـ/١٢٤٨ م ) ، ( **أخبار العلماء بأخبار الحكماء** ) ، ( طبع ليبزك ١٣٢٠ هـ ) ص ٣٨٣ .

عهدها كانت مخطوطات التراث ودفاتر العلم تحفظ فى قصر الخلافة فى بغـــداد ، حتى ضـــاق عنها على سعته . ولمـــا جاء الخليفة هارون الرشيد وكان من أعظم خلفـــاء بنى العباس وأكثرهم ذكرا فى التاريخ العباسى ، لمـــا اتصف به من كرم وجـــودا ولمـــا وصلت اليه الدولة العباسية من نهضة حضارية بلغت الأوج ، فقد أصبحت بغـــداد فى عهده كعبة العلم والأدب ومركز التجارة والصناعة وظهر فى أيامه شعراء عظـــام من أمثال أبى العتاهيـــة والعباس بن الأحنـــف ، ومروان بن أبى حفصـــة ، ومؤرخين من أمثال الأصمعى والواقـــدى(٢) وغيرهم كثير . فاتجـــه الرشيد الى اخراج الكتب والمخطوطات التى كانت تحفظ فى جـــدران قصر الخلافة بعـــد أن تضخم رصيدها من التراث المـــدون ، والمخطوطات المؤلفة المترجمة ، لتكون مكتبة عامة مفتوحة الأبواب للدارسين وطلاب العلم ، وبدأ فأسس دارا رحبـــة فخمة نقـــل اليها كل الذخائر وسماها « بيت الحكمة » تقـــديرا لجلال رسالتها(٣) . وكانت هـــذه المؤسسة مؤسسة ثقافية كبرى تقـــوم بعمل جليل . فكانت مهمتها أول الأمر الملازمة كما يقول ابن النـــديم ، ثم تطورت زمن المـــأمون حتى أصبحت مؤسسة علمية من الطراز الممتاز همها ترقية البحث والدرس والتجرد للدراسات العليـــــا . ويمكننا أن نقول ان هـــذه المؤسسة المسماة باسم بيت الحكمة قـــد أصبحت زمن المـــأمون اكاديمية بالمعنى العلمى الدقيق للكلمة فيها أماكن للدرس ، وأماكن لخزن الكتب ، وأماكن لنقلها ، وأماكن للتأليف الى جانب المرصـــد الفلكى الذى مارســـته وهـــذا تطور طبيعى ومنطقى(٤) ويقول القفطى « ان بيت الحكمة كان رمزا للمناحى العلمية المختلفة فهارون الرشيد هـــو الذى ابتدع فكرة هـــذا المعهد وتبناه ابنـــه الخليفة المـــأمون ، والحكمة فى رأى العلماء المسلمين هى العلوم الالهيـــة والعـــددية وصـــناعتا الطب والتنجيم »(٥) .

وفعلا كانت أكثر أعمال بيت الحكمة ضمن نطاق هـــذه العلوم ، ولتنوع العمل

---

(٢) أولبرى : ( مسالك الثقافة الاغريقية ترجمة تمـــام حسان ) . ( دار الفكر العربى – القاهرة ١٩٦٢ م ) ص ٩٩ .

(٣) د . عائشة عبد الرحمن ( بنت الشاطىء ) ( تراثنا بين ماض وحاضر ) ( دار المعارف بمصر – ١٣٨٩ هـ/١٩٧٠ م ) ص ٢٠ .

(٤) ابن أبى أصيبعه . موفـــق الدين ابو العبـــاس احمـــد بن القاسم بن خليفـــة بن يونس السعدى الخزرجى ( عيون الانباء فى طبقات الأطباء ) ( دار الفكر – بيروت ١٩٥٦ م ) ج ٢ ص ٣٧ .

(٥) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٣٨٣ .

فى هـــذا المعهد نصب الخلفاء على ادارتها رئيسا لـــه من الادراك العلمى ما يقـدر به أن يجعل منها محرابا مقـــدسا للعلم والعلماء(٦) .

وقـــد نالت بيت الحكمة فى عهد الرشيد عناية فائقة بالكتب المترجمة التي تحمل كنـــوز الثقافة الأجنبية فعين لهـــا الموظفين وآتاها حاجتها من الكتب ، فنمت واشتدت وأخـــذت تؤتى أكلها طيبا يانعا(٧) . ولا ريب فى أن هـــذه المؤسسة كانت جامعة كبرى لطلاب العلم والمعرفة ، وقـــد أخـــذ كثيرون من الأفراد باقتناء المكتبات، وهـــذا ما سنوضحه فيما بعـــد . وبلغ من اهتمام هارون الرشيد بالعلم والعلمـــاء أنه كان يقبل الجزية كتبا(٨) ، وهـــذا يدلنا على شغف الخليفة باقتناء الكتب وجلبها حتى أصبحت بيت الحكمة أول مكتبة عامة ذات شـــأن فى العالم الاسلامى ، بل انهـــا كانت أول جامعة اسلامية اجتمع فيها العلماء والباحثون ولجـــأ اليها الطلاب . وكانت بذلك أول مركز علمى يحقق للطلاب زادا علميا وفيرا ويخرج لهم من جهـــد القائمين عليه ثقافـــة مختلفة الاتجاه تشـــكل علـــوم الطب والفلســـفة والحكمة وغيرها(٩) . وقـــد أكد بعض المؤرخين « أن بيت الحكمة كان جامعة كبيرة ، وأن المكتبة كانت جزءا منه »(١٠) .

أما الاسم الذى أطلق على هـــذه الأكاديمية فله دلالته الواضحة ، فقـــد سميت « بيت الحكمة » أو خزانة الحكمة ، ولم يسم باسم خزانة الكتب وذلك للاشارة الى الكتب التى كانت تجمع فيها والتى كانت تعرب هناك . فالمعنى اللغوى لكلمة حكمة كما ورد فى المعجم الوسيط(١١) هى : من الحكم من أسماء الله تعالى . والحاكم . وفى التنزيل العزيز : « **أفغير الله أبتغى حكما** »(١٢) . ومن يختار للفصل بين المتنازعين .

---

(٦) ياقـوت الحموى ، أبو عبد الله شهاب الدين بن عبد الله الرومى ( **معجم الادباء** ) . تحقيق أحمد فريد رفاعى ( مطبعة عيسى البابى الحلبى ١٩٣٦ م - القاهرة ) ج ٢ ص ٢٧٧ .

(٧) زكريا هاشم زكريا ( **فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم** ) ( مكتبة نهضة مصر بالفجالة - القـاهرة ) ص ٢٨٢ .

(٨) د. على عبد الله الدفاع ( **موجز فى التراث العربى الاسلامى** ) ( مطبعة الرسالة - بيروت ١٩٧٧ م ) ص ٢٠٣ .

(٩) د. أحمد شلبى ( **تاريخ التربية الاسلامية** ) ( مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الخامسة ١٩٧٧ م - القـاهرة ) ص ١٨٤ .

(١٠) أحمد أمين ( **ضحى الاسلام** ) . ( دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٣٦ م ) ج ٢ ص ٦٤ .

(١١) د. ابراهيم أنيس وآخرون ( **المعجم الوسيط** ) ( طبعة أولى - القاهرة ) ، ج ١ ص ١٩٠ .

(١٢) سـورة الأنعـام الآية ١١٤ .

وفى التنزيل العزيز : « **وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكمـــا من اهـــله وحكما من أهلها** »(١٣) . ويقال رجل حكم : مسن . وهم حكمه . الحكمة : معرفة افضل الأشياء بأفضل العلوم . و ــ العلم والتفقه . وفى التنزيل العزيز : « **ولقــد آتينـــا لقمـــان الحكمة** »(١٤) . و « يقال : حكمة التشريع . وما الحكمة فى ذلك ؟ و ( علم الحكمة ) : الكيمياء والطب . الحكمة : حكمه . الحكم : العلم والتفقـــه . والحكمة . يقـــال : الصمت حكم . و « القضـــاء » . وأما الحكمـــة فى ذلك الوقت فقـــد كانت مرادفة للفلسفة ، وخاصة الفلسفة اليونانية ويقصد بالفلسفة المعنى العام الفضفاض للكلمة ، فقـــد كانت كلمة فلسفة تشمل عـــدا مباحث الفلسفة المعروفة الطب والفلك وعلم الهيئة والطبيعة والرياضيات والمنطق . وهـــذا يدل على الاتجاه العقلى لمؤسس هـــذه الأكاديمية . وعلى التيار الثقافى الذى كان غالبا آنذاك . أما كلمة الخزانة أو بيت فهى تدل على المكان الذى يوضع فيه الشىء أو يخزن .

ومات هارون الرشيد وبيت الحكمة زينة بغـــداد عاصمة العرب والاسلام ، على الرغم من الثورات والفتن التى ملأت عهد المـــأمون ، فان عصره يعتبر من أزهى عصور الدولة العباسية من الناحية العلمية ، فقـــد اهتم بالمسائل الفلسفية والعلمية وشجع على النهضة الفكرية ونشر العلوم فزود بيت الحكمة بمختلف أنواع الكتب من الهند وبلاد الروم والفرس ، حتى أصبحت أشبه بجامعة علمية تضم دارا للكتب يجتمع فيها شيوخ العصر للترجمـــة والتأليف والتحصيل ، كما خصص منها مواضـــع للنســاخين(١٥) ، وجمع المـــأمون فى مكتبته أعظم المفكرين والعلماء والأطباء والنقلة ، وأغـــدق عليهم العطاء فأصبحت خزانة كتب بيت الحكمة من أثرى وأعظم خزائن الكتب فى ذلك الوقت ، كان خازنها هـــو سهل بن هارون ممـــا يؤكد أن بيت الحكمة كانت تضم مكتبة جليلة صنفت كتبها واختير لهـــا المترجمون المشهورون ومنهم يوحنا ابن ماسويه وابن البطريق(١٦) .

ويوحنا بن ماسويه السريانى المتعرب الذى قام بترجمـــة كتب الطب التى جىء بها من أنقره وعمورية وبلاد الروم يعـــاونه عـــدد من المترجمين والكتبة الحـــذاق

---

(١٣) ســورة النســاء الآية ٣٥ .

(١٤) ســورة لقمــان الاية ١٢ .

(١٥) د. محمد فاروق النبهان . ( **مبادىء الثقـــافة الاسلامية** ) . دار البحوث ــ الكــويت ١٩٧٣ م ) ص ٦٩ .

(١٦) المقريزى . تقى الدين أحمـــد بن على . ( **المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار** ) . ( طبعة بولاق ــ القاهرة ١٢٧٠ هـ ) ج ١ ص ٤٠٦ .

كما جيء بكتب الحكمة والفلك من فارس وعهد بها الى ابن ابى سهل الفضل بن نوبخت الذى نقلها من الفارسية الى العربية فواصل الحركة التى بدأها ابن المقفع بترجمة تراث الفرس ، وأضيف الى خزائن بيت الحكمة ما صنف علماء العربية والاسلامية فى علومهم الاسلامية والعربية الأصيلة الى جانب ما دونوه من تراثهم المجموع[17] . أما حنين بن اسحاق فقد كان من أبرز الأطباء والمترجمين فى عهد المأمون وكان أعلم زمانه باللغة اليونانية والسريانية والفارسية الى حد لم يصل اليه أحد من النقلة الذين كانوا فى زمانه ، مع براعته أيضا فى اللغة العربية ومداومة الاشتغال بها حتى صار من جملة المتميزين بها[18] .

ويضيف القفطى قوله « وكان حنين فصيحا لسنا بارعا شاعرا ، وكان له شيخ فى العربية الخليل بن أحمد الفراهيدى »[19] . أما محمد بن موسى الخوارزمى الذى عاش فى بغداد فيما بين ( ١٦٤ هـ/٢٣٥ هـ — ٧٨٠/٨٥٠ م ) وتوفى هناك فقد برز فى زمن خلافة المأمون ولمع فى الرياضيات والفلك حتى عينه المأمون رئيسا لبيت الحكمة . وطور الخوارزمى علم الجبر كعلم مستقل عن الحساب . ومن هنا أصبح هذا العلم ينسب اليه فى جميع أنحاء المعمورة . والخوارزمى اصله من خوارزم وكان منقطعا الى خزانة الحكمة فى عهد المأمون وهو من أصحاب علم الهيئة ، وله من الكتب كتاب « الزيج » نسختين أولى وثانية ، وكتاب الرخامة وكتاب العمل بالاسطرلاب وكتاب التاريخ[20] . اذ ابتكر الخوارزمى[21] فى بيت الحكمة الفكر الرياضى وذلك بايجاد نظام جديد لتحليل كل معادلات الدرجة الأولى والثانية ذوات المجهول الواحد بطرق جبرية وهندسية . والعالم يدين له بما نعرفه الآن من علمى الجبر والحساب . وهكذا فقد سطع نور بيت الحكمة فى أيام المأمون ، وأيام هذا الخليفة كانت عهدا ذهبيا فى حياة الدولة العباسية .

---

(١٧) احمد أمين . ضحى الاسلام . جـ ٢ ص ٦٤ .

(١٨) ابن أبى أصيبعة . طبقات الأطباء . جـ ١ ص ١٨٦ .

(١٩) ابن القفطى . أخبار العلماء بأخبار الحكماء . ص ١٧٤ .

(٢٠) محمد بن موسى الخوارزمى . ( **الجبر والمقابلة** ) . ( دار الكاتب العربى — ط ١٩٦٨ م — القاهرة ) ص ١٠ .

(٢١) د. على عبد الله الدفاع : موجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى . ص ١٩٠ .

## ثانيا ــ تاريخ تأسيس بيت الحكمة :

ان بيت الحكمة الذى أسسه العباسيون فى بغداد هو أول بيت حكمة عرف عند المسلمين ، كما كان أعظمها شأنا لما يحتويه من الكتب النفيسة فى شتى العلوم والمعارف فى مختلف اللغات . والنصوص التى وقفنا عليها عن هذه المؤسسة الثقافية لا تساير الباحث ، بل نجدها متفرقة فى بعض المصادر ، ومن الصعب أن نقف على تاريخ معين أو محدد من تأسيسها والذى نراه أنه فى خلافة ابى جعفر المنصور ( ١٣٥ هـ/١٥٨ هـ ــ ٧٥٢ م/٧٧٤ م ) ترجمت له كتب كثيرة فى الطب والنجوم والهندسة والآداب كما الفت له بعض الكتب فى التاريخ والحديث والأدب ، فقد ترجم جرجيس بن بختيشوع مؤلفات كثيرة فى الطب من اليونانية الى العربية حيث كان يجيد اليونانية والعربية بالاضافة الى لغته السريانية فخصص المنصور له خزانات لهذه الترجمات وغيرها من المخطوطات القيمة(٢٢) . وكان المنصور شديد الحرص على هذه الكتب ووصى بها الى ابنه ولى عهده محمد المهدى ؛ وكان المهدى قليل العناية بالكتب وخاصة بعد انتشار حركة الزنادقة ببغداد التى شغلته فضعفت حركة الترجمة فى عهده ، وتجنب العلماء ترجمة كتب الحكمة والنجوم والكتب التى تبحث فى الملل والنحل والأهواء والمعتقدات(٢٣) . ولكن حينما جاء الخليفة هارون الرشيد ( ١٧٠ هـ/١٩٣ هـ ــ ٧٨٦ م/٨٠٨ م ) وكان كثير الاهتمام بعلوم الحكمة وترجمة كتبها من اللغات المختلفة ، فاتسعت دائرة الترجمة وزاد عدد الموظفين المشتغلين بها ، وتألق فى عصره نجم عدد من العلماء امثال الأصمعى النحوى المشهور وجبريل بن بختيشوع(٢٤) . فتجمع لدى الرشيد عدد كبير من الكتب فرأى انشاء مكان لتحفظ فيه هذه الكتب التى جمعها فأنشأ بيت الحكمة مما ساعد على انتشار التعليم(٢٥) .

هكذا فان تاريخ تأسيس بيت الحكمة يرجع الى الخليفة هارون الرشيد

---

(٢٢) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٣٨٣ .

(٢٣) الطرازى الفيكنت فيليب ( **خزائن الكتب العربية فى الخافقين** ) ( دار الكتب اللبنانية ــ بيروت ــ بدون تاريخ ) ج ١ ص ٩٩ .

(٢٤) سيد أمير على ، ( **مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامى** ) . ( طبع بمصر ــ القاهرة ١٩٣٨ م ) ص ٢١٧ .

(٢٥) خودابخس ( صلاح الدين ) . ( **الحضارة الاسلامية** ) ، ترجمه على حسنى الخربوطلى ( دار احياء الكتب العربية ــ القاهرة ١٩٦٥ م ) ص ١٦٠ .

فقد ذكر ابن النديم(٢٦) فى كلامه عن أبى سهل الفضل بن نوبخت أنه كان فى خزانة الحكمة لهارون الرشيد ، وذكر فى ترجمة علان الشعوبى أنه كان منقطعا الى البرامكة وينسخ فى بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة(٢٧) . وحتى يتم مشروع ترجمة الكتب الأجنبية وحفظها فى بيت الحكمة ولى عدة علماء أمرها ، فعهد الى الفضل بن نوبخت(٢٨) أمر العناية بالكتب الفارسية والى يوحنا بن ماسويه وهو شيخ النقلة فى عصره ، ويقول ابن أبى أصيبعة « كان يوحنا بن ماسويه سريانيا قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة مما وجده بأنقره وعمورية وسائر بلاد الروم حين سباها المسلمون ووضعه أمينا على الترجمة»(٢٩) . ومنح العلماء الكثير من الحرية والتكريم ، وقد منح مرة أحد العلماء مائة ألف درهم(٣٠) . ومعظم الكتب التى وصلت عن الهنود فى الطب والفلك والرياضيات . وقد تم الانتهاء من نقلها فى عصر الرشيد ، وكان بعض علماء الهنود قد وفدوا الى بغداد منذ عهد المنصور سواء من تلقاء أنفسهم أو يدعوهم الخلفاء للحضور(٣١) . وقد وجهت العناية فى بداية أيام الرشيد الى الكتب الفارسية والهندية(٣٢) . فكما ذكرنا سابقا أن الرشيد هو الذى أسس بيت الحكمة وجعلها مقرا لنقل الكتب اليونانية والفارسية الى العربية ، بل لعله هو الذى بدأ تلك الحملات العسكرية ذات الهدف العسكرى ، وفى نفس الوقت ذات الهدف العلمى بقصد جلب نفائس المخطوطات اليونانية الى بغداد لتعريبها . ذلك أن الرشيد دأب على غزو الروم فى عقر دارهم فى غزوات أسماها الصوائف وكان يكسر شوكة الروم ويمنعهم من التفكير فى الهجوم على ديار المسلمين ، وفى نفس الوقت يوجه غزواته الى المدن اليونانية المشهورة لأنها معاقل الثقافة كعمورية وانقرة ، وكانت خزائن هذه المدن مليئة بالمخطوطات النادرة والكتب النفيسة التى كان سكانها قد جهلوا قيمتها(٣٣) .

---

(٢٦) ابن النديم ، محمد بن اسحاق أبى يعقوب . ( **الفهرست** ) ( بيروت - لبنان ١٣٢٨ هـ ) ص ٣٨٢ .

(٢٧) المصدر نفسه ص ١٥٤ .

(٢٨) ابن القفطى : اخبار العلماء باخبار الحكماء . ص ٣٠٩ .

(٢٩) ابن أبى أصيبعة . عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ٢ ص ١٢٤ .

(٣٠) السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر ( **تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة** ) ( المطبعة الخيرية - مصر ) ص ٢٨٥ .

(٣١) جلال مظهر . ( **حضارة الاسلام وأثرها فى الترقى العلمى** ) ( القاهرة ١٩٧٤ م ) ص ٢٤٧ .

(٣٢) عبد الله عبد الدايم ( **التربية عبر التاريخ** ) ( بيروت ط ٢ ٧٥ م ) ص ١٥٨ .

(٣٣) محمد البرقوقى ( **الخوارزمى العالم الفلكى الرياضى** ) ( الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٤ م ) ص ٧٨ .

ولما جاء المأمون بعد ذلك كانت له فى العلم رغبة لما كان ينتحله فانبعث بهذه العلوم حرصا ، واوفد الرسل الى ملوك الروم فى استخراج علوم اليونانيين وانتساخها بالخط العربى ، وبعث المترجمين لذلك فأوعى منه واستوعب وعكف عليها النظار من اهل الاسلام وخدموا فى فنونها وانتهت الى الغاية أنظارهم فيها ، وخالفوا كثيرا من آراء المعلم الأول ارسطو واختصوه بالرد والقبول . ودونوا فى ذلك الدواوين ، واربوا على من تقدمهم فى هذه العلوم[٣٤] . وبهذا نرى أن نشاط بيت الحكمة وصل الى ذروته فى عهد المأمون الذى كان واسع الثقافة حر الفكر . ولعل أحسن وصف للمأمون والحركة التى نشأت فى عهده وغذاها بماله ونفوذه وجهده وعلمه وجهاده هو قول القاضى صاعد الأندلسى[٣٥] فى كتابه « طبقات الأمم » حيث يقول : « ثم لما افضت الخلافة الى الخليفة السابع منهم — يقصد بنى العباس — عبد الله المأمون بن الرشيد بن محمد المهدى ابن أبى جعفر المنصور فتم ما بدأ به جده المنصور فأقبل على طلب العلم فى مواضعه واستخرجه من معادنه بفضل همته الشريفة وقوة نفسه الفاضلة ... » .

ولقد بنى الخلفاء والأمراء دورا للعلم والحكمة كانت تحوى كل منها مكتبة تفتح لطلاب العلم ، وبعضها يجرى فيها أرزاق على المشتغلين بالعلم وبعضها كانت مراكز للنقل والترجمة[٣٦] . وذلك لما طرأ على حركة الترجمة والتأليف من نشاط فى العصر العباسى ، وكذلك تقدمت صناعة الورق ، فكثرت المكتبات التى كانت تزخر بالكتب الدينية والعلمية والأدبية .

وعلى بن المنجم هو أول من أسس مكتبة عامة فتح أبوابها للراغبين فى تلقى العلم ، وعين فيها موظفين يتقاضون رواتبهم من ماله الخاص لمساعدة الوافدين عليها كما تفعل البلاد المتحضرة اليوم . ولم يكتف بهذا بل بنى أجنحة فى قصر له بضواحى ببغداد لاقامة الراغبين فى التعليم ومطالعة الكتب ، فكانوا يأكلون على نفقته وكأنما أراد أن يجعل من مكتبته جامعة عامة . وفضل على بن يحيى المنجم يفوق كل فضل فى هذا المضمار لأنه كان فردا واحدا ، وضع على عاتقه

---

(٣٤) ابن خلدون ( عبد الرحمن بن خلدون المغربى ) ( **المقدمة** ) ( المكتبة التجارية الكبرى — القاهرة ، بدون ) ص ٨٩٢ ، ص ٨٩٣ .

(٣٥) صاعد بن أحمد الأندلسى ( **طبقات الأمم** ) ( طبعة مصر ) ص ٤٧ .

(٣٦) د. حسن ابراهيم حسن ، ( **تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى** ) . (طبعة مكتبة النهضة المصرية — القاهرة ١٩٥٣ م ) ج ٢ ص ٢٥٨ .

هـذا العبء الكبير متطوعا كما كانت داره فى ( سر من رأى ) مضـــــافة لكل أديب وعالم يمنحهم الهبات وينتزع العطايا من الكبراء ويقربهم الى الخلفاء والأمراء . وقال أبو على التنوخى فى كتابه « نشوار المحاضرة » : « كانت لعلى بن المنجم نفيسة وقصر فيه خزانة كتب عظيمة نسميها خزانة الحكمة ، يقصـــدها الناس من كل بلد فيقيمون فيها صنوف العلم والكتب مبذولة فى ذلك لهم ، والصيانة مشتملة عليهم والنفقة من مال على بن يحيى »(٣٧) . وكان يحيى بن المنجم قـــد خـــدم المـــأمون نادما واتصل على فى أيام شبابه بمحمد بن اسحاق المصعبى من زعمـــاء ذلك العصر ثم اتصـــل بالفتح بن خاقان وزير المتـــوكل وصـــديقه وأسس لـــه مكتبة كبيرة من الكتب ، يستنسخ لهـــا الكتب القيمة بنفسه أو يستأجر من يفعل ذلك تحت اشرافه حتى بلغت مبلغـــا كبيرا واتصل بعـــد ذلك بالمتـــوكل وحظى عنده حظـــوة عظيمة فكانا لا يفترقان تقريبـــا(٣٨) .

وقـــد أسس الخليفة المعتضد أيضـــا دورا ومساكن ومقاصـــد للتعليم وكانت دور الكتب ســـواء العامة أو الخاصة عامرة بالكتب من جميع فروع العلم والمعرفة . وبلغ عـــدد الكتب فى بعضها أكثر من مليون كتاب ، والى جانب دور الكتب انتشرت محال الوراقـــة كمراكز للعلم والمعرفة والثقافة اذ كانت تعمل فى نسخ الكتب وتجويد الخط ، بالاضافة الى أهميتها كمراكز أدبية . وكانت خزانة سابور بن اردشير مركزا ثقافيا ممتازا يلتقى فيه العلماء والباحثون للقراءة والدرس ، وطالمـــا اخـــذت فيها المناظرات والمناقشات ، وذكر أن عـــدد كتبها يزيد على عشرة آلاف مجلـــد فى شتى العلوم والمعارف فنجد منها كتب الأدب والفقه والحـــديث والفلسفة وغيرها . وممـــا يدلنا على أهميتها العلمية أن بعض المؤلفين كانوا يخلدون ذكرهم بتقـــديم نسخة ممـــا يؤلفونه من الكتب القيمة الى دار العلم ومنهم جبرائيل بن عبد الله بن بختيشوع فقـــد وقف نسخة من كتابه « الكافى » على دار العلم المذكورة(٣٩) . وهناك أيضا مكتبة اسحاق بن سليمان العباسى ، وكانت تمتلىء بالكتب والأسفاط والرقوق والدفاتر والمساطر والمحابر(٤٠) . وأضخم منها مكتبة يحيى بن خالـــد البرمكى ويقال انه لم يكن فى مكتبته كتاب الا ولـــه نسخة(٤١) .

---

(٣٧) التنوخى ، أبو على الحسن بن على بن محمد بن أبى الفهم ، ( **نشوان المحاضرة وأخبار المذاكرة** ) ( دمشق ١٣٤٨ هـ ) جـ ٨ ص ١٠٨ .

(٣٨) زكريا هاشم زكريا ، فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٢٨٢ ، ٢٨٥ .

(٣٩) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٠٥ .

(٤٠) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحـر الجاحظ البصرى ( **الحيـــوان** ) ( مطبعـة السـعادة بمصر ١٩٠٧ م ) جـ ١ ص ٦١ .

(٤١) المصـدر نفسـه جـ ١ ص ٦٠ .

وربمـــا فاق هـــذه المكتبة عظما وضخامة مكتبة الواقـــدى المؤرخ المشهور المتوفى ٢٠٧ هـ وكانت تشتمل على ستمائة صندوق مملوءة بالكتب[٤٢] . وكان لهـــا مملوكان يكتبان لـــه ليلا ، ولعل فى ذلك ما يدل دلالة واضحة على أن الكتب اصبحت مادة أساسية للمعرفة . والحـــق الخلفاء والأمراء وبعض الوزراء بقصورهم وبيوتهم مكتبات ضخمة فكان للمبشر بن فاتك ( ت ٤٨٠ هـ ) احـــد اعيان أمراء مصر وعلمائها مكتبة قيمة فى العلوم الرياضية والفلسفية وغيرها . وكان للخليفة الناصر لدين الله مكتبة كبيرة جـــدا ، كما كان للخليفة المستعصم بالله مكتبة ضخمة فى داره تحوى نفائس الكتب فى مختلف العلوم[٤٣] . ومكتبة المستعصم بالله وهـــو آخر الخلفاء العباسيين وقتله المغـــول عقب سقوط بغـــداد ٦٥٦ هـ عظيمة جـــدا تحـــدثت عنها المراجع المختلفة حـــديثا ينبىء عما كان لهـــا من عظمة وجـــلال .

ويقول ابن الفوطى[٤٤] . ان الخليفة أمر فى سنة ٦٤١ هـ بعمل خزانة للكتب فى داره وكتب على جهاتها أشعارا منها ما نظمها صفى الدين عبد الله بن جميـــل نيقـــدم شـــعر الديوان :

**انشـــــا الخليفة للعـــلوم خزانة صارت بسيرة فضله اخبـــارها**

**اهـــدى مناقبـــه لهـــا مستعصم بالله مـــن لألائـــه أنـــوارها**

كما انه فى ذلك الوقت كانت الكتب تستهوى الناس اكثر مما يستهويهم الاستماع الى المدرس وهكذا . ومن هـــذا النوع دار العلم التى أنشأها بالموصل أبو القاسم جعفر بن محمد الموصلى وجعل فيها خزانة كتب من جميع العلوم وقفا على كل طالب علم ، ولا يمنع احـــد من دخولها . واذا جاءها غريب طلب الأدب وكان معسرا أعطاه ورقا وورقا : وكانت تفتح فى كل يوم ويجلس فيها اذا عاد من ركوبه ويجتمع اليه الناس ويملى عليهم من شعره وشعر غيره[٤٥] .

وكان كثير من العلمـــاء يوقفون نسـخا ممـــا يملكون على دار العـــلم هـــذه

---

(٤٢) ياقـوت الحموى : معجم الأدباء جـ ٨ ص ٢١٨ .

(٤٣) د. محمد عجاج الخطيب ( **لمحات فى المكتبة والبحث والمصادر** ) ( مؤسسة الرسالة ـ بيروت لبنان ١٣٨٩ هـ/١٩٦٩ م ط ٦ ) ص ٣٩ .

(٤٤) ابن الفوطى ، أبو الفضل عبد الرزاق . ( **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة** ) تحقيق مصطفى جـواد ( بغـداد ـ المكتبة العربية ١٩٣٢ م ) ص ١٨٤ .

(٤٥) ياقـوت الحموى ، معجم الادباء جـ ٢ ص ٤٢٠ .

وقـــد فعـــل ذلك حمد بن على خيران الكاتب المصرى ، فقـــد أرسل جزاين من شعره ورسائله يستشير فى تجليدهما بدار العلم وابدى استعداده أن ينفـــذ بقية الديوان والرسائل ، ان علم أن ما أنفـــذه منها ارتضى واستجيب[٤٦] . وكذلك فعـــل جبريل ابن بختيشوع فانه لمـــا اتم مؤلفه الذى سماه الكافى وقف نسخة منه على دار العلم ببغـــداد كالتى بالبصرة ، والداران جميعا اتخـــذهما الأدباء والعلماء مرجعا ومصدرا لمـــا يبغـــون ، الا أن دار البصرة كانت أكبر وأعمـــر وأكثر كتبـــا وفى هـــذه بدأ شـــيخ يدرس عليـــه الكلام على مذهب المعتزلة[٤٧] . ونتيجـــة للحـــركة التى بدأها فى بغـــداد بانشـاء بيت الحكمة فقـــد أخـــذت معظم المدن[٤٨] الاسلامية فى انشاء المكتبات الكبرى التى تضم أمهـــات الكتب . ويمكن توضـــيح حركة نمـــوها بالجـــدول التالى :

---

(٤٦) المصـــدر نفسـه جـ ١ ص ٤٤٢ .

(٤٧) المقـدسى ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن ابى بكر ( **احسن التقاسـيم فى معرفة الاقاليم** ) ( ليدن ، مطبعة بريل ١٩٦٧ م ) ص ٤١٣ .

(٤٨) د. عباس صالح طاشكندى . ( **مخطوطات الحرمين الشريفين قطعة من تراثنا** ) . مجـــلة **الفيصـــل** العـدد الأول - السعودية ( ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧ م ) . ص ٩ ، ١٠ .

| المدينة | اسم المكتبة | منشئها | تاريخ الانشاء |
| --- | --- | --- | --- |
| بغـــداد | بيت الحكمة | هارون الرشيد | فى أواخر ٢ هـ |
| | دار العلم | سابور بن أردشير | ٣٨١ |
| | المكتبة النظامية | الب ارسلان | ٤٥٧ |
| | المكتبة المستنصرية | المستنصر | ٦٣١ |
| الموصـــل | دار العلم | ابن حمدون | ٣٢٤ |
| البصرة | مكتبة ابن ساوار | ابن ساوار | القرن الرابع |
| حلب | مكتبة الحمدانى | الأمير الحمدانى | القرن الرابع |
| القاهرة | مكتبة الأزهر | العزيز | ٣٧٠ |
| | دار الحكمة | الحاكم بأمر الله | ٣٩٥ |
| | المكتبة الفاطمية | القاضى الفاضل | |
| غزنه | مكتبة غزنه | | ٤٢٥ |
| مرو | المكتبة النظامية | نظام الملك | القرن الخامس |
| | المكتبة العزيزية | عزيز الدين | القرن السادس |
| شيراز | مكتبة عضد الدولة | عضد الدولة | ٣٦٧ |
| قرطبة | مكتبة المستنصر | المستنصر | ٣٥٠ |
| فـــاس | مكتبة فاس | السلطان عبد الحق | ٥٩٢ |

## ثالثا ــ الأهــداف المراد تحقيقها من تاسيس بيت الحكمة :

ولم تكن الكتب والمساجد كل ما هيــأ لازدهار الحركة العلمية حينئذ فقد هيــأ لهــا ايضا مجالس الخلفاء والوزراء والأمراء والسراة اذ تحولت الى ما يشبه ندوات علمية يتناظر فيها العلماء من كل صــنف على نحــو ما يروى من مناظره الكسائى والكوفى واليزيدى والبصرى بين يدى المهــدى(٤٩) .

فبيت الحكمة مكتبة الدولة مفتوحة على مصراعيها ودور أخرى كثيرة ودكاكين الوراقين بالمثل تعرض كل ما يطلبه القارىء ، وحلقات المساجد تمــوج بالحاضرين فى مختلف فروع المعرفة ، ولكل شخص الحــق فى أن يستمع الى ما يرغب فيه من هــذه المحاضرات . وبالمثل صنعوا مــع الوزراء وذوى النباهة والشأن . ومر بنــا فى حــديثنا عن خزانات الكتب ما اقام على بن يحيى المنجم فى صنيعه له من خزائن ضخمة للكتب كان الناس يؤمونها من كل بلد فيجــدون فيها نفعتهم ، وما يشاءون من كتب لا تكاد تحصى . وكان الخلفاء منذ المتوكل يسبغون عليه عطايا جزيلة فكان ينفقها على مكتبته وعلى الناس من شعراء وغير شعراء(٥٠) .

كما ازدانت بغــداد ببيت الحكمة التى اكسبتها مجــدا وعزا وجــذبت اليها العلماء ، والطلاب من مختلف أقطار العالم الاســلامى الكبير ففى تاريخ دار العلم أو بيت الحكمة ببغــداد لا تكاد تعثر على اسم امرأة فى خــدمة هــذا الصرح العلمى اللهم الا عبارة وردت فى رسالة الغفران تشير الى أمة غير عربية اسمها « توفيقــة السوداء » كانت تخــدم دار العلم ببغــداد فتقــدم الكتب الى النساخ وهذه الوظيفة تقابل فى المكتبة الحــديثة المناولين(٥١) .

فالتشجيع العلمى والتزام الدولة الاسلامية بأداء واجبها فى هــذا الميدان واقبال الأمة على العلم ، وتفتح القلوب للاسلام عقيدة وعبادة وشريعة وأخلاقا ، كل ذلك ولــد نشاطا علميا واسعا فى مختلف ميادين العلم والمعرفة فى الدولة الاسلامية فى

---

(٤٩) د. شوقى ضيف . ( **العصر العباسى الأول** ) . ( دار المعارف بمصر ـ القاهرة ١٩٦٣ م ) ص ١٠٣ .

(٥٠) د. شوقى ضيف . ( **العصر العباسى الثانى** ) . ( دار المعــارف بمصر ـ القــاهرة ط ٢ ١٩٧٣ م ) ص ١٨٩ .

(٥١) د. عائشة عبد الرحمن . ( **رسالة الغفران** ) . ( دار المعارف بمصر ـ القاهرة ١٩٦٣ م ) ص ٣٨٧ .

القرون الستة الأولى نشاطا لم يعهد التاريخ مثله ، فحقق الازدهار الحضارى العظيم الذى خلد اعمال العلماء المسلمين وأمد التراث الانسانى بذخيرة علمية قيمة لا يزال العالم مدينا لها حتى هذا العصر . ولكن سنة الحياة التى جعلت من عصور القوة فى الدولة الاسلامية عصور ازدهار لحضارتها العلمية والفنية والعمرانية ، هى نفسها التى عرضت تلك الدور العلمية العامرة لمثل ما تعرضت له الدولة فى عصور ضعفها وانحدارها وواجهت معها نهاية واحدة . وبحكم ارتباطها مجتمعة بمصير واحد ، وبدأ التحول مع نهاية القرن الرابع الهجرى الذى هو فى حساب المؤرخين عصر القوة . وقد استمرت خزائن الحكمة فى العمل وتأدية رسالتها بعد المأمون ولكنها فقدت شيئا كثيرا من أهميتها مع توالى الزمن(٥٢) . وقد كانت لا تزال موجودة فى أواسط القرن الرابع للهجرة عندما ألف ابن النديم كتابه ( الفهرست ) اذ أنه استعمل مواد كانت موجودة فى بيت الحكمة كما يذكر هو نفسه ذلك اثناء حديثه عن القلم الحميرى(٥٣) . اما بيت الحكمة فيغلب الظن أنه استمر موجودا طوال العصر العباسى وأنه دمر فيما دمر عندما احتل المغول بغداد(٥٤) سنة ٦٥٦ هـ . ومن أهم الأهداف التى سعى مؤسسو بيت الحكمة وعلى رأسهم الرشيد والمأمون لتحقيقها لاقامة هذا الصرح العظيم هو تنشيط حركة التأليف والترجمة والتصنيف . فقد بلغت الحضارة العربية الاسلامية أوجها فازدهرت ازدهارا عظيما فى العصر العباسى ، حيث وصلت الى المستوى الحضارى الذى تفخر به الأمم والشعوب المتحضرة حيث كان يقاس المستوى الحضارى بالآثار المكتوبة الفكرية يعنى الكتب والتأليف(٥٥) .

ولو رجعنا الى مادة الفكر والتأليف لرأينا العرب بلغوا من الدرجات ما لم يبلغ الغرب مثلها الا فى العصر الأخير . ومن ثم يصح القول بأن التصنيف ابتدأ فى العصر العباسى . معنى هذا أن تصنيف الكتب على أسلوب دقيق بدأ فى هذا العصر الا أن الكتابة والتأليف والجمع حدث قبل العصر العباسى . وأيا كان الأمر فالحركة العلمية فى العصر العباسى كانت قوية لدرجة تذهل الانسان ، فهذه البصرة تؤلف الكتب وتستخرج الآراء ، وتضع النحو . وهذه الكوفة تكتب فى

---

(٥٢) المرجع نفسه ص ٢٨٨ .

(٥٣) ابن النديم ، الفهرست ص ٨ .

(٥٤) القلقشندى . ( **صبح الأعشى فى صناعة الانشا** ) . ( المطبعة الأميرية — القاهرة ١٩١٣ م ) جـ ١ ص ٤٦٦ .

(٥٥) د. يوسف العشى : ( **تاريخ عصر الخلافة العباسية** ) . ( دار الكتاب دمشق ١٩٦٨ م ) ص ٢٢٣ .

التاريخ والأدب وتؤلف فى النحـو . وهـذه بغـداد تضم خضما هائلا من العلمـاء يتكاثرون فى المساجد ويكتبون العلم حتى اذا ما وصـلنا الى عصر المـأمون رأينـا معظم المتعلمين ينكبون على اخراج الكتب[٥٦] .

واستفاد خلفاء بنى العباس من المدارس الموجودة فى عهدهم ، فنشطت حركة التأليف والترجمة حيث قاموا بالاتصـال بعلمـاء هـذه المدارس واستدعوهم الى بغـداد ، وكانوا ينفقون عليهم الأموال الكثيرة لترجمة الكتب الى اللغة العربية . ودامت هـذه الأعمال ، أعمال الترجمة المحضة المثمرة بين عام ( ٧٥٠ — ٩٠٠ م ) وفى هـذه الفترة عكف المترجمون على نقـل أمهات الكتب من السريانية واليونانية والفهلوية والسنسكريتية ، وكان على رأس اولئك المترجمين المقيمين فى بيت الحكمـة طبيب نسطورى هو حنين بن اسحاق ( ٨٠٩ — ٨٧٣ م ) وقـد ترجم وحـده كما يقول هـو نفسه الى السريانية مئة رسالة من رسائل جالينوس ومدرسته العالمية والى اللغة العربية تسعا وثلاثين رسـالة أخرى ، وبفضل هـذا نجت بعض مؤلفات جالينوس من الفناء . وكاد المـأمون أن يفلس بيت المـال حين كافأ حنين على أعماله بمثل وزن الكتب ذهبـا[٥٧] .

ومن هنـا يتضح لنـا كيف حافظت بيت الحكمة على التراث العالمى وأنقـذته من الفنـاء ، وخير مثال على ذلك مؤلفـات جالينوس وهـذا أحـد أهـداف بيت الحكمة . وقـد أنشأ المـأمون فى بغـداد مدرسة لتخريج المترجمين ، وهى مكملـة لدار الحكمة وعنى بها المـأمون وجعل سهل بن هارون امينا عليها[٥٨] .

وكانت رسالة بيت الحكمة الأساسية ترجمة الكتب اليـونانية الى العربية على يد يوحنـا بن ماسويه وحنين بن اسـحاق ، وسـلم خازن بيت الحكمة فى زمن المـأمون ، وممن حاضر فيه وألقى دروسا الامام الخوارزمى[٥٩] . فقـد زخرت خزائن بيت الحكمة بالكتب المترجمة وأقبل الناس على قراءة هـذه الكتب والتمعن فيهـا

---

(٥٦) ول . ديورانت : ( **قصه الحضارة** ) ترجمة محمد بدران ( طبع الادارة الثقـافية بجامعـة الدول العربية ) جـ ٢ ص ١٧٧ .

(٥٧) ول . ديورانت : ( **قصة الحضارة** ) جـ ٢ ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

(٥٨) محمد غفرانى خراسانى : **عبد الله بن المقفع** ) . ( مكتبة نهضة مصر بالفجالة — القاهرة ١٩٧٠ م ) ص ٣٦ .

(٥٩) محمد عبد الجواد الأصمعى : ( **أبو الفرج الأصفهانى** ) . ( دار المعارف بمصر — القـاهرة ١٩٢٣ م ) ص ٤٦ .

فأدى ذلك الى حركة فكرية جديدة فى التاليف والنشر ، هذه الحركة انتجت ثقافة واسعة مبنية على القديم والحديث . كما كان من أهداف بيت الحكمة نشر التعليم والمعرفة بين المسلمين فانشاء هذا المعهد العالى ان جاز لنا التعبير كان نتيجة لهذا التقدم العلمى فى العصر العباسى(٦٠) ، ومما لا شك فيه أنه ساعد على نشر التعليم بين جمهور المسلمين ، ولم يكن انشاء دور الكتب مقصورا على العراق بل قامت فى مصر والاندلس دور كتب خاصة يتعهدها الخلفاء والأمراء والوزراء فكانت عاملا كبيرا فى تسهيل دراسة العلم والتعليم . كذلك لم يكن التعليم مقصورا على الجوامع والمساجد فكثيرا ما كانوا ينسقون حلقات التدريس بالمستشفيات والرباطات وغيرها من الأماكن(٦١) .

وبانشاء بيت الحكمة تم ادخال نظام جديد على العالم الاسلامى للمكتبات ، فقد كان لمحمد بن يحيى بن عبد الله العباسى بن محمد بن صول أبى بكر المعروف بالصولى وهو أحد العلماء كما يقول شاذان : « رأيت للصولى بيتا عظيما مملوءا بالكتب وهى مصفوفة وجلودها مختلفة الألوان ، كل صف من الكتب لون ، فصف احمر وآخر أخضر ، وآخر أصفر وغير ذلك . قال وكان الصولى يقول : هذه الكتب كلها سماعى »(٦٢) . وهذا الترتيب البديع هو أحدث نظام متبع فى ترتيب مكتبات أوروبا .

ومن أهداف بيت الحكمة حرصها الشديد على المحافظة على الكتب والمصنفات التى تترجم أو تصنف . فقد ارتبط بظهور الحركة العلمية ونشاطها فى بغداد المحافظة على الكتب والمصنفات . ومن هنا جاء دورها الهام باقامة جهاز ادارى يتولى الاشراف والتنسيق داخل بيت الحكمة . وكان العلماء فى الدولة الاسلامية يودعون نسخا من مؤلفاتهم فى بيت الحكمة(٦٣) على أن يقوم الجهاز الادارى بالمحافظة على تلك المؤلفات من الضياع . وفى عهد العباسيين

---

(٦٠) د. نقولا زيادة : ( **صور من التاريخ الاسلامى** ) . ( دار العلم للملايين – بيروت لبنان – بدون تاريخ ) ص ٢٤١ ، ٢٤٣ .

(٦١) جورجى زيدان : ( **تاريخ التمدن الاسلامى** ) مراجعة وتعليق حسين مؤنس ( طبع دار الهلال – القاهرة ١٩٠٢ م ) ج ٣ ص ٢٠٠ .

(٦٢) البغدادى ، ابو بكر احمد بن على الخطيب : ( **تاريخ بغداد او مدينة السلام** ) . ( مطبعة السعاده بمصر – القاهرة ١٩٣٢ م ) ج ٣ ص ٤٣١ .

(٦٣) د. عصام الدين عبد الرءوف : ( **الحواضر الاسلامية الكبرى** ) . ( دار الفكر العربى – القاهرة ١٩٧٦ م ) ص ٢٤٧ .

« نراهم مستودع الذخائر العلمية فى العالم ، كما نرى وكلاء الخلفاء ينقبون فى كل بلد من بلاد العالم عن كنوز الثروة القديمة ثم يجلبونها الى العاصمة بغداد ويعرضونها على الناس فينظرون بعين الاعجاب والتقدير »(٦٤) .

كما كانت تقام ببيت الحكمة المراصد ، وتستخدم فيها أساليب التنجيم ، واستطاع الخليفة المأمون أن يجعل من هذا البيت كعبة للعلماء وأن ينظمهم التنظيم الدقيق . وكانت بيت الحكمة التى عنى بها الرشيد والمأمون مد يده وعينيه ؛ فكانت تكتظ بكتب الفلسفة وعلوم الأوائل فانقض عليها انقضاضا يقرأ ويستوعب ويستسيغ ويتمثل تمثلا نادرا(٦٥) .

أما الاستفادة من مزج الثقافات المختلفة والمعارف المتباينة ، فقد كانت من أهم أهداف بيت الحكمة ، وساعدها على ذلك دخول الموالى والبرامكة وغيرهم من الطوائف الأخرى فى أحضان الدولة العباسية . فقد كان يعمل فى بيت الحكمة علماء تنوعت ثقافاتهم ومعارفهم فسهل بن هارون صاحب خزانة بيت الحكمة كان حكيما شاعرا ، وجدير بالذكر أنه فارسى شعوبى المذهب شديد العصبية على العرب ، ويصف الجاحظ براعته وفصاحته وله عدة كتب ، وازداد عدد الكتب فى عهد الخليفة المأمون فلم تكن الكتب اليونانية هى التى حرص على نقلها الى بيت الحكمة بل نجد المأمون يطلب من يحيى بن البطريق احضار كتب لاتينية الى بغداد . وقد كان يحيى بن البطريق على علم بهذه اللغة . وبذلك ضم بيت الحكمة كتبا فى مختلف اللغات ومختلف العلوم(٦٦) .

وقد ساعد الموالى بدخولهم فى أحضان الدولة العباسية على أن يكون هذا العصر هو العصر الذهبى فى تاريخ الترجمة والنقل عند العرب ، واستطاعوا لاتقانهم السريانية واليونانية ان ينقلوا الى اللسان العربى كل ما كان معروفا من العلم والفلسفة والطب والنجوم والرياضيات والأدبيات عند سائر الأمم المتمدينة(٦٧) . وأضاف البرامكة الى هذه الخزائن الكثير من الكتب وخصوصا الفارسية فى آخر

---

(٦٤) سيد أمير على : ( **روح الاسلام** ) • ترجمة أمين محمود الشريف ( مكتبة الآداب ــ القاهرة ١٩٦٣ م ) جـ ٢ ص ٢٥٦ •

(٦٥) د• شوقى ضيف : العصر العباسى الثانى جـ ٢ ص ٢٩٨ •

(٦٦) ابن القفطى : اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ٢٨٠ •

(٦٧) د• خليل طوطح : ( **تاريخ التربية عند العرب** ) • ( القدس ١٩٣٣ م ) ص ١٥ •

عهد الرشيد فقد ضمت خزائن بيت الحكمة كثيرا من الكتب بلغات متعددة منها العربية واليونانية والفارسية والسريانية وبعض اللغات الهندية(٦٨) .

كما أنفق المأمون أموالا طائلة فى جلب الكتب من الدولة البيزنطية . فبيت الحكمة هو مجمع علمى ومرصد فلكى ومكتبة عامة أنفق فى انشائه مائتى الف دينار ( نحو ٩٥٠,٠٠٠ دولار امريكى ) . فأقام فيه طائفة من المترجمين واجرى عليهم الأرزاق من بيت المال . ويدلنا على عظمة بيت الحكمة وأهميتها ما يقوله ابن خلدون(٦٩) « ان الاسلام مدين الى هذا المعهد العلمى باليقظة الاسلامية الكبرى التى اهتزت لها أرجاؤه والتى تشبه فى أسبابها ــ وهى انتشار التجارة ، واعادة كشف كنوز اليونان ــ وفى نتائجها ــ وهى ازدهار العلوم والفنون » . نقول انها تشبه فى أسبابها ونتائجها النهضة الأوروبية التى أعقبت العصور الوسطى .

---

(٦٨) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٤٦ .

(٦٩) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٢٦ .

# الفصل الثاني : إنشاء بيت الحكمة



١ ــ من هم منشئو بيت الحكمة .

٢ ــ الطرق والوسائل التى تم بها انشاء بيت الحكمة .

٣ ــ العوامل التى ساعدت على انشاء بيت الحكمة .

أولا — من هم منشئو بيت الحكمة :

ان العصر العباسى يعتبر عصر الابداع فى الحضارة الاسلامية فيه بلغت الحضارة الاسلامية أوجها وأثمرت ثمارها اليانعة ، فهو عصر الاسلام الذهبى الذى بلغ فيه المسلمون من العمران والسلطان ما لم يبلغه من قبل ولا من بعد ، اثمرت فيه الفنون الاسلامية ، وازدهرت الآداب العربية ، ونقلت العلوم الأجنبية ونضج العقل العربى فوجد سبيلا الى البحث ومجالا للتفكير ، ففى العصر العباسى حينما تلاقحت الثقافات وأقبل الناس على حياض العلم ظمأى ينهلون وتعمقوا فى فهم حقائق الكون على نسق فلسفى معلل . وانتشرت الترجمات من كتب الحكماء والمناطقة وأخذ العلماء يحللون ويعللون الأشياء والحوادث والأخلاق بعلل عقلية منظمة(٧٠) .

وقد عنى العباسيون سواء أكانوا خلفاء أو أفرادا بالمكتبات لأنها كانت طريقة القدماء فى نشر العلم فلما كان يتعذر على الأغنياء اقتناء الكتب نظرا لأنها كانت مخطوطات غالية الثمن ، لجأ من أحب تعليم الناس الى انشاء مكتبة تجمع فيها الكتب ويفتح أبوابها للناس كما فعل العباسيون فى بيت الحكمة . وكان خلفاء بنى العباس والأثرياء من رجال دولتهم يبذلون جهودا مشكورة فى جمع الكتب النادرة ، ويسهلون على أهل العلم الانتفاع بها . وكانت قصور الخلفاء والكبراء تتزين بخزائن تشتمل على العدد الكثير من الكتب . فقد أنشأ هارون الرشيد بيت الحكمة ليحفظ فيها الكتب التى جمعها مما يساعد على انتشار التعليم ، وحتى يتم المشروع بنجاح ولى عددا من العلماء أمر هذا البيت فعهد الى الفضل بن نوبخت امر العناية بالكتب الفارسية والى يوحنا بن ماسويه وهو من جنديسابور أمر الكتب الاغريقية التى جلبها هارون الرشيد معه من آسيا الصغرى ومنح العلماء الكثير من الحرية والتكريم . فقد منح مرة سفيان بن عيينة مائة ألف درهم ، ومنح اسحاق الموصلى فى مناسبة أخرى مائتى ألف درهم كما منح مروان بن أبى حفصة مقابل قصيدة مدح خمسة آلاف دينار ،وخلع عليه ومنحه جوادا من جياده الخاصة وعشرة أرقاء يونانيين(٧١) .

والتفت جماعة كبيرة من العلماء حول هارون الرشيد مثل البرامكة والقاضى أبى يوسف والشعراء مثل مروان بن أبى حفصة وابى نواس وغيرهم مما ألقى

---

(٧٠) د. محمد ماهر حماده : ( **الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصور العباسية المتتابعة** ) .
( مؤسسة الرسالة بيروت — لبنان ط ١ ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م ) ص ٧ .

(٧١) خودا بخش ( صلاح الدين ) . الحضارة الاسلامية ص ١٣٠ .

ضوءا ساطعا على عصره . فالرشيد هو الذى بدأ تلك الحركة العلمية فحشد الكتب اليونانية والفارسية فى مكتبته وعرب لهـا من اللغات الأصلية الى اللغة العربية ، بل لعله هو الذى بدأ تلك الحملات العسكرية ذات الهدف العلمى ، فقصد جلب نفائس المخطوطات اليونانية الى بغداد لتعريبها ، ذلك أن الرشيد كانيقوم بنفسه بغزو بلاد الروم كل سنة ، فكان يطلق على الغزوات اسم الصوائف ، واذا تأملنا الباعث على هذه الغزوات الصيفية اتضح لنا أنها كانت غزوات علمية بمعنى أدق ، لأن الرشيد وان كان يقصد منها القضاء على قوة الروم واخضاع شوكتهم ، كان يهتم الى جانب ذلك كل الاهتمام بالحصول على المزيد من الكتب والمخطوطات فى مختلف أنواع العلوم ، كالطب والفلك والرياضيات والفلسفة . أما طريقة حصوله على تلك الكتب فكان يهتم بأن يتجه بغزواته المشهورة لمعاقل الثقافة اليونانية فى آسيا الصغرى كأنقرة وعمورية وغيرها . وكانت خزائن هذه المدن مليئة بالمخطوطات النادرة والكتب النفيسة التى كان سكان تلك المدن قد جهلوا قيمتها ولم يعودوا يعرفون من أمرها الا أنها مخلفات قديمة(٧٢) .

وكان هارون الرشيد يحرز النصر دائما فى هذه الصوائف ، وكان يجعل من شروط الصلح الحصول على الكتب التى كان يريدها حيث ذكرنا من قبل أنه كان يقبل الجزية كتبا ، ولم يكن الرومان يبدون كبير معارضة بالرشيد فى الحصول على هذه الكتب(٧٣) . فقد روى أن الرشيد ولى يوحنا بن ماسويه ترجمة الكتب الطبيعية القديمةلما وجدها بأنقره وعمورية وسائر بلاد الروم حين افتتحها المسلمون وسبوا سبيها ووضعه أمينا على الترجمة ورتب له كتابا حذاقا يكتبون بين يديه(٧٤) .

وأوضح من هذا ما ذكره ابن النديم(٧٥) « بأن أبا سهل الفضل بن نوبخت كان فى خزانة الحكمة لهارون الرشيد ، وفى موضع آخر كان علان الشعوبى ينسخ فى بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة » .

---

(٧٢) محمد البرقوقى : الخوارزمى العالم الفلكى الرياضى ص ٧٨ .

(٧٣) د. محمد ماهر حماده : ( **المكتبات فى الاسلام** ) . ( مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ط ٢ ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م ) ص ٥٦ .

(٧٤) ابن أبى أصيبعه : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ٢ ص ١٢٤ .

(٧٥) ابن النديم : الفهرست ص ٢٨٤ .

نستطيع أن نستنتج من هــذا أن خزانة الحكمة فى عهد الرشيد كان يعمــل فيها علمــاء مختلفو الثقافات فيوحنا نصرانى سريانى لــه قــدرة على ترجمة الكتب اليونانية ، وابن نوبخت فارسى كما قال القفطى(٧٦) « ينقــل من الفارسية الى العربية من الكتب الفارسية ومعــوله فى كتبه وعلمه على كتب الفرس ، وعلان الشــعوبى راوية نسابة فارسى الأصــل » .

وكان الرشيد شــديد الاهتمام ببيت الحكمة حين عين لهــا رئيسا وأعــوانا فكانت كخلية النحــل الكل يجمع الرحيق من كل مكان ففيها النساخ والمترجمــون من اليونانية والفارسية وكان فيها مجلدون(٧٧) . أما من حيث الاسم الذى كان يطلق على هــذه الدار فهو خزانة الحكمة حينا ودار الحكمة حينا ، وحينا آخر يطلق عليها بيت الحكمة . اما خزانة الحكمة فهو اسم الموضع الذى يخزن فيه الكتب وفى القرآن الكريم : « وان من شى الا عندنا خزائنه »(٧٨) فاستعملوه للدلالة على المكان الذى حفظت فيه الكتب ، وقــد استعملت كلمة خزانة للدلالة على ذلك فى هــذا العصر كثيرا .

فقــد روى أن الجاحظ أراد أن يهــدى الى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم كتاب سيبويه فقال له ابن الزيات : أوظننت أن خزائننا خالية من هذا الكتاب ؟ فقال الجاحظ : « ما ظننت ذلك ، ولكنها بخط الفراء ومقابلة الكسائى وتهــذيب عمرو ابن بحر الجاحظ ، يعنى نفسه » فأخذها(٧٩) . وأما البيت فاستعملوه فى الدار واطلقوه على حــوانيت التجار والمواضع المباحــة التى تباع فيها الأشياء ويبيح أهلهــا دخــولها(٨٠) . وقــد أطلقــوا فى هــذا العصر كذلك بيت المــال على المكان الذى يحفظ فيــه مال الدولة ، فلا يبعــد أن يكونوا قــد اطلقوا كذلك بيت الحكمــة على المكان الذى حفظت فيه الكتب . اما كلمة الحكمة فقــد استعملوها فيما يرادف فلسفة فالظاهر انهم أطلقوا خزانة الحكمة أو بيت الحكمة على مكان المجموعة من هــذه الكتب لأن كلها او أكثرها ليست من الكتب الدينية بل من الكتب التى عنى بنقلها من الأمم الأخرى وأكثر هــذه كتب فلسفة أو حكمة ، وان كان فيهــا شىء من النحــف

---

(٧٦) ابن القفطى : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٣٨٠ .

(٧٧) أحمد أمين : ضــحى الاسـلام ج ٢ ص ٦٢ .

(٧٨) ســورة الحجــر ، الآية ٢١ .

(٧٩) ابن خلكان : شمس الدين أبو العباس أحمد : ( **وفيات الأعيــان وانباء ابناء الزمان** ) . ( المطبعة الميمنية ــ القاهرة . ١٣١ هـ ) ج ١ ص ٥٤٩ .

(٨٠) ابن النــديم : الفهرســت ص ١٩٠ .

والآثار . كما كان سلم(81) وسهل بن هارون مشرفين على الخزانة ، أما متعاصرين ، ولكل دائرة اختصاص أو متعاقبين . ويظهر أن بيت الحكمة كان مجموعة خزائن ، كل مجموعة من الكتب خزانة ، وان سهل بن هارون كان مشرفا على القسم الذى أحضرته بعثة القسطنطينية ــ كذلك يغلب على الظن ان كتب الرشيد قد أفردت فى خزانة ، وكتب المأمون قد أفردت فى أخرى . فانا نرى أن ابن النديم يستعمل احيانا خزانة المأمون ، واحيانا أخرى خزانة الرشيد(82) .

وكل ما يدلنا فى تخطيط بغداد خبر عن بناء خاص للمكتبة ، وقد اعتاد الخلفاء أن يفعلوا هذا فى قصورهم(83) . أما اذا انتقلنا الى عصر المأمون رأينا أن رغبته فى الفلسفة والعلوم العقلية ، اشد وميله أقوى وتبع ذلك اتساع العمل فى بيت الحكمة .

روى ابن النديم : « ان المأمون كان بينه وبين ملوك الروم مراسلات وقد استظهر عليه المأمون فكتب الى ملك الروم يسأله الاذن فى انفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلاد الروم ، فأجاب الى ذلك بعد امتناع فأخرج المأمون بذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلم وصاحب بيت الحكمة وغيرهم . فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا فلما حملوه اليه امر بنقله فنقل ، وقد قيل ان يوحنا بن ماسويه كان ممن نفذ الى بلاد الروم »(84) .

قال ابن نباته عند الكلام على سهل بن هارون : وجعله كاتبا على خزائن بيت الحكمة ، وهى كتب الفلاسفة التى نقلت للمأمون من جزيرة قبرص وذلك ان المأمون لما هادن صاحب هذه الجزيرة أرسل اليه يطلب خزانة كتب اليونان ، وكانت مجموعة عندهم فى بيت لا يظهر عليه أحد ، فأرسلها اليه واغتبط بها المأمون وجعل سهل بن هارون خازنا لها(85) .

كما ارسل بعثة الى القسطنطينية لاحضار الكتب اليونانية من طبية وفلسفية ، وانه كان بين أفراد البعثة صاحب بيت الحكمة وهو سلم ، ومعروف أنه كان فى

---

(81) سلم هذا هو صاحب دار الحكمة . جرونيباوم ( جوستاف ) ، حضارة الاسلام ص 27 .

(82) ابن النديم : الفهرست ص 190 .

(83) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج 2 ص 64 .

(84) ابن النديم : الفهرست ص 243 .

(85) ابن نباته المصرى : ( سرح العيون ) . ( القاهرة 1278 هـ ) ص 132 .

القسطنطينية مكتبة كبيرة أنشئت سنة ٣٦٦ هـ وعنى بعض الملوك بتوسيعها حتى بلغ ما فيها نحــو مائة الف مجلد ، ومن التراجمة علان بن الحسن الوراق الشعوبى . وكان هــذا فى خزانة الحكمة فى عصر الرشيد والمـــامون . كما انشئت المراصــد والمكتبات والبيمارستانات والمدارس فى بيت الحكمة[٨٦] . واتجه المـــأمون الى بيت الحكمة فأفرد فيها لكل عالم ركنـــا فتزدحم جنبات هـــذا البيت بالعلماء والفلاســـفة والمترجمين والمؤلفين وائمـــة اللغة ورجال الأدب . الى جانب الكتاب المنشئين، كان هناك كتاب مؤلفون نذكر منهم عبد الله بن المقفع سنة ١٤٣ هـ وكان مختصا بالمنصور وله من الكتب كتاب كليلة ودمنة ، والادب الكبير ، والادب الصغير . والدرة اليتيمة ورسالة فى الأخلاق ، وله كتب أخرى نقلها عن الفارسية منها كتاب التاج فى ســـيرة أنوشروان ، وكتاب سيرة ملوك العجم[٨٧] . كما أن سهل بن هارون سنة ١٧٣ هـ اقام فىبغـــداد يخـــدم المـــأمون وقـــد تولى له رياسة بيت الحكمة ولـــه من الكتب ديوان الرسائل والاخوان والمسائل وغيرها[٨٨] . وعلى بن عبيد الريحانى كان مختصا بالمـــأمون وقـــد ذكر له ابن النـــديم[٨٩] نحوا من خمسين مؤلفا ضاعت كلها .

---

(٨٦) ابن قتيبه ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ( **المعارف** ) ( نور محمد . كراتشى – باكستان ١٢٩٦ هـ/١٩٧٦ م ) ص ٩ . ١٠ .

(٨٧) ابن خلكان : وفيـــات الاعيـــان ص ١٤٩ .

(٨٨) الجاحظ : ( **البيان والتبيين** ) ( تحقيق عبد السلام هارون . نشر مكتبه المثنى ببغـــداد ١٩٦٠ م ) جـ ١ ص ٣٠ .

(٨٩) ابن النـــديم : الفهرســـت ص ١١٩ .

**ثانيا ــ الطرق والوسائل التى تم بهـــا انشاء بيت الحكمة :**

وظـــل بيت الحكمة يواصل رسالته فى الترجمة حتى بعـــد انتهـــــاء العصر العباسى الاول ، وكانت الثروة العظيمة التى تجمعت لخلفـــاء العصر العباسى الأول قـــد أنفق الكثير منها فى هـــذا الزاد العلمى العظيم وثمـــة أمور أخرى كان لهـــا اثرها فى الاقبـــال على المعرفة القـــديمة وورود مواردها ممثلة فى الحركة التعليمية ، وشيوعها وتقبل ملايين المسلمين من غير العرب للثقـــافة العربية ، فنشأت العقليات التى لا تقنـــع بالثقافات التقليـــدية انمـــا ترنو الى المزيد ارواء لتعطشها الى المعرفة وكان المورد الاغريقى الذى عبـــوا منه عبـــا(٩٠) .

وعصر الخليفة المـــأمون عصر الازدهار العلمى الذى ازدهرت ونشطت فيه حركة الترجمة نشاطا واسع النطاق ، فقـــد كانت بيت الحكمة من أهم مراكز الثقافة اليونانية ونشرها بين العرب الذين اقبلوا فى ذلك الحين اقبالا منقطع النظير وشجعهم على ذلك اقبال الخليفة نفسه على الثقـــافة العقلية واعتزازه بالحرية الفكرية ، وتسامحه من الناحية الدينية ، تسامحا ادى الى تدعيم التيارات العقلية الجديدة ، التى اصطبغت بالثقافة اليونانية(٩١) . ومن هنا كان المـــأمون من أكبر انصار مذهب المعتزلة الذى يقوم فى أساسه على تمجيد العقل والاعتزاز بحريته ، ولا يعنى ذلك أنه لم تكن هنـــاك ترجمات قبـــل عهد المـــأمون فكما ذكرنا فقـــد بذلت قبـــل ذلك العهد جهـــود ضخمة من قبـــل الخليفة المنصور ثم هارون الرشيد من بعـــده لنقل المـــادة العلمية اليونانية الى اللسان العربى ، وقـــد كان للبرامكة وزراء الرشيد نصيب كبير فى هـــذه الجهود فقـــد كانت عنايتهم بالثقافة اليونانية عناية كبيرة جعلتهم يعضدون العلماء ويشجعونهم على دراستها ونقلها(٩٢) . كما جعلهم يرسلون الرسل لشراء مخطوطات اغريقية من الأمبراطـــورية الرومانية(٩٣) .

وقـــد تركز الاهتمام على نقـــل المؤلفات الفلكية والرياضية والطبية ، كما نقلت

---

(٩٠) د٠ حسن أحمد محمود وأحمد الشريف : ( **العالم الاسلامى فى العصر العباسى** ) ( دار الفكر العربى بالقاهرة ١٩٧٣ م ) ص ٢٧١ ، ٢٧٢ ٠

(٩١) كارل ، بروكلمان ، ( **تاريخ الشـــعوب الاســـلامية** ) ٠ ( بيروت ــ لبنـــان ١٩٥٣ ) جـ ٢ ص ٣٨ ٠

(٩٢) د٠ عبد الحكيم بلبع : ( **أدب المعتزلة فى القرن الرابع الهجرى** ) ( مطبعة الرســـــالة ــ القاهرة ١٩٦٥ م ) ص ٩٨ ، ٩٩ ٠

(٩٣) أوليرى : ( «مسالك الثقافه الاغريقية ) ص ٢٢٨ ٠

بعض كتب ارسطو وغيرها . كما كانت بيت الحكمة تشتمل على الكتب الشرعية واللسانية وما ترجم عن اليونانية والفارسية والسنسكريتية والكلدانية والقبطية(٩٤) . ولقد كان الأمين على نقيض المأمون ينتمى الى المدرسة السنية ، ويروى انه حينما سمع بنظرية المريسى حول خلق القرآن هدد بأنه لو قبض عليه لقطع رأسه . فقد رأى المأمون باعتباره أمير المؤمنين أن يصدر قرارا بخلق القرآن وطلب من القضاة تأييده وعارض ابن حنبل بشدة هذه البدعة ، ولكن بعض كبار الفقهاء أيدوا رأى المأمون بدون تردد(٩٥) . وقد شجع المأمون طلابه على التردد على بيت الحكمة للقراءة ودبر لهم سبل الاقامة وأسباب الراحة فذهب الى حد اقامة جناح ملحق بالدار يضم عدد ثلاث حجرات صغيرة خصصت لينال فيها من يشاء من رواد الدار قسطا من الراحة ، كما يقدم لهم الطعام والشراب دون مقابل(٩٦) .

ولم تال الدولة جهدا فى تزويد قاعات المكتبات بالخزائن والمناضد والمقاعد كما وفرت للقراء المحابر والأقلام والاوراق(٩٧) . ولا شك أن انتشار المكتبات العامة فى أرجاء العالم الاسلامى ، فى العصور الوسطى واتباعها هذه الأنظمة وفتح أبوابها لكل قارىء ، وتسخير كل هذه الامكانيات لخدمته دليل ناطق على تقدم العرب الفكرى والعلمى ومدعاة للفخر . ويسجل لهم ولتاريخهم بمداد من نور . وقد اثبتت هذه الدار انها أهم مجمع أسس لنشر الثقافة بين جمهور المسلمين ، وكانت الترجمة من بين أعمالها الرئيسية(٩٨) . فقد أنشأ المأمون ديوانا خاصا بالترجمة على رأسه حنين بن اسحاق وأمر بوضع خارطة للعالم سميت « الصورة المأمونية » وهى أول خريطة للعالم فى عهد العباسيين ، ولذلك يلقب بعض المؤرخين المأمون بأستاذ الحضارة العربية لأثره العلمى الكبير فى المجال الحضارى(٩٩) . كما اسند

---

(٩٤) عبد الله بن العباس الجرارى : ( **تقدم العرب فى العلوم والصناعات وأستاذيتهم لأوروبا** ) . ( دار الفكر العربى – القاهرة ١٩٦٣ م ) ص ٢٣٣ .

(٩٥) خودابخش ( صلاح الدين ) : الحضارة الاسلامية ص ١٣١ .

(٩٦) محمد ابراهيم الصيحى : ( **العلوم عند العرب** ) . ( مكتبة نهضة مصر بالفجالة – القاهرة – بدون تاريخ ) ص ٧٧ ، ٨١ .

(٩٧) ابن النديم : الفهرست ص ١٥٣ .

(٩٨) HITTI, P. K. : The History of Arabs, London 1928, p. 310.

(٩٩) أحمد فريد رفاعى : ( **عصر المأمون** ) . ( مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٢٨ م ) ص ٢٧٥ .

الاشراف فى بيت الحكمة لحنين بن اسحاق ، وقد امدها المأمون بمختلف الكتب والمصنفات التى تحوى كل العلوم التى اشتغل بها العرب(١٠٠) .

كما انشأ المأمون وهو نفسه عالم رياضى دارا للتعريب ورصد فيها علماء لتهذيب الكتب المترجمة وتوجيه أسماء المعرفة من الاعلام والأجناس ، على ما يناسب المنطق العربى(١٠١) . وكان لهذه الدار الفضل الأكبر فى تهذيب الكتب المترجمة وتوحيد الاسماء المعربة ثم رقة الألفاظ لانغماس القوم فى الحضارة ، واخلادهم الى الترف ، وايثار الموالى للكلام السهل والأسلوب المبين ، لأنهم حذقوا اللغة بالدراسة والصنعة لا بالتلقين والطبع(١٠٢) .

وقد كان حنين بن اسحاق الذى جعله المأمون على رأس المترجمين ( ١٩٤ هـ/ ٢٦٠ هـ ) شديد العناية بعمله حتى قيل أنه كان لا يعتمد على أقل من ثلاث نسخ ليستطيع مقارنتها والاطمئنان الى مصدر صحيح ينقل عنه(١٠٣) . ويتضح هذا مما ذكر عما انفقته الدولة على ترجمة كتب اليونان فقد قدر ذلك وحده بـ ٣٠٠,٠٠٠ دينار فيما يرون .

وتلقى بيت الحكمة جديد المصنفات العربية التى شارك فيها علماء المسلمين من الفرس والروم ومصر وغيرها من أقطار الدولة ممن تعرب آباؤهم وأجدادهم بعد الفتح(١٠٤) . كما ذكرنا من قبل انه من اشهر من تولوا منصب القيم على بيت الحكمة فى عصر المأمون « سهل بن هارون » الفارسى الأصل فكانت تحت اشرافه مئات من المترجمين والخطاطين والنساخ وآخرين من المجلدين والمذهبين . ذكر ابن النديم فى كتابه الفهرست أسماء المشهورين الذين برعوا فى فن تذهيب المصاحف وصناعة تجليد الكتب فى خزائن بيت الحكمة كما ذكر أسماء مشهورى المترجمين(١٠٥) .

---

(١٠٠) د. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والثقافى جـ ٢ ص ٢٧٤ .

(١٠١) مصطفى صادق الرافعى : ( **تاريخ آداب اللغة العربية** ) . دار الكاتب العربى - بيروت - لبنان ١٩٧٠ م صـ ٢٠٥ .

(١٠٢) د. أحمد حسن الزيات : ( **تاريخ الأدب العربى للمدارس الثانوية** ) مطبعة الرسالة - القاهرة - بدون ص ٢١٣ .

(١٠٣) د. بهى الدين زيان : ( **الغزالى مباحث فكرية عن حياته الاسلامية** ) ( دار نهضة مصر بالفجالة - القاهرة - بدون ) ص ١٤ .

(١٠٤) ابن القفطى : أخبار العلماء باخبار الحكماء ص ٣٨٠ .

(١٠٥) ابن النديم : الفهرست ص ٣٢ .

وقـــد كان علماء العربية والاسلام خارج العراق يجعلون واجبهم الى بغـــداد واجبا علميا فيحجون[١٠٦] الى بيت الحكمة ويطلعون على ما فيه من نفائس المخطوطات فى زمن لم تكن المطبعة فيه قـــد عرفت لتيسر الاطلاع على هـــذه النفائس والتعريف بها ونشرها والافادة منها ، واستمرت كذلك لمدى قرون خمسة تقريبا .

(١٠٦) د. عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماض وحاضر ص ٦١ .

## ثالثا — العوامل التى ساعدت على انشاء بيت الحكمة :

كانت النهضة العلمية تساير عصر القوة للدول الثلاث فكانت بيت الحكمة فى بغداد عنوان هذه النهضة ورمزا معبرا عنها وآية من آيات عزها كما كانت دور الكتب العامرة فى المشرق ومن أشهرها مكتبة المدرسة النظامية ، وخزائن كتب النجف الاشرف وخزانة سيف الدولة الحمدانى فى حلب وحماه ودمشق وطرابلس . كانت هذه الدور الثقافية وأمثالها مما لا يتسع المجال لاستيعابه يعطى تفسيرا تاريخيا لهذه النهضة التى حملت أمتنا لواءها فى العصر الوسيط[١٠٧] .

وفى الحق أن انشاء المأمون العباسى دار الحكمة فى بغداد كان عاملا هاما وحاسما فى انتشار العلوم حيث اختار هذا الخليفة أحد البرامكة وزيرا له وهذا البرمكى سليل أسرة قديمة كان من أسلافها منذ قرون . وقد عرف هؤلاء البرامكة كيف يرغبون الخلفاء وحاشيتهم فى تذوق الدراسات والكتب ، وجعلوا من بغداد مركزا علميا قدر له أن يطغى على سمرقند بجمع الروائع الأدبية الصينية والسنسكريتية[١٠٨] ، والمؤلفات البيزنطية من الغرب فى وقت واحد .

وكانت هذه الدار من عدة وجوه أعظم المعاهد الثقافية التى أنشئت فى ذلك الزمان[١٠٩] . حيث أنشأ المأمون مرصدا فلكيا بالشماسية وطلب الكتب حيث سمع بوجودها فقد طلب من أمير صقلية بعض الكتب الفلسفية والعلمية فأرسلها له ونقل من خراسان الكثير من الكتب الى بغداد ، وأرسل جماعة من المترجمين الى بلاد الروم لترجمة عدد من الكتب . وكانت الكتب التى يرسلها ملك الروم مزخرفة . وقد وصل فن بعضها ما يجعلها تحفة فنية . ففى سنة ( ٣٢٦ هـ/٩٣٧ م ) وصل كتاب الروم الى الخليفة الراضى ببغداد ، وكانت الكتابة بالرومية والترجمة بالعربية بالفضة[١١٠] .

---

(١٠٧) طرازى « الفيكونت فيليب » : خزائن الكتب العربية فى الخافقين ص ٥٤ ، ٥٥ .

(١٠٨) حاك. س. ريسلر : ( **الحضارة العربية** ) ترجمة محمود غنيم ( طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة ١٩٦٦ م ) ص ٨٣ ، ٩٨ .

(١٠٩) د. عبد المنعم ماجد : ( **العصر العباسى الأول** ) . ( مكتبة النهضة المصرية — القاهرة ١٩٧٧ م ) ص ٣٥٠ . ٣٥١ .

(١١٠) ابن الجوزى . على بن عبد الرحمن : ( **المنتظم فى تاريخ الملوك والامم** ) ( حيدر آباد — الدكن — الهند — دائرة المعارف العثمانية ١٣٥٧ هـ ) ص ١٥٤ .

من هنا يتضح لنا ان الخلفاء والامراء لم يبخل احدهم بمال أو جهد فى تزويدهم لها بمختلف المؤلفات الثمينة ويسروا اسباب الراحة لروادها . فما كان منهم الا أن أرسلوا البعوث للبحث عن الكتب والتراث الفكرى القديم(١١١) . وقد دخل ابو يوسف القزوينى المعتزلى المتوفى ( ٤٨٨ هـ/١٠٩٥ م ) بغداد ومعه عشرة جمال عليها كتب(١١٢) .

ثم أنشأ البغداديون المكتبات على مثال بيت الحكمة ، أشهرها مكتبة سابور ابن اردشير وزير بهاء الدولة فى محلة بين السورين سنة ٣٨١ هـ وجعل فيها أكثر من عشرة آلاف مجلد كلها بخطوط الأئمة المعتبرة ، وكان المؤلفون يقفون عليها نسخا من مؤلفاتهم ، واحترقت فيما احترق من محال الكرخ عند مجىء طغرلبك أول ملوك السلاجقة الى بغداد(١١٣) سنة ٤٤٧ هـ .

وممن تولى حفظ ما بقى فيها والاشراف عليها عبد السلام البصرى(١١٤) . اللغوى المتوفى سنة ٤٠٥ هـ . واشتهر بجمع الكتب من بنى العباس الخليفة الناصر بن المستضىء(١١٥) المتوفى سنة ٦٢٢ هـ . ولكن على الرغم من أن بيت الحكمة كانت ذات شأن فى العالم الاسلامى من حيث انها أول أكاديمية ومؤسسة علمية تشبه فى اقبال العلماء والطلاب عليها للبحث والدرس كخلية النحل يعودون محملين بالشهد الذى يشفى النفوس والعقول . فان ما نالته فى عهد الرشيد والمأمون كان ازهى عصورها . وتجلى ذلك فى الخليفة المأمون أكثر من حيث ما كان يهب للعلم من وقته ورعايته ، ونال العلماء كثيرا من عطفه وعنايته . لكن لم ينل بيت الحكمة من العناية العلمية ما ناله فى عهد الرشيد والمأمون ، بل ضعف ذلك فنجد ان الخليفة المعتصم قد أهمل شأن هذا البيت العظيم ، وقد توالت عليه الأحداث بعد ذلك ، مما زاد فى الاقلال من شأنه . ولكنه يظل يقاوم الى أن داهم التتار بغداد ، وقتل هولاكو المعتصم آخر الخلفاء العباسيين ، فانتهى بذلك مع الأسف امر هذه المؤسسة العظيمة ، واندثرت خزانة الكتب ، وعفت آثارها .

وحقا ان ما نالته هذه المؤسسة الثقافية وما أنفق عليها من مال ورعاية من ترجمات الاغريق مما يعد مضرب الأمثال .

---

(١١١) Madkour, L. Organon : D., **Aristote Dans Londe,** Paris 1934, pp. 28,29.

(١١٢) تاج الدين ابو نصر عبد الوهاب السبكى : ( **طبقات الشافعية الكبرى** ) ( المطبعة الحسينية بمصر – القاهرة ١٣٢٤ هـ ) جـ ٤ ص ٢٣٠ .

(١١٣) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى ص ٢٢٦ .

(١١٤) ابن ابى أصيبعه : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ٤١٢ .

(١١٥) ابن خلدون : المقدمة جـ ٤ ص ١٤٦ .

# الفصل الثالث : النظام الإدارى فى بيت الحكمة



١ ـ القائمــون على تنظيم بيت الحكمــة .

٢ ـ المشرفــون على بيت الحكمــة .

٣ ـ رواتب العــاملين داخــل بيت الحكمــة .

## اولا ــ القائمــون على تنظيم بيت الحكمة :

يكاد المؤرخــون أن يجمعوا على ان القرن الرابع الهجرى ( العاشر الميلادى ) هــو العصر الذى شهد قمــة التطور فى المؤسسات الحضارية والثقافية الاسلامية ، وكانت بغــداد فى هــذا القرن قــد اكتمل فيها عقــد العــلم ، وازدهرت بأجــلة العلماء الذين نزحــوا اليها من حــواضر العالم الاسلامى ، وورثت المدينتين العظيمتين البصرة والكوفة ، فانتقل كثير من علمائهما اليها .

واذا نحن علمنا انه لم يكن فى ذلك العصر مطابع وانمــا هناك مؤلفون يؤلفون ونساخ ينسخون أدركنا ما يقتضيه عمــل مكتبة من الجهد العظيم والمــال الوفير حيث لم تكن المكتبة مقصورة على الكتب بل كانت أحيانا مجتمعا يجتمع فيه طلاب العلم والعلماء ويتداولون فيما بينهم المسائل العلمية . وهــذا ما جعل هــذا العصر يزخر بالعلم والعلماء ، وكان بجانب هــذه المكتبات العامة مكتبات خاصة لكل عالم تشتمل على الكتب التى يحتاج اليها فالغنى منهم يطلب النساخين أن ينسخوا له الكتب التى يريدها ، والفقير ينسخ بنفسه ، ورووا عن السجستانى المحــدث أنه كان لــه كم واســع وكم ضيق فسئل عن ذلك فقال الواسع للكتب والآخر احتاج اليه(١١٦) .

وروى عن أحــد علمــاء أصبهان أنه أنفق فى شراء كتبه ثلاثمائة الف درهم وقالوا ان أبا يوسف القزوينى المعتزلى دخل بغــداد ومعه عشرة جمال عليها كتب . وليس أدل على عظمة تراثنا من أن بيت الحكمة كانت فى أيام هارون الرشيد تحــوى مليون كتاب ، أما المــامون فقــد نقــل الى بغــداد مائة بعير من الكتب من أوروبا حتى أنه جعل ذلك فى عقــد الصلح بينه وبين ملوك الروم(١١٧) .

وقــد جعل الخليفة هارون الرشيد يوحنا بن ماسويه مرشفا عاما على ترجمة الكتب ، بينما جعل المــأمون سهل بن هارون وهــو برتبة وزير مشرفا على بيت الحكمة لمــا كان لها من أهمية فى نظره ونظر الدولة التى يرأسها . وزادت محتويات هــذه الدار بمــا قــدم اليها هــدية من الحكام العرب أو الاجانب تقربا الى الخلافة الاسلامية بالاضافة الى ما كانوا يبيعونه بأسعار مرتفعة جــدا . فقــد اهــدى صاحب جزيرة قبرص مجموعة قيمة من الكتب الى بيت الحكمة ، وكذلك فعل قيصر القسطنطينية بعــد ان طلبها المــأمون . ولعــل أشهر المترجمين أو المعربين انمــا

---

(١١٦) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٤٧ .

(١١٧) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٣٨٠ .

ظهروا فى فترة حكم الرشيد والمأمون أمثال : أبو سهل الفضل ، ويوحنا بن ماسويه وابن البطريق وحنين بن اسحاق وعمر بن الفرخان وثابت بن قرة[١١٨] وكان العمل أقساما كل قسم له رئيس مسئول عنه ، ومساعدون مسؤولون أمامه ، وهذا فى رأينا يفسر ورود اسماء عدد من الأشخاص يوصفون بأنهم أصحاب بيت الحكمة .

وكانت بيت الحكمة مكتبة واسعة رتبت فيها الكتب ونضدت فى رفوف خاصة بحسب لغتها وفروع العلم الذى يتحدث فيه ، وزودت بالمقاعد للقراءة والمطالعة وجعل لها قيم لحفظها وترتيبها وتسليم كتبها الى القراء وما شاكل ذلك وكانت تضم فرقا خاصة للترجمة والنسخ[١١٩] .

ويقسم النشاط فى دار الكتب بين حجرات . فبعضها للنسخ وبعضها الآخر للاطلاع والمراجعة ، وثالث للدرس والمناقشة وربما اشتملت هذه الدار على حجرات للموسيقى يختلف اليها الدارسون للترفيه واستعادة النشاط كلما أعياهم الكد والسأم[١٢٠] . لم تخل مكتبة ذات شأن سواء كانت عامة أو خاصة عن فهرس يرجع اليه استعمال مجموعة الكتب ، وكانت هذه الفهارس منظمة للغاية فهى تشمل الكتب التى بالمكتبة مرتبة حسب موضوعاتها وبجانب هذه الفهارس العامة ، كانت هناك ورقة خاصة ملتصقة بكل دولاب من دواليب الكتب ، وقد كتب على هذه الورقة عناوين الكتب التى يحويها ذلك الدولاب ، وأرقامها فيه بالاضافة الى عنوان الكتاب ورقمه وكانت الفهارس تشمل ملاحظات عن الكتب التى فقدت أو بعض أوراقها ، ولم توجد جميع أجزائها[١٢١] ولنجل جولة سريعة فى مكتبات العالم الاسلامى لعرض ما عثرنا عليه من ذكر لهذه الفهارس التى عرفها المسلمون ونظموها منذ ذلك العهد المبكر ، ومن الواضح ان الفهارس ترتبط ارتباطا تاما بالمكتبات الكبيرة . من أجل هذا سيشتمل حديثنا عن الفهارس ايضاحا لنقطة هامة ، هى غنى المكتبات وما حوته من ذخائر . وأول ما نسوق من ذلك هو قول ابن سينا أنه اطلع على فهارس مكتبة السامانيين فى بخارى ، واختار بضعة كتب طلب أن يطلع عليها ، فأحضرت اليه فى الحال ، ويحكى ابن سينا انه رأى من الكتب ما لم

---

(١١٨) انور الرفاعى : ( **الاسلام فى نظمه وحضارته** ) . ( دار الفكر - بيروت - لبنان ١٩٧٣ م ) ص ٥٤٤ .

(١١٩) انور الرفاعى . الاسلام فى نظمه وحضارته ص ٥٤٤ .

(١٢٠) زكريا هاشم زكريا . فضل الحضاره الاسلامية على العالم ص ٢٨٠ .

(١٢١) Islamic Culture ( 111-1929) p. 229.

يقـــع اسمه قط الى كثير من الناس ، وما كان رآه من قبل ولا رآه أيضا من بعد(١٢٢) .

وقام المـــأمون بتوسيع وتدعيم بيت الحكمة الذى انشاه ابوه ( هارون الرشيد ) واهتم بأنواع عـــدة من الثقافة ، فلم يقتصر اهتمامه على الثقافة الفارسية ، فقـــد اهتم بجمع الكتب الاغريقية وبعث وفـــدا الى ليـــو الارمنى لجمع الكتب الاغريقية ليطلع عليها واضطر القيصر الى الموافقة على ذلك . وفى ذلك الحين كان حنين بن اسحاق ويعقوب الكندى على استعداد تام لترجمة الكتب الاغريقية الى اللغـــــة العربية ، وقـــد درس حنين اللغة اليونانية فى الاسكندرية ، كما درس اللغة العربية على يد الخليل بن احمد الفراهيدى(١٢٣) فى البصرة ،وبعـــد اجادة هاتين اللغتين بدأ تحت رعاية المـــأمون بترجمة الكتب الاغريقية وكانت مهارته عامة بتقريب المـــامون لـــه ، فكان لا ينقطع عن اغـــداق الصلات عليه ، ولمـــا كان حنين نفسه مغـــرما بالكتب فقـــد تحول الى آسيا الصغرى وســـوريا للبحث عن الكتب وكان أول كتاب ترجم الى اللغة العربية هـــو كتاب بطليموس فى الفلك وقام بترجمته ابراهيم بن صلت وراجعه وصححه حنين بن اسحاق(١٢٤) .

وقـــد اتخـــذ المـــأمون بطانته من علماء اليونان والسريان والفرس فانتقـــل الى بيت الحكمة علماء حران والرها وجنديسابور ونقلوا اليهاما امتازوا به فى التراث الانسانى فى مدارس اليونان والرومان والشرق الأدنى وشمال افريقيا فورثتها بغداد جميعا(١٢٥) . ويبـــدو أن المـــأمون ومن اتى بعـــده حاولـــوا أن يجمعـــوا فى هـــذه المؤسسة الثقافية العظيمة القسم الاكبر من تراث الاسلام حتى عهدهم مـــع عناية خاصة بالمواد التى لهـــا صلة بأصلهم .

فقـــد ذكر بن النـــديم(١٢٦) أنه كان يوجـــد فى خزانة المـــأمون كتـــاب بخط عبد المطلب بن فلان الحميرى من أهـــل وزن عليه الف درهم فضـــة كيلا بالحـــديدة ومتى وعاه بها أجابه شهد الله والمكان .

---

(١٢٢) Barthold, W. : **Turkestan Down to the Mongol Invasion.** Luzac 1928, p. 9,10.

(١٢٣) للخليل بن أحمد من علماء اللغـــة والأدب : ابن القفطى : اخبـــار العلمـــاء باخبـــار الحكماء ص ١١٨ . ومن المؤرخين من يرى ان الخليل بن احمد كان بارض فارس فلازمه حنين حتى برع فى لسان العرب : صاعـــد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٤٠ .

(١٢٤) خودابخش ( صلاح الدين ) الحضارة الاسلامية ص ١٣٢ .

(١٢٥) نجيب العقيقى : ( **المستشرقون** ) دار المعارف بمصر ١٩٥٨ م جـ ١ ص ٧٩ .

(١٢٦) ابن النـــديم : الفهرســـت ص ١٧٤ .

ويبدو لنـــا أن خزانة بيت الحكمـــة كانت مقسمة الى اقسام كبرى بحسب اللغات فهـــذا قسم الكتب الفارسية ، وهـــذا قسم الكتب اليونانية ، وهـــذا قسم الكتب السريانية ... الخ . وكل قسم تحت رياسة شخص مشرف عليه ومسؤول عنه ، والجميع يعـــودون فى أمورهم الى شخص أعلى . ويقول المقـــدسى[١٢٧] وهـــو يواصـــل وصـــفه لمكتبة عضـــد الدولة فى شـــيراز : لـــكل نوع من الكتب فهـــارس فيها عنـــاوين كتب . ويسجل أبو الحسن البيهقى انه رأى بنفسه فهـــارس كتب الصاحب بن عباد وان تلك الفهارس كانت تقع فى عشرة مجلدات[١٢٨] .

وقـــد كانت الفهارس معروفة فى العراق منذ عهد خزانة الحكمة ، حدث الحسن ابن ســـهل قال : قال لى المـــأمون يوما : أى كتب العجم أشرف ؟ فذكرت كثيرا منها ثم قلت : جاد يذان خرد ( يتيمة السلطان ) يا أمير المؤمنين . فدعا المـــأمون بفهرست كتبه وجعـــل يقلبه فلم ير لهـــذا الكتاب ذكرا . فقال : كيف يسقط ذكر هـــذا الكتاب من الفهرست[١٢٩] . وكان لمكتبة المدرسة النظامية ببغـــداد فهرس شامل دقيق رآه ابن الجـــوزى المتوفى ( ٥٩٧ هـ ) وهـــو يقول عنه : لقـــد نظرت فى بيت الكتب الموقوفة فى المدرسة النظامية فاذا به يحتوى على نحـــو ستة آلاف مجلد[١٣٠] .

ولمـــا فرغ المستنصر بالله من بناء مدرسته نقـــل اليها من الربعات الشريفة والكتب النفيسة المحتوية على العلوم الدينية والأدبية ما حمله مائة وستون جمـــلا ، وجعلت فى خزانة الكتب وتقـــدم المستنصر الى الشيخ عبد العزيز شيخ رباط الحريم بالحضور للمدرسة واثبات الكتب واعتبارها ، والى ولـــده العـــدل ضياء الدين أحمد الخازن بخزانة كتب الخليفة فى داره أيضا ، فحضروا واعتبرها ، ورتبها أحسن ترتيب ، مفصلا لفنونها ليسهل تناولها ولا يتعب مناولها[١٣١] .

وكان يتولى الأعمال فى دار الكتب طائفة من الموظفين وهم : الخازن والمترجمون وطائفة النساخ ، وطائفة المفسرين ، وطائفة المناولين ، وطائفة الكتبة ، وطائفة

---

(١٢٧) المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ص ٤٤٩ .

(١٢٨) ياقوت الحموى : معجم الأدباء جـ ٢ ص ٣١٥ .

(١٢٩) محمد كرد على : ( رسائل البلغاء ) . ( مطبعة لجنة التاليف والترجمه ـ القـــاهرة ١٣٦٩ هـ/١٩٤٦ م ) ص ٤٧٩ ، ٤٨٠ .

(١٣٠) ابن الجوزى : ( صيد الخاطر ) . ( تحقيق السيد عبد القادر عطا . مكتبه الكليـــات الازهرية ـ القاهرة ـ مصر ـ ١١٩٦ هـ ) ص ٣٦٦ ، ٣٦٧ .

(١٣١) ابن الفـوطى : الحوادث الجامعه والتجارب النافعة ص ٥٤ .

المجلدين . وكان الناسخ ينسخ ما يطلب منه نظير أجر وعليه أن يرتب أوراق كل نسخة بعـد جمعها واصلاح ما قـد يظهر فيها من أخطاء(١٣٢) . أما الخازن أو الأمين كما يسمى فى العصر الحاضر فكان يسند اليه الاشراف على أعمالهم الفنية والادارية جميعا ويجلب الكتب اليها ويلاحظ فهارسها ، وييسر للناس اسباب المراجعـة والاطلاع ، لذلك كان يختار الخازن من الأدباء وأصحاب الأقدار بين المثقفين والعلماء كسهل بن هارون(١٣٣) .

وقـد استدعى اختراع الورق(١٣٤) وانتشار استعماله ظهور طائفة من الناس يشتغلون بالورق والكتابة والكتب وهـؤلاء هم الوراقون الذين لعبوا دورا مهمـا فى تاريخ الحضارة الاسلامية والثقافة الاسلامية ، ذلك أن الوراقين آنذاك كانوا هم الناشرون للكتب يقومون بنسخها وتجليدها وتصحيحها وبيعها وعرضها فى الواجهات والاتجار بهـا ، وقـد اشتغل بالوراقـة علماء أجلاء وأصبحت الوراقـة مهنـة راقية . وانتشرت دكاكين الوراقين فى طـول البـلاد وعرضـها وأصبح للمؤلفين المشهورين وراقـون يختصون بهم ، وأصبحت دكاكينهم أماكن ثقافية يرتادها الادباء وتعقـد فيها المناظرات وتدور فيها المناقشات بحيث يمكن تشبيهها بيسر بالصالونات الأدبية التى انتشرت فى أوروبا وخاصة فرنسا ابان القرن الثامن عشر .

والحقيقة أننا نجـد ذكر الوراقين منذ عهد الرشيد أى منذ استعمال الورق فى الدواوين والرسائل والكتب لأول مرة ، يدل على ذلك القصة التى يوردها ياقـوت الحموى(١٣٥) فى معجمه حيث يقـول : وحـدث أبو مسحل عبد الوهاب قال كان اسماعيل بن صـبيح الكاتب قـد أقـدم أبا عبيدة من البصرة فى أيام الرشـيد الى بغـداد ، واحضر الأثرم وهـو يومئذ وراق وجعله فى دار من دوره وأغلق عليـه الباب ودفـع اليه كتب أبى عبيدة وأمره بنسخها فكنت أنا وجمـاعة من أصـحابنا نصير الى الأثرم فيدفع الينا الكتاب والورق الأبيض من عنده ويسألنا نسخه وتعجيله ويوافقنا على الوقت الذى نرده اليه ، فكنا نفعل ذلك ، وكان الاثرم يقرأ على أبى عبيدة وكان أبو عبيدة من أضن الناس بكتبه ولو علم ما فعله الاثرم لمنعه من ذلك .

وقـد كانت واجبات الوراق كثيرة اذ كان الوراق ينتخب الورق وينسخ الكتاب أو ينسخ تحت اشرافه ويصحح هـذا النسخ حتى لا يقع فيه تحريف ويجلده ويبيعه .

---

(١٣٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٢١ .

(١٣٣) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٢٨٠ .

(١٣٤) د. محمد ماهر حماده : المكتبات فى الاسلام ص ٧٥ .

(١٣٥) ياقوت الحموى : معجم الادباء جـ ١٥ ص ٧٧ ، ٧٨ .

وارتبطت صناعة الورق بمهمة نسخ الكتاب ، والنساخون هم الوراقون الذين ينسخون المخطوطات ويسوقونها . وكان على الوراق أن يختار نوع الورق ويقـوم بنسخ الكتاب أو يشرف على نسخه ، وقـد ظهرت طائفة من الكتاب الذين يحترفون النسخ للوراقين أو لأصحاب المكتبات العامة او الخاصة نظير أجر . اى أن النسخ كان مهنة بعض المتعلمين يكتسبون منها . وكانت هناك صورتان للنسخ صورة فردية بان ينسخ الناسخ الكتاب بنفسه ، وصورة جماعية بأن يجلس عـدد من النساخ بعـدد النسخ المطلوبة ، ثم يملى عليهم من النص المطلوب نسخه وهم يكتبون . وبعـد الفراغ من نسخ المخطوط لابد من مقابلته بالأصل .

ومن الشروط الأساسية للصناعة أن يكون الناسخ دقيقا فى عمـله وأمينا ، صحيح أن الناسخ المحترف قـد يقصر فى عمله ( ولكن قـل أن نجـد ناسخا كان يتعمد الأخطاء قصـد تغيير نص أو تحريفه ) على حـد تعبير روزنتال(١٣٦) .

ولعل ما يوضح لنا هـذا التثبت الشديد بالدقـة والأمانة ما نراه لدى بعض النساخ الذين كانوا يضطرون أحيانا الى الاسراع فى نسخ المخطوطة التى كتبـوها فنجـدهم ينبهون القارىء بقولهم : ( اننى لم أراجع قراءة المنسوخ لاصلاح الأخطاء التى ربمـا وقعت فى هـذا الكتاب ولست متيقنا من أن النسخة هـذه خالية من الأخطاء وذلك لأننى كنت مسرعا جـدا )(١٣٧) . وكانوا يشترطون أيضـا مقابلة ما ينسخونه بأصل صحيح موثوق به ، لأن المقابلة متعينة للكتاب الذى يراد النفع به . قال الامام الشافعى ويحيى بن أبى كبير : ( من كتب ولم يعارض — أى لم يقابل — كمن دخـل الخـلاء ولم يستنج ) .

وهناك ناحية هامة وهى معرفة المسلمين للنشر المتخصص ، اى أن بعض الوراقين كانوا يتخصصون فى نشر لون معين من المعرفة كالفلسفة أو الأدب او الشعر أو يتخصصون فى نشر أعمال مؤلف بعينه فمثلا يحـدثنا ابن النـديم عن ( وراقى المبرد ) ويحـدثنا فى مكان آخر عن ( تلاميذ الكندى ووراقيه )(١٣٨) .

وكانت تجارة الكتب تجارة رائجة ومنظمة ، لهـا اسواقها المعروفة وتعقـد

---

(١٣٦) فرانتز . روزنتال . ( **مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى** ) . ترجمه أنيس فريحه . ( بيروت — لبنـان ١٩٦١ م ) ص ٦٢ .

(١٣٧) المرجـع نفسـه . ص ٦٢ .

(١٣٨) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٣٥٠ ، ٣٧٩ .

فى أسواقها مزادات لبيع الكتب وعرف بعضهم بسمسار الكتب وكان بعض هـؤلاء علمـاء ومؤرخين مثل أبى المعـالى سعد بن على بن القاسم الأنصـارى الخزرجى الوراق الحظيرى المعروف بدلال الكتب ( سمسار الكتب ) مؤلف كتاب زينة الدهر فى التاريخ(١٣٩) ( زينة الدهر فى لطائف شعراء العصر ) .

كذلك زخر العالم الاسلامى بالمكتبات وبهـواة جمع الكتب ومحبيها حتى أصبحنا نرى علمـاء وهـواة بلغ عـدد كتبهم أرقاما خيالية . وممـا ساعد على هـذا التطور اختراع الورق الذى يعـد من النعم التى أسـداها المسلمون الى الحضارة العالمية واستدعى هـذا بالتالى ظهور الوراقين وفتحهم الدكاكين الكثيرة وازدهار تجارة الكتب ووجود طائفة هم النساخون الذين أصبحت مهمتهم نسخ المخطوطات واعـدادها للبيـع(١٤٠) .

فلا عجب ان هم اعتنوا بها واحلوها أعلى منزلة عندهم . تقول أولغا بينتو فى مجلة « الثقافة الاسلامية » : « أن كل ما له علاقة بالكتب تطور بشكل رائع ملحوظ ، فقـد نسخت الكتب وزخرفت وجلدت بشكل انيـق جـدا ، وقـد أحيطت بأعظم ضروب العناية والرعاية ونشرت بين الناس ، وان جميع ذلك كان هـدف واهتمامات الثقـافة الاسـلامية »(١٤١) .

ولقـد حوت أكاديمية بيت الحكمة فريقا من المجلدين همهم تجليد الكتب وحفظها حتى لا تتأثر بكثرة الاستعمال ، وقـد حفظ لنا ابن النـديم اسم أحـد مجلدى بيت الحكمة هـذه فيذكر « ابن أبى الحريش وكان يجلد فى خزانة الحكمة للمأمون »(١٤٢) .

وبذلك ساهم بيت الحكمة فى ترجمة كتب فى علوم مختلفة وبلغات متعـددة الى العربية . وكان المترجم يملى كتابه المترجم على عـدد من النساخ حتى تتعـدد نسخ الكتاب الواحـد وتجلد هـذه الكتب وتودع نسخ منها فى بيت الحكمة(١٤٣) حتى تتاح الفرصـة للقراء للاطلاع عليها والاستفادة منها .

---

(١٣٩) احمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده : ( **مفتاح السـعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم** ) . تحقيق كامل بكرى وزميله ( دار الكتب الحديثة - مصر ) ج ١ ص ٢٦٣ .

(١٤٠) د. محمد ماهر حمادة : ( **الكتاب العربى مخطوطا ومطبوعا تاريخـه وتطـوره حتى مطلع القرن العشرين** ) ( دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٢ هـ/١٩٨٤ م الرياض - السعودية ) ص ١٠١ .

(١٤١) بينتو ، أولغـا : ( **المكتبات العربية فى العصر العباسى** ) فى « الثقافة الاسلاميه » ( المجلد الثالث ١٩٢٩ م ) ص ٢١٢ .

(١٤٢) ابن النـديم : الفهرسـت ص ١٤ .

(١٤٣) المصـدر نفسـه ص ١٠ .

وكان بيت الحكمة عبارة عن مجلس للترجمة والنسخ والتاليف فيجلس النساخ فى اماكن خاصة بهم ينسخون لأنفسهم أو بأجـور . وكذلك المؤلفون والمطالعـون . ومن نساخ بيت الحكمة علان الشعوبى اصله فارسى وكان راوية عارفا بالأنساب والمنافرات وكان ينسخ فى بيت الحكمة للرشيد والمـأمون والبرامكة وله كتاب فى مثالب العرب هتك فيه العرب وأظهر مثالبها(١٤٤) . وقيـل انه أهـداه لطـاهر بن الحسين قائد المـأمون فأنعم عليه بثلاثين الف درهم تنشيطا وتشجيعا له . وكان اعـلان الشعوبى هذا حجة بالرغم من ذلك فان له كتبا عديدة فى المثالب فله كتب أيضا عن فضائل بعض القبائل ككتاب فضائل كنانه وفضائل ربيعه ، ولكن نشاطه العلمى اتجه على وجـه التخصيص الى ذكر مثالب العرب . ولقـد ضاعت هـذه الكتب ولكننـا نجـد بعض القطع منها هنا وهناك فى الكتب التاريخية والأدبية(١٤٥) .

ولم يلبث أن صار التجليد مـع الأيام صناعة رابحة وفنا أصيلا **يشيع التذهيب والتزويق وتفنن**(١٤٦) **بعضهم** فى تجليد الكتب وزخرفتها والعناية بخطها **وأيضا تحلى** بالذهب ، ويتنافس رواة الكتب فيما كتبه الخطاطون كابن مقلـة وابن البـواب . وكانت المكتبات على وجه العموم تزود بالحبر والورق ، وبعض الأغنياء يتبرع بذلك حسبة لوجـه الله .

أما المناولون فكان عملهم أن يرشـدوا القراء الى مواضع الكتب على الرفوف ، او ينقلونها من أماكنها الى حيث يطلبونها ، وكانوا يعملون فى دور الكتب العـامة والخاصة ويحفظ لنـا التاريخ أسماء طائفة من دور الكتب العظيمة التى لهـا فى نشر الثقافة وخـدمة العلم فضل مذكور ومقام كبيت الحكمـة فى بغـداد ودار الحكمـة فى القاهرة ودار الكتب فى قرطبة(١٤٧) .

ويمكننا القـول ان هـذه المؤسسة المسماة باسم بيت الحكمة قـد اصبحت زمن المـأمون أكاديمية بالمعنى العلمى الدقيق للكلمة تحوى أماكن للدرس وأماكن لخزن الكتب وأماكن للنقـل وأماكن للتأليف الى جانب الرصـد الفلكى والنشاط الفلكى الذى مارسته .

---

(١٤٤) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى ج ٢ ص ٢٣٦ .

(١٤٥) أبو الفرج الاصفهانى : ( **الأغـانى** ) . ( طبعـة دار الكتب المصرية والساسى ١٢٨٥ هـ ) ج ١٢ ص ١٥٦ .

(١٤٦) احمد أمين : ضـحى الاسـلام ، ج ٢ ص ٢٢٣ .

(١٤٧) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية على العالم ص ٢٨١ .

## ثانيا — المشرفــون على بيت الحكمة :

وكان لبيت الحكمة قيم يدير شئونه يسمى صاحب بيت الحكمة ، وأشهر مديريها سهل بن هارون وهـــو فارسى شعوبى شـــديد التعصب على العرب وله فى ذلك كتب كثيرة ، وقـــد انتقل هـــذا الى البصرة ثم الى بغـــداد وكان شاعرا حكيما عقليا وله رسائل فى البخل ، كما كان يتولى الهيمنة على ادارة بيت الحكمة الخاصة بالدولة المأمونية فى بغـــداد ، وكان يتولى تنظيم خزائن المـــأمون . وسعيد بن هارون الكاتب شريك سهل بن هارون فى بيت الحكمة وكان بليغا فصيحا ويحكى عنه الجاحظ ولـــه من الكتب كتاب الحكمة ومنافعها وله رسائل مجموعة . وكان سلم صاحب بيت الحكمة مـــع سهل بن هارون وله نقول من الفارسى الى العربى(١٤٨) .

أما رئاسة بيت الحكمة فكانت لسهل بن هارون حيث كان المـــأمون ميالا الى جمع الكتب من مختلف الثقافات ، وقـــد استطاع ان ينقل — من جزيرة قبرص — كثيرا من الكتب اليـــــونانية التى زخر بهـــــا بيت الحكمة ، كما حفلت بها مكتبته الخاصـــــــة(١٤٩) .

ولـــا كان مثل هـــذا العمل فى حاجـــة الى جهابذة العلماء والادباء والمترجمين فقـــد حشد لـــه القوى وجعل عليه سهل بن هارون(١٥٠) ، ومن ثم فقـــد عاش هـــذا الكاتب فى هـــذا الجـــو العلمى الخالص الذى جعل منه عالمـــا ضليعا ، وكاتبا بليغا ، ومؤلفا بارعا ، أطراه الجاحظ وأشاد بعبقريته العلمية ومواهبه الادبية .

وقـــد رأى المرحوم محمد كرد على(١٥١) : « ان سهل بن هارون تولى خزانة المـــأمون الخاصة وتولى خزانة الحكمة لـــه أى أن لـــه منصبين وكلا العملين عظيم فى بابه ولكنهما من نمط واحـــد وفى ذلك ما يشير الى أن المـــأمون لم يكن يضن عليه من قصره ولا يقنعه منه انصرافه الى المصالح العامة فقط » .

وكان أبو عثمان الجاحظ يفضل سهل بن هارون ويصف براعته وفصاحتـــه

---

(١٤٨) ابن النـــديم : الفهرســـت ص ١٧٤ .

(١٤٩) ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد : ( **العقد الفريد** ) تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وابراهيم الابيارى . ط ٢ ( لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة ١٩٤٨ م ) ج ٣ ص ٢٧٤ .

(١٥٠) ياقـــوت الحموى : معجم الأدباء ج ١١ ص ٢٦٦ .

(١٥١) محمد كرد على : ( **أمراء البيان** ) . ( مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة ١٩٥٠ م ) ص ١٥٢ .

ويحكى عنه فى كتبه ويصف ابن النـديم أنه كان بخيلا وعمل رسائل فى البخل وعمل الحسن بن سهل رسالة يمدحـه فيها ويرغبه فيه ويستسمحه فى خلال ذلك فأجابه الحسن على ظهر رسالته : وصلت رسالتك ووقفنا على نصيحتك وقـد جعلنـا المكافأة عنها القبول منك والتصـديق لك والسلام[١٥٢] ولم يصله عنهـا بشىء . أما سلم[١٥٣] فقـد كان أحـد الأفراد الذين أرسـلوا الى بلاد الروم للحصـول على المخطوطات ويبـدو أنه قـد عهـد اليه برئاسة قسم الكتب الفارسية ، وفى نفس الوقت الاشراف على النقـل من الفارسية الى العربية وكلا العملين مهم فى ذاته .

والفضل بن نوبخت هـو ابو سهل الفضل بن نوبخت[١٥٤] فارسى الأصـل ، وقـد ذكر نسب آل نوبخت فى كتاب المتكلمين ولهـذا الرجل نقل من الفارسية الى العربية ومعوله فى علمه على كتب الفرس . وكان فى خزانة الحكمة لهارون الرشيد . عهـد اليه الرشيد بالقيام بشئون خزانة كتب الحكمة ويذكر القفطى عن الفضل بن نوبخت ابى سهل « أنه مذكور مشهور من أئمـة المتكلمين . . . وكان فى زمن هارون الرشيد وولاه القيـام بخزانة الحكمة ، وكان ينقل من الفارسـية الى العربية ما يجـد من كتب الحكمة الفارسية »[١٥٥] .

وكذلك عهد الرشيد بتعريب الكتب التى وجـدها فى أنقرة وعمورية الى يوحنا ابن ماسويه وكان شيخ النقلة فى عصره ووضعه أمينا على الترجمة[١٥٦] . وفى رأى محمد عاطف البرقوقى انه هـو الذى نصح هارون الرشيد بانشاء دار كبيرة للكتب وهى تلك الدار التى اتسعت واشتهرت فيما بعـد واصبحت تدعى دار الحكمة[١٥٧] .

يبدو لنـا أن خزانة بيت الحكمة كانت مقسمة الى أقسام كبرى بحسب اللغات فهـذا قسم الكتب الفارسية وهـذا قسم الكتب اليـونانية وهـذا قسم الكتب السريانية . . . الخ . وكل قسم تحت رئاسـة شخص مشرف عليه ومسؤول عنـه ،

---

(١٥٢) ابن النـديم : الفهرست ص ١٤٧ .

(١٥٣) المصـدر نفسـه ص ١٧٤ ، ٣٨٢ .

(١٥٤) أبو الفتوح التوانسى . ( **من أعلام الطب العربى** ) . ( دار الكاتب المصرى ـ القـاهرة ١٩٧٣ م ) ص ٢٢ .

(١٥٥) ابن القفطى : أخبـار العلماء بأخبـار الحكماء ص ٢٥٥ .

(١٥٦) ابن أبى أصيبعة : عيون الانباء فى طبقات الأطباء جـ ٢ ص ١٢٤ .

(١٥٧) محمد عاطف البرقـوقى : الخوارزمى العالم الفلكى الرياضى ص ٧٩ .

والجميع يعـــودون فى أمورهم الى شخص أعلى مسؤول عنهم وهم مسؤولون أمامه . هـــذا فى راينا يفسر ورود أسماء عـــدد من الأشخاص يوصفون بأنهم أصـــحاب بيت الحكمة . من أمثال محمد بن موسى الخوارزمى العالم الرياضى الفلكى الذى ظهر فى عصر المـــأمون وكانت لـــه مكانة سامية لـــديه ، فأحاطه بالرعاية ووكل اليه شئون « دار الحكمـــة »[158] .

---

(١٥٨) مصطفى الشهابى : ( الجغرافيون العرب ) . ( دار المعارف بمصر ـ القـــاهرة ـ سلسلة اقرأ ـ عـدد ٢٣٠ ـ فبراير ١٩٦٢ م )ص ٤٠ .

## ثالثا ـ رواتب العاملين فى بيت الحكمة :

وكان يلحق ببيت الحكمة علماء لهم رواتب محددة وتنوعت اختصاصاتهم ، ومن بين هؤلاء علماء فلكيون ذلك لان المأمون الحق ببيت الحكمة مرصدا لاصلاح آلات الرصد ، وكانت أعماله بالضرورة من بيت الحكمة ، بل كان بعضهم من خارجه . وصاحب بيت الحكمة يشرف على العاملين فيها وعليه ان يرتب الكتب ويعد فهارسها ويصنفها . وقد قيل ان يحيى بن ابى منصور الموصلى المنجم المعروف هو أحد أصحاب الارصاد فى القصر المأمونى كما كان جد احمد الطيبى المعروف بالصنوبر الحلبى وأولاد موسى بن شاكر[159] ( محمد وأحمد والحسن ) وغيرهم من رجال بيت الحكمة فى العصر المأمونى أو ممن كان يتردد على هذه الدار للعمل فيها بصفة رسمية أو للمطالعة والنسخ أو الترجمة والتأليف .

ولا ندرى كم كان ينفق المأمون على مكتبته هذه شهريا أو سنويا ولابد أنه مبلغ ضخم جدا بالنسبة للعمل الذى قامت به تلك المكتبة وبالنسبة للمهمة التى اخذت تنفيذها على عاتقها ، وكذلك بالنسبة للأشخاص الذين كانوا يعملون فيها ، ذلك أن اغلبهم بحاثة وعلماء من الطراز الأول ونعتقد أن رواتبهم كانت أعلى رواتب يمكن أن يتقاضاها أمثالهم .

ونستطيع بشىء من الموازنة ان نصل الى رقم تقريبى لرواتب الموظفين فيها ، ذلك ان ابن ابى اصيبعة يذكر نقلا عن السجستانى أن بنى شاكر وهم محمد وأحمد والحسن كانوا يرزقون جماعة من النقلة منهم حنين بن اسحاق وحبيش بن الحسن وثابت بن قره[160] وغيرهم فى الشهر خمسمائة دينار للنقل والملازمة[161] . وأما محمد ابن عبد الملك الزيات الذى كان وزيرا أيام الواثق ، فقد كان يقارب عطاؤه للنقلة والنساخ فى كل شهر الفى دينار[162] . وقد ذكرنا سابقا عطاء المأمون لحنين بن

---

(١٥٩) أولاد شاكر : محمد واحمد والحسن من رعاة العلم والأثرياء وممن عنى باخراج الكتب من بلاد للروم ، ومن انشط العناصر التى كانت فى بيت الحكمة . ( د. الشحات السيد زغلول : ( السريان والحضارة الاسلاميه ) . ( دار الكاتب المصرى فرع الاسكندرية ١٩٧٣ م ) ص ١٩٢ .

(١٦٠) ثابت بن قره ولد سنة ٢٢١ هـ وتوفى ٢٨٨ هـ عمل فى جملة منجمى المتقصد ، وكان ذا منزلة عالية عنده ، وله دور كبير فى حركة الترجمة ، وهو الذى أدخل رئاسة الصابئة الى أرض العراق ( ابن جلجل ، أبو داوود سليمان بن حسان الأندلسى المعروف بابن جلجل ) . ( طبقات الأطباء وحكماء ) . تحقيق فؤاد السيد ( مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ـ القاهرة ١٩٥٥ م ) ص ٧٥ .

(١٦١) ابن ابى أصيبعه : عيون الانباء فى طبقات الاطباء ج ٢ ص ١٤٣ .

(١٦٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٧٦ .

اسحاق عما كان ينقله من اليونانية الى العربية ، وكيف ان ذلك العطاء كان زنة ما ينقله مثلا بمثل(١٦٣) . فاذا كان الأمر كذلك واذا كانت رواتب الموظفين الذين ينسخون وينقلون لدى وزير من وزراء الدولة يبلغ الفى دينار فى الشهر ، فكم يجب أن تكون رواتب موظفى ومستخدمى بيت الحكمة ؟ . اعتقد أن الجواب هـو لا أقل من عشرين الف دينار فى الشهر وربمـا أكثر من ذلك باستثناء النفقات الأخرى كثمن الحبر والورق واجـور التجليد وثمن الكتب الجاهزة واثاث المكتبة وغيرها .

ووجـه الواثق عناية كبيرة للمترجمين الذين نقلوا الذخائر الأجنبية للسـان العربى ، وكان ابن ماسويه يده اليمنى فى ذلك ، فأعـد الواثق نعما متوالية ، وخيرا وفيرا ، وفى احـدى المرات اعطاه دراهم تساوى ثلاثمائة الف روبية(١٦٤) .

ويورد لنـا المقريزى(١٦٥) قائمة بالنفقات السنوية لمكتبة دار الحكمة مفصـلة تفصيلا واضحا ولكنها أقل سعة وسخاء وفيما يلى نصها :

| | |
|---|---|
| ورق النسخ ( ربما كان ذلك يشمل مرتبه أيضا ) | ٩٠ دينارا |
| مرتب الخـازن | ٤٨ دينارا |
| مرتب الفـراش | ١٥ دينارا |
| لتجليد الكتب ( ربما شمل أجرة المجلد ) | ١٢ دينارا |
| ورق وحبر واقـلام للمطالعين | ١٢ دينارا |
| ثمـن الحصر العبـدانى | ١٠ دنانير |
| ثمـن المـاء | ١٠ دنانير |
| ثمـن لبـود للفرش فى الشتاء | ٥ دنانير |
| ثمـن طنافس فى الشتاء | ٤ دنانير |
| مرمة السـتارة | ١ دينار |

وكانت المرتبات لموظفى المدرسة المستنصرية محـددة على الوضع التالى : لخازن الكتب فى كل يوم عشرة ارطال خبزا ، وأربعة لحما ، وفى كل شـهر عشره دنانير ، وللمشرف فى كل يوم خمسة ارطال خبزا ، ورطلان لحما ، وفى كل شهر ثلاثة

(١٦٣) ابن ابى اصيبعه : عيون الانباء فى طبقات الاطباء جـ ١ ص ١٨٧ .

(١٦٤) Khuda Bukhshi, Contribution to the History of Islamic Civilization, Calcutta 1905, p. 269.

(١٦٥) المقريزى : الخطط والآثار جـ ١ ص ٤٥٩ .

دنانير ، وللمنازل فى كل يوم أربعـــة أرطـــال خبزا وغرف طبيخـــا فى كل شـــهر دينـــاران[١٦٦] .

ومن مكتبات بغـــداد[١٦٧] الشهيرة المكتبة التى الحقت بالمدرسة المستنصرية وهى ذات قاعات واســـعة للمطالعة مجهزة بمـــا يساعد على القراءة من مقاعـــد وصهاريج لتبريد مياه الشرب وســـاعة حائط لمعرفة الوقت والتنبيه الى أوقات الصـــلاة .

هـــذا الى أن كثيرا من الأغنياء والوزراء كانت لهم مكتبات خاصـــة فابن العميد وزير عضـــد الدولة كان لـــه مكتبة فلمـــا نكب حمد الله كثيرا على أن بقيت لـــه مكتبته لأنها أهم شىء عنده[١٦٨] .

وكان على بن المنجم ممن جالس الخلفاء ، وكان له خزانة كتب عظيمة فى ضيعته وسماها خزانة الحكمة ، وكان يقصدها الناس من كل بلد ، فيقيمون فيها ويتعلمون ، والكتب مبذولة والصيانة مشتملة عليهم ، والنفقة فى ذلك من مال على بن المنجم[١٦٩] . وهـــو الذى أعـــد مكتبة الفتح بن خاقان وأشرف عليها ، وكان من خاصـــة ندماء المتوكل ، وخصص أيضا بمن جاء بعـــده من الخلفاء الى أيام المعتمد ، وكان راوية للأشعار والأخبار ، شاعرا محسنا وله صنعة مقـــدما عند الخلفاء[١٧٠] .

على أن أكثر هؤلاء الخلفاء المثقفين الذين شجعوا ورعـــوا حق الرعاية مؤسسة بيت الحكمة ولم يبخلوا بالجهد ولا بالمـــال ولا بكل شىء فى سبيل دفع عجلة التقـــدم الى الامام من أمثال الرشيد والمـــأمون والواثـــق ومن بعـــدهم . هـــذا الى جانب جهود عـــدد لا يحصى من الأمراء والوزراء والحكام المحلبين والأفراد المتميزين السابق ذكرهم . ولا ننسى استقرار المجتمع الاسلامى وتدفق الثروة عليه ممـــا جعله يؤسس المؤسسات العلمية العظيمة أمثال بيت الحكمة كما نجـــد عـــددا من العلماء والفضلاء والوجهاء والرؤساء انقطعوا للعمل فى هـــذه الأكاديمية مثل أبناء شـــاكر والخوارزمى وعلان الشعوبى وسلم وسهل بن هارون وسعيد بن هارون وغيرهم .

---

(١٦٦) عـواد كوركيس : ( **خزائن الكتب القديمة فى العراق** ) . ( مطبعة المعارف – بغـداد – العراق ١٩٤٨ م ) ص ١٦٥ .

(١٦٧) انور الرفاعى : الاسلام فى نظمه وحضارته . ص ٥٤٥ .

(١٦٨) احمد أمين : ( **ظهـــر الاســـلام** ) . ( ط ٣ – دار المعارف بمصر – القاهرة ١٩٣٦ م ) ج ٢ ص ٢٢٠ .

(١٦٩) المرجـع نفســه ص ٢٢١ .

(١٧٠) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٢٠٥ .

# الفصل الرابع : أثر بيت الحكمة فى حياة المجتمع العباسى



١ ـ تشجيع الحركة العلميـة فى بيت الحكمـة ٠

٢ ـ التغييرات التى طرأت داخـل بيت الحكمـة فى التصنيف والترجمة ٠

٣ ـ نشر روح اليقظـة الاسلامية فى المجتمع العباسى ٠

٤ ـ انقـاذ التراث بادخال نظام المكتبات على العـالم الاسلامى لحفظ التراث من الضـياع ٠

## اولا — تشجيع الحركة العلمية فى بيت الحكمـــة :

ادى التمـــازج الحضـــارى والثقـــافى بين مختلف الأقـــوام والعروق والأجناس والثقافات الى بروز الحضارة الاسلامية ذات الشخصية الواضحة المميزة التى اشترك فى انتاجها عـــدد كبير من العروق والأجناس ، وذوى الحضارات المختلفة والديانات المختلفة ، وفيه بلغت هـــذه الحضارة درجة كمالها وبلوغها الأوج . وقـــد تطورت فيه جميع المعارف الانسانية وانتشرت فى ارجاء العالم الاسلامى من حـــدود الصـــين والهنـــد شرقا الى الأندلس وحـــدود فرنسا وايطاليا وسويسرا غربا . ثم لم تلبث هـــذه ان انتقلت الى اوروبا وساهمت الى حـــد كبير ، فى انهاضها وايقاظها من سباتها ، وفى جعلها تأخـــذ من الحضارة بنصيب موفـــور(١٧١) .

وقـــد بلغ العصر الذهبى ذروته فى عهـــد هارون الرشيد وابنـــه المـــأمون ، حيث استكمل المجتمع الاسلامى تطـــوره بعالميته الجامعـــة ، وموارده الاقتصـــادية الهـــائلة ، وحياته الثقافية الرفيعة ، يغـــذيها تقـــابل الفكر والثقافة العربيين مـــع الحضارات الاغريقية والهندية والفارسية ، بينما ينحسر دور الجزيرة فى توجيـــه الثقـــافة العربيـــة(١٧٢) .

ونريد بالحضارة(١٧٣) ما تبلغ اليـــه الدولة من الثروة وبسطة العيش والتوســـع فى أسباب الترف والرغـــد فى ارقى درجات عمرانها . والدولة الاسلامية ادركت تلك الدرجات اولا فى العصر العباسى ببغـــداد فى اواســـط القرن الثانى للهجرة ( الثامن الميلادى ) الى اواسط القرن الرابع الهجرى ( العاشر الميلادى ) .

فبلغت بغـــداد(١٧٤) ذروة الرخاء فى عصر هارون الرشيد ( ١٧٠ هـ/١٩٣ هـ — ٧٨٦ م/٨٠٩ م ) وابنه المـــأمون ( ١٩٨ هـ/٢١٨ هـ — ٨١٣ م/٨٣٣ م ) وصارت أهم مدن الشرق وذاع صيت الرشيد فى الآفاق ، فارسلت بلاد التتر والهنـــد والصين

---

(١٧١) د. محمد ماهر حماده : ( **الوثائق السياسية والادارية العـــائدة للعصر العباسى الاول** ) . ( مؤسسة الرسالة — بيروت — لبنان — ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩ م ) ص ٥ .

(١٧٢) جـــون. بادوا وآخرون : ( **عبقرية الحضـــارة العربية ينبوع النهضـــة** ) ( مركز الوثائق والدراسات بابو ظبى ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧ م ) ص ٣٨ ، ٣٩ .

(١٧٣) جرجى زيدان : تاريخ التمـــدن الاسلامى ج ٥ ص ٦١٦ .

(١٧٤) جوستاف لوبون : ( **حضارة العرب** ) ترجمة اكرم زعيتر ( دار احياء الكتب العربيه ط ٣ — القـــاهرة — ١٩٥٦ م ) ص ١٧١ ، ١٧٢ .

رسلا الى بلاطــه وأرسل عاهــل المغرب الحقيقى وصـــاحب الحــول والشوكة والامبراطور شرلمـــان ، الذى كان يملك ما بين المحيط الاطلنطى ونهر الألب ، وهو الذى لم يملك غير أناس سوى الهمج وفــدا ليبلغ الرشيد ، أطيب تحياته ويلتمس منه الحماية لحجيج القــدس فأجابه الرشيد الى سؤله .

وبلغت الدولة العباسية(۱۷٥) أوج العظمة والاستقرار فى العصر العباسى الأول ، بسبب توالى كثير من الخلفاء الأقــوياء على حكم الدولة ، فانتشر الأمن والاستقرار فى أرجاء الامبراطورية العباسية . ممـــا دفع معظم خلفاء هــذا العصر الى طبــع عصرهم بطابع العظمة والفخامة والترف . وكانت البيئة الثقافية(۱۷٦) من أقوى العوامل فى النهضة العباسية اذ أخــذ الخلفاء يشجعون الحركة العلمية فى نواحيها المتعــددة ويمدونهـــا بمالهم وجاههم ، وقــد بالغــوا فى اكرام الأدباء فجالســوهم وولوهم أحيانا المناصب العالية ثم حــذا الأمراء والوزراء حــذو الخلفاء فى أكبر مدن الدولة ، فكانوا يتنافسون فى ذلك كما يتنافسون فى فتح دور العلم ، وأظهر الجيل الجــديد ميلا شـــديدا الى الحياة العلمية وتشجيعها . لا عجب فى ذلك فقــد رأينا ما كان هنالك من نمـــاذج مدنيات واختلاف حضارات ووعى عام أرهفـــه ما نالـــه القــوم من ثقافات الشـــعوب المتمدينة .

---

(۱۷٥) د. توفيق سلطان اليوزبكى : ( **الوزارة نشأتها وتطورها فى الدولة العباسية** ) . ( مطبعة الرسالة – بغداد ۱۹۷۰ م ) ص ٦٨ .

(۱۷٦) د. طه الحاجرى ( **الجاحظ حياته وآثاره** ) . ( دار المعارف بمصر – القاهرة ۱۹٦۸ م ) ص ۳٤٦ .

ثانيا — التغييرات التى طرأت داخل بيت الحكمة فى التصنيف والترجمة :

أن الثورة العباسية التى جاءت بهذه التغييرات الجذرية كانت قبل كل شىء نصرا للاسلام والداعين الى الاصلاح الدينى ومن هنا نشأت العلوم الاسلامية فى هذه الفترة جنبا الى جنب مع العلوم الأجنبية ، فالعلماء العباسيون هم الذين وضعوا معظم المصادر الأساسية والمؤلفات الممتازة فى الدراسات القرآنية والفقه وعلم الكلام وقواعد اللغة والمعاجم والبلاغة ، والأدب من جهة اخرى . ومن الظواهر التى تستحق التسجيل فى هذا العصر وهو العصر العباسى الأول وعصر ظهور بيت الحكمة هو تدوين التراث العربى كله شعره ونثره ، فكان هذا العمل الجليل من اهم منجزات بيت الحكمة فى تاريخ الفكر العربى(177) .

وفى الحق لا نريد أن نمر بهذه الظاهرة مرورا عابرا فهى من أهم آثار بيت الحكمة التى نحن بصددها ، انما ينبغى أن نقف عندها ونسأل عن الدوافع التى ادت الى مثل هذا الحادث الفكرى ثم نتحدث عن تفاصيله مشيرين الى نتائجه ، فالطاقات الجديدة التى دخلت فى الاسلام واستعربت والملايين المتعطشة الى المعرفة لم يكن من المعقول أن تقنع بالتراث الذى يحتكر روايته شفاها جماعة من الحفاظ انما كانوا فى حاجة الى أن يجدوا بين أيديهم التراث كله مجموعا ليكون غذاء لروحهم ووقودا لنهضتهم ، كما أن النظرة العلمية الجادة التى جاءت نتيجة للاحتكاك بالفكر الهلينى بوجه خاص نتيجة لاسلام الموالى واستقرارهم .

ولم يكن من المعقول أن ننظر نظرة الاعتبار الى التراث المروى مشافهة لما كانت الحاجة ماسة الى متون بين يديها تقتلها درسا وبحثا . وثمة اعتبار آخر نبع من المفكرين العرب أنفسهم الغيورين على تراثهم الفكرى هو خوفهم الى أن تمتد الى هذا التراث غير المكتوب يد الوضع والانتحال والتزييف بسبب الاعتبارات التى استجدت على الحياة العربية فى القرن الثانى الهجرى ، كالشعوبيين الذين كانوا ينقلون من الثقافة العربية ويزدرون بكل ما هو عربى(178) .

وكان العربى فى حاجة الى مواجهة هذه الحركة وبعث أمجاد العرب القديمة والتاريخ الماضى العربى ، كما أن الفرق الدينية والتيارات السياسية المتضاربة

---

(177) د. حسن أحمد محمود وزميله : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص 261 .

(178) د. حسن أحمد محمود وآخرون ، العالم الاسلامى فى العصر العباسى ، ص 262 ، 263 .

كانت تمد الى التراث العربى لتلتمس منه ما يؤيد وجهة نظرها ، وتكسب نشاطهـا طابعـا مشروعا . وهـذا ما جعـل الخلفاء العباسيين يهتمون بالمؤسسات العلمية والثقافية كبيت الحكمة حيث عينوا لـه جلة العلماء ، للترجمة والتصنيف والنسخ والتجليـد والاشراف ورتبـوا لهم المرتبات والأجـور السخية لكى يخـدموا النهضة العلمية وليقـوموا على وجـه الخصوص بأعمال الترجمة ومن هؤلاء يوحنا بن ماسويه وجبريل بن بختيشوع وحنين بن اسحاق وغيرهم .

## ثالثا ـ نشر روح اليقظة الاسلامية فى المجتمع العباسى :

لو نظرنا لتمازج الثقافات الذى حدث فى بغداد وفى بيت الحكمة ومن يعمل بها لوجدنا أنه لما عمرت بغداد[١٧٩] توافد الناس اليها من كل حدب وصوب فريق يطلب الكسب وفريق تستهويه الحياة العلمية والفكرية وفريق يطلب حية الترف ، فاذا بغداد معترك تشارك فيه الى جانب العربى الفارسى والرومى والنبطى والتركى والصينى والهندى والبربرى والزنجى وفيهم المسلم والنصرانى واليهودى والصابئى والسامرى والمجوسى والبوذى وغيرهم .

وهؤلاء بلا شك قد حملوا الى بغداد الوانا من الفكر والثقافة سرعان ما انتفعت بها بغداد وأثرت فيها . وقد شهد المجتمع البغدادى[١٨٠] تكتلات اجتماعية قائمة على أساس قومى منذ العقد الأخير من القرن الثانى الهجرى . وتمثل ذلك أيضا فى انقسام عنصرى ومناقشات بين العرب والعجم . ويلمس المقدسى[١٨١] : وجود ظاهرة التكتل القومى والمذهبى فى أسواق بغداد ، عندما يشير الى وجود المجوسى ضمن العاملين فى أسواق بغداد ( العاصمة ) بالاضافة الى اهل الذمة . سواء أكانوا من النصارى أو اليهود ، مع وجود اغلبية مسلمة من الحنابلة والشيعة . وما بين أولئك من مشاحنات تنعكس على علاقاتهم مع بعضهم البعض .

وقامت الدولة العباسية[١٨٢] على رأس مواليها من أهل خراسان والعراق ، وكان لهؤلاء الموالى شأن كبير فى السياسة والعلم والتعليم ، فمن هؤلاء الموالى علان الشعوبى وسلم وغيرهم ممن قام بدور بارز فىتنظيم بيت الحكمة واعلاء شأنها . وساهم أهل الذمة فى بغداد فى ازدهار الحركة العلمية فى العصر العباسى الاول ونشر المعرفة ، فأسسوا المدارس وقاموا بالتدريس لابناء كبار رجال بغداد ، وترجموا من اللغات الأجنبية الى اللغة العربية . ذلك أن الخلفاء العباسيين الاوائل عنوا بترجمة الكتب العلمية ، واستعانوا بأهل الذمة فى حركة الترجمة[١٨٣] .

---

(١٧٩) ابن قتيبة : المعارف ص ٢٩ ، ٣٠ .

(١٨٠) د. حمدان الكبيسى : ( **أسواق بغداد فى بداية العصر البويهى** ) . ( مطبعة وزارة الاعلام ـ بغداد ـ العراق ١٩٧٩ م ) ص ٣٧٤ ، ٣٧٥ .

(١٨١) المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ص ١٢٦ .

(١٨٢) الشيخ محمد الخضرى : ( **التشريع الاسلامى** ) . ( المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر ـ القاهرة ١٩٧٠ م ) ص ١٧٠ .

(١٨٣) د. عصام الدين عبد الرؤف : الحواضر الاسلاميه الكبرى ص ١٨٢ .

وقــدر الخلفاء جهودهم ومنحوهم الرواتب الجزيلة ، وكان الخلفاء يرسلون العلمــاء الموثوق بهم من أهــل الذمة الى الدولة البيزنطية لابتيــاع طرائف الكتب وغرائب المصنفات فى الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب ، ويعهدون الى التراجمة من أهــل الذمة بنقل هــذه الكتب الى العربية(١٨٤) .

ومن أشهر من ساهم فى حركة الترجمة بنصيب موفــور من أهــل الذمة حنين ابن اسحاق ، نشأ على حب العلم ، وتتلمذ على الطبيب الحاذق يوحنا بن ماسويه ، وتوجــه الى الدولة البيزنطية ، وأقام بها فترة من الوقت يدرس خلالها اللغــة اليونانية ، وعــاد الى العراق ودرس اللغــة العربية دراســة مستفيضة على الخليل ابن أحمد ، ثم عاد الى بغــداد ومكنته معرفته القــوية باللغتين اليونانية والعربية من القيام بنشاط كبير فى حركة الترجمة(١٨٥) .

ان بغــداد(١٨٦) لم تكن العاصمة السياسية ومركز الخلافة فحسب بل كانت الى جانب ذلك ملتقى العلماء والتجار ، وزعماء الحركات السياسية والمذهبية . لكن أكبر حزبين كانا بهــا ، فى بداية القرن الرابع الهجرى ، هما الحزبان المتشددان فى التمسك بمذهبهما وهما الحنابلة والشيعة . وليس هذا غريبا فى المجتمع العباسى(١٨٧) الذى تمثل الاسلام وعرف قــدر العلم ومكانته ، فهيأ له وسائله واخــذ بأيدى أهله الى أعلى الدرجات ، وليس عجبا أن يسارع المسلمون الى المكتبات ، وحــوانيت الوراقين ، ومؤسسات التعليم ما دام الاسلام قــد فتح أبواب العلم امام المسلمين جميعا ، وحث على التعليم ، وجعــل العلم أساسا فى رفــع الدرجات وان كان كل ذلك لمــا يدهش له الباحثون من غير المسلمين ، لأنهم لم يقفوا فى التاريخ على امة امدت الحضارة الانسانية بالتراث الفكرى كأمة الاسلام .

وكانت الدولة العباسية فى اولى مراحلها وايامها تحتــاج الى توطيــد أركانهــا واستكمال بنيانها مثلها فى ذلك كمثل كل دولة حــديثة ناشئة ، ولقــد كانت عناصر الحياة الاجتماعية فى بغــداد ثراء عريضا ينصب فى أيدى الخلفاء من منابع عــديدة

---

(١٨٤) Hitti, P. K. : The History of Arabs, London 1949, p. 327.

(١٨٥) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ١٨٢ .

(١٨٦) آدم متز : ( **الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى** ) ترجمة د. محمد عبد الهــادى ابو ريده ( مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ط ٢ – القاهرة ١٩٤٧ م ) ج ١ ص ٨٧ .

(١٨٧) د. محمد عجاج الخطيب : لمحات فى المكتبة والبحث والمصادر ص ٤١ .

وحياة عقلية راقية بلغت مبلغها من النضج واقبلت على بغـداد من كل مكان فنـا وغناء وحياة طرية مترفة ، بدأت فى الحجاز وانتقلت الى الشام والكوفة ثم جنت ثمارها بغـداد(١٨٨) .

---

(١٨٨) أحمد عبد الستار الجوارى : ( **الشعر فى بغـداد حتى القرن الثالث الهجرى** ) ٠ ( مطبعـة وزارة الاعـلام - بغـداد - العراق ١٩٦٥ م ) ص ٣٦ ٠

**رابعا — انقاذ التراث بادخال نظام المكتبات على العالم الاسلامى لحفظ التراث من الضياع :**

أما الحياة العقلية(١٨٩) فقد شهد العراق بواكيرها من قبل أن تنشأ بغداد او تظهر الدولة العباسية الى الوجود . فكانت نشأة المعتزلة فى البصرة ، وكانت نهضة الرواية وعلم اللغة فى الكوفة . ثم قام الخليل بن أحمد وتلاميذه فى البصرة والكوفة فكانت المذاهب النحوية والدراسات اللغوية والأدبية . وعلى الجملة فقد قامت بغداد وربيع الفكر فى ابانه والحياة العقلية مزدهرة تؤذن بثمار دانية القطوف . وتلاقت هذه المقومات الاجتماعية فى المجتمع البغدادى فطبعته بطابع متميز ، عرفه التاريخ بالمزاج البغدادى ، واشتهر بالظرف وتذوق الحياة ، والاستمتاع بألوانها وضروبها المختلفة ، وكانوا الى جانب استمتاعهم بالحياة وترفها يقبلون على العلم ويطلبون منه نصيبا حسنا حتى لقد قال فيهم أحد المحدثين « ما رايت اعقل فى طلب الحديث من أهل بغداد »(١٩٠) .

ومن عوامل التجديد فى بغداد غلبة الاعاجم على الحياة الاجتماعية وصيرورتهم عنصرا اساسيا من عناصر التوجيه الاجتماعى ، فانطبع المجتمع العباسى فى كثير من نواحى الحياة فيه بطابع غير عربى ، وعرف الترف والبذخ واصبح اللهو والشراب والانس أشبه شىء بالضرورة اللازمة للحياة . وكان فوق ذلك من تزلزل بعض القيم الاجتماعية التى سار عليها المجتمع الاسلامى محتفظا بالتقاليد العربية(١٩١) .

وحدث من جراء ذلك ايضا ان اعان القوم على تسرب الحضارة الفارسية الى الحضارة العربية ، ودخول الأفكار الغريبة والعقائد الأجنبية التى اتضح أن من أغراضها ومراميها زلزلة العقيدة الاسلامية ، ومهاجمة الدين الذى حمله العرب فى عقر دارد(١٩٢) . ولعله من المسلم به القول بأن العصر العباسى الأول(١٩٣) شهد

---

(١٨٩) أحمد عبد الستار الجوارى : الشعر فى بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجرى ، ص ٤٠ ، ٤٥ .

(١٩٠) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ج ١ ص ٥٠ .

(١٩١) احمد عبد الستار الجوارى : الشعر فى بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجرى .

(١٩٢) احمد الشايب ( **العامل السياسى فى ادب العصر العباسى الأول** ) . ( مكتبة نهضة مصر الفجالة — القاهرة — بدون تاريخ ) ص ٢٥ .

(١٩٣) د. فاروق عمر : ( **العباسيون الأوائل** ) . ( مطبعة الرسالة — بغداد — العراق ١٩٦٣ م ) ج ١ ص ٩١ .

نشاطا كبيرا فى الحقول الفكرية والعقلية فى المجتمع الاسلامى وما نتــج عنه من ظهور المدارس المختلفة فى التفسير والتشريع واللغة والآداب والتاريخ وعلم الكلام وغيرها من العلوم العقلية والنقلية . ممـــا جعل تنظيم المعارف يبدأ الى جانب التدوين الذى فتح امام المجتمع العباسى آفاقا جــديدة فى المعرفة ، فاطلعوا على طائفــة من الآثار الأجنبية فى العلوم والفلسفة وبخاصة الآثار اليونانية والفارسية والهندية فأدى ذلك الى النهضـــة العلميـــة التى رعاها الخلفـــاء والوزراء والأمراء والعلمـــاء والأدباء والشعراء . فقــد وصلت بغــداد فى عهد الرشيد الى قمة مجــدها ومنتهى فخارها ثم لمـــا افضت الخلافة الى المـــأمون أتم ما بداه جــده المنصور فأقبــل على طلب العلم فى مواضــعه واستخراجه من معادنه . فداخــل ملوك الروم وسألهم عما لديهم من كتب الفلاســـفة فبعثـــوا بمـــا حضرهم من كتب أفلاطـــون وأرســـطو وأقليدس وجالينوس وبطليموس وغيرهم[١٩٤] .

على أن اكثر هؤلاء الخلفاء قربوا اليهم العلماء والأدباء واستوزروهم وزادوا فى انشاء المكتبات وجلبوا لهـــا نفائس الكتب ، ولم يضنوا فى سبيلها بمخزون التـــلاد فقامت المكتبات العلمية بدور فعال فى نشر العلم والثقافة بين أبناء الأمم الاسلامية ، وقامت أيضا بحفظ التراث من الضياع ، فلا يقــل دورها عن دور المساجد والمدارس فى النهضة العلمية لأن الكتب فى ذلك الوقت لم تكن ميسرة[١٩٥] . وكان المهتمـــــون بالعلم والمعرفة يذهبـــون الى المكتبات العالمية حيث تتوافر الكتب والمراجع فيقراون ويطلعون على آراء الأقـــدمين من العلماء عن طريق كتبهم وآثارهم .

ويحـــق لنا أن نطلق على المكتبات اسم « المعاهـــد العلمية » لأن الدور الذى كانت تقـــوم به لا يقــل عن دور المعاهـــد الرسمية ، وكثيرا ما كانت تمثل هـــذه المكتبات النوادى الفكرية حيث يجتمع طـــلاب المعرفة ومحبوها تدور بينهم المناظرات والمناقشـات . فالتشجيع العلمى والتزام الدولة بتقــديم كل ما يلزم لكل طلاب العلم والمعرفة . ولا شـــك أن انتشار المكتبات العامة فى أرجاء العالم الاسلامى فى العصور الوسطى واتباعها هـــذه الأنظمة وفتح الأبواب لكل قارىء ، وتسخير كل هـــــذه الامكانيات لخــدمته دليل ناطـــق على تقـــدم العرب الفكرى والعلمى ومدعـــــاة للفخر ، ويسجل لهم ولتاريخهم بمـــداد من نور . فقـــد اثبتت مؤسسة بيت الحكمـــة الثقافية انها ســـاهمت فى انقاذ التراث وادخال نظام المكتبات على العـــالم الاسلامى لحفظه من الضياع . وهكذا بقيت بغـــداد مهـــد الحضارة ، ومقر العلم والنور وعين العـــالم الاســـلامى وقلبـــه .

---

(١٩٤) محمد عبد الجواد الأصمعى : أبو الفرج الأصفهانى . ص ٢٦٥ .

(١٩٥) د. محمد فاروق النبهان : مبادىء الثقـافة الاسلامية . ص ٣٣ .

# الباب الثاني



ويشمل الفصـــول الآتيــة :

الفصـــل الأول : تاريخ المدارس الاسلامية وأثر بيت الحكمة فيها .

الفصـــل الثانى : التدريس والمدرســون فى بيت الحكمة .

الفصـــل الثالث : حركة التأليف فى بيت الحكمة .

الفصـــل الرابع : المباحثة والمناظرة بين العلماء والخلفاء والوزراء فى بيت الحكمة .

# الفصل الأول : تاريخ المدارس الإسلامية وأثر بيت الحكمة فيها



١ ـ نشأة المدارس الاسلامية قبل انشاء بيت الحكمة .

٢ ـ المدارس الاسلامية حالتها بعد انشاء بيت الحكمة .

٣ ـ أثر بيت الحكمة فى المدارس الاسلامية .

ان الأمم التى تبغى مجـدا عليها أن تخلق فى الأفراد روح الايمان بقابليتهم على الابتداع ، وأن تنشىء فيهم الشعور بالعزة القومية وذلك الاهتمام بماضيها وربطـه بحاضرها وتعريف الناشئة بجهود أسلافهم ومآثرهم فى ميادين العلوم وما كان لهـا من أثر فى تقـدم الحضارة(١) .

وبغـداد كما وصفها المقـدسى فى قـوله : « بغـداد ( لأهلها ) الخصائص والظرافة ، والقرائح واللطافة هـواء رقيق وعلم دقيق كل جيد بها ، وكل حسن فيها ، وكل حاذق منها ، وكل قلب اليها ، وكل حرب عليها ، وهى أشـهر من أن توصف ، وأحسن من أن تنعت ، وأعلى من ان تمـدح »(٢) .

بلغت بغـداد حاضرة بنى العباس من الرقى درجـة لم تبلغها مدينة غيرها فى تلك العصور ، فكانت زهرة المشرق وجنـة الدنيا . شيدت فيها القصور حتى سميت مدينة القصور ، وغرست فى أنحائها البساتين والحـدائق الغناء ، وامتلأت بالميادين الكبيرة ، منها ( الميدان المربع ) وكان ميدانا فسيحا أمام قصر الخليفة تقـام فيـه استعراضات الجند والمباريات الرياضية وسباق الخيل ووضعت بطرقاتها المصابيح للانارة ليلا ، وازدحمت المدينة بالمساجد الكبيرة التى شيدت فى بناء ضخم على شكل هندسى جميل وازدانت جـدرانها بالزخارف البديعة والنقوش الزاهيـة . وبزت بغـداد سـائر المدن بمـا حـوته من أسباب المدنية الزاهرة اذ امتلأت بالمدارس ، ودور العلم التى كانت تدرس بها سائر العلوم ، وأقيمت بها دور الشفاء والملاجىء . وأتى النـاس أفواجا من جميع أنحـاء الدولة الى ( دار السلام ) واتخـذوها مقرا لهم ، وبلغ عـدد سكانها فى ذلك الحين قرابة مليونين من السكان(٣) وخلاصة القول :

---

(١) قدرى حافظ طوقان : ( **تراث العرب العلمى فى الرياضـيات والفلك** ) . ( دار الشروق — بيروت — لبنان ١٩٦٣ م ) ص ٢٣ .

(٢) المقـدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ١١٩ .

(٣) د. محمود أحمـد الحفنى : ( **اسـحاق الموصـلى** ) . ( المؤسسة المصرية العامة للتاليف والنشر — القـاهرة ١٩٦٤ م ) ص ٥٢ .

كانت بغداد عروس المدائن ومنارة الحواضر . اما الخلفاء العباسيون الأول فكانت لهم أثناء قرن كامل من ( ١٣٢ هـ/٢٣٢ هـ ) الكلمة العليا التامة على العالم الاسلامى شرقا وغربا يأتمر الناس بأمرهم ، وليس لأحد مهما علت منزلته وكبر شأنه أن يرد لهم قولا أو يعصى لهم أمرا . وكانوا فى حياتهم مثال الأبهة والجلال ، وكان الخليفة يجمع بين السلطتين المدنية والدينية ، وهو الرئيس الأعلى فى الأمور السياسية والعسكرية ، ومصدر القوة ومرجعها وقد اخذت الدولة العباسية من مظاهر الأبهة والعظمة ما لم تعرفه الدولة الأموية من قبل(٤) .

كانت مدينة العصر العباسى أزهى عصور العروبة والاسلام تتجلى فى مناحى مختلفة ومذاهب من الفنون والعلوم متعددة نشهدها فى مجالى الحياة المشرقة بعمران المدن ، وازدهار الحضارة التى تترجم عنها دور الحكمة . وتعبر عنها المدارس والمعاهد ومجالس العلماء ومناظراتهم فى مساجد بغداد والبصرة والكوفة تلك المدينة التى شع نورها حتى شملت كافة الأقطار الاسلامية . وترتبط الحياة الثقافية بالعواصم والمدن الكبرى ، ويمكن أن يرد تاريخ الثقافة فى أمة الى تاريخ بعض مدنها ، وهذه المدن مقصد طلاب العلم والمعرفة ، يحجون اليها كما يحجون الى الأماكن المقدسة ، وقد لا يقنعون لمجرد الرحلة والزيارة ، بل يستقرون ويقيمون حيث اطمأنت نفوسهم فطاب لهم البحث والدرس . والمدن العلمية كانت ولا تزال ملتقى الأجناس والشعوب المختلفة ، وهى تتنافس عادة فيما بينها وتتسابق فى انشاء المعاهد والكليات وبناء قاعات البحث والمكتبات واقتناء الكتب والمخطوطات واجتذاب العلماء وكبار الباحثين(٥) .

وبغداد من اكبر عواصم الدنيا فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين ورثت ملك كسرى ومعظم بلاد الدولة الرومانية وفتحت ابوابها لثقافات الشرق والغرب فأخذت منها ما أخذت وأضافت اليها ما اضافت واصبحت اكبر مركز ثقافى فى العالم قامت فيها طوال اربعة قرون أو يزيد دراسات دينية ولغوية وعلمية وفلسفية قد لا يكون لها نظير فى مدينة اخرى(٦) .

---

(٤) المرجع نفسه ص ٥٣ .

(٥) د. محمود احمد الحفنى : اسحاق الموصلى ص ٨١ ، ٨٢ .

(٦) د. احمد فكرى : ( ابحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ) . ( دار المعارف بمصر ـ القاهرة ١٩٧٨ م ) حـ ١ ص ٥١ ، ٥٣ .

فقد كان العراق فى القرن السادس الهجرى يموج بحركة ثقافية لا حدود لها شغلت الجميع على اختلاف مذاهبهم واجناسهم وأعمارهم ودياناتهم . لقد كانت المدارس والجوامع والمكتبات البغدادية تغص بطلاب العلم وعشاق المعرفة من الأقطار المجاورة والبعيدة على حد سواء ، حتى ليندر أن نجد عالما اشتهر وذاع صيته فى العالم الاسلامى يومذاك دون أن تكون بغداد صاحبة الفضل عليه ، ويكفى العراقيين فخرا أن المدرسة النظامية ببغداد كانت المعهد الذى يطمح كل عالم ان يدرس فيه(٧) .

---

(٧) د. حسين أمين : ( تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ) . ( مطبعة الارشاد ـ بغداد ـ العراق ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥ م ) ص ٢٢٨ .

## اولا — نشأة المدارس الاسلامية قبل انشاء بيت الحكمة :

ان التربية والتعليم فى الاسلام ترمى الى هدف مزدوج وهو سعادة المرء فى الدنيا والآخرة . فقد سمحت للفرد بالتنعم فى الدنيا والعمل للحياة الآخرة . فقد دعا الاسلام الى الصدق فى القول والاخلاص فى العمل ، والاستقامة فى السلوك والى ضبط النفس والى التعاون والبذل والمفاداة ، كما مجد الحرية والمساواة فعاشت الأمة الاسلامية كريمة مرهوبة الجانب محبة للنظام تعمل اذا دعيت للعمل ، وتبذل الغالى والرخيص اذا أريد منها البذل والمفاداة(٨) .

وللقرآن الكريم الفضل الأكبر فى انتشار التعليم والتهذيب بين العرب والمسلمين ، فقد تناول الأخلاق والمزايا الشريفة ، وحدد علاقة الفرد والعائلة ، ووضع للمرأة حقوقا وواجبات وحض على تعلم العلم ، وصار القرآن العظيم اصل التعليم فى العالم الاسلامى ، واختلف المسلمون فى اقطارهم فى طرق تعليم القرآن للولدان باختلافهم . واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم — المسجد الدراسة واستمر المسجد مكانا لتعليم القرآن والحديث والقصاص ينطقون والفقهاء يعلمون الفقه مدة العهد الأموى — وكان هناك حلقات علوم الدين وحلقات لعلوم اللغة العربية(٩) .

لقد وجه الاسلام جل عنايته واهتمامه بطلب العلم وجعل القرآن الكريم الاشخاص غير المتعلمين فى عداد الأموات فى حين جعل المتعلمين فى مصاف الأحياء وقد اعترف الرسول الكريم بأن حبر العلماء يرتقى الى مصاف دم الشهداء(١٠) . وقال ايضا ان الطريق الموصل الى معاهد العلم هو الطريق الموصل الى السموات ، وان الله عز وجل حينما يريد أن يكرم شخصا يمنحه نور العلم والمعرفة ، معرفة الدين والاحاطة بأصوله وفروعه(١١) . ان هذه الأقوال وما يماثلها من اقوال وتعاليم أخرى قد تركت انطباعا عميقا فى أذهان جمهرة المسلمين ، ففى فترة وجيزة من التاريخ أنجب الاسلام مشاهير العلماء . ويكفى أن نشير الى أنه

---

(٨) عمر رضا كحاله : ( **المرأة فى عالمى العرب والاسلام** ) . ( المطبعة الهاشمية — دمشق ١٣٧٩ هـ/١٩٥٩ م ) ج ٢ ص ١١٢ .

(٩) المرجع نفسه ص ١١٣ .

(١٠) محمد رستم نيوان : ( **المكتبات فى العصرين العربى والاسلامى فى العصر الوسيط** ) . مجلة الاسلام والعصور الحديثة ، نقلا عن مجلة المورد عـ ٤ . ( بغداد — العراق ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م ) ، ترجمة يوسف عبد القادر ، ص ٢٨٤ .

(١١) المرجع نفسه ص ٢٨٤ .

فى القرن السادس الميلادى ظهرت المبادىء الاسلامية التى دعا اليها الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومنذ انبثاقها كان التعليم قرينا لهـا وكانت أولى الآيات القرآنية تشير الى العلم كما قال تعالى : « **اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم** »[١٢] .

وهناك آيات عديدة تدعو المسلمين الى طلب العلم وتحثهم على التعلم ، قال تعالى : « **يرفع الله الذين آمنوا منكم ، والذين أوتوا العلم درجات** »[١٣] . كما كانت الآيات القرآنية الكريمة ترفع من قدر العلم وتعلى شأن العلماء وتمجد العقل والمعرفة وتخفض من الجهل وأهله وكثيرا ما تقرنه بالعمى وتشبهه بالضلالة والظلمات الحالكة كما قال تعالى : « **وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور** »[١٤] . « **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** »[١٥] . « **لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك ... أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما** »[١٦] .

وقد اعتبر القرآن الكريم التعليم من وظائف النبى صلى الله عليه وسلم حيث جاء فى قوله تعالى : « **وقل رب زدنى علما** »[١٧] . « **ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، انك أنت العزيز الحكيم** »[١٨] . « **فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون** »[١٩] .

ومن الأحاديث النبوية الشريفة التى تدعو للعلم وتمجد العلماء قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « وان العلماء ورثة الأنبياء ورثوا العلم من أخذه أخذ بحظ وافر »[٢٠] . « ومن سلك طريقا يطلب به علما سهل الله له

---

(١٢) سورة العلق ، الآيات من ١ الى ٥ .

(١٣) سورة المجادلة ، الآية ١١ .

(١٤) سورة فاطر ، الآيات من ١٩ الى ٢١ .

(١٥) سورة الزمر ، الآية ٩ .

(١٦) سورة النساء ، الآية ١٦٢ .

(١٧) سورة طه ، الآية ١١٤ .

(١٨) سورة البقرة ، الآية ١٢٩ .

(١٩) سورة النحل ، الآية ٤٢ .

(٢٠) الامام الحافظ أبو عبد الله بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخارى الجعفى أمير المؤمنين فى الحديث : ( **صحيح البخارى** ) . ( عالم الكتب - بيروت ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م ) ج ١ ص ٤٥ .

طريقا الى الجنة »(٢١) . « ومن يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين »(٢٢) . « ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا بما صنع »(٢٣) . « اطلبوا العلم ولو بالصين »(٢٤) . « يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدماء الشهداء »(٢٥) . « طلب العلم فريضة على كل مسلم »(٢٦) . « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب »(٢٧) . « غدوة فى طلب العلم ، أحب الى الله من مئة غزوة »(٢٨) .

وقال سيدنا على رضى الله عنه(٢٩) :

**وما الفخر الا لأهل العلم انهم — على الهدى لمن استهدى أدلاء**
**وقدر كل امرىء ما كان يحسنه — والجاهلون لأهل العلم أعداء**
**ففز بعلم تعش حيا لـه أبدا — الناس موتى وأهل العلم أحياء**

وما من شك أن التعليم من مستلزمات تطور وازدهار المجتمع الانسانى وهو من أبسط مظاهره ، ليس سوى تكييف الفرد مع ضروريات الحياة ولوازمها فى بنيته ، واذا كان الاسلام هو النظام الموجه للحياة عند المسلمين بكل مظاهرها فقد كان فهمه ودراسته أمرا لابد منه لأفراد الجماعة الاسلامية ، فالتعليم اذن كان من مستلزمات الدعوة الجديدة لتحقيق التربية الصحيحة التى تهدف الى الدعوة الاسلامية .

ومن الواضح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستهدف بناء أمة جديدة وانشاء حكومة تضاهى الحكومات القائمة فى عصره من وجود طبقة متنورة تتحمل عبء الدولة والدعوة . ولها قوة الحجة والمقدرة على الاقناع بالطرق العلمية . وتذكر المراجع(٣٠) التاريخية أنه لم يكن بين العرب عدد كثير من الذين يتقنون القراءة والكتابة .

ويذكر القلقشندى(٣١) : « ان عدد الكاتبين من بين العرب عند بعث النبى

---

(٢١) ، (٢٢) المصدر نفسه .

(٢٣) الغزالى : ( **احياء علوم الدين** ) . ( مطبعة الحلبى — القاهرة ١٣٥٨ هـ/١٩٣٩ م ) جـ ١ ص ١٨ .

(٢٤) ، (٢٥) ، (٢٦) ، (٢٧) ، (٢٨) ، (٢٩) : المصدر نفسه جـ ١ الصفحات : ١٨ ، ١٥ ، ١١ ، ١٦ ، ٣٢١ ، ١٧ .

(٣٠) د. حسين أمين : ( **نشأة الحركة العلمية فى العراق** ) . مجلة المؤرخ العربى — بغداد — العراق . س ٤ ( ١٩٧٧ م ) ص ٩ .

(٣١) القلقشندى . صبح الاعشى جـ ٣ ص ١٥ .

صلى الله عليه وسلم لم يكن يزيد على بضعة عشر نفرا » . ولهـــذا كان من اهـــداف النبى صلى الله عليه وسلم العمل على نشر التعليم بين المسلمين وتشجيعهم على ارتياده وواكب المسجد الدعوة الاسلامية ولازمها كما كانت المعاهـــد الاولى للتعلم فى صـــدر الاسلام ، وأصبح المسجد المكان الطبيعى والملائم لتلقى العلوم . وانتشرت المساجد فى جميع أنحاء العالم الاسلامى ، فقامت بدورها ورسالتها الدينية والتهذيبية والتعليميـــــة .

ولا شـــك أن المسجد فى صـــدر الاسلام كان هـــو المنتدى الوحيد فى اى مدينة اسلامية ، فيه يلتقى العرب المسلمون بغيرهم من ابناء الشعوب المختلفة ، وهـــذا الالتقاء أدى الى أن يتعرف الفرس مثلا فى العراق على الأفكار الدينية الجـــديدة . ويتلقونها باللغـــة العربية الفصحى ، كما يتعرفون على تراثهم الفكرى ، وبخاصـــة التراث الأدبى . ويعتبر المسجد من مظاهر الحضارة وعناصرها فى الاسلام ، بأهميته الكبرى فى الحياة الدينية والسياسية والفكرية ، ففيه تقـــدم فرائض الدين وفيـــه يبايع الخلفـــاء والأمراء وتبحث أمور الحرب والســـلم ، وكثيرا ما تحـــدث فيـــه التجمعات السياسية وكان الأمير يعلن فيـــه ما أنيـــط به وما اعتزمه من أمر . وبقى المسجد الى أواخر القرن الثالث الهجرى على الأقـــل المدرسة التى يتلقى فيها الناس العلم والمعرفة ويلتقى فيها العلمـــاء والأدباء فيتناقشون او يلقـــون المحاضرات فى حلقـــاتهم وينشرون علمهم كما يقـــول القصاصـون والوعاظ بوعظ النـــاس وارشادهم وتبصيرهم بمبادىء الدين الاســـلامى .

وقـــد صنف الكثير من الكتب فى المساجد الاسلامية ويؤكد ذلك المخطوطات الكثيرة المنتشرة فى أنحاء العالم[٣٢] وفيها يشير مؤلفـــوها وناسخوها بأنهـــا ألفت ونسخت فى عـــدد من المساجد كما أن كتب التاريخ والتراجم تزخر بأخبار العلمـــاء والفقهاء الذين اتخـــذوا من المساجد أمكنة فيها يتزودون بالعلوم والمعارف وفيهـــا يقيمون ويعيشـون ويتدارسون ويدرسون ويؤلفون آثارهم الفكرية . فلم تكن المساجد مجرد أماكن تؤدى فيها الصلوات فحسب بل كانت منبرا للعلوم والمعارف كما ارتفعت كلمات الرسول صلى الله عليه وسلم فـــوق مجـــد التدين الاعمى . « حبر الطالب أقـــدس من دم الشهيد » .

وحـــول أعمـــدة الجامع كان يجلس الاستاذ ويلتف حوله الطلبة او التلاميذ

---

(٣٢) محمد سعيد الطريحى : ( **خزائن الكتب الاسلامية القديمة فى الكوفة** ) . مجله المورد المجلد ٩ عـ ٤ ( ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م ) ص ٣٠١ .

لتلقى العلم وكانوا يسمونه فى ذلك الوقت حلقة وينسبون كل حلقة فى الغالب الى أستاذها فيتناولون حلقة أبى اسحاق الشيرازى فى جامع المنصور . وهـذه الحلقـة أبوابها مفتوحـة لمن يشاء رجـلا كان أو امرأة لكل الحـق فى سـؤال الأستاذ أو مقاطعته معارضا ، وكان هـذا النظام أكبر دافـع للأساتذة يدفعهم دائما للاعـداد المتقن فى دروسهم والتعمق فيها . كما كان لأى معلم الحق فى أن يلقى ما شـاء من محاضرات وأن يتخـذ الأستاذ الموضوع الذى يريد الحـديث فيه ولكن الجمهور المثقف الواعى بنقـده الدائم ويقظته كان يحمى تلك المجالس من أن يتسرب الى قيادتها مدعى علم أو من لم تنضج ثقافته وتكتمل(٣٣) .

وحـول اعمـدة المساجد اتيحت دائما للطلاب فرصة الاستماع الى الأساتذة الزائرين من كل انحـاء العـالم المترامى الأطراف . ولقـد كان المتعلمون فى طريقهم يزورون مراكز الثقافة الاسلامية الواقعـة فى بغـداد ودمشق .

وقـد ادت مساجد العراق قسطا كبيرا فى نشر العلوم والمعارف وكانت بحـق مراكزها منارات للاشعاعات الفكرية ، وقـد اشتهرت مساجد عـدة كانت أشـبه بالجامعات اليوم وأهمها جامع المنصور ببغـداد . وكان لهـذا الجامع العظيم المكانة العلمية فى بغـداد وكان لا يفـوز بالتدريس فيه الا كبار العلماء الذين أوتوا حظـا كبيرا من العلم والمعرفة . فقـد انشأ هـذا الجامع الخليفة العباسى عندما بنى مدينة بغـداد عام ١٤٦ هـ وجعله ملاصقا لقصره الشهير ( قصر الذهب ) وأعاد الرشيد بناءه مـع زيادة مساحته ، ثم أضيفت زيادات كثيرة فى عهد الخلفاء العباسيين(٣٤) .

أما جامع البصرة فقد كان من اهم المراكز العلمية فى العراق . وشهد هذا الجامع حلقات المعتزلة التى احدثت حركة الاعتزال ، فلعبت دورا كبيرا فى الاتجاهات الفكرية والسياسية فى العالم الاسلامى فى العصر العباسى الأول . وفى مسجد البصرة هذا كان الشعراء والأدباء يجتمعون ، وقـد ذكر الجاحظ انه ادرك بالبصرة رواد المسجد بين المريدين ، واتخـذ الخليل بن احمد الفراهيدى المتوفى عام ١٧٤ هـ المسجد مقرا لـه . ويعتبر الخليل اول من رسم علم اللغة واول من صنف فيه ويذكر ابن خلكان

---

(٣٣) زغريد هونكه : ( **شمس العرب تسطع على الغرب** ) . ترجمـه فاروق بيضـون وكمال دسوقى . ( المكتب التجارى للطباعة والتوزيع - بيروت - لبنان ط ١ ) ص ٣٩٦ . ٣٩٧ .

(٣٤) د. محمد حسين الزبيدى : ( **المراكز الثقافيـة فى العراق فى القـرنين الرابع والخامس الهجريين** ) . مجلة المؤرخ العربى - بغداد - العراق ع- ١٥ ( ١٩٨٠ م ) ص ٢٠٤ .

سبب وفاته أنه دخـــل المسجد فصـــدمته سارية وكان يقطع بحرا من العروض[٣٥] .
كما يعتبر الخليل بن احمد أول من وضـــع علم العروض وفن المعاجم فى العربية وقد عاش معظم حياته فى البصرة متزهـــدا متعففا ومن أشهر طلابه سيبويه المتوفى سنة ١٨٠ هـ والذى يعتبر امام البصريين فى النحـــو .

وهنـــاك المسجد الجامع فى الكوفة الذى بنى فى عام ١٤ هـ وأنشأه ســـعد بن أبى وقاص وجـــدده زياد بن أبيه عام ٥٠ هـ وقـــد كان لانتقال على بن أبى طالب الى الكوفة واتخاذه اياها عاصمة لـــه أثر كبير فى اذكاء النهضة العلمية فيها[٣٦] .
واشتهر مسجد الكوفة هـــذا بأنه كان مدرسة لاقراء القرآن ففيه كان يجلس الشيوخ الأمراء فيلقنون طـــلاب العلم القراءات التى رووها بأسانيدهم ومن أشهر قراء الكوفة عبد الله بن حبيب ربيعة الضرير وكان أول من جلس لاقراء القرآن الكريم فى مسجد الكـــــوفة[٣٧] .

كما كان مسجد الكوفة مركزا من مراكز دراسة الفقه وازدهارها . ففى هـــذا المسجد ظهرت بوادر مبادىء الفقه المبنى على التجرد واستنباط مفهومه من الكتاب والسنة ، كما ظهرت فى مسجد الكوفة أيضا مدرسة لتفسير القرآن الكريم ، واشتهر من رجالها سعيد بن جبير حيث كان عالمـــا بالتفسير ، وعلى بن حمزة الكسائى الذى انتهت اليه رياسة الاقراء بعـــد حمزة بن حبيب فكان يجمع طلابه ويجلس على كرسى يتـــلو عليهم القرآن الكريم ويسمعون ويضبطون فيه[٣٨] .

ويحيى بن زيد الفراء عنى بدراسة القرآن الكريم وتفسيره ويعتبر الفراء من نحاة الكوفة وشيوخها فى العربية قال ثعلب : « لولا الفراء لـــما كانت اللغـــة لأنه حصلها وضبطها ولولا الفراء لسقطت العربية لأنها كانت تتنازع »[٣٩] . لانها تاثرت باللغات الأخرى وبذلك كادت أن تفقـــد خصائصها الأصيلة لذا انبرى الفراء وأمثاله الى وضـــع قواعـــد الضبط فى اللغة للحفاظ على تلك الخصائص كما نجحوا نجاحا

---

(٣٥) ابن خلكان : وفيـــات الأعيـــان جـ ٢ ص ١٩ .

(٣٦) ابن الجزرى ، شمس الدين ابو الخير محمد بن محمد : ( **غاية النهاية فى طبقات القراء** ) . ( مكتبة الخانجى – مصر ١٣٥ هـ/١٩٣٢ م ) جـ ٢ ص ٤١٣ .

(٣٧) المصـــدر نفســـه .

(٣٨) ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء جـ ٢ ص ٤١٣ .

(٣٩) الأنبـــارى ، ابو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ( **نزهـــة الألباء فى طبقات الأدباء** ) تحقيق محمد الفضل ابراهيم . ( دار نهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة – بدون ) ص ٦٥ .

بعيدا فى جعل اللغة العربية سهلة المنال لمن يريد تعلمها وضبطها ومطاوعة لارادة الكتاب للتعبير عن آرائهم وأفكارهم أعنى بهـذا انهم نجحوا فى جعل اللغة العربية سهلة المنال لمن يريد تعلمها وضبطها ، وبتطورها قادرة على مواكبة التطور الحضارى والمعايشة بين اللغـات الانسانية عامة .

وهكذا أصبحت المساجد الاسلامية فى العراق معاهـد مهمة تشد اليها الرحال للدرس والتدريس كما كان يطمع العلماء فى أن ينالوا منصبا تدريسيا فى تلك الجوامع لمكانتها العلمية[٤٠] . ومن اجـل أن يحقق المسجد مطامع مريديه وتيسير عملهم العلمى فقـد الحقت فى كل مسجد مكتبة عامرة تضم عـددا وفيرا من الكتب فى مختلف العلوم والفنون ، وقـد تسابق الناس الى تزويد تلك المساجد بالكتب وان بعض المسلمين كان يوقف كتبه على المساجد ، طلبا للأجر أو الحفـاظ عليها من أن تبـددها الأيدى وهكذا صارت بعض المساجد أشبه بالأكاديميات الثقافية .

وكان لهـذا الأثر الكبير فى نجاح الدرس والتدريس والبحث والتصنيف . والى جانب المسجد كمعهد للتعليم كانت توجـد أماكن اخرى لتعليم الأطفال وهى الكتاتيب ومفردها ( كتاب ) وفى الكتاب يتعلم الطفل القراءة والكتابة ومبادىء الدين الاسلامى ، وبعض المعلومات من الحساب والنحو وشيئا من اشعار العرب ، وتوجـه العنـاية فى الكتاب الى تحفيظ الصبيان القرآن الكريم[٤١] . ويتقاضى المعلم أجرا على عمله ، والدراسـة فى الكتاتيب أشبه بالدراسـة فى المدارس الابتدائية فى يومنا هـذا . أما الربط وهى جمع رباط وأصل الربط ما تربط فيه الخيول المعـدة للدفاع والمجاهـدة والمرابط هـو المجاهـد يدافع عمن وراءه فالرباط جهاد النفس والمقيم فى الرباط مجاهـد نفسه ويطلق ايضا على بيت الصوفية . ولم تكن الربط دورا مقصورة على التعبد والتزهـد ، وانما كانت فضلا عن ذلك مواضع للتأليف والتصنيف والاقراء والتثقيف والاجازة والمحاضرة وغيرها وكان من عادة واقف الرباط أن يجعل فيـه وقفا من الكتب للمطالعة والدرس والاستنساخ والمراجعة والاستشهاد ، وكان لخزائن الكتب فى الربط قـوام يتولون خزنهـا وصيانتها ومناولتها وترتيبها[٤٢] ومن أشـهر الربط فى بغـداد فى العصر البويهى :

---

(٤٠) ياقـوت الحمـوى : معجم الأدباء ج ٤ ص ٢٤٣ .

(٤١) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٤٣ .

(٤٢) د. محمد حسين الزبيدى : المراكز الثقافية فى العراق فى القرنين الرابع والخامس الهجريين عـ ١٥ ص ٢٠٥ .

( أ ) رباط الزوزني المتوفى عام ٤٥١ هـ[٤٣] .

(ب) رباط شيخ الشيوخ وقد بناه عميد العراق وقد اشار ابن الأثير الى ذلك بقوله « أما عميد العراق فقتله البساسيري وكان فيه شجاعة وله فتوة وهو الذى بنى رباط شيخ الشيوخ وقد شيد هذا الرباط على نهر المعلى »[٤٤] .

(جـ) رباط ابن رئيس الرؤساء الاولى ويعرف برباط الدركاه أما رئيس الرؤساء فهو الوزير أبو القاسم على بن الحسين بن احمد المعروف بابن مسلمه وكان كاتبا للخليفة القائم بأمر الله فاستوزره « ولقبه رئيس الرؤساء شرف الوزراء جمال الورى » ولما احتل البساسيري بغداد باسم الدولة الفاطمية قطع خطبة بنى العباس وخطب للمستنصر بالله الفاطمى وقبض على هذا الوزير وصلبه حتى مات مصلوبا سنة ٤٥٠ هـ .

وهكذا نرى أنه بجانب المجالس الزاهرة ورعاية الامراء والوزراء للعلم والمعرفة هناك سبب آخر لازدهار الفكر فى هذه الحقبة من الزمن هو تيسير الاطلاع والقراءة وتيسير التعليم وحضور الدرس الذى ادى الى ظهور مراكز لتدريس العلوم والمعرفة وهى اشبه بالمدارس اليوم ، فكان معظم هذه المراكز عبارة عن حلقات يجتمع فيها الطلاب حول مدرسهم ويلقى المدرسون على طلبتهم ما يحذقون من علوم دينية ودنيوية ثم تجرى مناظرة بين الطلاب ومدرسيهم وكانت معظم هذه الحلقات بصورة عامة تهتم بالمسائل الدينية بالدرجة الأولى ثم بالمسائل الدنيوية التى تتكون من دراسة اللغة العربية والفلسفة والمنطق والفلك وغيرها . ولم يكن نصيب العلوم البحتة كالطب والرياضيات والصيدلة بأقل من نصيب العلوم الدنيوية والدينية .

فكانت تجرى دراسة الطب فى أغلب الأحيان فى المستشفيات التى أعدت لمعالجة المرضى كما جعلت معاهد علمية لتعليم الطب والحقت بها مكتبات كبيرة زودت بعدد كبير من الكتب الطبية الى جانب الكتب العلمية الأخرى .

وخلاصة القول أنه لم تظهر المدارس العلمية المنظمة فى وقت مبكر لان هناك مراكز أساسية فى العراق كانت تقوم بنفس الدور الذى تقوم به اليوم ومن أهمها ما ذكرناه سابقا من مساجد ومنازل العلماء والربط والمستشفيات ودور العلم والمكتبات .

---

(٤٣) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ج ١٢ ص ١١٥ .

(٤٤) ابن الاثير ، أبو الحسن على بن الكرم محمد بن عبد الكريم عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير الجزرى : ( **الكامل فى التواريخ** ) . ( المطبعة المنيرية ـ مصر ١٣٤٩ هـ ) جـ ٨ ص ٣٥٠ .

## ثانيا ـ المدارس الاسلامية حالتها بعد انشاء بيت الحكمة :

ان اتساع الحلقات العلمية داخل المساجد وكثرة المناقشات والمناظرات التى كانت تدور داخلها قد أبعدت هذه المساجد عن مهمتها الأساسية وهى العبادة ولهذا نجد أن بعض المساجد قد أصبحت تتخذ طابع المدرسة من حيث بناؤها وتنظيمها وتوفير الغرف فيها للطلاب والأساتذة كما أنه لم تكن هناك نفقات معينة تبذل فى سبيل نشر العلم ، فظهرت الحاجة الملحة الى تأسيس مكان يخصص لرعاية العلم ، ونشر الثقافة وظهرت فى الوقت نفسه فكرة أن يوقف على هذا المكان أو المعهد وقف ينتج ايرادا يكفى للانفاق على شئونه وشئون القائمين بالعمل فيه وكان المأمون أول من ابرز هذه الفكرة للوجود فانه لم يشأ أن يكون نشاط بيت الحكمة متوقفا على سخاء الخلفاء والأمراء بل أراد أن يجعل نشاطه قويا متصلا سواء كان الخليفة شحيحا أم كريما فهيأ للعلماء رزقا سخيا يتقاضونه من وقف ثابت يفيض ريعه عن التكاليف المطلوبة لهذه المؤسسة الثقافية(٤٥) .

ومن المعروف أن تأسيس بيت الحكمة قد اكتمل على يد المأمون ( ٢١٧ هـ/ ٨٣٢ م ) ولكنها لم تكن مدرسة نظامية بالمعنى المتعارف عليه بقدر ما كانت دارا النسخ والترجمة الى جانب كونها أول مكتبة عامة ذات شأن فى العالم الاسلامى .

ويميل بعض المؤرخين الى الاعتقاد بأن نشأة المدارس الاسلامية يحيط بها كثير من الغموض ولا يمكن تحديدها بتاريخ معين كما يرى آخرون أنه من المرجح أن تكون المدارس قد سبقت فى ظهورها نشأة المدرسة النظامية فى عام ٤٥٩ هـ اى فى منتصف القرن الخامس الهجرى(٤٦) .

ومهما يكن الأمر فان المرجح أن تكون بعض المصادر قد خلطت بين المدارس كمؤسسات تعليمية مستقلة وبين أماكن التعليم الأخرى مثل الكتاتيب والمساجد وغيرها . حيث لم يصل الينا من الكتب التى تبحث فى المدارس واماكن التعليم الا عدد ضئيل اذا قيس بتلك الأعداد الزاخرة التى ألفها العرب فى الشئون العلمية والحضارية الأخرى . ولعل من اهم الاسباب التى أدت الى ذلك أن هذه المؤلفات وضعت فى العصور العباسية المتأخرة ولم يمض عليها الوقت الكافى لاستنساخها واطلاع

---

(٤٥) Sayed Ameer Ali : Short History of Saracens, London 1916, P. 274.

(٤٦) د. ابراهيم الجبار : ( دراسات فى الفكر التربوى ) . ( وكالة المطبوعات ـ الكويت طبعة ١٩٧٤ م ) ص ١٤٣ .

الناس عليها فسرعان ما عصفت بالبلاد الاسلامية موجــة المغول التى دمرت مــدنا اسلامية كاملة واجتاحت أقطارا واسعة فى بلاد المشرق وأتت على بغــداد والدولة العباسية من القواعد فضاعت مئات الألوف من الكتب الخطية ومحقت دور علم وخزائن كتب لا تعــد ومحيت معاهــد ومدارس مشهورة وقضى على عــدد كبير من جـلة العــلماء والأدباء . ولــما حلت ببغــداد نكبة تيمورلنك وأيامه السود كانت اشــد وطــأة عليها من تلك العواصف الهــوج فلم تبــق حروبه ولم تذر من دور الكتب وخزائنها شيئا يذكر . ولم يبــق من الكتب الا ما كانت منه نسخ عــديدة انتسخت وامتلكها أناس كانوا فى نجــوى من هــذا الأعصار أو احتوتها معاهــد ومساجد كانت بعيدة عن حروبه ونفــوذه يضاف الى ذلك جهل الناس أبان هــذه الفترة بقيمة كثير من هــذه المؤلفــات(٤٧) .

أما الكتب التى كانت بخطوط مؤلفيها ولم يكتب لهــا الاستنساخ فقــد فقدت كلها أوضاع أكثر أجزائها وخير مثال على ذلك كتاب ابن الفــوطى المعروف « تلخيص مجمع الآداب فى معجم الأسماء والألقاب » والذى تنص احــدى الروايات على انه كان فى ثمانين مجلــدا لم يصل الينا منه الا المجلــدان الرابع والخامس وهما بخط المؤلف وقــد وجــد الرابع فى المكتبة الظاهرية بدمشق ووجــد الخامس فى لاهــور بالباكستان . وذكر ابن الفــوطى(٤٨) أن كتبا صنفت عن المستنصر والمستنصرية ولكنهــا لم تصــل الينا .

ان انشاء المدارس فى الاسلام من المنجزات العظيمة التى حققت الاهــداف العلمية والتربوية وقــدمت الخــدمات الجليلة للانسانية جمعاء . وتشير المؤشرات التاريخية أن مدينة نيسابور كانت رائدة المدن الاسلامية فى انشاء المدارس فقــد شيد أهلها مدرسة للفقيه الشافعى أبى اســحاق الأسفراييني المتوفى سنة ثمــانى عشر وأربعمــائة للهجــرة(٤٩) .

كما تشير المصادر أن مدرسة أخرى انشئت فى تلك المدينة للعــالم ابى بكر

---

(٤٧) د. ناجى معروف : ( **المدارس الشرابية ببغــداد وواسط ومكة** ) . ( مطبعة الارشــــاد ـ بغــداد ـ العراق ١٣٨٣ هـ/١٩٦٤ م ) ص ٩ .

(٤٨) ابن الفــوطى : ( **تلخيص مجمع الآداب فى معجم الالقــاب** ) . تحقيق مصطفى جـواد ( وزارة الثقــافة والارشــاد القــومى ـ دمشق ١٩٦٤ م ) ج ٥ ص ٥٢٨ .

(٤٩) ابن خلكان : وفيــات الأعيــان ج ١ ص ٩ .

البيهقى المتوفى سنة ثمـان وخمسين وأربعمائة للهجرة(٥٠) . ان انشاء المدارس فى الاسلام يظهر انها مبادرات شعبية حققت للناس طموحاتهم فى أن تكون تلك الأمكنة مراكز علمية تدرس فيها مختلف العلوم والآداب وهى فى عهدها الأول وان لم تستكمل شروط المدرسة فقـد تكونت من بيت لـه رحبة واسعة فيه بعض الغرف للدرس ، وقـد تختلف المدرسة من حيث السعة ومن حيث الوقوف التى توقف للصرف عليها وكذلك من حيث الشيوخ الذين يدرسون بها ومكانتهم العلمية واشتهارهم(٥١) .

ويمكننا اعتبار سنة ٤٥٩ هـ حـدا فاصلا بين عهدين فى تاريخ المؤسسات التعليمية الاسلامية . ففى هـذا العام انشئت المدرسة النظامية فى بغـداد مؤذنة ببداية عهـد جـديد انتقلت فيه أماكن التعليم من الكتاتيب ــ التى كانت فى العصر العباسى الأول تقام لتعليم مبادىء القراءة والكتابة وبعضها كان يعلم فيها أيضـا اللغـة العربية وما اليها من نحـو وعروض(٥٢) ــ والقصور والمساجد ودور الحكمة وحوانيت الوراقين ومنازل العلماء الى المدارس المنظمة(٥٣) .

ويعتبر ظهور المدارس فى العصر الاسلامى أهم محاولة جـديدة لتنظيم الدراسة واستمرارها لتوفير وسائل التفرغ لهـا ، اذ جعلت مرتبات للمدرسين وزود الطلاب فى حالات كثيرة بالمسكن والمـأكل ممـا ساعد بالضرورة على ايجاد نظـام ثابت وتقاليد مرعية للمدرس والادارة وعمل على استقرار تلك المعاهـد(٥٤) .

وقـد كان التعليم الأولى عاما للجميع وخاصة فى عصر الدولة العباسية التى تبنى فيها الخلفاء العلم والعلماء وأبدوا اهتماما كبيرا بالتعليم والمتعلمين ، فعملـوا على توفير فرص التعليم الأولى لكل طفـل والحقوا بكل مسجد مدرسة لتعليم القراءة والكتابة ومبادىء العلوم بالاضافة الى تحفيظ القرآن .

وكان من نتائج ذلك أن انتشر التعليم فى الدولة الاسلامية اثناء عصورها المزدهرة حتى كادت الأمية أن تختفى تمـاما . ويعلق أحـد الباحثين على ذلك بقوله : « لقـد

(٥٠) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٣٦٣ .

(٥١) د. حسين امين : نشأة الحركة العلمية فى العراق عـ ٦ ص ٦ .

(٥٢) عمر رضا كحالة : المرأة فى عالمى العرب والاسلام ج ٢ ص ١١٣ .

(٥٣) د. ابراهيم الجيار : دراسات فى الفكر التربوى ص ١٤٢ .

(٥٤) أسماء فهمى : ( **مبادىء التربية الاسلامية** ) . ( مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القـاهرة ١٩٤٧ م ) ص ٣٣ .

كانت هــذه الليبرالية العظيمة التى أبداها المسلمون نحــو تعليم أبنائهم من أهم عــوامل ازدهار وتقــدم حضارتهم ، فقــد كان التعليم فى كل أرجاء الدولة الاسلامية لدرجــة أنه يروى انه كان من العسير أن تعثر على فرد من المسلمين لا يعرف القراءة والكتــــابة »(٥٥) .

أما بالنسبة للتنظيم الداخلى للمؤسسات التعليمية الاسلامية فمن المرجح ان معاهــد التعليم لم نتبع نظام تقسيم الدراسة الى سنوات تعليمية كما لم يعرف تقسيم التلاميذ الى فصول دراسية ، وانما كان التلاميذ يجلسون فى حلقات حــول الأستاذ الذى يجلس على خشبة أو منصة ويستند الى حائط أو سارية من ســوارى المسجد . ويرى كثير من الباحثين ان نظام التربية الاسلامية فى العصور الوسطى قــد تميز بقــدر من الحرية ومراعاة الفروق الفردية تحسده عليها المدارس والجامعــات الحــديثة فقــد كان الطالب هــو الذى يختار أستاذه وينتقى ما يدرسه من علوم وعندما بدأ عهد المدارس النظامية استحدثت بعض القيود اذ كانت تتطلب استمرار الدراسة والتفرغ لهــا ، ولذا كان الطالب فى المدارس النظامية عادة من المتفرغين للدراسة والمنقطعين لطلب العلم(٥٦) .

ويقول المستر ( درابر ) الأمريكى المشهور : ان المسلمين الأولين فى زمن الخلفاء لم يقتصروا فى معاملة أهــل العلم من النصارى والنسطوريين ومن اليهود على مجرد الاحترام ، بل فوضــوا اليهم كثيرا من الأعمال الجسام ورقــوهم الى مناصــب الدولة ، حتى ان هارون الرشيد وضع جميع المدارس تحت مراقبة يوحنا بن ماسويه — ولم ينظر الى البلد الذى عاش فيه العالم ولا الى الدين الذى ولد به ، بل لم يكن ينظر الا الى مكانته من العلم والمعرفة(٥٧) .

أما بالنسبة لتنظيم المدارس الاسلامية فيمكن أن نستخدم لغــة العصر الحديث فى اعطائه بنية السلم التعليمى على النحو التالى :

١ — المرحلة الأولى : وكانت تقــدم فى الكتاب من سن ٦ — ١٤ تقريبــا . وكان الكتاب يوجــد غالبا خارج المسجد فى منزل الفقيه ( المعلم ) او فى الحوانيت .

---

(٥٥) E. H. WILDS : The Foundations of Modern Education ). London 1959, p. 216.

(٥٦) د. ابراهيم الجيار : دراسات فى الفكر التربوى ص ١٤٤ .

(٥٧) د. مصطفى السباعى : ( من روائع حضارتنا ) . ( المكتب الاسلامى — بيروت — لبنــان ط ٣ ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م ) ص ٩١ .

٢ ـ المرحلة الثانوية أو المتوسطة : كانت مدارس هـذه المرحلة تعرف باسم مدرسة المسجد أو الحلقة أو المدرسة ويتراوح سن التلاميذ فيها من ١٤ الى ١٨ .

٣ ـ مرحلة التعليم العالى : وتبـدأ من بعـد انتهاء التلميذ من حفظ القرآن الكريم وكانت توجـد فى احـدى المؤسسات التالية : بيت الحكمة ، المكتبات ، الصالونات الأدبية ، دور العلماء ، المساجد الكبيرة مثل الأزهر وجامـع القرويين وجامع الزيتونة(٥٨) . وذكر ابن خلكان المتوفى ( ٦٨١ هـ/١٢٨٢ م ) أن الـوزير السلجوقى نظام الملك الطـوسى المتوفى ٤٨٥ هـ/١٠٩٢ م أول من أحـدث المدارس فى الاسلام وأن أول مدرسة انشئت هى المدرسة النظامية التى شرع بانشائها ببغـداد ٤٥٧ هـ/١٠٦٤ م وافتتحها فى ذى القعدة ٤٥٩ هـ/١٠٦٦ م(٥٩) .

فنظام الملك الطـوسى مؤسس المدرسة النظامية ببغـداد والنظاميات التسع الأخرى فى المشرق والعراق ، لم يكن رجـلا سياسيا فحسب بل كان فقيها متحـدثا ايضا . حـدث بمرو ونيسابور والرى وأصبهان وبغـداد ، وأملى الحـديث فى جامع الرصافة وفى مدرسته النظامية ببغـداد وكان يقول : « انى لأعلم أنى لست أهـلا للرواية ولكن اريد ان اربط نفسى على قطار النقلة بحـديث رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم(٦٠) .

وكانت هـذه المدرسة فى الجانب الشرقى من بغـداد وقـد أنشئت لتدريس الفقه الشافعى وشرط الوقفى فيها أن يكون المدرس والواعظ ومتولى الكتب من الشافعية أصلا وفرعا(٦١) ، وكان نظام الملك قـد أمر بانشاء عـدة مدارس أصبحت نموذجا للمدارس الجـديدة ، وغـدا نظام الملك نفسه قـدوة حسنة يحتذى بهـا كبار رجال الدولة من الوزراء والأمراء فى انشاء المدارس كما أن أهمية عمل نظـام الملك ترجـع الى كونه بداية عصر جـديد من الازدهار للمدرسة اذ أصبح السلطان ورجال الطبقة العالية مولعين بتأسيس المدارس ، كما أن تكوين المدرسة على الوضـع الذى رسمه نظام الملك وما الحقه من أقسام داخلية لاقامة الطلاب أصبح فيما بعـد نمـوذجا يحتذى فى سائر المدارس التى انشئت فى العصور التالية(٦٢) .

---

(٥٨) د. ابراهيم الجيار : ( **تاريخ التعليم الحديث** ) . ( دار الثقافة ـ القاهرة ط ١٩٧١ م ) ص ١٠ .

(٥٩) ابن خلكان : وفيـات الاعيـان ج ١ ص ٣٩٦ .

(٦٠) ابن الأثير . الكامل فى التاريخ ج ٨ ص ١٦٢ .

(٦١) ابن الجـوزى : المنتظم ج ٩ ص ٦ .

(٦٢) Encyclopedia of Islam. Art Masjid.

ان الدافــع على الأرجح من تأسيس المدارس النظامية كان مذهبيا وسياسيا فقــد كان نظام الملك شافعيا اشعريا حريصا على مذهبــه وعاصرت نظام الملك آراء وأفكار متباينة كانت منتشرة فى العالم الاسلامى كالمعتزلة والباطنية وبقايا القرامطة من اصحاب الملل والنحــل . كما أن اندحار البويهيين سياسيا لم يكن يعنى ابدا أن آثار مذهبهم الشيعى فى المشرق قــد زالت لــذا كان لابد من اجراء سريع يزيل ما علق فى اذهان الناس ونفوسهم من آثار هــذا المذهب[٦٣] .

وهــذا ما قامت به المدرسة النظامية والمدارس الأخرى فى بغــداد واصبهان ونيسابور حيث بنى نظام الملك مدرسته النظامية على شاطىء دجلة ورتب فيهــا العلماء لدراسة العلوم الدينية واللسانية وبنى حولها اســواقا ووقف عليها أوقافا دارة . ولقــد كان لهــذه المدرسة شأن كبير فى العالم الاسلامى تخرج منها جماعه من فحول العلماء ، وكان من اساتذتها ابو اسحاق الشيرازى وابو حامد الغــزالى وكمال الدين الانبارى ، ثم امتلأت دمشق وحلب وحمص وحماه وبعلبك وغيرها من بلاد الشام وقرطبة واشبيلية وطليطلة وغرناطــة وغيرها من بلاد الأندلس ثم مصر والاسكندرية بالمدارس المجانية على غرار المدرسة النظامية[٦٤] .

وتكاد تجمع المصادر العربية مثل الأصفهانى وابن الأثير وابن الجوزى والسبكى وغيرهم على عظمة المدارس النظامية وكثرتها ووفرة ما اغــدق عليها من أموال وما بها من كتب حتى قيل انه انشأ فى كل مدينة مدرسة من العراق وخراسان[٦٥] .

ولقــد قيل ان ما كان ينفقه نظــام الملك على المدارس النظامية بلغ ستمائة الف دينار . وكان وقفها ببغــداد خمسة عشر الف دينار سنويا ونظــامية اصبهان عشرة آلاف دينار وهكذا[٦٦] . ويكاد يكون غالبا بجانب هــذه المدارس اربطــة للصوفية والسابلة وكتاتيب لصغار المتعلمين ودور كتب عظيمة لمراجعة العلمــاء والطلاب غير خزائن كتب الملوك والوزراء التى كانت تحوى مئات من المجلدات[٦٧] .

---

(٦٣) د. نجاح القابسى : ( المعاهــد والمؤسسات التعليمية فى العالم الاسلامى ) . مجلة المؤرخ العربى – بغــداد – العراق عدد ١٩ ( ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م ) ص ١٨٠ ، ١٨٨ .

(٦٤) مصطفى امين : ( تاريخ التربية ) . ( دار المعارف بمصر – بدون ) ص ١٧٦ .

(٦٥) د. عبد الحليم منتصر . ( تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ) . ( دار المعارف بمصر – القاهرة ط ٦ . ١٩٧٥ م ) ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٦٦) د. عبد الحليم منتصر . تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ص ٦٨ ، ١٦٠ .

(٦٧) د. محمد عبد المنعم خفاجى : ( الاداب العربية فى العصر العباسى الثانى ) . ( الكليات الأزهرية – القاهرة ١٩٥٧ م ) ص ٢٣ .

ونظام الملك هذا كان رجلا دينا له مجالس يحضرها أئمة الدين من قراء وفقهاء ومحدثين كما انه انشأ المدارس فى الأمصار المختلفة لتعليم الحديث بل كان هو يمليه ، وفى ذلك يقول ابن الأثير : « كان عالما دينا جوادا عادلا حكيما كثير الصفح عن المذنبين طويل الصمت ، كان مجلسه عامرا بالقراء والفقهاء ، وأئمة المسلمين واهل الخير والصلاح . امر ببناء المدارس فى سائر الأمصار والبلاد وأجرى لها الجرايات العظيمة وأملى الحديث ببغداد وخراسان »(٦٨) .

وعرف عن نظام الملك حبه للعلم واصطفاؤه النابغين من العلماء فتوفر الآباء على تعليم ابنائهم حتى يحظوا بالمناصب التى كان يقسمها درجات ويرشح لكل بحسب فضله وعلمه . فيذكر العماد الأصفهانى « فى أيامه نشأ للناس اولاد نجباء على تهذيب الأبناء ليحضروهم فى مجلسه ويحظوا بتقريبه فانه كان يرشح كل أحد لمنصب يصلح له بمقدار ما يرى فيه من الرشد والفضل ومن وجد فى بلد قد تميز وتبحر فى العلم بنى له مدرسة وقف عليها وقفا جعل فيها دار كتب »(٦٩) .

وساعدت حياة الرخاء والرفاهية وما نالته بغداد من الشهرة فى آفاق العالم الاسلامى على رغبة العلماء والطلاب فى الذهاب اليها وتلقى العلم بها وقد وصف لنا ابن جبير ما تركته هذه المدينة فى نفسه عند ذهابه اليها من احاسيس وانعكاسات مبهجة لما فيها من الحياة الزاهرة بأنواع السرور والبهجة حتى اشتهرت فى آفاق العالم الاسلامى بذلك وأصبح اسمها علما على البهجة والأناقة والانس ومن اهم من اقاموا فيها دروس الأدب ابو منصور الجواليقى المتوفى ٥٣٩ هـ وشيخه التبريزى ودرس بها على بن ابى زيد القصبى وابن الجوزى(٧٠) .

ان المدارس الاسلامية — على ما اعتقد — كان هدفها واحدا هو العناية بالمواضيع الدينية اساسا ثم الاهتمام بالدراسات الأدبية والعلمية ، ان هذه المدارس ساعدت على اشاعة العلم والمعرفة بين الناس عامة وربط المسلمين برباط الثقافة ، وان اتاحة الفرصة للمسلمين القبول فى اى مدرسة فى بغداد والبصرة والقاهرة وتونس والرباط واصبهان كان له الأثر المحمود فى توحيد الفكر الاسلامى وزيادة الترابط الانسانى مما يساعد على اتاحة الفرصة للعراقى والسورى والمصرى

---

(٦٨) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ١٠ ص ٧٢ .

(٦٩) العماد الأصفهانى . الامام عماد الدين محمد بن محمد بن حامد : ( **تاريخ دولة آل سلجوق** ) . ( طبعة ١ مطبعة دار التأليف — مصر — القاهرة ١٣٧٢ هـ ) ص ٥٤ .

(٧٠) ياقوت الحموى . معجم الأدباء جـ ٥ ص ٢٣٩ .

والفارسي والتركي أن يتعارفـوا وأن تتماس العقول وتحتك الافكار وتنصهر جميعها في بوتقة العلم لتبرز افكارا مدروسة وآراء مجـدية في حقول الادب والعلم(٧١) .

وهـذا على ما اعتقـد من أبرز ما قـدمته تلك المدارس في ذلك العصر من خـدمة للانسانية ولتراثها الخالـد . كما ساعد ذلك اللقاء بين شـعوب البلـدان المختلفة ، في تعرفهم على عادات ، وتقاليد بعضهم البعض وانتشار اللغة العربية التي اصبحت لغـة الدراسة والثقافة والعلم . ممـا أدى الى الاهتمام بهـذه اللغة وتطـويرها وازدهارها . ويرجع انتشار تلك الثقافات في البـلاد الى المدارس والترجمات وتشجيع الخلفاء ونشرهم لهـا . فمدارس جنديسابور والرها ونصيبين وحران كانت تنشر الثقافة اليونانية ومدرستا الرها ونصيبين كانتا تزخران بالفلسفة اليونانية والتعليم المسيحية فكان في حران جماعة وثنية تسمى الصابئة نبغت في الدراسات اليونانية من علمية وأدبية ، أما جنديسابور فقـد اسس النساطرة فيها مركزا مهما للثقافة اليونانية ، ونالت شهرة فائقة في الطب . وكانت هـذه المدارس كلها منارات اشعاع في جميع العالم العربي والاسلامي(٧٢) .

ان المدارس العراقية قامت بأداء رسالتها العلمية والتعليمية وقـدمت خـدمات جليلة في نهضة العلوم الدينية كالتفسير والحـديث والفقه والفرائض والعلوم العربية كاللغة والنحو والصرف والعروض والآداب والعلوم الرياضية والعقلية كالمنطق وعلم الكلام والاصـول والعلوم الطبيعية كالطب والصيدلة وعلم الحيـوان ، وأصبحت لتلك المدارس شخصية بارزة في عالم الثقافة وفي تربية النشء واعـدادهم لحياة أفضـل(٧٣) . كما أن تلك المدارس كانت مراكز للتطـور الفكري فظهرت المؤلفات والتصانيف في شتى مواضيع الفكر والمعرفة ممـا أدى الى تطـوير الآداب والعلوم وازدهارها ، فكانت تلك المدارس بحـق مصادر الاشعاع الفكري ومنبع الثقافـة الانسانية في العصور الوسطى الاسلامية حيث انتشر طلابها مشرقا ومغربا ونقلوا تراث بغـداد والمدن العراقية الأخرى كما أصبحت تآليف أساتذة المدارس العراقية المعين الذي يغترف منه المتعلمون في جميع انحاء العالم مراكز لالتقاء العلماء والأدباء وأمكنة البحث والتأليف كل ذلك بلا شك ساعد على تطـوير العلوم والآداب ، وعمل على ازدهارها خـدمة للعلم والثقافة والانسانية .

---

(٧١) د. حسين أمين : نشأة الحركة العلمية في العراق عـ ٦ ص ١٠ .

(٧٢) حنا الفاخوري : ( **الجاحظ** ) . ( دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٥٨ م ) ص ١٤ .

(٧٣) د. حسين أمين : نشأة الحركة العلمية في العراق ، عـ ٤ ص ١٨ ، ١٩ .

كانت المدارس العراقية أمكنة صالحة للعلم والتعليم ، وقد عنيت تلك المدارس في تدريس العلوم والآداب وتربية المواطنين تربية صالحة واعدادهم الاعداد الذى يليق والمجتمع الاسلامى . وقد عنيت المدارس العراقية بالاختصاص فقد كان لكل موضوع مدرسه المختص وكان هذا واضحا كل الوضوح في المدرسة النظامية والمستنصرية ؛ فعندما توفى أبو زكريا التبريزى أستاذ الأدب في النظامية أصبح على ابن محمد الفصيحى صاحب ذلك الكرسى(٧٤) لاشتهاره بالأدب .

وكان مجال المناقشة مفتوحا أمام الطلاب ، وكانت للمناقشة بين الأساتذة وطلابهم آداب خاصة تكفل للأستاذ وقاره وهيبته ومكانته ، كما تحقق للطالب طريق الفهم والتعليم ، ذلك أن طالب العلم لا ينال العلم ولا ينتفع به الا بتعظيم العلم وأهله وتعظيم الأستاذ وتوقيره . وكان الاستاذ هو الذى يضع برنامج التدريس وهو الذى يختار المادة العلمية التى يلقيها على طلابه . وكانت الدراسة حرة أى أن الطالب هو الذى يختار الاساتذة الذين يرغب في مصاحبتهم وحضور دروسهم .

وارتقت المدارس العراقية في سلم درجات التدريس مرتبة المعيد ووظيفته أن يساعد المدرس أو الشيخ ويوضح ما يصعب على الطلبة من أمور في مادة الدرس . وهذا ما كانت تشترطه المدرسة المستنصرية أن يكون لكل طائفة من المذاهب الأربعة مدرس وأربعة معيدين وأن يكون بالمدرسة طبيب حاذق يشغل عشرة أنفس يعلمهم الطب(٧٥) .

أن كثرة المدارس والانفاق عليها بسخاء وميل الناس وخاصة الأثرياء الى بناء مدارس جديدة أو وقف دورهم وقصورهم لتكون مدارس كل هذا يدل على نهضة ثقافية ووعى علمى لا شك فيه .

ويظهر الصراع المذهبى واضحا في تأسيس المدارس وفي الدراسة والتدريس بها فلكل مذهب طريقته التى يحاول عن طريقها نشر تعاليمه وتشجيع كبار العلماء على اعتناقها ليستطيعوا التدريس في مدارس المذهب الخاصة ، فقد كانت المدارس النظامية وفيها نظامية بغداد من أسباب انتشار المذهب الشافعى لأن كل طالب لا يقبل فيها الا اذا كان شافعيا وكذلك المدرسون(٧٦) .

---

(٧٤) الاربلى ، عبد الرحمن سنبط بن ابراهيم بن قنيتو : ( **خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك** ) تحقيق مكى السيد جاسم ( مكتبة المثنى – بغداد – العراق ط ٢ ، ١٩٦٤ م ) ص ٢١٢ .

(٧٥) الزرنوجى ، برهان الاسلام : ( **تعلم المتعلم طريق التعلم** ) ( القاهرة ١٩٤٨ م ) ص ١٨ .

(٧٦) د. حسين أمين : تاريخ العراق في العصر السلجوقى ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

قال أبو البقاء العكبرى : وكان حنبلى المذهب ، جاء الى جماعة من الشافعية ، فقالوا : انتقل الى مذهبنا ونعطيك تدريس النحو واللغة والنظامية فأقسمت وقلت لو اقمتمونى وصببتم على الذهب حتى ارتوى ما رجعت عن مذهبى(٧٦) .

قال المقريزى : « والمدارس مما حدث فى الاسلام ولم تكن تعرف فى زمن الصحابة ولا التابعين وانما حدث عملها بعد الأربعمائة من سنى الهجرة »(٧٨) . ولا شك أن المقريزى يعنى بالمدارس هنا مؤسسات تعليمية خاصة توقف لها الأوقاف والأموال ، وتجرى على نظم معينة كالنظامية فى بغداد ، ودار العلم والأزهر فى مصر ، والا فان التعليم سابق للدولة العباسية ، ولكنه لم ينتظم الا بعد القرن الرابع الهجرى . وأهم مراكز التعليم فى العصر العباسى : بغداد ودمشق ومصر والكوفة والبصرة وقرطبة والقدس ويليها حلب وطرابلس مدائن كثيرة من أمصار مختلفة(٧٩) .

واهتم العلماء فى مختلف أنحاء الدولة الاسلامية بالرحيل الى المدن الكبرى للاتصال بالعلماء المشهورين للاستفادة من علمهم وفضلهم ، والسبب فى ذلك أن الناس يأخذون معارفهم تارة علما وتعليما والقاء ، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها ، وهذا لمن يسر الله عليه طرق العلم والهداية ، فالرحلة لابد منها فى طلب العلم واكتساب الفوائد(٨٠) .

قال صلى الله عليه وسلم : « من سلك طريقا يطلب به علما سهل الله له طريقا الى الجنة »(٨١) وقوله صلى الله عليه وسلم : « من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الاسلام فبينه وبين الأنبياء فى الجنة درجة واحدة »(٨٢) .

لقد جرت العادة أن تنسب المدرسة الى منشئها وهو الغالب او الى مدرسها اذا كان مشهورا جدا أو الى العالم الذى تنشأ له أو الى الموضع الذى

---

(٧٧) ابن رجب ، زين الدين ابن الفرج عبد الرحمن شهاب : ( **ذيل طبقات الحنابلة** ) . ( مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٢ هـ/١٩٥٢ م ) ج ٢ ص ١١١ .

(٧٨) المقريزى : الخطط ج ٤ ص ١٩٢ .

(٧٩) Khaleil Tutah : Th Contribut:on of the Arabs to **Education** ) p. 23, London.

(٨٠) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٤١ .

(٨١) البخارى : صحيح البخارى ج ١ ص ٤٥ .

(٨٢) الغزالى : احياء علوم الدين ج ١ ص ١٩ .

اقيمت فيه ، ولابد لنا ان نذكر نبـذة موجزة عن احـوال المدارس العباسية(٨٣) منذ أن تأسست بغـداد حتى نهاية القرن السابع الهجرى . وممـا يلاحظ فى مواقـع هـذه المدارس أن كثيرا منها كان على ضـفة دجلة او على مقربة منها ومن هـذه المدارس :

١ ـ مدرسة أبى حنيفة أو المدرسة الشرقية بباب الطاق وقـد يطلق عليهـا ( مدرسة الحنفيين بباب الطاق ) أنشأها شرف الملك أبو سـعد محمد بن منصور العميد الخـوارزمى مستوفى المملكة بالسلطان ألب ارسلان السلجوقى سنة ٤٩٥ هـ/ ١٠٦٦ م عند مشهد أبى حنيفة . وقال الصـفدى فى ترجمة أبى طالب الزينبى الملقب نور الهـدى المتوفى ٥١٢ هـ : « ودرس بالشرقية التى انشأها شرف الملك ببـاب الطـاق » ... وانتهت اليـه رياسـة أصحاب الرأى ببغـداد . وقـد اشـتهر عـدد كبير من مدرسيها وخزان مكتبتها وكان لا يخرج من خزائنها شىء الا الى ذى امانة نستظهرا بالرهن عن ذلك(٨٤) .

٢ ـ مدرسة ( تركان خاتون ) زوجـة السلطان ملك شـاه بن ألب أرسلان السلجوقى بنتها للحنفية بالجانب الشرقى .

٣ ـ المدرسة التاجية(٨٥) نسبة الى تاج الملك أبى الغنائم المرزبان ابن خسرو مستوفى ملك شاه السلجوقى بنـاه للشافعيين ببـاب أبرز ببغـداد الشرقية سنة ٤٨٢ هـ ومن اشهر مدرسيها فخر الاسلام أبو بكر الشاشى صاحب المدرسة المعروفة باسمه احد كبار مدرسى النظامية ببغداد ، وسراج الدين النهرقلى أقضى القضاة(٨٦) .

٤ ـ المدرسة الفخرية(٨٧) : أو دار الذهب أو مدرسة فخر الدولة بعقـد المصطلح فى المـأمونية بالجانب الشرقى من بغـداد وهى للشافعية بناها الوزير فخر الدولة ابو المظفر الحسن بن عبد الله بن على أبى المطلب الكرمانى البغـدادى المتوفى ٥٧٨ هـ . وقـد بناها لأبى القاسم يحيى بن فضلان الشافعى ودرس فيهـا

(٨٣) د. مصطفى جواد : ( بحث ممتع فى مدارس بغداد ) . مجلة الأستاذ ، بغداد ـ العراق عـ ٥ ، ٦ ( ٩٥٨ م/١٩٥٦ م ) ص ١١٠ ، ١١٩ ص ٨٦ ، ١١٣ .

(٨٤) د. ناجى معروف : المدارس الشرابية ص ١١٧ ، ١١٨ .

(٨٥) ابن الجوزى : المنتظم : ج ٩ ص ٣٨ ، ٢٦٠ .

(٨٦) المصدر نفسه ج ١٠ ص ٣٨ ، ٤٨٠ .

(٨٧) ابن الفوطى : الحوادث الجامعة ص ٦٣ .

هـو وابنه من بعـده ابو عبد الله محمد بن يحيى اول مدرس للمذهب الشـافعى بالمدرسة المستنصرية . ومن مدرسيها ايضا مجـد الدين أبو طاهر على بن محمـد الواسطى البغـدادى الفقيه . وممن سكن « دار الذهب » أبو المعالى القاسم بن أبى الحـديد المدائنى وقـد تولى الاعادة بها قيما بفن العربية والفقه والجـدل والأصـول والخلافة والحكمة والطب(٨٩) .

٥ — مدرسة درب القيار(٩٠) : أو « مدرسـة الحرانى » بدرب القيار شرقى بغـداد بـ « مدرسـة ابن بكروسى » وهـو ابو العباس أحمد بن محمد بن بكروسى الحمامى الحنبلى . بنـاها للحنابلة وكانت تجاور منزله . وكانت ولادته سنة اثنين وخمسمائة ووفاته فى سنة ٥٧٣ هـ ودفن بمقبرة الامام أحمد بن حنبل . وكان قـد تزهـد واعتزل الناس . وتردد الناس اليه فأقرأ جماعة وتفقه به جماعة .

٦ — « مدرسـة زمرد خاتون » زوجـة الخليفة المستضىء بالله وام الخليفـة الناصر لدين الله . وتعرف « بمدرسة الأصحاب » أى أصحاب الشافعى . وتسمى « مدرسـة أم الخليفة » وسميت « بالمدرسـة الغربية » لوقوعها فى الجانب الغربى فى بغـداد وتوصـف بـ « الميمونة » بنتها زمرد خاتون للشافعية بالجانب الغربى عند مشهد معروف الكرخى بجوار تربتها . ويظهر أنها بقيت الى عهد سليمان باشا الكبير والى بغـداد . وكانت زمرد خاتون من أرغب النساء فى فعـل الخير ، وأكثرهن له فعلا ولهـا بر وأفضال فضلت به أمثالها فى الصـدقات الجارية وعمارة المساجد والمشاهد والأربطة والمدارس وغير ذلك مما لاخفاء له عن نظر متأمل . عمرت التربة قبر معروف الكرخى والمدرسة الى جانبها ووقفت عليها الأوقاف وكان افتتاح المدرسة فى سنة ٥٨٩ هـ ووفاة مؤسسها(٩١) سنة ٥٩٩ هـ .

٧ — المدرسـة الثقتية(٩٢) : أو مدرسـة ثقـة الدولة بنـاها لأصـحاب الشافعى وكيل الخليفة المقتفى لأمر الله أبو الحسن على بن محمد الانبارى الدرينى

---

(٨٩) د. ناجى معروف : المدارس الترابية ص ١١٨ .

(٩٠) الحنبلى ، ابن العماد أبو الفلاح عبد الحى الحنبلى : ( **شذرات الذهب فى اخبار من ذهب** ) . ( القاهرة ١٣٥٠ هـ ) جـ ٤ ص ٢٤٤ .

(٩١) ابن الساعى ، أبو طالب على بن أنجب تاج الدين الملقب بابن الساعى : ( **الجامع المختصر فى عيون التواريخ وعيون السير** ) تحقيق د. مصطفى جواد ( المطبعة السريانية الكاثوليكية — بغـداد ١٩٣٤ م ) جـ ٩ ص ١٨٨ ، ٢١٧ .

(٩٢) ابن الفوطى . تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب جـ ٤ ص ٢٧٣ ، ٣٣٩ .

الملقب ثقــة الدولة المتوفى سنة ٥٤٩ هـ على دجلة تحت راية الخلافة فى باب الأزج بالجانب الشرقى . وكان ثقــة الدولة أول أمره حــدادا فقــدمه المقتفى وقربه وهو زوج الكاتبة العالمــة شهده بنت أحمد بن الأبرى المتوفاة سنة ٥٧٤ هـ . وقــد دفنت ببــاب أبرز قرب المدرسة التاجية وممن درس فيها يعيش بن صــدقة المتوفى ســنة ٥٩٣ هـ وكان اماما فى الفقه(٩٤) . وكان أجل الشافعية فى زمانه . وعز الدين بن عمر الطيارى التسترى وشرف الدين يوسف بن بندار الدمشقى المتوفى سنة ٥٦٣ هـ وهو الذى بنى له ثقة الدولة المدرسة الثقتية المنوه بها . وعفيف الدين الزبيدى الواسطى وكمال الدين أبو المظفر عبد الودود الواسطى البغــدادى . وكيــل الخليفــة ، وموفــق الدين أبو النصر أحمد بن اسفندنار بن عبد الرحمن البغــدادى الفقيــه المؤدب المتوفى ســنة ٦٨٥ هـ ومحى الدين أبو المكارم منصور بن الحسن الزنجــانى وقــد تولى التدريس بها سنة ٥٩٣ هـ وممن سكن بهــذه المدرسة محمود الزنجانى وقــد أعاد بها الدرس لكمال الدين عبد الودود(٩٤) .

٨ ــ مدرســة بنفشه(٩٥) وتسمى « المدرسة الشاطئية » بنتها بنفشه زوجة الخليفة المستضىء بالله للحنابلة ببــاب الأزج بالجانب الشرقى فى بغــداد ســنة ٥٧٠ هـ ويذكر ابن الزوجى أنها كانت دارا لنظام الدين أبى نصر بن جهير وكانت وصلت ملكيتها الى الجهة بنفشه فجعلتها مدرسة وسلمتها الى أبى جعفر ابن الصــباغ وبعــد أيام سلمتها لابن الجــوزى فذكر فيها الدروس وحضر قاضى القضــاة وحاجب البــاب وفقهاء بغــداد .

٩ ــ المدرســة الموفقية(٩٦) : وهى مدرسة للحنفية بنتها بنت السلطان ملك شــاه السلجوقى وزوجــة الخليفة المستظهر بالله ببغــداد الشرقية بدرب « زاخا » على نهــر دجــلة .

قال ابن الجــوزى يذكر قتالا جرى سنة ٥٤٣ هـ ببغــداد فى نهر دجلة بين الأتراك وجيش الخليفة : « وكان القتال تحت مدرسة موفــق » ولعلهــا هى مدرسة

---

(٩٣) د. ناجى معروف : المدارس الشرابية ص ١٢٠ .

(٩٤) د. ناجى معروف : المدارس الشرابية ص ١٢٠ .

(٩٥) الغسانى : **العسجد المسبوك الورقة ١٩٣ ــ أ ، مخطوط .**

(٩٦) ابن الجوزى : المنتظم جـ ٩ ص ٢٢٧ ، حـ ١٠ ص ٩ ، ١٣٢ .

الخاتون المستظهرية التى ذكرتها بعض المصادر التاريخيـــة . وقـــد نسبت الى مملوكها الموفق بن عبد الله الخاتونى الذى دفن بالمدرسة وذكر ابن الساعى أن موفق الخادم هـــو واقفها . ومن مدرسيها علم الدين أبو زكريا بن محرز البغـــدادى ، ومجـــد الدين ابن اللمغـــانى مدرس مشهد أبى حنيفة .

١٠ ــ مدرســـة زبرك « او مدرســـة سوق العميد » وهى مدرسة الحنفيـــة بالجانب الشرقى وهى مدرســـة للحنـــابلة انشـــاها ابو حكيم ابراهيم بن دينـــار العميد كانت ممـــا يلى جامع المرادية حيث كانت تقـــع مدرسة زبرك[٩٨] وممن تولى التدريس فيها محمد بن احمد بن عبد الجبار أبى المظفر الحنفى من أهـــل سمنان ، ويعرف بالشطب المتوفى سنة ٥٧٣ هـ وقال عنه الصفدى : دخل بغـــداد واستوطنها وولى تدريس مدرســـة زبرك بسوق العميد .

١١ ــ مدرســـة ابن دينار[٩٩] النهروانى الحنبلى الحسنى الفقيه بباب الأزج بالجـــانب الشرقى وهى مدرســـة للحنـــابلة انشـــأها أبو حكيم ابراهيم بن دينـــار النهروانى البغـــدادى الملقب بالقـــدوة وكان يقيم بها . ولد فى سنة ٤٨٠ هـ وتوفى سنة ٥٥٦ هـ ودفن قريبا من بشر الحافى وكان يخيط للناس الثياب وكان عالمـــا بالمذهب والخلاف والفرائض حسن المعرفة بالفقه والمناظرة وكان يضرب به المثل فى التواضع . قرأ عليه خلق كثير وتخرجوا به .

١٢ ــ مدرســـة أبى سعد المخزومى[١٠٠] : بباب الأزج بالجانب الشرقى بناها ســـعد المبارك بن على بن الحسين وهى مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلى . وتعرف بالقادرية وبمدرسة الجيلى أو مدرسة ابن الخزمى وكانت للحنابلة .

١٣ ــ المدرســـة التتشية[١٠١] : او مدرســـة خمارتكين التتشى المتوفى سنة ٥٠٨ هـ بنـــاها نجم الدولة خمارتكين بمشرعة درب دينار بالجانب الشرقى من بغـــداد وكانت للحنفية . وهـــذا خمارتكين هـــو خادم الملك تتش بن ألب أرسلان يقال لـــه

---

(٩٧) ابن الفوطى : تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب ج ٤ ص ٥٢١ .

(٩٨) الصفدى ، صلاح الدين خليل بن أيبك : ( **الوافى بالوفيات** ) ( أستانبول ١٩٣١ م ) ص ١٥٦ .

(٩٩) ياقـوت الحمـوى : معجم البلـدان ج ٥ ص ٣٢٧ .

(١٠٠) ابن الفـوطى : الحـوادث الجامعة ص ٨٧ .

(١٠١) ابن الجـوزى : المنتظم ج ١٠ ص ٢٢٦ .

داوود السلجوقي . ومن مدرسي « المدرسة التتشية » علم الدين ابو زكريا بن محرز البغدادي ، ويذكر ابن الجوزي من مدرسيها يوسف الدمشقي وابن الشاشي .

١٤ — مدرسة ابن الأبرادي[١٠٢] : وهي مدرسة لأصحاب احمد بن حنبل بالجانب الشرقي كانت في الأصل دارا بالبلدية لمحمد بن أحمد بن علي ابن الابرادي الفقيه الزاهد المعروف بابن الأبرادي الذي توفي في ٢٢ شهر رمضان سنة ٥٣١ هـ ودفن بباب أبرز .

١٥ — مدرسة سعادة[١٠٣] : وهي من المدارس المشتركة بين الحنفية والشافعية أنشأها بالجانب الشرقي الأمير عز الدين أبو الحسن سعادة الرسائلي الذي وصف بأنه كان يفصح بأكثر اللغات . وكانت وفاته سنة ٥١٠ هـ ودفن في جوار الامام أبي حنيفة . ومما ذكره ابن الجوزي[١٠٤] أنه كان في مدرسة سعادة منارة ، ومن مدرسيها فخر الدين الآمدي الصوفي أحد المعيدين بالمستنصرية وكان مدرسا للنحو فيها والقاضي بدر الدين علي بن محمد ملاق الرقي المحتسب بجانبي بغداد .

١٦ — المدرسة الكمالية[١٠٥] : أو مدرسة ابن طلحة نسبة الى كمال الدين أبي الفتوح حمزة بن علي بن طلحة الشافعي المتوفى ٥٥٦ هـ . ويعرف بابن بقشلان وأصله من الري . وكان أحد الأماثل الأعيان ولاه المسترشد حجابة باب النوبي في أواخر سنة ٥١٢ هـ وجعله صاحب مخزنه في سنة ٥١٤ هـ ولم تزل حاله عنده عالية مدة خلافته وكذلك من بعده في أيام المقتفي لأمر الله الى أن حج واستعفى من الخدمة سنة سبع أو ست وثلاثين وخمسمائة وانقطع في بيته نحوا من عشرين سنة ، وكان محترما في زمان عزله يغشاه أرباب الدولة وغيرهم . وبنى مدرسة للفقهاء الشافعية مجاورة لداره بباب العامة ووقف عليها ثلث أملاكه ، ورتب فيها « ابن الخل » مدرسا فيها ولذلك تسمى « مدرسة بن الخل » أحيانا . كما تعرف بمدرسة ابن طلحة . ولما توفي دفن بتربة له في الحربية مقابلة لتربة أبي الحسن القزويني . ويظهر ان ابن عمر ابن الشمحل كان متزوجا من ابنته .

---

(١٠٢) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج ٤ ص ٩٦ .

(١٠٣) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ج ٤ ص ٣٨٥ .

(١٠٤) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ ص ١٠٨ .

(١٠٥) الكتبي ، ابن شاكر محمد : ( فوات الوفيات ) . تحقيق د. احسان عباس ( دار صادر — بيروت — لبنان — بدون ) ج ٢ ص ٤٠ .

١٧ ــ المدرســة الغياثية(١٠٦) : نسبة الى الملك غياث الدين مسعود بن محمد ابن ملك شاه السلجوقى وقـد تسمى « المغيثية » التى تنسب الى أخيه مغيث الدين محمود بن محمد ملك شـاه السلجوقى . والغياثية مدرسـة للحنفية ملحقة بالجانب الشرقى من بغـداد وقـد ذكرت فى التراجم بالنسبة الى الاخـوين غيـاث الدين ومغيث الدين . فقـد ذكر ابن الدبيثى الغياثية فى ترجمة أبى الفضل الضرير الحنفى المتوفى سنة ٥٤٦ هـ هـو المعروف بزين الأئمـة وقال : درس بالمدرسـة الغياثية مدة . كما ذكر الذهبى من مدرسيها : المبارك بن نصر الحنفى ابن الذنى المتوفى سنة ٥٢٨ هـ وذكر ابن الفـوطى من مدرسيها مجـد الدين مسعود بن الحسين اليزدى المتوفى بالموصـل سنة ٥٧١ هـ .

١٨ ــ المدرســة المغيثية(١٠٧) : ذكرها ابن الفـوطى فى ترجمة فخر الاسلام النوجاباذى مدرس المغيثية وقال عنه : قـدم مـع والده ظهـير الدين النوجاباذى عندما استدعى لتدريس الحنفية بالمستنصرية وكان تدريسه بالمغيثية سنة ٦٧٧ هـ وجاء فى الحـوادث الجامعة ذكر محى الدين بن المحيا الحنفى مدرس المغيثية سـنة ٦٧٣ هـ من مدرسيها أبو الخير مسعود بن الحسن اليزدى الحنفى ومنتخب الدين أبو الفضـل المعروف بابن الصيرفى المتوفى سنة ٥٩٦ هـ . وحضر مغيث الدين الى حضرة المسترشد بالله وخلع عليه ومدحه ، واليه تنسب المدرسة المغيثية ببغـداد .

١٩ ــ المدرســة الأسبابذية(١٠٨) : بالجانب الشرقى بين الدربين وذكرها ابن الدبيثى بالأصفهبذية ، وذكرها ابن الساعى وقال عنها : انها سلمت فى سنة ٦٠٤ هـ الى عماد الدين أبى بكر السلامى المعروف بابن الحبير بعـد أن انتقل من مذهب أحمد ابن حنبل الى مذهب الشافعى . وفى العسجد المسبوك : ان أبا معشر الهمذانى كان مدرس « مدرسـة بين الدربين » وكان شيخا خيرا فاضلا متواضعا .

٢٠ ــ المدرســة البهائية(١٠٩) : وهى من المدارس الشافعية ، بنيت فى الجانب الشرقى من بغـداد ، وكانت على دجلة قريبة من النظامية ومن مدرسيها : علم الدين أبو الخير داوود الجيلى المدرس ، ومحمد أبو حامد البردى الشافعى . قال ابن

---

(١٠٦) ابن الفـوطى : الحـوادث الجامعة ج ٤ ص ٣٨٥ والتلخيص ج ٥ ص ٣٦٠ .

(١٠٧) د. ناجى معروف : المدارس الشرابية ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(١٠٨) محمد بن سعيد بن الدبيثى : ( **المختصر المحتاج اليه** ) تحقيق د. مصطفى جواد ( مطبعة دار الدهان ـ بغـداد ١٣٧١ هـ/١٩٥١ م ) ج ١ ص ١٦٢ وابن الساعى : الجامع المختصر ج ٩ ص ٢١٩ .

(١٠٩) ابن الجـوزى المنتظم ج ١٠ ص ٢٣٤ .

الجـــوزى : « ... واخـــذت مدرسة كانت للحنفية وقـــد كانت قـــديما للشافعية وهى بالموضع الأسمى ببـــاب المدرسة على الشط . وقـــد حضرت فيهـــا مناظرة يوسف الدمشقى وبيـــده كانت وآل أمرها الى أن سلمت الى محمد البردى مدرس فيها وحضر قاضى القضاة وشيخ الشيوخ وصاحب البـــاب ومدرس النظامية وابن ســـديد الدولة كاتب الانشاء » .

٢١ ــ المدرســـة النجيبية(١١٠) : أو مدرســـة أبى النجيب السهروردى بالجانب الشرقى وهـــو عبد القاهر بن عبد الله البكرى الصـــديقى الشافعى من أشهر أعيان المسلمين ولد سنة ٤٩٠ هـ بسهرورد وتوفى ببغـــداد سنة ٥٦٣ هـ ودفن بمدرســـة ولا يزال قبره ظاهرا هنـــاك . قال ابن الجوزى عنه : « وكان ممن تفقـــه ودرس بالنظامية وبنى لنفسه مدرسة ورباطا ووعظ مدة وكان متصوفا »(١١١) .

٢٢ ــ مدرســـة الشاشى(١١٢) : بناها للشافعى فخر الاسلام أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشى الأصـــل الفارقى المولد البغـــدادى . ولـــد بميافارقين فى المحرم سنة ٤٢٧ هـ . وقدم بغـــداد ولزم الشيخ أبا اسحاق الشيرازى وتفقه على أبى نصر ابن الصـــباغ وانتهت اليه رئاسة الشافعية . وتولى التدريس بالنظامية ببغـــداد من سنة ٥٠٤ هـ وحتى وفاته سنة ٥٠٧ هـ .

٢٣ ــ مدرســـة أبى شجاع(١١٣) : وكانت مدرسة للحنابلة بناها ببـــاب الأزج عند باب كلواذا ودفن فيها . ووقف قطعة من أملاكه على الفقهاء ، وسبل الخير وكانت وفاته ســـنة ٥٢٠ هـ .

٢٤ ــ المدرســـة القيصرية(١١٤) : وكانت على مقربة من رباط الشيخ أبى النجيب السهروردى وهى احـــدى مدارس الجانب الشرقى أقام بها فخـــر الدين النوقانى عندما قـــدم الى بغـــداد ودرس فيهـــا من ســـنة ٥٨٩ هـ وحتى وفـــاته ســـنة ٥٩٢ هـ .

---

(١١٠) د. ناجى معروف : المدارس الشرابية ص ١٢٧ .
(١١١) ابن الجـــوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٢٢٥ .
(١١٢) المصـــدر نفســـه جـ ٩ ص ١٧٩ .
(١١٣) المصـــدر نفســـه جـ ٩ ص ٢٦٢ .
(١١٤) ابن الجـــوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٢٤٥ .

٢٥ ــ مدرســة ابن الجوزى[١١٥] : أبى الفرج عبد الرحمن بن على المتوفى سنة ٥٩٧ هـ وهــو مؤلف عــدد كبير من الكتب منها : المنتظم فى تاريخ الملــوك والأمم . وكانت هــذه المدرسة بالجانب الشرقى بدرب دينار . وجاء فى حــوادث سنة ٥٧٠ هـ أن ابن الجــوزى ابتدأ بالقــاء الدروس فى مدرسته بدرب دينار فذكر يومئذ أربعــة عشر درسا من فنــون العــلوم . ومن مدرسيها الشيخ أبو محمــد عبد اللطيف بن سليمان الخياط .

٢٦ ــ المدرســة المستنصرية : وفى سنة ٦٣١ هـ ببغــداد افتتحت المدرســة المستنصرية تلك المدرسة التى شيدها الخليفة المستنصر بالله العباسى وجعلها موقوفة على المذاهب الأربعة وصار لكل مذهب من المذاهب السنية ركن خاص وله مدرسون وطلبة ، كما درست علوم الطب والأدوية فى هــذه المدرسة العظيمة[١١٦] .

وقــد جعل المستنصر لمدرسته هــذه ميزة أخرى على المدارس الاسلامية وذلك أنه شرط أن يضــاف الى مدرستيه الفقــه والطب كما يذكر ابن الســاعى دارين آخرين لعلمين مهمين من علوم الشريعة والاسلام أولهما دار القرآن والثانيــة دار الســـنة[١١٧] .

وظــل التدريس بالمستنصرية قائما أربعة قرون منذ افتتاحها سنة ٦٣١ هـ الى سنة ١٠٤٨ هـ عــدا فترتين من الزمن الأولى قصيرة جــدا وكانت أثناء الاحتــلال المغــولى لبغــداد سنة ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م حيث تعطلت المدارس والربط والمساجد كما يقول ابن الفــوطى والثانية طــويلة جــدا وتبــدأ من احتلال الجيوش اللنكية لبغــداد بقيــادة تيمورلنــك .

وكان يدرس بها علوم القرآن والسنة النبوية وعلم الطب والعربية والرياضيات والفرائض وكلها فى مكان واحــد يتألف من مبان عــديدة ، أو متجاورة . ولم تكن المدارس قبل المستنصرية كذلك فقــد كانت مدارس الطب تبنى مستقلة عن مدارس الفقه أو دور الحــديث أو دور القرآن ، كالبيمارستان العضدى بالجانب الغربى من

---

(١١٥) المصدر نفسه ص ٢٥٠ .

(١١٦) د. حسين أمين : ( **كتاب المستنصرية** ) . مجلة المؤرخ العربى ــ بغداد ــ للعراق عـ ١٤ ( ١٩٨٠ م ) ص ٢١ .

(١١٧) د. ناجى معروف : ( **تاريخ علمــاء المستنصرية** ) . ( مطبعة جامعــة بغداد ــ العــراق ١٣٨٤ هـ/١٩٦٥ م ) جـ ٢ ص ٢٥ .

بغـداد ومدرسـة الطب التى أنشأها أبو المظفر باتكين بالبصرة سنة ٦٢٩ هـ فى خلافـة المستنصر ومدارس الطب فى دمشق[١١٨] .

وقـد أجمع المؤرخـون على ان المستنصر رتب فى المستنصرية خزانة كتب من الكتب النفيسة فى أنواع العلوم المختلفة شيء كثير جـدا ... وجـد برسم من يطالع ويستنسخ من الفقهاء ، ورتب لهم فيها الورق والكتابة عمن يريد النسخ[١١٩] .

وممـا يدل على عناية المستنصر بالعلوم والكتب العلمية وميله لاقتنائها وخزنها فى دور الكتب التى فى المدارس ما ذكره الصـفدى قال : « وبيعت كتب العلم فى أيامه بأغلى الأثمان لميله الى اقتنائها وروعى فى تحصيلها . وانكبابه على مطالعتها وحسن خطوطها . ووقفها على اهـل الفضل وخزنها فى المدارس وصنف الفضلاء فى دولته . يدافـع المصنف فى فنـون العلم وتقربوا باهـدائها اليه »[١٢٠] .

٢٧ ـــ المدرسـة البشيرية : وفى بغـداد شرعت زوجـة المعتصم المعروف بباب بشير سنة ٦٤٩ هـ/١٢٥١ م ببناء المدرسة البشيرية بالجانب الغربى من بغداد فجعلتها وقفـا على المذاهب الأربعـة على قاعـدة المدرسة المستنصرية وافتتحت فى سنة ٦٥٣ هـ وعـدت المستنصرية قـدوة لمؤسسى المدارس من الرجال والنساء فى العراق ومصر والشام والحجـاز حيث شرعوا يبنون مدارسهم على صفتها من حيث الدراسة على المذاهب الأربعة[١٢١] . وحضر الخليفـة المستعصم وأولاده فجلسوا فى وسطها . ومن مدرسيها سراج الدين النهرقلى أقضى القضاة وشرف الدين ابن عبـد الله بن الجـوزى ، ومحى الدين ابن الجـوزى ونور الدين الخـوارزمى الحنفى ، وعلم الدين الشارماحى ، وجمال الدين ابن العاقـولى ، وصـدر الدين محمد بن شيخ الاسلام . وصفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحـق ، وقاضى قضـاة سراج الدين الهنائسى ، وعلم الدين اسماعيل بن على النحـوى ، وشمس الدين الأصبهانى وعبد الرحمن ابن الكواز ، وتاج الدين عبد الرحيم بن يونس الموصـلى قاضى الجانب الغربى من بغـداد[١٢٢] .

---

(١١٨) ياقـوت الحمـوى :معجم الادباء جـ ١ ص ١٧٨ ، ٥٨ ، ٣٥٨ .

(١١٩) ابن قتيبة : ( عيـون الأخبـار ) الورقة ٢٣٩ ـ مخطوطة .

(١٢٠) الكتبى : ( الوافى بالوفيـات ) جـ ٢٤ الورقة ١٢ من مخطوطه لنـدن .

(١٢١) د. ناجى معروف : ( تاريخ علماء المستنصريه ) . ( طبعة جامعـة بغـداد ـ العـراق ١٣٨٤ هـ/١٩٦٥ م ) جـ ١ ص ٣٠ .

(١٢٢) ابن الفـوطى : الحوادث الجامعة ص ٢٧٤ ، ٣٠٧ ، ٤٤٨ ، ٥٦٢ .

٢٨ ـ مدارس واسـط : لقـد زخرت واسـط فى خلافة العباسيين بعـدد كبير من المدارس ، ودور القـرآن والمقرئين والمدرسـين وعـدت من اهم المراكز لتدريس القرآن والقراءات المختلفة . واصبحت المدن الكبرى والاقطـار الاسلامية لا تخلو من واسـطى يدرس فيها القرآن وعلومه . أو مؤلف فى القراءات . كما كثرت فيها الربط التى كانت تؤدى خـدمات ثقافية واجتماعية فى آن واحـد . وقـد وفـد الى مدارسها كثير من الطلاب لطلب العلم فيها . ولعـل من أشهرهم الفيروزابادى الصـديقى البكرى صاحب القاموس المحيط . فقـد وفـد اليها من بلاد فارس ، ورحـل بعـد ذلك الى بغـداد وغيرها(١٢٣) .

واشتهر من بين الأساتذة الكبار بواسـط : أبو بكر الباقلانى الذى قرأ القرآن بهـا . وقرأ عليه الأدب والنحو القاسم بن القاسم بن عمر بن منصور الواسطى(١٢٤) ومن علمائها : عماد الدين القزوينى الأنصارى صاحب كتاب آثار البلاد وأخبر العباد وكتاب عجائب المخلوقات . وابن الدبيثى الواسطى المتوفى سنة ٦٣٧ هـ ، وأبو طالب الكتانى المتوفى سنة ٥٧٩ هـ وكان يتولى الحسبة بواسط هو وأبوه(١٢٥) .

والقاضى أبو تغلب الواسطى ، وابن أخيه محمـد بن الرشـيدى وكان نىظر مارستان واسـط(١٢٦) . وأبو بكر الفاروقى ، والداعى الرشيدى والبدر عبد الجبار ابن المجـد محـدث واسـط وفقيهها ، وعبد الله بن عبد المؤمن التاجر الواسـطى الذى أقرأ الناس ببغـداد وواسـط والبصرة والبحرين ، والذى صنف كثيرا من كتب القراءات والمقرىء أبو العز القـلانسى وأبو الحسين بنان بن محمد بن حمدان الحمال ، ويزيد بن هارون وكان عالمـا عابدا مقرئا محـدثا ... الخ(١٢٧) .

ان ظهـور الحركة المدرسـية فى المشرق(١٢٨) فى عهـد الوزير نظـام الملك السلجوقى عامة وفى العراق خاصـة وما تبعها من تطـور لتلك الحركة وتوسـيع وتنظيم ، كان لـه الأثر الكبير فى انتقال تلك الفكرة الى الأقطار الاسلامية ولا سيما الى مصر والشام . ويجـد الباحث المدقق أن هناك الكثير من المدارس التى بنيت فى

---

(١٢٣) د. ناجى معروف : المدارس الشرابية ص ٢٦٤ .

(١٢٤) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ج ٥ ص ٢٥٩ .

(١٢٥) ابن الدبيثى : المختصر المحتاج اليه ج ١ ص ٩٤ ، ٩٥ .

(١٢٦) المصـدر نفسـه ج ١ ص ١١٠ .

(١٢٧) د. ناجى معروف : المدارس الشرابية ص ٢٦٤ .

القاهرة زمن السلطان صلاح الدين الأيوبى الذى سار على غرار سياسة نظام الملك السلجوقى فى نشر المدارس الاسلامية والعمل على تشجيع تشييدها .

ومما لا شك فيه أن المدارس التى نهضت فى بغداد وانتشرت انتشارا واسعا كانت تخدم فكرة نشر المذهب السنى والعمل على تقويته والدفاع عن أصحابه ، وان انتقال الفكرة المدرسية الى مصر أيام الحكم الفاطمى معناه العمل فى مصر على اضعاف الدولة الفاطمية الشيعية وفعلا عملت المدارس السنية وخاصة تلك التى أنشأها صلاح الدين الأيوبى وعملها المؤثر البالغ فى اظهار المذاهب السنية . فلا غرو اذن أن الاتصال السياسى والاقتصادى والثقافى الذى كان يسود المنطقة الاسلامية وعلى الأخص العراق ومصر كان عاملا مهما فى نقل الفكرة المدرسية الى القاهرة وضعف وانزواء المذهب الشيعى الذى كان المنقذ والمسيطر على مصر بأسرها ، ولعل هذه من النتائج الكبيرة للعلاقات الثقافية التى كانت سائدة بين القاهرة وبغداد والتى كانت حصيلة نشر المدارس فى أرض الكنانة(١٢٩) .

وقد أدت الحركة العلمية التى يعتبر بيت الحكمة لولبها الى ازدياد طلب المعرفة من قبل فئات لا يستهان بها من الناس الأمر الذى أدى الى الاقبال على شراء الورق ، لذا أسست مصانع الورق فى عهد الرشيد فى بغداد(١٣٠) ثم انتشرت صناعته فى أنحاء البلاد العربية وقبل ذلك كان يكتب على ورق البردى أو على الرفوف من الجلود أو العظام أو أى شىء . ووجدت حوانيت الوراقين بكثرة وخاصة فى خلافة المأمون(١٣١) وكان ظهور الورق فاتحة لانتشار الثقافة العربية(١٣٢) .

---

(١٢٨) د. حسين أمين : كتاب المستنصرية ، مجلة المؤرخ العربى عـ ١٤ ص ٢٠ بغداد ـ العراق .

(١٢٩) د. حسين أمين : كتاب المستنصرية ، مجلة المؤرخ العربى ـ بغداد ـ العراق عـ ١٤ ص ٢١ ، ١٩٨٠ م .

(١٣٠) أحمد أمين : ضحى الاسلام جـ ٢ ص ٦٥ .

(١٣١) د. عبد المنعم ماجد : العصر العباسى الأول جـ ١ ص ٣٥٨ .

(١٣٢) د. ناجى معروف : ( أصالة الحضارة العربية ) دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان ط ٣ ، ١٩٧٥ م ) ص ٤٤١ .

**ثالثا — أثر بيت الحكمة فى المدارس الاسلامية :**

أضحى من المسلم به أن المكتبة برسالتها ، وهـــدفها عـــدت صورة حيـــة صادقة للأمم وتقـــدمها ، ومظهرا حضاريا بمـــدى اهتمام الشعوب بالفكر ، وصيانة آثاره من العبث والضياع ، فضلا عن الدور الذى تؤديه لحفظ ما خلف السلف من كنوز المعرفة ، وثمار القرائح ونتاج العقل .

ففى العصر العباسى الأول انتشرت الكتابة ، وكثر التأليف ، واشتدت الحاجة الى معرفة ثقافـــة الشعوب العريقة التى غلبت على أمرها ، وباتت الترجمة عمـــلا منظما تشرف عليه الدولة وترعاه ، وأصبح النقلة شبه موظفين يختارون لهذا العمل بالنسبة لثقافاتهم ومعارفهم . ويعينهم الخليفة ويجرى عليهم المـــال ، بمـــا ساعد على انتشـار الكتب المنقولة عن اللغات ، واتساع حركة التأليف والتدوين والنسخ ، وانشاء المكتبات لتستوعب هـــذه المجلدات الكبيرة وتعين على استمرار حركة الثقافة والمعرفـــة(١٣٣) .

فالأمة التى لا تولى الكتاب والمكتبة كل عنايتها هى أمة متخلفة من العسير أن تتبـــوأ مركزها فى موكب الحضارة ، وكل نهضة لا تقـــوم على أساس من التخطيط المعتمد على الكتب والمكتبات كأداة فعالة وأساسية فى هذه النهضة يتهددها الفشل .

وفى خلافة العباسيين اختلف الأمر عمـــا كان عليه فى صـــدر الاسلام حيث اعتنى العرب فى العصر العباسى بفن التدوين ، ووضعت مسانيد الحـــديث فألفت الكتب فى كل صقع واهتموا حينئذ بانشاء دور الكتب وهى عبارة عن خزانات عامة للكتب يخصص أحـــد جـــوانبها لمطالعة الكتب ونسخها وتكون هـــذه الدور موئلا للعلماء والباحثين يناقشون فيها ويبحثون مختلف المواضيع وتقـــوم تلك الدور أحيانا بصورة عرضية بمهمة تعليمية ولا سيما أن بعض روادها يقصـــدونها من أماكن بعيـــدة ويقيمون فيها مدة طـــويلة ، وأن القائمين على تلك الخزانات يسهمون بنفقات أولئك الرواد ويمكن تصنيف خزانات الكتب التى ظهرت فى هـــذه الفترة الى ثلاثة أصناف :

( أ ) خزانات عامة : وهى خزانات الكتب الملحقة بالمدارس والمساجد والربط والبيمارستانات وكانت تعير الكتب للطلاب وأصبح لهـــذه الخزانات نظام تسير عليه الادارة للاعارة والاستنساخ .

---

(١٣٣) عبد الله أنيس الطباع : ( علم المكتبات — الادارة والتنظيم ) . ( دار الكتاب اللبنانى — بيروت — ط ١ ، ١٩٧٢ م ) ص ٢٠٣ ، ٢٠٥ .

(ب) خزانات خاصة : وهى الخزانات الشخصية التى كانت فى بيوت الخلفاء والولاة والعلماء والادباء والأثرياء من الناس .

(جـ ) خزانات بين العامة والخاصة : وكان استعمالها مقتصرا على طبقة معينة من العلماء والطلاب ومن أشهر الخزانات فى ذلك العهد خزانة بيت الحكمة التى أنشاها الرشيد وازهرت كثيرا فى خلافة ابنه المأمون وقد حوت هذه الخزانة العديد من الكتب القيمة ، وكان فيها الى جانب الكتب العربية المخطوطات الفارسية والسريانية واليونانية وغيرها(١٣٤) .

وكانت هذه الكتب تعار متابل رهن حافظ لقيمتها مما ساعد الطلاب على الاستفادة من هذه الكتب ، أما ادارة خزائن الكتب فكان يتولاها احد العلماء المشهورين ويطلق عليه الخازن ويساعده فى ذلك المشرفون والمناولون وقد خصصت لهم الرواتب والجرايات .

وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت بغداد تجتذب الطلاب العديدين من مختلف الجهات ولم تكن الدراسة فى معاهد بغداد قاصرة على الناحية النظرية بل كانت هناك ايضا دراسات عملية تعالج اهم النظريات فى الكيمياء والطب والهندسة ، ولعل احصائية القرن العاشر فى عصر المقتدر بالله تبين لنا عدد الأطباء الذين كانوا يمارسون المهنة بعد حصولهم على شهادات رسمية فى الدراسات الطبية قد وصل ٨٦٠ طبيبا . وبجانب هذا العدد الكبير كان يوجد أكثر من ٢٠٠ طبيب يمارسون العمل بدون شهادات وذلك بسبب خبرتهم الطويلة وبسبب أنهم كانوا أطباء فى قصور الخلفاء . وقبل عمل هذه الاحصائية بقليل كان عدد الأطباء المسلمين فقط الذين يعملون فى قصر الخليفة المتوكل ستة وخمسين طبيبا(١٣٥) .

وكان المأمون أول من أبرز فكرة بيت الحكمة للوجود وكان سخيا فى الانفاق عليها وعين لها جلة العلماء للاشراف عليها ورتب لهم المرتبات والأجور السخية فانتشرت فكرة المأمون هذه بين من جاء بعده من الخلفاء والعظماء(١٣٦) فأصبح

---

(١٣٤) محمد سعيد الطريحى : خزائن الكتب الاسلامية القديمة فى الكوفة ص ٢٦٢ ، ٢٩٣ ٣

(١٣٥) د. حسن عون : ( **صور ملهمة من واقع المجتمع العربى** ) ( دار المعارف بمصر - القاهرة - بدون ) ص ٢٥٠ .

(١٣٦) Sayed Ameer Ali : **Short History of Saracens**, p. 274.

من ضروريات انشاء معهد ثقافى أو مدرسة أن يعين لهـا وقف ثابت تتلقى فيه ما يفى بنفقاتها وما يمـدها بمـا تحتاجه من مصروفات ثم تطور هـذا الاتجاه فظهرت الأوقاف أيضا على الذين يشغلون أنفسهم بخـدمة العلم فى المساجد بل ان بعض الأركان والأعمـدة بالمساجد كان يوقف عليها أوقاف سخية يصرف ريعها الى من يجلس بها للتدريس والتعليم(١٣٧) .

وقـد قـدر للخلفاء العباسيين أن يجمعوا فى بيت الحكمة كل الكتب التى نقلت من أنقره وسائر بلاد الروم ، وأن تنتشر فى زمنهم مجموعة كبيرة من الكتب المنقولة من اللغـات العالمية المعروفة مثل السريانيه واليونانية والفارسية والهندية فى ذلك العصر من علوم الطب والفلك والحكمة والآداب والقصص وغيرها ، هـذا فضـلا عن المؤلفات العربية الجـديدة التى انتجها علماء العربية فى شتى أنواع العـلوم القرآنية واللغة والنحو والتاريخ وسائر الفروع الأخرى(١٣٨) .

فكان هارون الرشيد شـديد الحرص عليها ثم جاء من بعـده ابنه المـأمون فزاد فى عـددها كما ونوعا حيث أصبحت المكتبة تنطق بفضله وتشهد للعباسـيين بمكانتهم العلمية ومركز دولتهم الحضارى واثرت فى التراث العربى الاسلامى بهـذه الكتب(١٣٩) .

واهتم الخلفاء العباسيون بتعليم الرعية ولم يلبث أن جعل من التربية واجبـا ترعاه الدولة فالأطفال من مختلف الطبقات يتعلمون التعليم الأولى مقابل مبلغ ضئيل يقـدر على دفعـه دون مشقة ، ومنذ أن بدأت الدولة تعين المعلمين بالمدارس أمكن الفقراء أن يعلموا أولادهم مجـانا ولقـد أفادت حركة التعليم من التنافس السياسى بين المعارضة وأحزاب الحكومة وبدأت أحزاب المعارضة تضع فى برنامجهـا من قبيل الدعاية انشـاء تعليم عال لكل طبقـات الشعب ومدارس عليا تشبه الكليـات فأنشـأت المدارس العليا فى كافـة المدن الكبيرة(١٤٠) .

ونستطيع القـول بأن التسامح الدينى الذى كان سائدا فى أنحاء العـالم

---

(١٣٧) د. أحمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ٣٦٥ .

(١٣٨) د. عبد الجبار الجومرد : ( **هارون الرشيد** ) . ( المكتبة العمومية - بيروت - لبنـان ، ١٩٥٦ م ) ج ٢ ص ٣٢٧ .

(١٣٩) عبد الله انيس الطباع : علم المكتبات والادارة والتنظيم ص ٢٠٦ .

(١٤٠) زيغريد هـونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٩٢ .

الاسلامى فى عصر ازدهار الحضارة الاسلامية كان كبيرا جدا ولنا أن نشير هنا الى أقوال كثير من كبار المؤرخين الذين أعجبوا أيما اعجاب بهذا التسامح الذى كان فى ذلك العصر من المستحيلات فى غير الدولة الاسلامية ، يقول الأستاذ سيديو « ان المذهب النسطورى المسيحى قد تغلغل وانتشر فى الاجزاء الشرقية من آسيا تحت الحماية العسكرية الاسلامية . ويعجب الأستاذ « دريبر » ان النساطرة لم يسمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية فحسب بل ان العرب قد عهدوا اليهم أحيانا بتثقيف أبناء العائلات الكبيرة . ويقول بأن هذا الموقف تحرر مذهل اذا قيس بتعصب أوروبا . وهذ التحرر قد جعل هارون الرشيد يقلد يوحنا بن ماسويه وهو نسطورى مشرفا على التعليم فى عصره ، أما المأمون فكان مجلسه يتألف من ممثلين لجميع الطوائف التى تدين بملكه . ويذكر الأستاذ دوزى مبرهنا على حرية التفكير فى ذلك العصر قصة نقلها عن أحد علماء الكلام العرب يروى فيها كيف كان يحضر فى بغداد دروسا كثيرة فى الفلسفة يشترك فيها يهود وزنادقة ومجوس ومسلمون ونصارى . ويخبرنا أن الحضور كانوا يستمعون الى كل منهم باحترام عظيم وانه لم يكن ينبغى لأى منهم أن يستند الا الى الأدلة الصادرة عن العقل لا الى الأدلة المأخوذة من أى كتاب مقدس .

ولا غرو اذن ان يسمح الخلفاء والأمراء المسلمون للنصارى واليهود أن يتقلدوا مناصب الدولة كالمسلمين تماما[١٤١] . وذلك سهل لبيت الحكمة القيام بأكبر مجهود فى ترجمة العلوم الفلسفية والمعارف القديمة وفى حدود منتصف القرن التاسع الميلادى أصبح تحت يد العرب مختلف علوم الأسبقين ومعارفهم[١٤٢] .

ونهض التعليم العالى على وجه الخصوص حينما اهتم الخلفاء العباسيون بحركة النقل ومن أساتذة بيت الحكمة نستنتج ونحكم على مستواها العلمى من مقدرة أساتذته ومديره اذا نظرنا الى منهج التدريس فى الحكمة وجدناه راقيا جدا فكانت تدرس فيه العلوم الفلسفية والطبية والرياضيات والفلك والعلوم الطبيعية والتاريخ والموسيقى[١٤٣] فاذا كان هذا خريج بيت الحكمة وقد أنهى هذه العلوم فلا ريب فى ان ذلك المعهد كان يساوى الكلية فى يومنا هذا .

---

(١٤١) جلال مظهر : ( **الحضارة الاسلامية أساس التقدم العلمى الحديث** ) . ( مركز كتب الشرق الأوسط ، ١٩٦٩ م ) ص ٥٧ .

(١٤٢) جلال مظهر : ( **علوم المسلمين أساس التقدم العلمى الحديث** ) . ( الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر — القاهرة ١٩٧٠ م — عـ ٢٤٧ ) ص ١١ ، ١٥ .

(١٤٣) د. عبد المنعم ماجد : ( **تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى** ) . ( مكتبة الانجلو المصرية — القاهرة ١٩٦٣ م ) ص ١٦٣ .

ولعل من آثار تقدم الحضارة العربية وازدهارها أن التعليم كان حرا من كل قيد اللهم الا الميل والرغبة . هذا يهوى العلوم الشرعية فيتجه اليها وذاك يعشق الحديث فيرحل لطلبه من رجاله وثالث يميل الى علم الكلام أو التصوف أو الطب او الرياضيات فيتعمقها . وأفضل دراسة ما كانت عن ميل أصيل فى النفس(١٤٤) ، ونشأت علوم جديدة مثل علوم التفسير والحديث واللغة ، فلما اتسعت دائرة العلوم اتسع بطبيعة الحال مجال التدريس وشمل هذه العلوم أيضا ، ولما كان الاسلام دينا واقعيا حض المسلمين على الاستزادة من العلم ولم يضع أى عقبات فى هذا السبيل فكان طبيعيا أن تستمر هذه المدارس وأن تنشأ مدارس جديدة وأن يستفيد المسلمون منها ومن علمائها فى وضع حجر الأساس للحضارة العلمية الاسلامية التى بلغت ذروتها فى عهد الخلفاء العباسيين ، وقد كان لبيت الحكمة القدح المعلى فى ازدهار الحركة العلمية فيها .

وكان المأمون مثالا فى انشاء المكاتب فى الممالك الاسلامية كما كان مثالا فى سائر أسباب النهضة العالمية ، فقد اقتدى به كثيرون من الوزراء والأمراء داخل بغداد وخارجها فقد أقيمت دور كتب أخرى كثيرة فى بغداد وجمع لها من الكتب آلاف مؤلفة فكانت هذه الدور جميعها ركنا من أركان النهضة العلمية فى الدولة العباسية(١٤٥) .

وفى الأندلس تشبه بنو أمية بالمأمون فأخذوا فى انشاء دور الكتب وملئها بأنفس الأسفار وعجيب المخطوطات وأشبههم به الحكم بن الناصر الذى تولى الخلافة سنة ٣٥٠ هـ وكان محبا للعلم والعلماء وقد أنشأ فى قرطبة دار كتب كبيرة وجمع اليها الكتب من جميع الجهات وكان يرسل التجار لشرائها من أسواق العالم ويحضهم على كثرة البذل والعطاء .

واقتدى بخلفاء بغداد الخلفاء الفاطميون بمصر فبدأ العزيز بالله ثانى خلفاء الفاطميين بجمع الكتب فى عصره وخصص لها قاعات سماها خزائن الكتب ويقدر رجال التاريخ عدد أسفارهم بألف مجلد ثم دار الحكمة التى أنشأها الحاكم بأمر

---

(١٤٤) د. أحمد فؤاد الأهوانى : ( الكندى فيلسوف العرب ) . ( وزارة الثقافة والارشاد القومى - القاهرة عـ ٢٦ اعلام العرب ) ص ٣١ .

(١٤٥) جرجى زيدان : التمدن الاسلامى ج ٣ ص ٢٠٨ .

الله بن العزيز بالله سنة ٣٩٥ هـ بجوار القصر الغربى بالقاهرة ويقـــدر ما كان فيها من الكتب بنحـــو مائة الف مجلد وهى غير خزانة العزيز او خزائن القصور[١٤٦] .

(١٤٦) جرجى زيدان : التمدن الاسلامى ج ٣ ص ٢١١ ، وقد كانت دار للعلم الحاكمية أكبر معهد علمى شهده القرن للرابع الهجرى بناها الحاكم بأمر الله الفاطمى ليجعلهـــا منافسة لدار الحكمــــة فى بغـداد . ( محمد عبد الرحيم غنيمة ) ( **الجامعات الاسلامية الكبرى** ) ( المغرب - تطوان ١٩٥٣ م ) ص ٥٩٥ .

# الفصل الثانى : التدريس والمدرسون فى بيت الحكمة



١ ــ عمــل المدرســين فى بيت الحكمــة •

٢ ــ رواتب المدرســين فى بيت الحكمــة •

٣ ــ المواد الدراســية التى تدرس فى بيت الحكمــة •

## اولا — عمـل المدرسـين فى بيت الحكمـة :

ويحس الرشيد بقيمة العلم ومكانته ، وقـدره واحترامه فلا يسعه الا أن يدعو أفاضـل العلماء أن يتعهدوا أبناءه بالتربية والتهـذيب والتقويم والتثقيف وهـذا خلف الأحمر يتولى ذلك مـع الأمين فترة من الزمن ، ثم يحل محله بعـد ذلك الكسائى وكذلك يدفـع بالمـأمون الى اليزيد ثم سيبويه ، وممـا يعتبر دستورا للمربين او نبراسا هاديا للأساتذة لتكون تربيتهم للناشئة على أصـول مرعية ، ذلك الخطاب الذى كتب به الى الأحمر ليجعله عماده فى السير مع الأمين فى ساحات العلم ، وباحات المعرفة ، دون أن يرهقه ، أو يدخل عليه الكراهية والملل . . قال : « يا احمر : ان أمير المؤمنين قـد دفـع اليـك بمهجة نفسه ، وثمرة قلبه ، وفلذة كبده ، فصير يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبة ، وكن لـه بحيث وضعك أمير المؤمنين اقرئه القرآن ، وعرفه الأخبار ، وروه الأشعار ، وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعه من الضحك الا فى أوقاته ، وخـذه بتعظيم بنى هاشم اذا دخلوا عليه ، ورفـع مجالس القواد اذا حضروا عنده ، ولا تمرن بك ساعة الا وأنت مغتنم فائدة تفيده اياها ، من غير أن تحزنه فتميت ذهنـه ، ولا تمعن فى مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه ، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فان اباها فعليك بالغلظة والشدة »(١٤٧) .

وكان الخلفاء العباسيون يجلون العلماء ويحرصون على تعليم أولادهم بواسطة نخبة من رجالات عصرهم ، فالمنصور ضم الشرقى بن القطامى الى ابنه المهدى(١٤٨) . وقـد حضر بعض أولاد الخليفة المهـدى عند شريك القاضى ( ١٧٧ هـ ) وهـو يلقى الدرس على طلابه ، فاستند ابنه المهـدى الى الحائط وسأل عن حـديث فلم يلتفت اليه شريك . ثم عاد وسأل فعاد شريك الى اهماله فقال ابن الخليفة : تستخف بأبناء الخلفاء ؟ قال : لا ولكن العلم أزين عند أهله من أن يضيعوه(١٤٩) . ومر مرة بحلقة محمد بن الحسن فقام الناس كلهم الا محمد بن الحسن فخرج الآذن ونادى محمد بن الحسن ، فذهب هـذا لمقابلة الرشيد فلمـا عاد سأله أصحابه عما كان فقال : سألنى الرشيد : مالك لم تقم مـع الناس ؟ فقلت : كرهت أن اخرج عن طبقة العلماء الى طبقـة العامة ، فسر باجابتى(١٥٠) .

---

(١٤٧) المسعودى ، أبو الحسن على بن الحسين بن على : ( **مروج الذهب** ) ( القاهرة ١٣٧٠ هـ/ ١٩٣٨ م ) جـ ٢ ص ٢٧٨ .

(١٤٨) محمد عبد الجواد الأصمعى : أبو الفرج الأصبهانى ص ٥٧ .

(١٤٩) ابن جماعة ، بدر الدين : ( **تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم** ) . ( حيدر أباد ١٣٥٣ ) ص ٨٨ . ٨٩ .

(١٥٠) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ ٢ ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

ويحكى بالمر[١٥١] : أن أبا معاوية العالم الأعمى كان يتغـدى مرة مـع الرشيد فلما انتهى الغـداء فأراد العالم أن يغسل يديه على عادة المسلمين ، قـدم لـه شخص ما الطشت والأبريق وصب عليه ، ولمـا انتهى العالم الأعمى من غسل يديه شكر ذلك الذى أولاه هـذه العناية وصب عليه المـاء ، ولكنه اكتشف أن الذى فعل ذلك هـو الرشيد نفسه على كثرة خـدمه . فقال العالم : يا أمير المؤمنين ، انى أعتقد أنك فعلت هـذا تكريما للعلم ، فأجاب الرشيد : هـو كذلك .

وقـد اهتم الخلفاء والعظماء بمؤدبى أولادهم اهتماما عظيما وارتفعوا بمستواهم الاجتماعى الى درجـة تناسب مكانتهم من الأمراء وولاة العهود ، فقـد كان على بن الحسن الأحمر ( ١٩٤ هـ ) حينما اختير لتأديب الامين يعيش معه فى حجرة واحـدة فى حى متواضع من أحياء بغـداد فسرعان ما نقله الرشيد الى مستوى اجتماعى رفيـع يصفه محمد بن الجهم : كنا اذا أتينا الأحمر تلقـانا الخـدم فندخل قصرا من قصور الملوك ويخرج علينا الأحمر وعليه ثياب الملوك[١٥٢] .

ومن سمو مكانة المعلم واحترامه من تلاميذه ما حـدث ابن محمد بن اسـحاق النـديم قال : « قرأت بخط أبى الطيب ابن أخى الشافعى قال : أشرف الرشـيد على الكسائى وهـو لا يراه فقام الكسائى ليلبس نعله لحاجة يريدها فابتدرها الأمين والمـأمون ، وكان مؤدبهما فوضعاها بين يديه فقبل رأسيهما وأيديهما ثم أقسم عليهما الا يعاودا فلمـا جلس الرشيد مجلسه قال : أى النـاس أكرم خـدما ؟ قالوا : أمين المؤمنين أعـزه الله ، قال : بل الكسائى ، يخـدمه الأمين والمـأمون . وحـدثهم الحـديث »[١٥٣] . أما الخليفة المـأمون فيعلل لمـا أثر عن بعض المعلمين من بلادة وتخلف بالعبارة الآتية : « وكان الكندى أقرب الى المعتصم بالله ، فهو مؤدب ابنه ، واليهما كتب كثيرا من رسائله » .

روى المقريزى « أن الخليفة المعتضـد بالله هـو الذى ولى الخلافة سـنة ٢٧٩ هـ الى ٢٨٩ هـ/٨٩٢ الى ١٠٩٢ م بنى بجوار قصره فى الشـامسية ببغداد دورا ومساكن ومقاصير ورتب فى كل موضع منها رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم

---

(١٥١) Palmer, E. : (Harun Rashid). ( Marcus Ward, 1881 ) p.32.

(١٥٢) ياقـوت الحموى : معجم الأدباء ج ٥ ص ١١٠ .

(١٥٣) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٦٥ .

النظرية والعملية واجرى عليهم الأرزاق السنية »[١٥٤] ليقصد كل من اختار علما وصناعة رئيس ما يختاره فيأخذ عنه .

وكان المعتضد يطوف يوما فى البستان وهو آخذ بيد ثابت بن قرة اذ جذبها دفعة واحدة وخلاها فقال ثابت : ما بدا يا أمير المؤمنين ؟ فقال المعتضد : كانت يدى فوق يدك والعلم يعلو ولا يعلى عليه[١٥٥] . نصح أحد الخلفاء برسالة هامة جاء فيها : وأعلم أن مواقع العلماء من ملكك مواقع السرج المتألفة والمصابيح المتعلقة وعلى قدر تعاهدك لما تبذل من الضياء وتجلو بنورها صور الأشياء[١٥٦] .

وقيل لاحد أكابر الخلفاء « قد حقق الله لك كل مرغوب ومأرب فهل بقيت لك لذة او بغية لم تنلها ؟ فقال : نعم بقيت لذة واحدة هى أعلى من جميع ما نلته . وأفخم من كل ما باشرته ، بل لم تقرب منها ، فضلا عن أن تساويها لذة من لذات الدنيا ولا مرتبة من مراتب الخلافة العليا ، وهى أن أجلس مجلسا كمجلس مشايخ الحديث فأملى وأشرح وأفيد »[١٥٧] .

وكن أبو الاسود الدؤلى يقول : ليس اعز من العلم ، والملوك حكام على الناس ، والعلماء حكام على الملوك[١٥٨] .

وقال الشاعر :

**على قدر أهل العزم تأتى العزام**
**وتأتى على قدر الكرام المكارم**

**وتعظم فى عين الصغير صغارها**
**وتصغر فى عين العظيم العظائم**

هذه الأمثلة القليلة نماذج لتراث ضخم يتحدث عن قدر العلماء ومكانتهم

---

(١٥٤) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٣٦٣ .

(١٥٥) ياقوت الحموى : معجم الادباء ج ٦ ص ٣١٠ .

(١٥٦) **مجموعة رسائل بجامعة أسطنبول** ، ورقة ٣٧ ب ، مخطوط .

(١٥٧) ابن حجر : **معجم ابن حجر** ( دار الكتب المصرية ، ٢٥ مجاميع م ، ٨ ب ) .

(١٥٨) الذهبى ، الامام أبو عبد الله شمس الدين : ( **تذكرة الحفاظ** ) ( دار احياء التراث العربى – بيروت – لبنان ١٣٧٤ هـ ) ص ٢٠ .

السامية وهى وسواها تدل بوضوح على المنزلة الرفيعة التى كان ينزلها من نفوس الناس هؤلاء العلماء والمدرسون .

وقبل انشاء المدارس كانت قصور الخلفاء ، ومنازل العلماء ، ودور الكتب والمساجد بمثابة جامعات يحج اليها طلاب العلم من كل أرجاء الأرض ، وجاء وقت كان كل طالب علم يجد معهدا يتعلم فيه ، ومعلما يقوم على تعليمه ، وراتبا يقوم بأوده . وكان الجامع المنصور فى بغداد ، والجامع الأموى فى دمشق ، والجامع الأزهر فى القاهرة وجامع القيروان فى تونس ، وجامع القيروان فى فاس وجامع قرطبة بالأندلس ، والجامع الكبير بصنعاء ، الى جانب بيت الحكمة فى بغداد ودار العلم بالموصل ، ومكتبة ابن صوار بالبصرة ومكتبة ابن الشاطر بالشام ، ودار الحكمة بالقاهرة كانت جميعها بمثابة معاهد للعلم فى أرقى صوره وكانت فى رعاية الخلفاء والحكام(١٥٩) .

وكان من مظاهر النهضة الثقافية والعلمية فى العالم الاسلامى والعناية بوسائلها الحرص على تأسيس المدارس والمكتبات . ولقد بدأ التدريس أول الأمر فى المساجد والجوامع ، كما كان يجرى أحيانا فى بيوت المدرسين الخاصة ثم صار يعد لـه دور علم خاصة يؤسسها الخلفاء والولاة وكان يطلق عليها اسم بيوت الحكمة أو خزائن الحكمة(١٦٠) وصواوين الحكمة . وكانت هذه أساسا دور كتب وجد فيها أيضا مدرسون وعلماء بالاضافة الى التراجمة والنساخين والمجلدين .

وكانت الشهادة أو الاجازة يمنحها الأستاذ للتلميذ ان يفرغ الطالب من دراسة كتاب أو موضوع يجيز لـه تدريسه ، ويشرف على ادارة المدرسة ناظر يتولى ادارة شئونها ، ويعاونه المشرف أو المعاون والمسجل أو الكاتب وأمين المكتبة الذى يتولى شئون خزائن الكتب .

فدار الحكمة كان يتردد عليها أفاضل العلماء أمثال محمد بن موسى الخوارزمى الفلكى ويحيى بن ابى منصور المولى الراصد المشهور والبلاذرى ( أحمد بن يحيى ابن جابر ) مؤلف « فتوح البلدان » الذى يتحدث عن الأحوال الاقتصادية

---

(١٥٩) د. عبد الحليم منتصر : ( **أثر العرب فى النهضة الأوروبية** ) ( الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ـ القاهرة ١٩٧٠ م ) ص ٢٠٥ .

(١٦٠) المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ص ٢٨٣ .

والعملة والنقـود العربية وكتاب « انساب الأشراف » الذى يشرح الأنساب والأعمال التى يقـوم بها ذوو النفـوذ والجاه فى عصره[١٦١] .

والمربون المسلمون قـد عرفـوا الطريقة الحـوارية التى ينسبها المربون المحـدثون الى الفيلسوف اليونانى سقراط ، فطـوروها وطبعـوها بطابع دينهم واخلاقهم وبنوا عليها طريقة المناظرة التى تعتبر بحـق من مميزات التربية الاسلامية ... وكان لاشـتداد حركة الاعتزال فى عصر المـأمون وخـلافها اثرها على المذاهب الأخـرى[١٦٢] .

وكثر اهتمام العلماء فى مختلف أنحاء الدولة الاسلامية بالرحيل الى المدن الكبرى للاتصال بالعلماء المشهورين للاستفادة من علمهم وفضلهم والسبب فى ذلك « ان الناس ياخـذون معارفهم تارة علما وتعليما والقاء ، وتاره محاكاة وتلقينا بالمباشرة »[١٦٣] .

ومن العـوامل الفعالة فى سرعة نضج العلم فى النهضة العباسية أن الخلفـاء أصحاب تلك النهضة كانوا يبذلون كل مرتخص وغال فى سبيل نقـل هـذه الكتب ، ويرغبون النقلة وغيرهم بالبـذل والكرم بقطع النظر عن مللهم ونحلهم أو انسابهم حتى أن صاحب كشف الظنون يقول : فى هـذه المناسبة « والحـق أن أعظم الأسباب فى رواج العلم وكساده رغبـة الملوك فى كل عصر »[١٦٤] .

وثمة عامل آخر كان لـه القـدح المعلى فى نشر العلم والتعليم هو استعمال الورق ، فمما لا شك فيه ان حركة العلم وتدوينه فى العصر العباسى ما كانت تصـل الى ذلك القـدر من الرقى لو ظلت أدوات الكتابة على حالتها الأولى من السذاجة أو النـدرة[١٦٥] . فالتعليم مدين لصـناعة الورق الـذى به أثرت الكتب والمكاتب وخزائنها وأصبحت مصدرا عظيما للثقافة فساعدت المتعلمين على ارتشاف مناهل

---

(١٦١) محمد الحسينى عبد العزيز : ( **الحياة العلمية فى الدولة الاسلامية** ) . ( وكالة المطبوعات – الكويت ١٩٧٣ م ) ص ٦١ .

(١٦٢) د. عمر محمد التومى الشيبانى : ( **فلسفة التربية الاسلامية** ) ( الشركة العربية للنشر والتوزيع – طرابلس – ليبيا ط ١ ، ١٩٧٥ م ) ص ٤٤٥ .

(١٦٣) د. عصام الدين عبد الرءوف : **الحواضر الاسلامية الكبرى** ص ٢٤٤ .

(١٦٤) حاجى خليفة : ( **كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون** ) ( طبع دار المعارف التركيـة ١٩٤١ م ) جـ ١ ص ٢٩ .

(١٦٥) أحمد أمين : ضـحى الاسـلام جـ ٢ ص ٢١ .

العلم وربمـــا كان تأثير استعمال الورق فى خلق النهضة العلمية فى الاســـلام مثل تأثير الطباعة فى اوروبا فى أواخر العصور الوسطى .

ان خلق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل كان لاستنباط الدولة العباسية ووفرة ثروتها ، ورواج تجارتها أثر كبير فى خلق نهضة ثقافية عظيمة كان لهـا أثرها فى الشرق(١٦٦) .

وكان للمدرسين دور سياسى الى جانب وظيفتهم التعليمية فلم يقتصر المدرسون على ان يكونوا مجرد معلمين مجهزين لموظفين فحسب بل صارت لهم أهميتهم فى مجال السياسة الداخلية والخارجية كما كان يختار منهم فى كثير من الأحيان رجال الدولة والادارة كالولاة وأصحاب الشرطة والوزراء والشعراء وغيرهم كما كانوا بمثـــابة مستشارين للولاة والأمراء . وازداد نفـــوذ المدرسين بفضل سلطانهم الأدبى والروحى فعظمت منزلتهم بين الناس فى حياتهم وبعـــد موتهم ومن ثم استطاعوا أن يوجهـــوا الرأى العام . واستغل الولاة هـــذه المنزلة فعنوا بتقريب المدرسين حتى يضمنوا كسب الرأى العـــام واستقرار الأمور(١٦٧) .

واكتسب العباسيون ثقافة الفرس وتأثروا بمحيطهم وفتحـــوا الأبواب على مصراعيها لنبوغ الأعاجم وما يستدعى الانتباه أن السواد الأعظم من الذين اشتغلوا بالعلم والتعليم كانوا من الموالى(١٦٨) .

وقـــد عقد ابن خلدون فى المقـــدمة فصلا عن ان « حملة العلم فى الاســـلام اكثرهم من العجم »(١٦٩) . ولهـــذا فقـــد غـــدا النـــاس جميعا من الخليفة الى أقـــل أفراد العامة شأنا طلابا للعلم وعلى الأقـــل أنصارا للأدب فكانوا يجوبون ثلاث قارات سعيا وراء موارد العلم والعرفان ثم يعـــودون الى بلادهم كالنحـــل يحملون الشـــهد الى جمـــوع التلاميذ المتلهفين اليه(١٧٠) .

---

(١٦٦) محمد عبد الجـواد الأصمعى : أبو الفرج الأصبهانى ص ٥٦ ، ٥٧ .

(١٦٧) د. حسن الباشا : ( **دراسات فى الحضارة الاسلامية** ) . ( دار المعـــارف بالاسكندرية ـ ١٩٦٨ م ) ص ١٠١ .

(١٦٨) د. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والثقافى والاجتماعى ٢ ص ٢٣٩ .

(١٦٩) ابن خلدون : المقـدمة ص ٦٣٦ .

(١٧٠) د. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والثقافى ج ٢ ص ٢٤٠ .

وتأثر المسلمون بالعلوم التى نقلت الى اللغــة العربية فلم تكن تعرف لديهم حتى اخــذوا فى درسها والاشتغال بها ، وكان اشتغالهم بها فى أول الأمر لا يتعــدى النظر والتلخيص والشرح حتى كسبوا ملكاتها ونضج تمدنهم وانتشرت العلوم فى البلاد . اخــذوا يتدبرون كل علم يدرسونه منها ويحققون مسائله بكل ما أوتوا من قــوة وعقل وصحة وفهم فأصبحت العلوم عمــدتها النظر والقيــاس والتحليــل والتركيب[171] .

(١٧١) د. أحمد فريد رفاعى : عصر المأمون جـ ٤ ص ١٧٤ .

## ثانيا ــ رواتب المدرســين فى بيت الحكمــة :

لم يكن المدرسون فى صــدر الاسلام يأخـذون اجرا على تعليمهم حتى اذا امتدت واتسعت الحضارة وبنيت المدارس واوقفت الأوقاف جعل للمدرسين فيهـا رواتب شـهرية معلومة وأصبح لهم رواتب تختلف بين الكثرة والقلة بحسب الأمصار والمدارس والأوقاف ولكنها على كل حال كانت كافية ليعيش المدرس عيشة هانئة . فالأجر ضرورى فى نظر القابسى فوجــه الضرورة « أنه لو اعتمد الناس على التطوع لضــاع كثير من الصبيان ولمـا تعلم القرآن كثير من الناس فتكون هى الضرورة القائدة الى السقوط فى فقـدان القرآن من الصــدور والداعية الى تثبت اطفــال المعلمين على الجهــالة »[١٧٢] .

والقابسى ينظر الى الواقع لا يتطلب المثل العليا العسيرة المنال فهــو يريد معلما ورعا تقيا مخلصا فى عمله وفى دينه وفى سلوكه يقوم فى التلاميذ مقام الوالد من ولده ويأخــذ الصبيان بالشفقة والرحمة والسياسة والحكمة ويبصرهم احــوال دينهم ويحفظهم كتاب الله وسنة رسوله حفظا للدين من الضياع ولم يضن القابسى على المعلم فى سبيل ذلك بالأجر لحفظ المعاش وكسب الضروريات للحياة[١٧٣] .

ومما ساعد على نمو الحركة التعليمية وذيوعها وامتدادها الى أبعد الحواضر ما كان من رحلة العلماء بين مشرق العالم الاسلامى ومغربه ، ولا شــك أن الأمن الموفور والمستوى المعــاشى المرتفع والتشجيع الكبير الذى يظفر به الرحالــون من الولاة كان لــه أثره العظيم فى اشتداد الرحلة الى الأمصار وامتدادها الى بلاد الشام فأرسل المــأمون بعثة القسطنطينية لاحضار الكتب ورحلة حنين بن اسحاق الى بلاد الروم ليتمكن من اللغة اليونانية[١٧٤] .

ونرى أن المــأمون قــد استعان بأفراد كثيرين من غير المسلمين ليخــدموا النهضة العلمية وليقوموا على وجــه الخصوص بأعمال الترجمة ومن هــؤلاء يوحنا ابن ماســويه وجبريل بن بختيشـوع وحنين بن اسحاق وغيرهم وكانوا يمنحــون أجــورا سخية على القيام بهــذا العمل . ويذكر البروفسور أمان الله خان فى بحثه

---

(١٧٢) د. أحمد فـؤاد الأهـوانى : ( **التربية فى الاسلام** ) . ( دار المعارف بمصر ــ القــاهرة ١٩٧٥ م ) ص ١٨٤ .

(١٧٣) المرجـع نفسـه ص ١٩٢ .

(١٧٤) أحمد أمين : ضـحى الاسـلام ج ٢ ص ١٦٩ .

عن « المــأمون وبيت الحكمة » أن المترجمين والموظفين فى بيت الحكمة كانوا يتقاضون رواتب شهرية ما يعادل تقريبا ٢٥٠٠ روبية باكستانية بالاضافة الى ان المــأمون كان يدفــع مقابل كل كتاب يترجم وزنه ذهبا(١٧٥) .

وقــد قرب الخلفاء اليهم بعض العلماء الذين اشتهروا فى عصرهم وأقاموا على تعليم ابنائهم وتأديبهم فأجزلوا لهم العطاء ومن أمثال هــؤلاء : الكسائى على بن حمزة ، وابو زكريا يحيى بن زياد حظى عند المــأمون وعهد اليه بتعليم ابنيه النحــو وله مؤلفات فى النحو واللغـــة(١٧٦) وابن السكيت وأبو يوسف يعقوب بن اســحاق وكان يؤدب ولــد جعفر المتوكل .

وارتفعت ثقافـــة بعض العلماء وتنوعت ، فسجلت أسماؤهم مــع الفقهــاء ومــع العلماء ومــع الندماء وكان البعض يأخــذ أرزاقا فى هــذه الطوائف كلها ، كالزجاج ( ٣١٠ هـ ) فقــد كان لــه رزق فى الندماء ، وفى الفقهاء ، وفى العلماء ، ومبلغ ذلك ٢٠٠ دينار كل شهر(١٧٧) .

وقــد أجرى الخليفة المقتدر على ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ هـ خمسين دينارا فى كل شهر حينما قــدم بغــداد فقيرا(١٧٨) . وعندما أنشئت المدارس وعين المدرسون بها كان هــؤلاء يتناولون مرتبات شهرية منتظمة من الخزانة العامة او من ايراد الأوقاف التى كانت عادة تعين لينفق من ريعها على هــذه المنشآت ، وقــد كانت هــذه المرتبات تختلف باختلاف مكانة المدرس وريع الوقف ، ولكنهــا كانت على العموم أميل الى الجــود والسخاء .

---

(١٧٥) Dr. Amin Allah Khan : Al-Mamun and his Bayt Al-Hikmat). p. 8 ( 1962, Lahour, Jakistan ).

(١٧٦) ابن خلكان : وفيــات الأعيــان جـ ٢ ص ٢٢٨ .

(١٧٧) ابن النديم : الفهرست ص ٩٠ .

(١٧٨) آدم متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى جـ ١ ص ٣٠٩ .

**ثالثا — المواد الدراسية التى تدرس فى بيت الحكمــة :**

ان المدارس الاسلامية فى العصر العباسى أدت دورها البنـاء فى الحفاظ على التراث العربى الاسلامى وتطـوير وازدهار الدراسات الدينية والأدبية والعلمية وقـدمت خـدمات جليلة للثقافة الاسلامية .

وممـا لا شك فيه أن المدارس الاسلامية فى أول نشأتها بذلت عنـاية فائقـة فى دراسة العلوم الدينية ، وكان لهـذا الأمر الأثر الكبير فى تطـوير وتعميق المواضيع الدينية فعلوم القرآن الكريم والحـديث والفقه وقـد ساعد على هـذا الامر تفهم الناس لتلك المواضيع وظهور الدراسات العلمية التى تميزت بالمتانة والوضـوح والجـدية وأصالة البحث ثم دخلت المواضيع الأدبية كاللغـة والنحو والصرف والعروض والأخبار والأدب الى المدارس الاسلامية وكانت العنـاية فائقـة بتطوير الدراسـات وبذل مجهودات قيمة من أجـل خـدمة التراث الأدبى العربى وتقـديم البحـوث القيمة فى هـذا المجـال ، كما عنيت المدارس بالعلوم الرياضية وهى تشمل الحساب والجبر والهندسـة والمساحة وبالعلوم العقلية التى تضم المنطق وعلم الكلام وقـد ارتقى مناصب التدريس فى هـذه المواضيع نخبة من علماء العرب بذلوا مجهودات قيمة من أجـل دراسـة تلك العلوم وتوسيع مدارك الطلبة وتقـديم البحـوث القيمة فى مجالات العلم المختلفة ممـا أضاف حصيلة ممتازة فى الميـدان العـلمى(١٧٩) .

والمدارس الاسلامية التى عنيت بالدراسات الدينية والعلمية قامت بتخريج أعـداد كبيرة من الطلبة الذين انتشروا فى العالم الاسلامى وصاروا ينقلون ما تعلموه فى تلك المدارس ، وارتقى العـديد من خريجى تلك المدارس الوظائف السامية فى مختلف الأمصار الاسلامية . وساعدت هـذه المدارس على اشـاعة العلم والمعرفة بين الناس عامة وربط المسلمين برباط الثقافة . وان اتاحـة الفرص للمسلمين القبول فى أى مدرسة فى بغـداد أو البصرة أو القـاهرة أو تونس أو الرباط أو اصفهان كان لـه الاثر المحمود فى توحيد الفكر الاسلامى ، وزيادة الترابط الانسانى ممـا ساعد على اتاحـة الفرص للعراقى أو المصرى أو السورى أو المغربى أو الفارسى أو التركى أن يتعارفوا وأن تتمـاس العقول وتحتك الأفكار وتنصهر جميعها فى بوتقـة العلم لتبرز أفكارا مدروسة وآراء مجـدية فى حقول العلم والأدب(١٨٠) .

---

(١٧٩) د. حسين أمين : ( **المدارس الاسلامية فى العصر العباسى وأثرها فى تطـوير التعـليم** ) . مجلة المؤرخ العربى — بغـداد — العراق عـ ٦ . ( ١٩٨٠ م ) . ص ٩ ، ١٠ .

(١٨٠) د. حسين أمين : المدارس الاسلامية فى العصر العباسى ، مجلة المؤرخ العربى عـ ٦ ، ص ١٠ .

هـذا على ما أعتقـد من أبرز ما قـدمته تلك المـدارس فى ذلك العصر من خـدمة للانسانية وتراثها الخالـد . كما ساعد ذلك اللقاء بين البلدان المختلفة فى تعرفهم على عادات وتقاليـد بعضهم البعض وانتشار اللغـة العربية التى أصبحت لغـة الدراسة والثقافة ممـا ادى الى الاهتمام بها وتطـويرها وازدهارها . وقـد تغلبت اللغة العربية على ألسن أهـل البـلاد التى دخلت فيها وأصبحت لغة الانشاء والتأليف .

يقول نالينو : « ان وحـدة الدين استوجبت أيضا وحـدة اللسان والحضارة والعمران ، فصار الفرس وأهـل العراق والشام ومصر يدخلون علومهم القـديمة فى التمـدن الاسلامى الجـديد »(١٨١) . كذلك شجع الاشتغال بالترجمة ميل أفراد من الخلفاء فى العصر العباسى الى العلوم الفلسفية ، « والخلفاء عادة أقـدر على الترغيب فيمـا احبـوه ، والناس أسرع ما يكون الى تحقيق اغراضهم ، والولـوع بمـا اولعـوا به »(١٨٢) .

ويقول ابن صاعـد الأندلسى : « لمـا افضت الخـلافة الى عبد الله المـأمون طمحت نفسه الفاضلة الى ادراك الحكمة ، وسمت به همته الشريفة الى الاشراف على علوم الفلسفة »(١٨٣) . ويقول صاحب فوات الوفيات : « لمـا كبر المـأمون عنى بعلوم الأوائل ومهر فى الفلسفة »(١٨٤) . ويذكر أوليرى : « أنه لكون المـأمون تلقى ثقافته فى مرو فى محيط الهيلينية المحـدثة طبق القواعـد الفلسفية على العقائد الاسـلامية »(١٨٥) .

وكان يوحنا بن ماسويه الذى جعله المـأمون رئيسا لبيت الحكمة يعقـد مجلسا للنظر ، ويجرى فيها من كل نوع من العلوم كالفلسفة والفلك والطب والرياضيات ، كما كان يدرس فيها ويجتمع اليه تلاميذ كثيرون وقـد تتلمذ عليه حنين بن اسـحاق فترة من الزمن(١٨٦) .

---

(١٨١) كرلو نالينو : ( تاريخ علم الفلك عند العرب ) . ( طبع بمدينة روما ١٩١١ م ) ص ١٤١ .
(١٨٢) أحمد أمين : ضـحى الاسـلام جـ ٢ ص ٢٦٦ .
(١٨٣) صاعـد الأندلسى : طبقـات الأمم ص ٥٨ .
(١٨٤) الكتبى ، محمد بن شاكر : فـوات الوفيات جـ ١ ص ٢٣٩ .
(١٨٥) أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٢٤٣ .
(١٨٦) غريغوريوس بن هارون توما الملطى المعروف بابن العبرى : ( مختصر تاريخ الدول ) . ( المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٥٨ م ) ص ٢٥٩ .

وقــد بلغ من سرور جبريل بن بختيشوع طبيب المــأمون بحنين واعجــابه بروعة ترجماته أن قــدمه لأبناء موسى الثلاثة ، وقد كانوا من رعاة العلم الأثرياء .

يقول القفطى فيهم « وممن عنى باخراج الكتب من بلاد الروم محمــد وأحمــد والحسن بنو موسى بن شاكر المنجم ، وقــد بذلـــوا فى ذلك الرغائب ، وأحضروا الغرائب منها فى الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب وغيرها »(١٨٧) . فاحتضنه هــؤلاء وكانوا أصحاب الفضل فى اظهار مواهبه كما يجزلون له العطاء وقدموه(١٨٨) بدورهم الى الخليفة المــأمون فعينه عميدا لبيت الحكمة(١٨٩) .

وهكذا نشأ أولاد موسى بن شـــــاكر الثلاثة فى بيت كلـــه علم وجـــو مشبع بالمناقشـات الكبيرة بين العلمـــاء ، وكان يحيى بن أبى منصـــور يدير « بيت الحكمة » فى بغـــداد ولا غرابة فى أن يصبح أبناء موسى بن شاكر الفلكى من أساطين العلم فى الفلك والهندسة والميكانيكا(١٩٠) .

وقــد انتقل محمد بن جابر بن سنان البتانى الى بغـــداد فى شبابه وعمـــل فى المراصــــد « بدار الحكمة » ببغـــداد .. وهكذا كان الى أن قيض لـــه أن يصـــبح واحـــدا من أكبر علماء عصره أو من المعروفين فى عهده(١٩١) .

وهكذا كانت بغـــداد فى علو كعبها فى العلم حيث أصبحت القبلة التى توجـــه اليها رواد العلم من كل حـــدب وصوب فى الدولة الاسلامية التى تحـــدثت بذكرها الركبان وأسمعت شـهرتها الأصم وطرقت أسماع القاصى والدانى الا وهى : « بيت الحكمة » التى تضم فى اركانها كل ما وصلت اليه الأمة الاسلامية من تفوق حضارى وتقـــدم علمى وازدهار ثقافى تمثل فى مختلف العلوم التى كانت تدرس فيها مثل : الفلسـفة والفلك والطب والرياضيات واللغات المختلفة كاليونانية والفارسية والهندية الى جانب اللغـــة العربية .

---

(١٨٧) القفطى : أخبـار العلماء بأخبـار الحكماء ص ٢٤ .

(١٨٨) أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٢٤٩ .

(١٨٩) حنين بن اسحاق : ( مقـدمة العشر مقـــالات فى العين ) ، تحقيق ماكس مايرهـــوف ، القـاهرة ١٩٢٨ م ص ١٦ .

(١٩٠) محمد رجب السامرائى : ( علم الفلك عند العرب ) . ( بغـداد ـ العراق ـ دائرة الشئون الثقافية ـ الموسوعة الصغيرة ، ١٣٨ ، ١٩٨٤ م ) ص ٩٥ .

(١٩١) المرجـع نفســه ، ص ٩٢ .

**منهـــج التدريس فى بيت الحكمـــة :**

| مرحلة الاعـــداد للالتحاق بالدراسة فى بيت الحكمـــة | المرحلة العالية او مرحلة الدراسة داخل بيت الحكمة |
| --- | --- |
| **١ — من سن ٦ الى ١٤ سنة :** تتم داخل الكتاب فى منزل الفقيـــه ( المعلم ) او الحوانيت ، ويتم فيها حفظ القرآن ، اجـــادة الكتـــابة والقراءة ، ودراسة قواعـــد اللغة ، وممارســـة أوليات الحساب . **٢ — من سن ١٤ الى ١٨ سنة :** وتتم داخل مدارس المسجد أو الحلقة ويدرس فيها بعض العلوم الدينية من فقه وتفسير وكلام ورواية حـــديث ثم معرفة رواية الشعر وسير الاعـــلام والأخبار مع التفقه فى اللغـــة والأدب والبيان والنقـــد . | بعـــد اتمام المرحلتين السابقتين . يتم فيها التدريس عن طريق نظامين : ١ — نظـــام المحاضرات . ٢ — نظـــام الحـــوار والمناظرة والمناقشة . يدرس فيها العلوم الفلسفية والطبية والرياضيات والفلك والعـــلوم الطبيعية والجغرافيا والموسيقى . المدرس يحاضر فى بعض العلوم العالية فى قاعات كبيرة ، والمعيد يساعد المدرس فيجتمع بفئة من الطلاب ويشرح لهم ما استغلق من المحاضرة ويناقشهم فى مادتها والأستاذ أو الشيخ هـــو المرجع الأخير فى موضـــوعه . وكان الطلاب ينتقلون من حلقة الى أخـــرى يعالجون فى كل منها فرعا من فروع العلم وربما الحث بهم الرغبة فى الاستزادة من علم ما أرشاقتهم شـــهرة احـــد مشاهير المعلمين فانكبوا على دراســـة موضوعه حتى النهاية . |

| الشهادة التى تمنح لهم | لباس الخريجين أو العلماء |
| --- | --- |
| اذا كان خريج بيت الحكمة قد أنهى دراسة علم من هذه العلوم السالفة الذكر يمنحه أستاذه اجازة تشهد بانه قد اتقن ذلك العلم ، فاذا كان من الممتازين فيه نصت الشهادة على أنه قد أجيز له تدريسه . فحق منح الشهادة ، كان — والحالة هذه — للأستاذ لا للمعهد .<br><br>اذن الألقاب العلمية لم تكن تمنحها هيئة خاصة بل كان مبعثها تقدير المثقفين . فكان الأستاذ يكتب للخريج اجازة يذكر فيها اسم الطالب وشيخه ومذهبه وتاريخ الاجازة . وهذا يشبه الى حد كبير ما استنتها الجامعات الأوروبية التى أنشئت فى أواخر القرن الثانى عشر . | كان لباس الخريجين والعلماء عبارة عن عمامة سوداء وطيلسانا لعله الروب الجامعى اليوم . وكان هذا الزى ضروريا للمدرسين والفقهاء تمييزا لهم عن غيرهم . |

# الفصل الثالث : حركة التأليف في بيت الحكمة



١ ــ نشأة حركة التأليف فى بيت الحكمــة •

٢ ــ تشجيع حركة التأليف فى بيت الحكمة على يد الخلفاء والوزراء •

٣ ــ عمــل المؤلفــين فى بيت الحكمــة ورواتبهم •

## أولا ـــ نشأة حركة التأليف فى بيت الحكمة :

لقـــد كان لعمليات النشاط الفكرى المختلفة التى تمت بدايتها فى العصر الأموى ، أن تكون قاعـــدة لعمليات ونشاط فكرى أوســـع فى العصر العباسى ، والذى عرف بالعصر الذهبى ، والشيء البارز هـــو أن حلقات الدرس والتتبع والتأليف والترجمة وتشييد المكتبات العلمية التى كانت على نطاق محـــدود نسبيا فى العصر الأموى قد اتسعت وتعـــددت فى العصر العباسى وحظيت برعاية الدولة الفائقة . الأهم من ذلك هـــو وجود نسبة أكبر من قادة الدولة ورؤسائها ممن كانوا يعنون بالعلم والمعرفة . حيث كانوا ينشئون المكتبات العلمية الواسعة التى بلغ تعـــداد كتبها بالملايين بعـــد أن كانت فى حـــدود الآلاف من قبل . كما أنهم كانوا يحضرون حلقات المناظرة والمناقشة بأنفسهم . اضافة الى تشجيعهم وتعضيدهم رسميا لكل من يعمل على تنشيط الحركة العلميـــة والفـــكرية(١٩٣) .

واذا كانت هـــذه الظاهرة قـــد صـــدقت على أبى جعفر المنصـــور وهارون الرشيد بصورة ملموسة ، فانها كانت أوسع مدى مـــع المـــأمون . فلقـــد كانت عناية المـــأمون للعلم والعلماء ظاهرة بارزة فى عهده . كما عرف بانشائه المكاتب والمدارس العلمية . وعرف بتخصيصه المكافآت الكبيرة لكل الباحثين فى حقول المعرفة المختلفة . كما عرف بأنه كان يجند العلمـــاء للترجمة والتأليف وأنه كان يصنفهم حسب حقـــولهم ويحضر حلقـــات مناقشاتهم . والأكثر من هـــذا أن تتبعه دراسته الخاصة قـــد أدت به الى أن يجد نفسه قد انتمى الى هذه المدرسة الفكرية دون تلك(١٩٢) .

على كل حال فى أقـــل من خمسين عاما من آخر الدولة الأموية الى صدر الدولة العباسية كانت أغلب العلوم قـــد دونت ونظمت سواء فى ذلك العلوم النقلية من علوم القرآن والحـــديث والفقه وأصـــوله ، وعلم اللغـــة والأدب على اختلافها والعلوم العقلية من علوم الرياضة والمنطق والفلسفة وعلم الكلام(١٩٤) .

وكان نشاط المسلمين فى ذلك يسترعى الأنظـــار ويستخرج العجب وليس هناك من نشاط يشبهه الا نشاط العرب فى فتـــوح البلـــدان . وقـــد نظم العلماء أنفسهم

---

(١٩٢) د. فاضـل زكى محمد : ( **الفكر السياسى والعربى الاسلامى بين ماضيه وحاضره** ) . ( دار الحرية للطباعة ـ بغـداد ـ العراق ط ٢ ١٩٧٦ م ) ص ٣١٥ .

(١٩٣) المرجـع نفسـه ص ٣١٥ .

(١٩٤) أحمد أمين : ضـحى الاسـلام ج ٢ ص ١٩ .

فرقا كفرق الجيش كل فرقة تغزو الجهل أو الفوضى فى ناحيتها تخضعها لنظامها نفرقة للغة وفرقة للحديث وفرقة للنحو وفرقة للكلام ، وفرقة للرياضيات وهكذا ، وهم يتسابقون فى الغزو والانتصار ، وتدوين العلم وتنظيمه تسابق قبائل العرب فى الفتوح والغزوات ، كل قبيلة تود أن تكون السابقة فى الميدان ، ووجد فى ساحة الميدان قواد بارزون يتنافسون فى الابتكار ، فاذا فاز أبو حنيفة بوضع الفقه ثارت حماسة الخليل بن أحمد فيضع العروض ويرسم المنهج لمعجم اللغة ، بل ويريد بعقله الجبار أن يضع « نوعا من الحساب تمضى به الجارية الى البياع فلا يمكنه ظلمها »(١٩٥) .

وهكذا فى سائر الفروع ، وقد ظل المسلمون ، طوال حياتهم يعيشون على هذه الثروة فى هذا العصر ليس لهم فى الغالب من أثر الا الايجاز والاطناب حينا وجمع متفرق وتفريق مجتمع . أما الابتكار فقليل نادر ساعد على هذه الحركة العلمية الواسعة أو قل نتج عن هذه الحركة والميل الى تدوين العلم ونقله من المشافهة الى الكتابة اتساع صناعة الورق(١٩٦) .

ذلك أن للعرب فى تاريخ العلوم مجدا متألقا لا يخبو ، فقد عكفوا على العلم منذ شرح الله صدورهم للاسلام ووجدوا فى طلب العلم عبادة واستجابة لدعوة دينهم ... فاقبلوا على مناهل العلم اقبالا ، وشجعوا العلماء والأدباء تشجيعا جديرا بالثناء ثم ان بعض الخلفاء والأمراء فى العصر الأموى والعباسى كانوا يتباهون بعلمهم وكانوا يقربون العلماء اليهم ويغدقون عليهم ورفعوهم مكانا عاليا فضربوا بهذا أروع مثل فى الشغف بالمعرفة وتقدير رجالها(١٩٧) .

وقد ظهر ابن النديم بكتابه « الفهرست » فى الربع الأخير من هذا القرن حاشدا فيه صنوف المؤلفات فى عصره وما قبله ، وفيها من كتب الفلسفة مقدار يدل على رواجها واتقانها ، وتفرغ العلماء للبحث والتأليف فى هذا العصر تفرغا لم يعهده السابقون . وقد شاع فى هذا العصر اقتناء الكتب وكثرة المكتبات فصار

---

(١٩٥) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٢٤٥ .

(١٩٦) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٢ ص ٢٠ .

(١٩٧) د. أحمد الحوفى : ( تيارات ثقافية بين العرب والفرس ) ( دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ الفجالة ـ القاهرة ١٣٨٨ هـ/١٩٦٨ م ) ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

الملوك والأمراء بعـــد الخليفة الأمين يفاخرون باقتناء المصنفات ويتسابقون الى شراء نوادرها وفى اواخر هـــذا القرن أولعت بغــداد بالكتب والتأليف(١٩٨) .

واتفق المؤرخون من عرب وافرنج على ان أول طالع سعيد لارتقاء الأمة العربية كان فى القرن الثانى من الهجرة ، حيث سطع نور العلم من بغـــداد فأنار جميع الآفاق مصر والأندلس ، لانه فى هـــذا العصر شرع علماء الاسلام فى تدوين الحـــديث والفقه والتفسير وصناف بن جريج التصانيف بمكة ، وصنف سعيد بن أبى عروبة ؛ وحمـــاد ابن سلبة وغيرهما بالبصرة ، وصـــنف أبو حنيفة الفقه والرأى بالكوفة ، وصـــنف الأوزاعى بالشام ، وصنف مالك الموطـــأ بالمدينة وصنف أبو اســـحاق المغـــازى ، وصنف معمر باليمن وصنف سفيان الثورى كتاب الجامع ، ثم بعـــد يسير صنف هشام كتبه ، وصنف الليث بن ســـعد وعبد الله بن لهيعة ، ثم ابن المبارك والقاضى أبو يوسف ، وابن وهب ، وعيسى بن عمر النحـــوى ، وكثر تدوين العلم وتبويبه ، ورتبت ودونت كتب العربية واللغـــة والتاريخ وأيام الناس وقبل هـــذا العصر كان ســـائر العلماء يتكلمون عن حفظهم ويروون الكلم عن صحف صحيحة غير مرتبـــة ، نسهل ولله الحمد تناول العلم(١٩٩) .

اتسع افـــق الفكر الاسلامى فى عهـــد السلاجقة اتساعا كبيرا ، فقـــد كانت ملكات المسلمين فى البحث والتأليف على درجـــة عظيمة من النضج كنتيجة طبيعية لحركة الترجمة التى نشطت فى الدولة العباسية ، وكثرة تنقـــل رجال العلم والأدب فى مشارق العالم الاسلامى ومغاربه فى ذلك الوقت للاتصال بحكام الدول التى استقلت عن الخـــلافة العباسية ، فنشطت الحركة الفكرية ، وراجت الثقـــافة وزخر بلاط السلاجقة وغيرهم من حكام الدول بالعلماء والأدباء(٢٠٠) .

وكانت المدارس الفكرية لا حصر لهـــا ، وكانت الفنون والعلوم تشجع على الحكمة ، وكان الجـــو يموج بالشعر وبالمتعة الكاملة فى الفهم ، وكانت حياة بغـــداد تنطـــوى على شىء من التسامى ، وفى زمن الرشيد لم تكن المدينة قـــد بلغت من العمر خمسين عاما ، لكنها اعتبرت مركزا عالميا فى الدرجـــة الأولى من القـــدر وكأنها

---

(١٩٨) د. زكى المحاسنى : ( **المتنبى ، من نوابغ الفـــكر العربى** ) . ( دار المعـــارف بمصر ١٩٧١ م ) ص ١٢ ، ١٣ .

(١٩٩) محمد عبد الجواد الأصمعى : أبو الفرج الاصبهانى ص ١١٢ .

(٢٠٠) د. عبد النعيم حسنين : ( **سلاجقة ايران والعراق** ) . ( مكتبة النهضـــــة المصرية ـ القاهرة ط ٢ ، ١٣٨٠ هـ/١٩٧٠ م ) ص ١٨٧ .

مكان مقدس للفكر ، واذا كانت عظمتها قد نمت فى عصر الامبراطورية ، فانها اصبحت بسرعة المنافسة للامبراطورية البيزنطية[٢٠١] .

فالتاريخ يحدثنا أن خلفاء الدولة العباسية شجعوا العلم على اختلاف الوانه فأمروا بنقل الفلسفات اليونانية والهندية والفارسية فضلا عن عنايتهم بالعلوم الاسلامية ، وقد اقتفى اثرهم وسار على منوالهم امراء الدويلات الناشئة فى العصر العباسى الثانى وجعلوا من العلم ميداناللمنافسة وجمعوا العلماء حولهم ، وقربوهم ، حتى ان الباحث ليلمس أن العلوم الكلامية لا الفلسفة كلها قد سارت جنبا الى جنب فى طريق التقدم والنضوج[٢٠٢] .

ومن الناحية الثقافية ظهرت آثار سياسة الانفتاح نحو الشرق فى الحركة العلمية ، فكان العصر العباسى عصر احياء للثقافات الاقليمية وبالذات للثقافات الفارسية القديمة ، وهو العصر الذى بلغت الحياة العلمية فيه أوجها ، ونشطت حركة الترجمة عن اليونانية والهندية والفارسية[٢٠٣] .

وفى هذه البيئة العلمية الصالحة ، وفى هذا الجو العلمى الحافل نشأ عدد من العلماء يقرنون الى أعاظم العلماء فى كل عصر وآن .. وكانت العربية لغة العلم يكتب بها العلماء ، ليقرأها الناس فى أى صقع من اصقاع الوطن الاسلامى الكبير ، وازدهرت حركة الترجمة أيما ازدهار ثم أقبل العلماء على التأليف والكتابة فى مختلف فروع المعرفة العلمية ، نقلوا علوما وابتكروا أخرى ، واضافوا كثيرا من الآراء والنظريات التى نسبت الى غيرهم[٢٠٤] .

وكان مركز الحركة الثقافية قبل تأسيس بغداد فى البصرة والكوفة ثم شيدت بغداد فغلبت على المدينتين . ويقول اليعقوبى[٢٠٥] : « ليس لها نظير فى مشارق

---

(٢٠١) جاك· س· ريسلر : الحضارة العربية ص ١١٤ ·

(٢٠٢) د· فوقية حسين محمود : ( **الجوينى امام الحرمين** ) · ( الدار المصرية للتأليف والنشر ـ القاهرة ١٣٨٤ هـ/١٩٦٤ م ) ص ٤٧ ، ٤٨ ·

(٢٠٣) د· السيد عبد العزيز سالم : ( **دراسات فى تاريخ العرب ، العصر العباسى الأول** ) · ( مؤسسة الشباب الجامعية ـ الاسكندرية ـ بدون ) جـ ٣ ص ٤٩ ·

(٢٠٤) د· صالح رمضان محمود : ( **أهم المبدعين فى مجالات الفكر والعلم** ) · مجلة المؤرخ العربى ـ بغداد العراق عـ ١٨ ( ١٩٨١ م ) ص ١٦ ·

(٢٠٥) اليعقوبى ، أحمد بن ابى يعقوب بن جعفر وهب بن واضح : ( **معجم البلدان** ) · ( بيروت ـ لبنان ـ دار صادر ١٩٦٠ م ) ص ٢٣٣ ·

الأرض ومغاربها سعة وكبرا وعمارة وكثرة مياه ، وصحة هواء ، لأنه سكنها من أصناف الناس وأهل الأمصار والكور وانتقل اليها من جميع البلدان القاصية والدانية وآثرها جميع أهل الآفاق على أوطانهم وهى مع هذا مدينة بنى هاشم ودار ملكهم ومحل سلطانهم ... واعتدال الهواء وطيب الثرى وعذوبة الماء حسنت أخلاق أهلها ونضرت وجوههم وانفتقت أذهانهم حتى فضلوا الناس فى العلم والفهم والأدب . فليس أعلم من عالمهم ، ولا أروى من روايتهم ، ولا أجدل من متكلمهم ولا احذق من مفتيهم ولا أعرب من نحويهم ولا أصلح من قارئهم ، ولا أمهر من مطببهم ولا اكتب من كاتبهم ، ولا أشعر من شاعرهم .

وكذلك ظهر فى بغداد علماء عنوا بتأليف الكتب واقتناء النفيس منها كمحمد ابن عمر الواقدى الذى خلف بعد وفاته ستمائة قمطر كتب كل قمطر منها حمل رجلين ، وكان له غلامان مملوكان يكتبان له الليل والنهار(٢٠٦) ، وله عدة مصنفات .

ويذكر ابن خلكان(٢٠٧) أن اسحاق بن ابراهيم الموصلى كان عنده الف جزء من لغات العرب . ونشطت الكتب والمباحث الجغرافية منذ هذا التاريخ المبكر ، ومع افتتاح هذا العصر العباسى الثانى يؤلف عبد الله بن خردانبه الفارسى الأصل كتابه « المسالك والممالك » وهو يصرح فى مطالعه بأنه اعتمد فى بيان حدود الارض ومسالكها على كتاب بطليموس ، ومر بنا أنهم كانوا يشجعون بأموالهم والأغداق على الترجمة ، وان كثيرا من الكتب ترجم باسمهم ومن أهمهم بختيشوع(٢٠٨) بن جبرائيل بن بختيشوع ، وبلغ من كثرة ثرائه انه كان يضاهى الخليفة المتوكل فى الزينة والفرش والمأكل والمشرب .

نخلص من ذلك أن النشاط العلمى الزاخر الذى حفلت به بيت الحكمة فى ظل العباسيين كان له دوره فى دفع حركة الفكر الى الامام ، وكانت دعامة هذه الحركة ترجمة الكتب الأجنبية التى استجلبها الخلفاء من بقاع كثيرة وكان السريان بخاصة هم الذين اضطلعوا بالنصيب الوافر من هذا العمل . ولولا التعريب الذى قام به هؤلاء المترجمون لما انتفع أحد بتلك العلوم لعدم معرفة غيرهم ببلاد اليونان . لا جرم كل كتاب لم يعرفه باق على حاله ، ولا ينتفع به الا من عرف تلك اللغة(٢٠٩) .

---

(٢٠٦) ابن النديم : الفهرست ص ١٤٤ .

(٢٠٧) ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ ١ ص ٩٢ .

(٢٠٨) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٠٢ .

(٢٠٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ص ٢٠٩ .

ونراهم ينشئون المدارس والمعاهد العلمية فى كل مكان . ويؤسسون المكتبات فى كل مكان ويبيحون دخولها لكل قاصد ، ويدرسون آراء كبار الفلاسفة القدامى جنبا الى جنب مع دراسة القرآن ، وهذا يلقى جالينوس وأرسطو وأفلاطون واقليدس وبطليموس وما هم له من التقدير[210] ولم تكن مهنة الوراقة فى عهد الدولة العباسية تقف عند حد الصفقات التجارية . وانما كانت تتعدى ذلك الى مهام ثقافية بالغة الأهمية فى ذلك الحين ، اذ كان الوراقون هم الذين ينسخون الكتب ويعرضونها للراغبين فيها . ويتقاضون على ذلك أجرا متواضعا متوسطه دينار عن كل كتاب[211] .

ووصف ابن الجوزى[212] ( ٥٩٧ هـ ) سوق الوراقين ببغداد فى زمنه بقوله : انها سوق كبيرة وهى مجالس العلماء والشعراء .

---

(٢١٠) سيد أمير على : ( **روح الاسلام** ) ترجمة محمود أمين الشريف ( مكتبة الآداب بالقاهرة ـ ١٩٦٣ م ) جـ ٢ ص ٢٥٦ .

(٢١١) Ameer -Ali-short History of Saracens, p. 460.

(٢١٢) ابن الجوزى : ( **مناقب بغداد** ) . ( بغداد ١٣٤٢ هـ ) نشره محمد بهجت الأثرى ص ٢٦ .

## ثانيا ـ تشجيع حركة التاليف فى بيت الحكمة على يد الخلفاء والوزراء :

كان التدوين فى المشرق سائرا فى منهج التقدم فى هذا العصر ، فتعددت اغراضه وموضوعات علومه ، وتنوعت أشكال كتبه من مبسوطات مفصلة ومختصرات مجملة ، ورغب العلماء المصنفون فى الافادة والاستفادة ووجود عدة دول متجاورة متنافسة كل منها تحرص ان تفوق الأخرى فى احراز وسائل القوة وعتاد الملك وترفيه العيش ، ولا يكون ذلك الا بتأثيل الحضارة وتعضيد العلم وأغدق ملوك هذه الدول ووزراؤها على العلماء والأدباء ، وتنافسوا فى ضمهم الى مجالسهم واغراء هؤلاء بتأليفهم الكتب بأسمائهم واستنباط دقائق العلوم لفائدتهم ، فكثرت الكتب والمصنفات التى وضعت فى العصر العباسى الأول فى علوم أخرى اشتقت منها كعلوم الأخلاق ، وآداب السلوك ، وسياسة الملك وقيادة الحرب ، وتعبئة الجيوش ، واستعمال الأسلحة وتدبير المال وتصريف وحدة الكسب فى التجارة وتدبير المنزل ، والبحث فى معرفة اسباب العمران(٢١٣) ، واتسع مجال البحث فى الطب والحساب والجبر والهندسة والكيمياء والطبيعة والفلك والجغرافيا وفن الحيل ، والمنطق وعلم الكلام ، وسائر العلوم الحكمية والدخيلة ، فثبتت أصولها ، وتشعبت فروعها وتعددت المذاهب ، وأصبحت بعيدة الشبه بأصولها اليونانية ، وانصبغت بصبغة الروايات وامتزجت باختلاف طرقها(٢١٤) .

وبازدهار حركة التدوين والتأليف والترجمة فى العصر العباسى ، اتسعت دور المكتبات العلمية ، وحفلت بأنواع مختلفة من الكتب المؤلفة والمترجمة وأصبح العلماء يذهبون للاطلاع على هذه الكتب التى كانت الدولة العباسية تحرص على تزويد المكتبات بها ، وكثيرا ما كان الخليفة يرسل البعثات العلمية الى الأمصار المختلفة لشراء الكتب وتزويد المكتبات بها ، وقد فعل الخليفة المأمون ذلك بأن أرسل البعثات الى بلاد الروم للبحث فى خزائنها العلمية الشهيرة عن الكتب الهامة لنقلها الى البلاد الاسلامية وترجمتها(٢١٥) .

وأخذ العلماء المسلمون ينهلون من موارد العلم بمختلف فروعه وفنونه ، فأخذوا يترجمون العلوم وينقلون الى اللغة العربية علوم اليونان والرومان والفرس والهنود ... ترجموا عن الاغريقية والفارسية والقبطية والآرامية والهندسية ونقلت

---

(٢١٣) د. محمد عبد المنعم خفاجى : الآداب العربية فى العصر العباسى الثانى ص ٢٢ .

(٢١٤) المرجع نفسه ص ٢٣ .

(٢١٥) د. محمد فاروق النبهان : مبادىء الثقافة الاسلامية ص ٣٤ .

الوف الكتب من المكتبات القديمة ، واقيمت دور الكتب والمكتبات ، وفتح الخلفاء والأمراء قصورهم للعلم والعلماء ، وتنافس الخلفاء والحكام فى رعاية العلم والعلماء ، وتسابقوا فى الانفاق فى سخاء عليهم ، وقبل الرشيد الجزية كتبا كما دفع المأمون وزن ما يترجم ذهبا(٢١٦) فما بالك بمن يقوم بالتأليف ؟ .

وكانت حركة التأليف تسير الى جانب حركة الترجمة بدليل أن بعض المترجمين كانوا يزاولون التأليف والترجمة(٢١٧) فى وقت واحد ، وقد عرفنا من قبل أن علماء العرب كانوا مولعين بالعلم لذلك أكبوا على الدراسة والاطلاع فكسبوا الملكة فى العلم والقدرة على التأليف ومن أجل ذلك كانت نهضة أخرى بعد نهضة الترجمة وهى نهضة التأليف فى العلوم وقد وضح ذلك مما قدمناه ، كما أن الذين اشتغلوا بالترجمة والتأليف كانوا من الأطباء وان اعلام التراث العربى كانوا ينبغون فى أكثر من علم واحد(٢١٨) .

ويقول مؤرخ الحضارة الاسلامية فى عهد الخلفاء : « من الحقائق المشهورة أن الخليفة المنصور ، الذى تنسينا مزاياه الخلقية والعقلية بعض النواحى السوداء من طباعه ، كان من أنصار الحركة الفكرية العظيمة التى بدأت اذ ذاك فى العالم الاسلامى فهو الذى أمر بترجمة الكتب العلمية والأدبية من اللغات الأجنبية الى اللغة العربية ، وهو الذى ألم بقدر لا يستهان به من العلوم والرياضيات ولم تكد هذه الكتب المترجمة تنشر حتى أكب الناس على دراستها بشغف ولم يقف خلفاء المنصور عند حد تشجيع العلماء البارزين الذين وفدوا على العاصمة من كل حدب بل كانوا هم أنفسهم أشد الناس اهتماما باكتساب كل فروع المعرفة ، وفى عهدهم سارت الحركة العلمية بخطى حثيثة عند العرب ، وبعبارة أخرى عند مختلف الأمم التى انضوت تحت لواء الخلافة ، وكان لكل أمة من أمم العالم العظيمة عصرها الذهبى . كان عصر أثينا الذهبى هو عصر اغسطس ، وكذلك كان للعالم الاسلامى عصره الذهبى(٢١٩) . كان المنصور سخيا نحو العلماء والأدباء حتى أنه جعل من نفسه

---

(٢١٦) د. صالح رمضان محمود : أهم المبدعين فى مجالات الفكر والعلم ص ٢٦٨ ، مجلة المؤرخ العربى عـ ١٨ ، ١٩٨١ م .

(٢١٧) ابو الفتوح التوانسى : ( **من أعلام الطب العربى** ) ( الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٦ م ) عـ ١٤٤ ص ٢٨ .

(٢١٨) أحمد أمين : ضحى الاسلام جـ ٢ ص ٦١ .

(٢١٩) السيد أمير على : روح الاسلام جـ ٢ ص ٢٥٤ .

قـدوة فى محبة العلوم والآداب[٢٢٠] .

فلقـد عنى خلفاؤه وعلماؤه بتدوين العلوم وترجمتها ونشرها وكان المنصور أسبقهم الى ذلك حيث استقدم جرجيس بن بختيشوع رأس أطباء جنديسابور من السريان والفرس والهنـود فترجموا لـه كتبا فى النجوم والطب ... فنشطت حركة التأليف والترجمة وعظمت صناعة الورق وتبع ذلك ظهور حرفة الوراقين ووجود أمكنة تتخـذ مباءة للعلماء والأدباء ، يتزودون منها بالعـلم ، وكثرت المكتبات وذخرت بالكتب[٢٢١] ، وكان الخليفة المهـدى للأدب ، مشجعا على التأليف فيه[٢٢٢] وفى حجر المهـدى نشأ ابن ابراهيم أديبا شاعرا موسيقيا ، ولقـد شارك فى التأليف فألف كتابا فى الأدب سماه « ادب ابراهيم » و « كتاب فى الطبخ » وآخر فى الطب ، وكتابا فى الغناء الا أنها كلها لعبت بها يد الزمان فضاعت فيما ضاع[٢٢٣] .

وكان الهادى مثل أبيه محبا للآداب مشجعا للشعراء ، وكان على سنته فى بغض الزنادقـة وليس من شـك فى أن هؤلاء الزنادقـة قـد تركوا أثرا ملموسـا فى الدين والشعر والأدب ، أما أثرهم فى الدين فقـد أحـدثوا معانى جـديدة فى تفسير لغـة القرآن ، وساعدوا على نشر مبدأ التأويل واتخـذوه وسيلة للطعن فى كتاب الله ، كما أنهم نشطوا فى وضع الأحاديث والدس فيها ، ومن ناحية أخرى انتشر بسببهم علم الكلام واشتد الجـدل بينهم وبين العلماء والفقهاء فكانت حركة غزيرة فى التأليف والمناظرات ، فوضعت كتب كثيرة للرد على الزنادقـة وأهـل الالحـاد[٢٢٤] .

ثم فترت هـذه النهضة أيام المهـدى والهادى حتى قـواها الرشيد بروح البرامكة ، ونشرها فى مملكته المتسعة ، وضم ايوانه نوابغ العلماء وأخذ على نفسه بأن

---

(٢٢٠) ل. أ. سيديو : ( **تاريخ العرب العام** ) نقله عادل زعيتر ( دار احياء الكتب العربية ـ مكتبة الحلبى ـ القاهرة ـ ١٣٨٩ هـ/١٩٦٩ م ) ص ١٨٢ .

(٢٢١) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٢ ص ٦١ .

(٢٢٢) د. أحمد فريد رفاعى : عصر المـأمون ج ١ ص ١٠٥ ، ١١٢ .

(٢٢٣) ابن قتيبه ، أبى محمد بن عبد الله بن مسلم : ( **المعارف** ) ، تحقيق د. ثروت عكاشة ـ ( دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م ) ص ٩ .

(٢٢٤) د. زاهية قدورة : ( **الشعوبية وأثرها الاجتماعى والسياسى** ) ( دار الكتاب اللبنانى ـ ـ بيروت ـ لبنان ط ١ ١٩٧٢ م ) ص ١٧١ .

الحـــق بكل جامع جامعة للعلم وأن يصطحب مائة من العلماء كلما سافر وكان يجـــل العلماء على تباين نحلهم(٢٢٥) ، ثم ينشىء ( هارون الرشيد ) فى نفسك صورة الخليفة العالم الأديب الفقيه بألوان العلم والدين والأدب ، المشجع للفقهاء والعلماء والشعراء والكتاب تشجيعا أصبح فيه مثلا لمن جاء بعـــده فى الشرق والغرب(٢٢٦) .

ولقـــد كانت دولة الرشيد كما يقول الفخرى : « دولة من احسن الدول واكثرها وقارا ورونقا وخيرا ، وأوسعها رقعة مملكة ، ولم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والفقهاء والقراء والقضاة والكتاب والندماء والمغنين ، مثلما اجتمعوا على باب الرشيد وكان يصل كل واحـــد منهم اجزل صلة ، ويرفعه أعلى درجـــة . وكان فاضلا شاعرا راويا للأخبار والآثار والأشعار صحيح الذوق والتمييز مهيبًا عنـــد الخاصـــة والعـــامة »(٢٢٧) .

ولهـــذا كان عصر الرشيد نفسه من أزهى العصور بالنسبة لحياة اللغـــة العربية والتأليف فيها ويكفى أن نذكر من علماء هـــذه الفترة أمثال الكسائى والأصمعى والفراء وأبى عبيدة وأبى زيد الأنصارى لنتبين صـــدق ما ذهبت اليه(٢٢٨) .

يقول ابن أبى أصيبعة : « كان يوحنا بن ماسويه مسيحى المذهب سريانيا قلده الرشيد ترجمة الكتب القـــديمة ممـــا وجـــده بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم حين سباها المسلمون ووضعه أمينا على الترجمة(٢٢٩) ممـــا شجع حركة التأليف فى بيت الحكمة . ويقال انه هـــو الذى نصح هارون الرشيد بانشاء دار كتب كبيرة وهى تلك الدار التى اتسعت واشتهرت فيما بعـــد وأصبحت تدعى دار الحكمة(٢٣٠) « أو بيت الحكمـــة » .

ويمكننا أن نعـــد من النقلة الذين خـــدموا الرشـــــيد ومن بعـــده المـــأمون الحجاج بن يوسف بن مطر اذ أنه نقـــل كتاب اقليدس وأصول الهندسة مرتين الأولى

---

(٢٢٥) د. أحمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربى ص ٣٥٨ .

(٢٢٦) د. أحمد فريد رفاعى . عصر المأمون ص ١١٥ ، ١١٦ .

(٢٢٧) ابن الطقطقى : الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٢٢٨) د. محمد مصطفى هداره : ( **اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى** ) . ( دار المعارف بمصر ط ٢ ١٣٨٩ هـ/١٩٦٩ م ) ص ٨٦ .

(٢٢٩) ابن أبى أصيبعه : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ٢ ص ١٢٤ .

(٢٣٠) محمد عاطف البرقوقى : الخوارزمى العالم الرياضى الفلكى ص ٧٩ .

زمن هارون الرشيد ويعرف هـــذا النقـــل بالهاروني نسبة لهـــارون الرشيد والثانية زمن المـــأمون ويعرف هـــذا النقل بالمـــأموني(٢٣١) .

كذلك عهـــد الرشيد بالقيام بشئون خزانة الحكمة الى شخص يتقن الفارسية هـــو انفضل بن نوبخت أبو سهل وهـــو فارسي الأصـــل . يذكر عنه القفطي أنه مذكور مشهور من أئمـــة المتكلمين في زمن هارون الرشيد حيث ولاه القيام بخزانة كتب الحكمة وكان ينقـــل من الفارسي الى العربي ما يجـــده من كتب الحكمـــة الفارسية ومعـــوله في علمه وكتبه على كتب الفرس(٢٣٢) .

وقـــد اتبع المـــأمون سياسة والده في توجيه الغزوات نحـــو المدن التي تحوى خزائن عامة للمخطوطات وذلك من أجـــل الحصول على تلك الثروة العلميـــة التي لا تقـــدر بثمن ، ولكنه زاد عليـــه زيادة كبرى ، وذلك في مراسلته ملوك الروم في القسطنطينية وصقلية وقبرص وطلبه منهم انفاذ ما عندهم من مخطوطات يونانيـــة وارساله البعوث المختلفة الى بلاد الروم في سبيل الحصول على مثل هذه الكتب(٢٣٣) .

وقـــد صار التاليف الأصيل في هـــذا العهد جنبا الى جنب مع النقـــل والتعريب فقـــد زخر العصر بالعلماء والاعلام الذين الفـــوا في مختلف العلوم ، ذلك أن الامام مالك الف كتابه الموطـــا في مطالع هـــذا العصر ، وفي الواقع لقـــد شاهد هـــذا العصر ازدهار الدراسات الاسلامية ونشوء المذاهب الفقهية والف الجاحظ كتبه في الأدب والتي قيل فيها كتب الجاحظ تعلم العقل والأدب ثانيا(٢٣٤) .

شجع المـــأمون التاليف عن طريق بذل المنح السخية وكان هناك عـــدد لا حصر لـــه من كتب الرياضيات والهندسة والفلسفة والفلك وعلم الارصاد الجـــوية وعلم البصريات والميكانيك والطب ... الخ ، كل هـــذه العلوم قـــد جمعت ويسرت الاطلاع عليهـــا لجمهرة القراء(٢٣٥) .

---

(٢٣١) ابن النديم : الفهرست ص ٣٧١ .

(٢٣٢) القفطي : أخبـار العلماء في اخبـار الحكماء ص ٢٥٥ .

(٢٣٣) د. محمد ماهر حماده : المكتبات في الاسـلام ص ٥٩ .

(٢٣٤) المرجـع نفسـه ص ٧١ .

(٢٣٥) جي. دبليو. تومسون : ( تاريخ المكتبات في العصر الوسيط ) ( نيويورك ، شركة هافنز للنشر ١٩٥٧ م ) ص ٣٥٠ ، ٣٥١ .

وكان البرازى المتوفى ٩٢٥ م من علماء الفيزياء حيث كتب ما يربو على مئتى كتاب لبيت الحكمة كما أن ( ابن أبى الحارث ) وهو من مشاهير مجلدى الكتب عد كمجلد للكتب فى هذه المكتبة . وفى هذا الجو العلمى الخلاق والحضارة الزاهرة والمنيرة قويت حركة التأليف فى عهد المأمون حتى انه تخير المؤلفين ممن كان له اثره فى تنوير أفكاره وتحضير أعماله(٢٣٦) .

ويقول سيديو فى كتابه تاريخ العرب العام « كان المأمون يعد سلالة الامم فى العلم ، ولم يرد المأمون ان يشع نور العلم من جود ولى الأمر الطارىء ، فجعل شرف الآداب فى حرز من تقلبات الحوادث بما حبسه عليها من الوقف الدائم ، وفتحت المدارس من كل ناحية ، فصرت ترى لأول مرة فى تاريخ العالم على ما يحتمل حكومة دينية مستبدة تخالف الفلسفة وتهيىء فوزها وتشاطرها نصرها »(٢٣٧) ونرى المأمون يضرب به المثل فى عظم الحركة العلمية فيشير « نولدكه » فى « دائرة المعارف البريطانية » وغيرهم يمثلون المأمون انوشروان وغيره من خدمة الانسانية ورسل الثقافة العامة ، والحق ان المأمون وعصر المأمون كانا متقدمين عن زمانهما ، اذ كانت حالة المأمون وحال المملكة المأمونية فى ذلك الحين — أرقى بمراحل من حال ملوك أوروبا وممالك أوروبا . ويقول د. خليل طوطح فى رسالته الانكليزية عن حال التعليم عند العرب : « انه بينما كان شارلمان يتعلم القراءة مكبا على مطالعة رسائله مع أترابه فى مدرسة القصر كان المأمون يعالج الفلسفة ومناقشته أقضيتها هناك فى بغداد »(٢٣٨) .

أما المؤلفون النساطرة فعددهم وفير ومقامهم رفيع أولهم تلك الأسرة الراسخة فى علم الطب والفلسفة آل بختيشوع من جنديسابور وقد تناقلوا العلم من جيل الى جيل على مدى ثلاثة قرون تقريبا فى عهد العباسيين مؤسسها جورجيس ابن جبرائيل وابن بختيشوع وحفيده جبرائيل وابن حفيده بختيشوع وحفيد حفيده يوحنا من أبناء هذه الأسرة جبرائيل بن عبد الله وابنه سعيد عبيد الله كلهم خدموا الطب والفلسفة والمنطق والديانة النصرانية بما عربوا والفوا . نقل الينا أخبارهم ابن أبى

---

(٢٣٦) د. زاعية قدورة : الشعوبية واثرها الاجتماعى والسياسى ص ٢٢٢ .

(٢٣٧) ل. أ. سيديو : تاريخ العرب العام ص ١٨٢ .

(٢٣٨) د. خليل طوطح : التربية والتعليم عند العرب ، ص ٦٩ .

اصيبعة[٢٣٩] وابو الفرج العبرى[٢٤٠] ، والقفطى[٢٤١] من القدماء ، شيخو[٢٤٢] وسليمان صائغ[٢٤٣] وبرغشتراسر[٢٤٤] وماكس مايرهوف[٢٤٥] وبركلمان[٢٤٦] ودائرة المعارف الاسلامية ويوسف غنيمة[٢٤٧] .

هؤلاء هم المؤلفون النساطرة وقد كانوا من نخبة القوم علميا واجتماعيا . وكان حنين بن اسحاق مؤلفا غزير الكتابة غزارته فى الترجمة ، كتب فى مواضيع علمية متنوعة كما وضع ثبتا قيما بكتاب جالينوس المتوفرة فى ترجمات سريانية وعربية وقد نسب ( الفهرست ) لابن النديم الى حنين تسعة وعشرين وصفا وكان يرى فيه ابرز مؤسسى العلوم الصحية والعربية[٢٤٨] .

ففى عهد الخلفاء العباسيين الستة الأول وبخاصة عهد المأمون كان المسلمون يحملون لواء الحضارة ، وكانت الأمة العربية الاسلامية أجدر الأمم بأن تكون استاذ البشرية بفضل عبقريتها المرنة ، وتوسط مركزها بين الأمم مما أتاح لها الانتفاع بكنوز اليونان والرومان وكنوز الهند والصين التى ظلت تغط فى سبات عميق طوال العصور .

وظهر جليا اشتغال العلماء بالتأليف فى ميادين العلم المختلفة ومن بينها التأليف

---

(٢٣٩) ابن ابى أصيبعه : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٢٣ .

(٢٤٠) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢١٣ .

(٢٤١) القفطى : تاريخ العلماء بأخبار الحكماء ص ١٠٢ .

(٢٤٢) شيخو : ( **معانى الأدب فى حدائق العرب** ) . ( طبعة بيروت ـ لبنان ١٩٠٠ م ) جـ ٤ ص ٢٩ .

(٢٤٣) سليمان صائغ : ( **مقال عن اسرة بختيشوع** ) . مجلة النجم ـ بغداد ـ العراق عـ ٤ ( ١٩٣٢ م ص ٣٧٦ ) .

(٢٤٤) برغشتراسر : ( **حنين بن اسحاق حول ترجمات كتب جالينوس السريانية والعربية** ) . ( لبيزج ١٩٢٥ م ) ص .

(٢٤٥) ماكس مايرهوف : ( **الفلسفة الانسانية الحديثة** ) مجلة أيزيس عـ ٨ ( ١٩٣٥ م ) ص ٧١٧ .

(٢٤٦) كارل بروكلمان : ( **تاريخ الأدب العربى بالالمانية** ) أنظر الفهارس .

(٢٤٧) يوسف غنيمة : ( **خزائن كتب العراق العامة فى أيام العباسيين** ) مجلة المشرق بغداد ـ العراق عـ ٨ ( ١٩١٥ م ) ص ١٠٩٧ ـ ١١٠٧ .

(٢٤٨) لويس ماسينيوس : ( **السياسة الاسلامية المسيحية لكتاب النساطرة** ) بالفرنسية ( فى مؤلفاته الصغرى ـ بيروت ـ لبنان ١٩٦٣ م ) ص ٢٥٠ ، ٢٥٧ .

فى علم اللغة والأدب وأخبار العرب واشعارهم فتركوا لنا ذخائر ( مثل الكامل للمبرد ، والبيان والتبيين للجاحظ والأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ) قيمة خالدة تعكس صورا واضحة المعالم من الحياة الفكرية والثقافية والاجتماعية فى ذلك الزمان(٢٤٩) ولم يكن الوزراء بأقل شأنا فى تشجيع حركة التاليف فى بيت الحكمة حيث أدرك ذلك سهل بن هارون وزير المأمون فى قوة شخصية الجاحظ وثقافته العميقة والهوة التى تفصل بين أسلوبه وأسلوبهم وبيانه وبيانهم ، فقال كلمته التى هزت أفئدة الديوانيين : ان ثبت الجاحظ فى الديوان أفل نجم الكتاب . فبعد أن قرأ الجاحظ كثيرا واتسعت آفاق ثقافته ووعى علم العربية بشتى فروعها ومختلف ألوانها . وبعد أن أحاط احاطة شاملة بما ترجم عن اليونانية والهندية والفارسية — رأى أن المؤلفين الذين سبقوه الى التدوين والتأليف ليسوا بأكثر منه ولا أبصر منه ذوقا ، ولا أقدر وأعمق منه على تناول قضايا الفكر والادب بالبحث والدرس . واخذ يؤلف الرسالة تلو الرسالة ، والكتاب تلو الكتاب ، فما فرغ من تأليف كتاب « العباسة » الذى أهداه للمأمون حتى اختاره لتولى ديوان الرسائل فى بغداد ، وهو منصب خطير لا يتولاه الا الاعلام من أئمة الأدب : .. فحز هذا الاختيار فى نفوس الكثيرين من الأدباء المرموقين ، وأخذت دسائسهم تنصب عليه ، فلم يتركوا قذيفة من قذائف المثالب الا رموه بها(٢٥٠) .

نعم آثر الجاحظ الحياة الحرة المنطلقة على قيود الوظيفة وجودها الموبوء . وقد فرض على نفسه أن يتفرغ لعالم الفكر بآفاقه الواسعة فلا يكاد يفرغ من تأليف كتاب حدد له موضوعه حتى يجد موضوعات تنتظره وتنسيه مضض بؤسه وسواد فقره(٢٥١) .

وممن شجع العلم وأكرم العلماء بنو طاهر فى خراسان والسامانيون فى بلاد ما وراء النهر وبنو طاهر فى طبرستان ، ثم بلاد الفرس وبغداد أمراء الدولة . وكان عبد الرحمن الصوفى من اشهر علماء الطبيعة فى عصره صديقا حميما للأمير البويهى عضد الدولة الذى سمى بحق أغسطس العرب الثانى ، وأدخل عبد الرحمن شيئا من التحسن على قياس الضوء ، وكان عضد الدولة نفسه رياضيا فأكرم العلماء الذين وفدوا على بغداد من كل حدب وصوب ، واشترك فى مجالسهم العلمية ، وقام جعفر بن الخليفة المكتفى بالله بارصاد خاضعة لحركة المذنبات وألف

(٢٤٩) د. سعد الدين الجيزاوى : دراسات فى الادب العربى ص ٦٧ .

(٢٥٠) سامى الكيالى : ( النفس الانسانية فى أدب الجاحظ ) . ( دار المعارف بمصر ١٩٦١ م سلسلة اقرأ ) ص ١٦ ، ١٧ .

(٢٥١) المرجع نفسه ص ١٨ .

بحثـا فيها ، كما اشتغل غيره من الأمراء بدراســة العلوم مــع رعناياهم جنبا الى جنب[٢٥٢] .

وهـذا ( أبو العباس احمد بن محمد مروان ) السرخسى عرف العباس باسم « احمد بن الطيب » فارسى الأصــل ، وكان من تلاميذ الكندى ويقال انه ينتمى اليه ، وكان متفننا فى علوم كثيرة من علوم القـدماء والعرب ، حسن المعرفة جيد القريحة بليغ اللسان ، مليح التصنيف والتأليف[٢٥٣] . مضى عليه زمن كان فيه معلما وصديقا ومستشارا « للمعتضد » ولكن هـذا لم يدم طـويلا وانتهى الأمر بقتل « السرخسى » لأسباب لم نرد الخوض فيها ، وكان ذلك حـوالى ( سنة ٢٨٦ هـ/٨٩٩ م ) اشـتغل السرخسى بالجبر والحساب والتنجيم والموسيقى وله فى ذلك مؤلفات أهمها « كتاب المدخل الى صناعة النجوم » و« كتاب الاتماطيقى فى الاعداد والجبر والمقابلة »[٢٥٤] ، و « كتاب المدخل الى الموسيقى » وغيرها من الكتب .

وباستقرار الأمر للعباسيين بدأت الحركة العلمية تنمو وتزدهر حيث أصـبحت بغـداد قبلة الوافـدين من أنحاء الدولة الاسلامية فأسست بها دور العلم وعظم شـأن مدينة المنصور بفضل تشجيع الخلفاء والوزراء والقادة حتى ساهم كثير منهم فى تأسيس دور العلم التى أخرجت أعاظم العلماء وفحول الكتاب والمؤلفين الذين كانوا روادالحركة الفكرية فى العصور الوسطى ، كما نشطت حركة الترجمـة عن اليونانية والفارسية وأرست دار الحكمة أو بيت الحكمة وغيرها وأقيمت الندوات فى قصور الرشيد والمـأمون ، كما عقدت حلقات الدرس والمناقشـة والأدب والشـعر والفلسفة والمنطق وغيرها[٢٥٥] .

وللثعالبى[٢٥٦] كلمة فى بنى العباس لم تكن بعيدة عن الصواب ، قال فيها : ان لبنى العباس فاتحـة وواسطة وخاتمة . فالفاتحة المنصور والواسطة المـأمون والخاتمـة المعتضـد ، وبعـد الواثق أخـذ الانحطاط يتسرب الى جسم الدولة حتى أتى الخليفة السابع والثلاثون المستعصم لاقت الدولة أجلها المحتوم على أيدى المغـول سنة ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م .

---

(٢٥٢) سيد أمير على : روح الاسـلام : ج ٢ ص ٢٦١ .

(٢٥٣) ابن النـديم : الفهرست ص ٣٦٦ .

(٢٥٤) ـدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ١٨٤ .

(٢٥٥) محمد الحسينى عبد العزيز : الحياة العلمية فى الدولة الاسلامية ص ٥٨ .

(٢٥٦) الثعالبى . أبو منصور عبد الملك بن محمد : ( لطائف المعارف ) ( نشر دى يوانغ ، ليدن ١٨٦٧ م ) ص ٧١ .

لكن ذلك لن ينسينا ذروة النفـــوذ والسلطان والعمران التى بلغها بنـــو العباس ممثلة فى أيام هارون الرشيد وابنــه المـــأمون اللذين القيا على ذلك العصر هالة مشرقة من النـــور بحيث أصبح يعتبر أزهى عصور التاريخ الاســـلامى على الاطلاق[٢٥٧] . وكما تجلى لنـــا باستطلاع علاقاتهم فى الدول الأخرى وباستعراض حياة البلاط وبساط الارستقراطية فى العاصمة بغـــداد وبمراجعة النهضة الفكرية فى عصر المـــأمون . هـــذه هى النهضة التى لم تعادلها نهضة أخرى[٢٥٨] .

---

(٢٥٧) د. فيليب حتى : ( **تاريخ العرب المطول** ) . ترجمة ادوارد جرجى و د. جبرائيل جبور ( دار الكشاف ـ بيروت ـ لبنان ـ ط ٤ ، ١٩٦٥ م ) حـ ١ ص ٣٦٩ .

(٢٥٨) **المرجـع** نفسـه جـ ١ ص ٢٧٠ .

### ثالثا ــ عمــل المؤلفين فى بيت الحكمــة ورواتبهم :

وكان يلحــق ببيت الحكمة علماء لهم رواتب محددة ، وتنوعت اختصاصاتهم ، ومن بين هــؤلاء العلماء علماء فلكيون نلك لأن المــأمون ألحق ببيت الحكمة مرصدا لاصـــــلاح آلات الرصـــد ، وكان عماله بالضرورة من بيت الحكمة ، بل كان بعضهم من خارجــه(٢٥٩) وصاحب بيت الحكمة يرشـــد على العاملين فيه وعليه أن يرتب الكتب ويعــد فهارسها ويصنفها ، وضم بيت الحكمة عــدة طوائف ، طائفة النساخ ، وطائفة المترجمين ، وطائفة المفسرين ، وطائفة المنجــين ، وطائفة الكتبة وطائفة المجلدين ، وكان الناسخ ينسخ كل ما يطلب منه نظير أجر ، وعليه أن يرتب لهـــا أوراق كل نسخة بعــد جمعها واصلاح ما قــد يظهر فيها من أخطاء(٢٦٠) .

وحين فرغ الجاحظ من تأليف كتاب « البيان والتبيين » أهــداه الى قاضى القضاة احمد بن أبى داوود فأعطاه خمسة آلاف دينــار وحين فرغ من تأليف كتاب « الزرع والنخيل »أهــداه الى ابراهيم بن العباس الصولى فأعطاه أيضا خمسة آلاف دينار . وقبل تأليف هــذين الكتابين كان قــد فرغ من تأليف كتاب « الحيوان » فأهــداه الى محمد بن عبد الملك الزيات فأعطاه خمسة آلاف دينار . واذا تجلت مواهبه الفــذة جعل التأليف صناعته ، فما من باب الا ولجــه باطمئنان وجلى فيه ، وقــد كثرت كتبه ورسائله حتى بلغت على حــد بعض الرواة ، ثلاثمائة وخمسين مصنفا لم يصلنا منها غير « البيان والتبيين » ــ البخلاء ــ الحيوان ــ المحاسن والاضــداد(٢٦١) .

وكان بيــع الكتب وشراؤها ونسخها وتجليدها يشغل حيزا كبيرا من حيـــاة النـــاس الاقتصادية والمعاشية ، فقــد كان للكتب سوق تبـــاع فيه كما تبـــاع بقية البضائع ، ويقــع سوق هــذا بباب بدر ببغــداد الشرقية(٢٦٢) ، وعرف أبو المعالى سعيد بن على الحظيرى(٢٦٣) ، المتوفى سنة ٥٦٨ هـ بأنه دلال الكتب فى بغــداد(٢٦٤)

---

(٢٥٩) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٤٧ .

(٢٦٠) ابن خلــدون : المقــدمة ص ٤٢١ .

(٢٦١) سامى الكيالى : النفس الانسانية ، ص ١٩ .

(٢٦٢) الأصفهانى ، عماد الدين أبو عبد الله محمد بن أبى الرجاء : ( خريدة القصر وجريدة العصر ) . ؛ لجنة التأليف والترجمة بمصر ١٣٥١ هـ ــ القاهرة ) جـ ٢ ص ٣٤٤ .

(٢٦٣) نسبة الى الحظير وهى قرية كبيرة كانت من أعمال بغـداد . من جهة تكريت من ناحيـــة دجيل ــ معجم البلدان ــ الحظيرة .

(٢٦٤) ابن الجـوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٢٤ .

وكان معاشـــه من الكتب[٢٦٥] . وقـد اشتهر جماعة بجـودة الخط ، وكان قسم من هؤلاء ممن يحرص الناس أن يحصلوا على كتب بخطوطهم لمـا عرفت به من الدقـة والجمال ، فقـد عرف أبو الحسن على بن عبد الرحيم المعروف بابن القصار اللغوى المتوفى سنة ٥٧٦ هـ بأنه كتب بخطه الكثير من كتب الأدب وشعر العرب ... والناس يتنافسون فى خطـه ويغالون به[٢٦٦] .

وكذلك اشتهر موهوب بن احمد المعروف بابن الجواليقى المتوفى سنة ٥٤٠ هـ بأنه مليح الخط كثير الضبط ، صنف التصانيف وانتشرت عنه وشاع ذكره بخطـه الكثير[٢٦٧] . وكان صـدقة بن ابى الحسين المتوفى سنة ٥٧٣ هـ يعرف بالناسـخ ، لأنه كان يعيش من نسخ الكتب . وكان ما يتقاضاه الخزان العظام فى المستنصرية كابن الساعى وابن الفوطى وهما من كبار مؤرخى العراق لا يزيد عن ( عشرة دنانير فى الشهر )[٢٦٨] . وكان على بن عيسى وزير المقتـدر يعطى الطالبيين والعباسـيين وأبنـاء الأنصـار[٢٦٩] .

وكان ابن الفرات يعطى الفقهاء والعلماء والفقراء وأهـل البيوتات أكثرهم مئة دينار فى الشهر وأقلهم خمسة دراهم وما بين ذلك[٢٧٠] لهـذا كله كانت كل أنظـار الناس موجهة الى الخلفاء والأمراء . فالعلماء ان أرادوا الغنى لم يجدوه الا فى خدمتهم ، والشعراء ان ارادوا العيش لم يجـدوه الا فى مديحهم . ومن أبرز مظاهر الحركة الثقافية الكبرى فى القرن السادس الهجرى الاقبال على التأليف والتصنيف ، وهـذا الغرام بالكتب والتسابق لاقتنائها وبذل الأموال الطائلة فى سبيل ذلك . فأبو محمـد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشاب المتوفى سنة ٥٦٧ هـ كان مولعـا بالكتب حتى أنه لم يحث أحـد من أهل العلم وأصحاب الحـديث الا وكان يشترى كتبـه كلها بل انه باع داره ليشترى بثمنها كتبا حين وجـد أن ما معه من نقود لا يكفى[٢٧١] .

---

(٢٦٥) ابن الدبيثى : المختصر المحتاج اليه جـ ٢ ص ٨١ .

(٢٦٦) ابن خلكان : وفيـات الأعيـان جـ ٣ ص ٢٥ .

(٢٦٧) ابن رجب : ذيل الطبقات الحنابلة جـ ١ ص ٢٠٥ .

(٢٦٨) د. ناجى معروف : المدارس الشرابية ص ٣٥ .

(٢٦٩) الصابى ، أبو الحسين هلال بن المحسن : ( **تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء** ) . ( مطبعـة البابى الحلبى – مصر – القاهرة – بدون ) ص ٣٢٣ .

(٢٧٠) ابن خلكان : وفيـات الأعيـان جـ ١ ص ٣٧٢ .

(٢٧١) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ١ ص ٣١٩ .

وحين عرفت كتب أبى محمد سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان المتوفى سنة ٥٦٩ هـ اشاروا عليه ، ان يبخرها ويصلح ما يمكن منها ، فبخرها باكثر من ثلاثين رطلا وطلع على راسه وعينيه ، فأحدث له العمى وكف بصره(٢٧٢) .

لقد خاض عالمنا الكبير ( الكندى ) حقولا شتى من المعرفة وتناول بالتأليف مواضيع مختلفة فى علوم الكيمياء والطب والحساب والمنطق والأدب والهندسة والسياسة والجدلية وعلمى الفلك والنجوم ووضع الألحان الموسيقية وغير ذلك من البحوث التى تناولت تقلبات الجو والبرد والثلج والضباب والرعد والبرق والصواعق . وكان عالمنا على جانب كبير من الثقافة والفلسفة اليونانية وكان متمكنا منها . وقد احصى ابن النديم مؤلفات ومترجمات الكندى بـ ( ٢٤١ ) مؤلفا وقد نشر الأستاذ الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريده مجلدين تضمنا خمسا وعشرين رسالة من مصنفاته وسماها بـ ( رسائل الكندى الفلسفية ) وقد ترجم بعض المستشرقين بعض مؤلفات الكندى الى اللغة اللاتينية والألمانية وغيرها من اللغات الأجنبية(٢٧٣) .

فالكندى واسع الاطلاع متبحر فى فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية ، وهو لم يقف عند حد الاطلاع والتبحر بل أنتج وكان منتجا الى ابعد حدود الانتاج ، يدلنا على ذلك مصنفاته العديدة التى وردت فى الفهرست وقد جعلها ابن النديم على سبعة عشر نوعا وهى تزيد على ( ٢٣٠ ) كتابا ورسالة : فلقد وضع الكندى : ٢٢ كتابا فى الفلسفة ، ١٩ كتابا فى النجوم ، ١٦ كتابا فى الفلك ، ١٧ كتابا فى الجدل ، ١١ كتابا فى الحساب ، ٢٣ كتابا فى الهندسة ، ٢٢ كتابا فى الطب ، ١٢ كتابا فى الطبيعيات ، ٨ كتب فى الكريات ، ٧ فى الموسيقى ، ٥ فى النفس ، ٥ فى تقدم المعرفة ، ٩ فى المنطق ، ١٠ فى الاحصائيات ، ٤ فى الاحداثيات ، ٨ فى الابعادات(٢٧٤) .

ومن هنا يتجلى لنا خصب قريحة ( الكندى ) وأنه كان واحد عصره فى معرفة العلوم بأسرها وهى تدل على احاطته بكل أنواع المعارف التى كانت لعهده على اختلافها احاطة تدل على سعة مداركه وقوة عقله وعظيم جهوده . ويرى بعضهم ان مؤلفات الكندى من اهم العوامل التى دفعت الراغبين فى التحصيل الى التلمذة

---

(٢٧٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ١٢٥ .

(٢٧٣) د.حسين امين ( **الفلاسفة المسلمون الأوائل وأثرهم فى التراث الفكرى** ) . مجلة المؤرخ العربى – بغداد العراق عـ ٩ ( ١٩٧٨ م ) ص ١٢ ، ١٣ .

(٢٧٤) قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ١٧٤ .

عليه والأخـــذ عنه ، كما راى فيها انها زانت دولة الخلافة فى زمن المعتصم فقال ابن نباتة : « وكانت دولة المعتصم تتجمل « بالكندى » وبمصنفاته وهى كثيرة جدا »[275] .

والكندى يعتبر رائد الحقيقة ، فقد كان يقـــدس الحـــق والعلم والعناية بهما ويعتبرها من المميزات الأساسية للاسلام وللروح الاســـلامية ، ويعبر الكندى فى رسائله عن شكره لكل من جاء بشىء من الحـــق مهما كان يسيرا ، لأن معرفة الحقيقة ثمرة نضـــال الأجيال فى عصور متطاولة ويذكر الأستاذ « ديبـــور » فى كتابه تاريخ الفلسفة فى الاسلام « كان الكندى واســـع الاطلاع فى جميع العلوم وقـــد تمثل كل ما كان فى عصره من علم »[276] . وجماع القـــول فى مصنفات الكندى ومؤلفـــاته ورسائله ، انها تدل على شمول عام بميادين المعرفة ، وعلى أنواع من الاهتمام بكل الاتجاهات والتيارات الفكرية فى عصره لا تتهيأ للعقول الكبيرة .

---

(٢٧٥) ابن نبـاته المصرى : سرح العيـون . ص ١٠٢ .

(٢٧٦) د. حسين أمين : الفلاسفة المسلمون الأوائل وأثرهم فى التراث الفكرى ، مجلة المؤرخ العربى عـ ٩ ص ١٣ .

# الفصل الرابع : المباحثة والمناظرة بين العلماء والخلفاء والوزراء فى بيت الحكمة



١ ـ تشجيع الخلفاء للمباحثة والمناظرة فى بيت الحكمة .

٢ ـ رغبة الخلفاء والوزراء فى المباحثة والمناظرة داخل بيت الحكمة .

٣ ـ مشاركة العلماء والشعراء والأدباء فى المناظرة والمباحثة فى بيت الحكمة .

**اولا — تشجيع الخلفاء للمباحثة والمناظرة فى بيت الحكمة :**

انتشرت المجالس العلمية فى بغـداد التى تضم العلماء فى الدور والقصـور والمساجد ، ويتناظرون فيها فى فروع العلم المختلفة . وقـد حرص الخلفاء على عقـد هـذه المجالس ، وممـا لا شك فيـه أن هـذه المناظرات ادت الى رواج الحركة العلمية لأن المنـاظرة اذا كانت تتم أمام خليفـة او احـد كبار رجال الدولة ، فان المشتركين فيها حريصون على اتقـان مادتها العلمية حتى يدعم رايه بالأسـانيد المعقولة والمقبولة ، ويحظى بتقـدير الحاضرين ، وكان للخلافات فى الراى التى تحدث بين رجال العلم أثر كبير فى تقدم الحركة العلمية ، ذاك انها شجعت العلماء على مواصلة البحث والدرس واعـداد انفسهم حتى لا يخـذلوا فى مجلس المناظرة ممـا يسىء الى سمعتهم ومكانتهم[٢٧٧] .

كان من عـوامل انتعاش الحياة الفكرية فى هـذه الحقبة من التاريخ أن كانت هنالك ندوات يغشاها المتبحرون من أعلام اللغـة والأدب ممن لهم بصر بالشعر ، وذوق فى النقـد ، ودراية بالمنحول أو المسروق ، وربمـا حضر تلك الندوات الخليفة على جـلالة قـدره وعظم منزلته ، وخطر جاهـه ، وكان يشارك فى الراى ويدافع بالحجـة ، ويرجح بعض الجوانب على الآخر بمـا عنده من علم ، وما لديه من تحصيل ولا يقتصر فى ذلك كله على فن واحـد أو معرفة بعينها أو ثقافة خاصـة ، ولكنـه كان ملمـا بأكثر من ناحية ، وعالمـا بكثير من العلوم ، يخـوض فيها خوض الحاذق ويحاول فيها جـدل الباحث ، ويهـدر فيها هـدير الموج فى البحر المتلاطم ، وقـد عرفنا أن الذين اعتلوا عرش الخلافة منذ أبى العباس السفاح حتى أيام المتوكل كانوا هكذا يضيفون للعلم ويشجعون الأدب بالنـدوات والمجـالس ، فأبو جعفر المنصور يقول للامام مالك وقـد مر بدار الهجرة حاجا ان الناس يتخبطون فى أحكام شريعتهم ، ويجادلون فى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم واننا ارجـو ان تختار لهم من تلك الأحاديث ما يكون لهم بمثابة الاعلام التى يهتدون اليها أو المعـالم التى يترسمون طريقها فلا يضلون فى حكم ولا يختلفون على حـق[٢٧٨] .

فيجمع مالك بن أنس كتابه الموطـأ مسترشـدا برايه معتمدا على توجيهاته التى كانت لـه بمثابة الأستاذ المعلم والدليل الهادى ثم لا يفـوته أن يعترف بذلك ليدلنا

---

(٢٧٧) ابن الجـوزى : مناقب بغـداد ص ٣٦ .

(٢٧٨) د. ابراهيم أبو خشـب : ( **تاريخ الأدب العـربى فى العصر العبـاسى الأول** ) . ( دار الفكر العربى بالقاهرة — ١٩٧٤ م ، ط ١٩٧٥ م ) ص ٢٢ .

بهــذا على مقــدار ما كان عليه المنصور من كفاية يستطيع بها ان يتصدر المجالس ويتزعم المحافــل(٢٧٩) وتروى لنا الأخبار أن المنصور كان وهــو شاب جنادا فى طلب العلم والأدب ، وكان يقصــد مجالس الفقهاء والأدباء(٢٨٠) .

والمعروف عن الخليفة المنصور بجــولاته فى البلدان فى فترة شبابه وحضوره المناظرات والحلقات الفكرية والدينية فى مساجد البصرة والكوفة والمدينة والاهــواز والموصــل وغيرها . ولعــل ذلك ساعد على ذوقــه وسعة وكثرة معرفته وولعــه بالحــديث والأخبار وفى رواية انه عــاد مرة من البصرة الى دار والده فى الشام واخذ يتكلم فى القــدر والمسائل الكلامية وحين سمعه والده منعه من ذلك .

وقــد كان المهــدى يوجــه المناظرات العلمية والأدبية ويجعل أيامه موزعة توزيعا عادلا على العلوم والفنون يستقبل العلماء فى يوم ، والأدباء فى يوم ، ورجال الفنون الأخرى فى يوم آخر ، وكان كل جماعة من هــؤلاء جميعا ، يعرضون عليــه ما وصــل اليه تحصيلهم او انتهى اليهم علمهم وكان يناقش فى ذلك كله عن ســعة علم ، ونضــوج عقل وكثرة وعى ، وعمق تفكير ، وكان اذا شعر من احــد بفتور ، أو تقصير حثه على الجــد ، ودفعه الى المزيد(٢٨١) .

والواقع أن الخلفاء العباسيين لم يألوا جهــدا فى سبيل تشجيع الحركة العلمية فكان الرشيد من ابلغ الناس كلاما ، وأحسنهم نطقا واكثرهم علمــا وفهما ، كتب الى ولاة الأمصار كلها والى أمراء الأجناد يطالبهم بتشجيع العلم واهله فقال : فانظروا من التزم الأذان عندكم فاكتبوه فى الف من العطاء ومن جمع القرآن واقبــل على طلب العلم ، وعمر مجالس العلم ومقاعــد الأدب ، فاكتبوه فى الف دينار من العطاء ، ومن جمع القرآن وروى الحــديث وتفقه فى العلم فاكتبوه فى اربعة آلاف دينار من العطاء واسمعوا قــول الفضلاء فى عصركم وعلماء دهركم واطيعــوا الرسول واولى الأمر منكم وهم أهــل العلم(٢٨٢) .

وبلغ من تشجيع الرشيد للعلم والتعليم أن الغــلام كان يحفظ القرآن الكريم

---

(٢٧٩) المرجع نفســه ، ص ٢٢٠ .

(٢٨٠) د. صالح الحمارنة : ( عمرو بن عبيد وعلاقته بأبى جعفر المنصور ) مجلة المؤرخ العربى - بغــداد عـ ٢٢ ( ١٤٠٤ هـ/١٩٨٢ م ) ص ٢٠٥ .

(٢٨١) د. ابراهيم أبو الخشب : تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الأول ، ص ٢٢١ .

(٢٨٢) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٤٦ .

وهـو ابن ثمان سنين ويتبحر فى الفقـه ويروى الحـديث ويناظر المعلمين وهـو ابن احـد عشر عاما(٢٨٣) .

وكانت الحلقات العلمية فى حضرة الخلفاء تجمع بين مختلف العلماء على اختلاف أديانهم ومذاهبهم . كانت للمـأمون حلقـة علمية تجمع فيها علماء الديانات والمذاهب كلها . وكان يقول لهم ابحثـوا ما شئتم من العلم من غير أن يستدل كل واحـد منكم بكتابه الدينى كيلا يثور بذلك مشاكل طائفية . ومثل ذلك كانت الحلقات العلميـة الشعبية . قال خلف بن المثنى لقـد شـهدنا عشرة فى البصرة يجتمعون فى مجلس لا يعرف مثلهم فى الدنيا علما ونباهـة . وهم الخليل بن أحمد صاحب النحو ( وهـو سنى ) والحميرى الشاعر ( وهـو شـيعى ) وصالح بن عبد القـدوس ( وهـو زنديق ثنـوى ) وسفيان بن مجاشـع ( وهـو خارجى صـفوى ) وبشـار بن برد ( وهـو شعوبى خليع ماجن ) وحماد عجرد ( وهـو زنديق شعوبى ) وابن رأس جالـوت ( وهـو يهـودى ) وابن نظير المتكلم ( وهـو نصرانى ) وعمر بن المؤيد ( وهـو مجـوسى ) وابن سنان الحرانى ( وهـو صابئى ) كانوا يجتمعون ويتناشدون الاشـعار ويتناقلون الاخبار فى جـو من الـود لا تكاد تعرف منهم أن بينهم هـذا الاختلاف الشديد فى دياناتهم ومذاهبهم(٢٨٤) .

وتطورت بعـد ذلك مجالس الخلفاء فى العصر العبـاسى ، فكانت من أروع المجالس فى أثاثها وسـعة رحابها ، وكثرة علمائها وأدبائها وتنـوع أبحاثها وفنونها ، هـذا عدا مجالس الطرب التى كانت الصـبغة الأدبيـة غالبـة عليهـا بما يثـار فيها من حـديث الشعر والشعراء وتفسير الكلمات التى يتغنى بها المغنـون ومن أشـهر حلقات بنى العباس فى فخامة مجالسهم وروعتها الرشيد والمـأمون . أما الرشيد فقـد كان يحتشد فى مجالسه أعلام العلماء من كل فن وعلم ، وحسبك أن كان من رواد مجالسه من الشعراء أبو نواس وأبو العتـاهية ودعبـل ومسلم بن الوليد والعباس بن الأحنف ومن الفقهاء أبو يوسـف والشافعى وأحمد بن الحسن ومن اللغـويين الأصمعى والكسائى ومن المؤرخين الواقـدى المؤرخ الشهير(٢٨٥) .

ومن المناظرات الفقهية التى وقعت فى مجلسه أن محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة وصف الكسائى بأنه لا يحسن ، وانمـا يحسن شيئا من كلام العرب ، فقال

---

(٢٨٣) ابن قتيبة : ( **الامامة والسياسة** ) . ( القاهرة ١٣٢٢ هـ ) جـ ١ ص ٩٩ .

(٢٨٤) د. مصطفى السباعى : من روائع حضارتنا ص ٨٩ .

(٢٨٥) المرجـع نفسـه ، ص ١٦٤ .

الكسائى من تبحر فى علم واحــد اهتدى به الى ســائر العلوم ، فقال لــه محمــد يختبره ، ما تقول فيمن ســها فى سجود السهو هل يسجد مرة اخرى ؟ قال الكسائى . لا . قال محمــد لــماذا ؟ فأجاب الكسائى : لأن النحاة تقول المصغر لا يصغر(٢٨٦) . فالفقهاء والمتكلمون فحــدث ما شئت عن شغفهم ببغــداد وهيامهم فيها وعما كان لهم من مجالس المناظرة والجــدال .

فأما الحياة العلمية فقــد كانت على شــدة الاضطراب السياسى غضــة نضرة ، وربمــا امتاز عصر أبى العلاء بالمجــامع العلمية ببغــداد فقــد كان للأدباء على اختلافهم مجمع زعيمه الشريف الرضى ومجمع آخر حــول الوزير سابور بن أردشير الذى خصص الثعالبى فى اليتيمة فصلا لمدحــه ، وكان هناك مجامع فلسفية وكلامية منها العــامة التى يشهدها النــاس كافــة كمجمع الشريف الرضى ومنهــا الخاصة التى لم يشهدها الا أفراد تآخــوا واتفقوا على الا يحضر اجتماعهم الا من نحــا نحــوهم فى الرأى المجمع الذى يلتئم يوم الجمعة من كل اســبوع فى بيت أبى أحمد بن الحسن البصرى صاحب الصوت البعيد فى علم تقــويم البلدان وكانت المحاضرات تلقى على الناس من أئمة اللغــة والفقه والكلام ، حسبك أن تعلم أن أبا حامد الأســفراييني وهــو من فقهاء الشافعية كان يحضر درسه الف وسبعمائة من الطلبة منهم التلاميذ والمتعلمون والأساتذة المعلمون والرجــوع الى ترجمته فى وفيات الأعيــان(٢٨٧) .

وواضح من هــذين النصين كيف كان يلتقى أصحاب الملل والنحل والأهــواء المختلفة فى المجالس ، وكيف كانوا يثيرون كثيرا من المسائل التى تتصل بأهــوائهم ونحلهم ومللهم ويتحاورون حــوارا طــويلا . وكانت هناك مجالس أخرى للمتفلسفة والمتكلمين ، ويقــال ان مجلس يوحنا بن ماسويه كان أعمر مجلس بمدينة بغــداد يحضره المتطبب أو المتكلم أو المتفلسف ويجتمع فيه كل صنف من أصناف أهــل الأدب وكان تلاميذه يقرأون عليه كتب المنطق لأرسطوطاليس وكتب جالينوس فى الطب(٢٨٨) .

وكانت لأبى داوود المعتزلى مستشار المــأمون والمعتصم والواثق ندوة كبيرة

---

(٢٨٦) المرجع نفســه ، ص ١٦٥ .

(٢٨٧) د. طه حسين : ( **تجديد ذكرى أبى العلاء المعرى** ) . ( ط ٦ ، دار المعــارف بمصر — بدون ) ص ١٣٢ .

(٢٨٨) ابن أبى أصيبعة — عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، ج ١ ص ١٢٤ .

يحضرها من كبار المترجمين والأطباء سلمويه وابن ماسويه وبختيشوع وابن جبريل(٢٨٩) .

ولقد كان للمرأة دور فى المباحثة والمناظرة وهى ليست بأقل من الرجل نزبيدة ام جعفر زوجة الرشيد كانت تنظم الشعر وتناظر الرجال فى شتى نواحى الثقافة والفكر(٢٩٠) .

وكانت عائشة بنت الرشيد من أفضل نساء عصرها تشجع الأدباء والشعراء وتجزل الصلات لهم وكذلك علية بنت الرشيد كانت من الشعراء ومن ربات الرأى ، وعرف عنها الحزم ، وكذلك كان أبوها يعتمد عليها فى مهام أموره ويفضى اليها بأسراره(٢٩١) .

أما العباسه بنت المهدى فكانت سيدة أديبة فاضلة وكان الرشيد يشركها فى مجالسه مع وزيره جعفر بن يحيى البرمكى حينما ينظر فى الأمور الهامة لأنه يأنس برأيها ، ويطمئن اليها(٢٩٢) . ثم كانت تعقد مناظرات فى قصور الخلفاء والأمراء ودور الولاة والعلماء ومن أكثر هذه المناظرات شهرة تلك التى كانت تعقد فى عهد المأمون فى قصره . ولم تكن تلك المناظرات أو المجالس دورا مخصصة للدرس والتدريس ولكنها كانت على كل حال مراكز علم(٢٩٣) كل ذلك ساعد على ظهور الحركة العلمية ونشاطها فى بغداد مما جعل بيت الحكمة ذا مكانة مرموقة تمتلىء بالكتب المختلفة وتضاف اليها المصنفات العظيمة مما شجع أصحابها على التأليف والمباحثة والمناظرة حتى أن علان الشعوبى كان راوية عارفا بالانساب والمناظرات ينسخ فى بيت الحكمة للرشيد والمأمون(٢٩٤) .

وكان المأمون مثقفا ثقافة فارسية لأن أمه كانت فارسية وكان يميل الى حرية الفكر والبحث ، مما دفعه الى ايجاد « مجالس المناظرة » حتى يتمكن عن طريقها من أزالة الخلاف بين العلماء فيما يدلون به من آراء علمية ، فقد روى عن

---

(٢٨٩) الجاحظ : الحيوان جـ ٤ ص ١٢٣ .

(٢٩٠) المسعودى : مروج الذهب جـ ٢ ص ٥١٥ .

(٢٩١) عمر رضا كحالة : ( **أعلام النساء فى عالمى العرب والاسلام** ) . ( المطبعة الهاشمية ـ دمشق ١٣٧٩ هـ/١٩٥٩ م ) جـ ٣ ص ٣٣ .

(٢٩٢) ابن الطقطقى : الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٩٠ .

(٢٩٣) د. أحمد فكرى ( **أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة** ) . ( دار الكتب المصرية ١٩٦٩ م ) ص ١٨٧ .

(٢٩٤) Brown Edward G. : **A Literary History of Persia.** London 1909, p. 281.

القاضي يحيى بن أكثم انه قال : امرني المـــامون عند دخوله بغـــداد ان اجمع لـــه وجـــوه الفقهاء واهـــل العلم من بغـــداد فاخترت لـــه من اعلامهم اربعين رجلا واحضرتهم وجلس لهم المـــامون . فسأل عن مسائل ، وافاض في فنون الحـــديث والعلم . فلمـــا انفض المجلس الذى جعلناه للنظر في أمر الدين قال المـــامون يا أبا محمـــد ... اني لأرجـــو ان يكون مجلسنا هـــذا .. بتوفيق الله وتأييده ... سببا لاجتماع هـــذه الطوائف على ما هـــو ارضى وأصلح للدين[٢٩٥] .

فكان المـــامون يجلس كل أسبوع للمناظرة فقهاء الاسلام في زمانه وكانوا يلتقون حـــول مائدة ، ويستمعون بعضهم الى آراء بعض ، ويقبلون النظر في القضـــايا المطروحة وقـــد يتفقـــون من بعـــد خـــلاف فقـــد دخـــل الكندى الشـــاب المعتد بنفسه الى مكان الاجتماع ، فنظر حـــوله ، ثم تخطى القـــوم حتى يجلس قريبـــا من الخليفة وكان مجلس الرجل من الخليفة يحـــدد في العادة مكانته من الحاضرين وقـــد جاء مجلس الكندى فـــوق مجلس احـــد الفقهاء البارزين فغاظـــه ذلك وسأل الكندى كيف يتجرأ أن يتبوأ مجلسا افضل من مجلسه - فرد عليه الكندى « لأنى أعرف ما لا تعرف ، ولا تعرف ما أعرف »[٢٩٦] .

وكان لهـــذه المجالس دور كبير في تشجيع الحركة العلمية وازدهارها لأن اشراف الخليفة المباشر عليها في جميع مجالاتها قـــد أعطاها أهمية كبيرة ولهـــذا انطلق في التعميق والبحث والمناقشـــة والمناظرة معتمدين في ذلك على تشجيع الدولة للعلم والعلماء وفي أخبـــار مجالسه ما يدل على أنه كان يمارس اكتساب المعرفة بطـــرق علمية تجريبية غير مكتف بمـــا يقرأ وما سيسمع وغير قانع بمـــا يحصل عليه بتلك الطرق[٢٩٧] .

وظلت حرية التفكير هي السنة المـــالوفة في بلاط الخليفة ويصف المسعودى مجلسا من المجالس العلمية التى كان يعقـــدها المـــأمون في آخر النهار . كان المـــأمون يجلس في كل يوم للمناظرة في الفقه يوم الثلاثاء ، فاذا حضر الفقهاء ومن يناظره من ســـائر اهـــل المقالات ادخلوهم حجرة مفروشة ، وقيل لهم : انزعـــوا اخفافكم ، ثم أحضرت الموائد وقيل لهم أصيبوا من الطعام والشراب ، وجـــددوا الوضـــوء فاذا

---

(٢٩٥) د. على ابراهيم حسن : ( **التاريخ الاسلامى العام** ) . ( مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ط ٢ ١٩٧٢ م ) ص ٤٠٧ .

(٢٩٦) جون. س بادو وآخرون : عبقرية الحضارة العربية- ينبوع النهضة ص ٨٠ .

(٢٩٧) د. فاروق النبهان : مبادىء الثقافة الاسلامية ص ٢٩ ، ٣٠ .

فرغـوا أتوا بالمجـامر فبخروا وطيبـوا ثم أخرجـوا فاستدناهم حتى يدنوا منـه ويناظرهم احسن مناظرة وانصعها وأبعـدها عن مناظرة المتزمتين ، فلا يزالون كذلك الى أن تزول الشمس ثم تنصب الموائد الثانية فيطعمون وينصرفون[298] .

أما مجالس المناظرة ومكانتها السامية فى العصر المـأمونى . فقـد وقفت على طرف عظيم منه : نقـول ان المناقشات الحادة بين سيبويه والكسائى فى شأن مسألة نحـوية ، وبين الشـعراء والأدباء فى تفضـيل شاعر على شـاعر وبين السنيين والمعتزلة فى القـول بخلق القرآن ، وأبهاء الأدب عند الأمين والمـأمون وانصارهما ، وأمراء العرب كأبى دلف وعبد الله بن طاهر وغيرهما لتدل اوضح الدلالة على ما كان للمناظرة فى هـذا العصر من مكانة حتى أصبحت من أهم مميزاته وكبريات آثاره[299] .

من جانب آخر نرى أن شخصية المـأمون كان لهـا اكبر الأثر فى أن يتم هـذا التطور الى غايته ، فقـد كان فى طبيعته رجلا رحب العقل حر النظر واسـع الأفق ، كما تشهد بذلك صـور حياته ، وشجع على المناظرة وجعل مجالسه مجالس بحث ونظر وحـوار بين المذاهب المختلفة ، واقبـل على هـذه المتعـة العقلية يحيط بها نفسه ويملأ بها حسه فكان يميل الى المعتزلة لأن آراءهم تتفق مع العقل والمنطق . فقد كان بلاط المـأمون يموج بجمهرة غفيرة من رجال العلم والأدب والأطباء والفلاسفة الذين شملهم جميعا برعايته[300] .

وكان المـأمون يشرف بنفسه ويشترك فيها بعلمه وثقافته الواسـعة ولم تكن مجالس المناظرة والمباحثة قاصرة على قصور الخلفاء وانمـا تعـدت ذلك الى الجامعات ومعاهـد العلم وبيوت العلمـاء وقـد بلغ ولع علمـاء الاسلام بالمناظرة والمباحثة اذ جعـلوها من أنواع التسلية والترويح عن النفس والمتعـة الأدبية ، واستمرت المناظرة عاملا من عوامل النشاط والحياة للفكر الاسلامى . حتى أصابها الضعف وانتابتها المزالـق والافات ، فاهتم المتناظرون بالتوافـه من الأمور ووجهوا همهم نحـو مسائل وأمور غير واقعية[301] .

---

(٢٩٨) ول . ديورانت : قصة الحضارة ج ٢ ص ٩٦ .

(٢٩٩) د. احمد فريد رفاعى : عصر المـأمون ص ٤٠٦ .

(٣٠٠) د. طـه الحاجرى : ( **الجاحظ حيـاته وآثاره** ) . ( دار المعـارف بمصر ١٩٦٩ م ) ص ٢١٢ ، ٢١٣ .

(٣٠١) د. عمر محمد التومى الشيبانى : فلسفة التربية الاسلامية ص ٤١٦ ، ٤١٩ .

غير أننا لا نوافق الدكتور التومى الشيبانى فيما ذهب اليه لأن المناظرة والمباحثة فى بيت الحكمة كانت على أشدها وتتم فى جو علمى تسوده الحرية المطلقة والمباحثة فى مختلف أنواع العلوم الفلسفية والطبية وغيرها .

وهكذا كان المأمون بحق نجم ولد العباس فى العلوم التى أخذ منها بقسط وافر . حتى أن البرامكة مع علو كعبهم فى العلوم . فانهم اعتبروا أشبه بالجهلة بالنسبة له(٣٠٢) . فكانت منازل الخلفاء والوزراء تثار فيها المسائل ، وتناقش فيها القضايا ، وقد ساعد على ذلك اطلاق الخلفاء العباسيين الحرية فى التفكير والاعتقاد ما دام ذلك لا يمس الخلافة . ولا ينال من السلطان القائم .

وكانت بغداد فى العصر العباسى الثانى كعبة يحج اليها العلماء ، كما كانت روميه فى ابان التمدن الرومانى حتى اذا تولى المعتصم واستكثر من الأتراك كان على مذهب أخيه المأمون فى الاعتزال واكرام الشيعة . فظلت بغداد على نحو ما كانت عليه أيام المأمون(٣٠٣) .

وكان الواثق يتشبه بالمأمون فى حركاته وسكناته . وكان يعقد المجالس مثله للمباحثة بين الفقهاء والمتكلمين فى أنواع العلوم العقلية والسمعية فى جميع الفروع . وهم حتى فى مجالس سمرهم ولهوهم كانوا علماء أدباء لا يفوتهم تحقيق مسألة أو كشف غامض أو تصحيح خطأ ، كما نلمس ذلك فى الحادثة التاريخية التالية : فى أحد مجالس الخليفة الواثق غنت جارية بين يديه :

**أظلوم أن مصابكم رجلا ... أهدى السلام تحية ظلم**

فرد عليها بعض الحاضرين نصبها ( رجلا ) ظانا أنه خبر ( ان ) فصوابه الرفع على زعمه . وما درى أن ( رجلا ) مفعول المصدر و ( مصابكم ) فى معنى « أصابتكم » وخبر « ان » هو « ظلم » فانكرت الجارية ما زعمه هذا الرجل وقالت : لا اقبل هذا ولا غيره . وقد قرأته هكذا على اعلم الناس بالبصرة أبى عثمان المازنى . فأمر الواثق باحضاره من البصرة الى بغداد . قال المازنى : لما دخلت على الواثق قال : بناسمك ؟ يريد : ما اسمك ؟ قال المازنى : وكأنه أراد أن يعلمنى معرفة بابدال الباء مكان الميم فى هذه اللغة . فقلت له : بكر بن محمد

---

(٣٠٢) د. عبد المنعم ماجد : العصر العباسى الاول حـ ١ ص ٢٤٩ .

(٣٠٣) جرجى زيدان : تاريخ اداب اللغة العربية حـ ٢ ص ٢٣ .

المــازنى . قال مازن شيبان أم مازن تميم ؟ قلت : مازن شيبان ، فقال حــدثنا ، نقلت يا أمير المؤمنين : هيبتك تمنعنى من ذلك ، وقــد قال الراجز :

**لا تقـــلواها وادلــواها دلــوا     ان مــع اليــوم اخــاه غــدوا**

قال : فسره لنـــا ، قلت : لا تقلواها : لا تعنفاها فى السير : يقال : قلوته : اذا سرت سيرا عنيفا ، ودلـــوت : اذا سرت سيرا رقيقا(٣٠٤) .

هكذا كانت مجالس الخلفاء فى العصر العباسى كخلية النحل نفــوس تشفى وعقـــول تتغـــذى بجمال الفكر وروعته وما مجلس الخليفة الواثق الا خير شـــاهد على ذلك .

ويروى الخطيب البغــدادى(٣٠٥) أن ابن أبى دواد الذى ولـــد بالبصرة ســـنة ١٦٠ هـ قــد اتصـــل بالمــأمون عن طريق يحيى بن أكثم ، فــكان يجلس مجالس المــأمون فى الجــدل والمناظرة ، فاعجب المــأمون بعقله وحسن منطقـــه وقـــربه ، واصبح ذا نفـــوذ كبير فى قصره وكان من وصية المـــأمون للمعتصم « أبو عبيد الله ابن أحمد بن أبى دؤاد لا يفـــارقك التركة فى المشورة فى كل أمرك ، فانه موضـــع ذاك ولا تتخـــذن بعـــدى وزيرا » .

فلمـــا ولى المعتصم جعـــل ابن أبى دواد قاضى القضـــاة وكان يحيى بن أكثم كذلك قاضى القضاة فى أيام الواثق ويتولى المتوكل فأصيب بالفالج وافـــل نجمـــه ، وكانت مدة عظمته ونفـــوذه وجاهـــه نحـــوا من ثمان وعشرين سنة ، ومن سنة ٢٠٤ هـ وهى السنة التى عرفه فيها المـــأمون الى سنة ٢٣٢ هـ وهى سنة خـــلافة المتوكل ومات أحمد سنة ٢٤٠ هـ على ما حكى المسعودى والذهبى وابن خلكان .

وكان ابن أبى دواد عظيم الجـــاه ، قـــوى النفـــوذ ، وقـــد كسب نفـــوذه من شخصيته ومكانته من الخلفاء مثل فى دولة النفـــوذ الفارسى المروءة العربية ، فكان واســـع المروءة ، بعيد الهمة ، كان مظهر مروءته الكرم الوافر الذى يمتلك من قلوب الناس وأعلى بكرمه شأن العرب كما أعلى البرامكة بكرمهم شأن الفرس ، وكان يقال : « أكرم من كان فى دولة بنى العباس البرامكة ثم ابن أبى دواد »(٣٠٦) .

---

(٣٠٤) د. مصطفى السباعى : من روائع حضارتنا ص ١٦٨ .

(٣٠٥) الخطيب البغـدادى : تاريخ بغـداد جـ٤ ص ١٤٢ .

(٣٠٦) ابن خلكان : وفيـات الأعيـان جـ ١ ص ٢١ .

وعلى هـذا التدهور السياسى صحبته نهضة علميـة ، وضـعف العاصمة واضمحلالها نشأ عنه عـواصم كل منها مثلت دور بغـداد بنجاح عظيم . يقـول خـودا بخش(٣٠٧) : « وفى الممالك المستقلة أو شبه المستقلة التى انقسم لهـا العالم الاسلامى ، قامت أسر حاكمة ، وكانت هـذه ينافس بعضها بعضا فى حماية العـلم والمتعلمين ، فأصبحت القصور الجـديدة فى العواصم المتعـددة مراكز ثقـافية خصبة » . وكانت تلك القصور وما فيها من مجالس فى ذلك العهد تقوم مقام الجامعات اليـوم(٣٠٨) .

ويقـول العينى(٣٠٩) « وكان السلطان محمود يحب العلم والعلمـاء ويكرمهم ويجالسهم ويحسن اليهم وكانت تعقـد مناظرات طويلة بين يديه » . وحين استولى السلاجقة على بغـداد وعلى اغلب العالم الاسلامى ظهر اسم الوزير نظـام الملك الذى كان السـلطان الحقيقى لدولة السلاجقة الأولى وكان هـو نفسه فقيهـا وعالمـا(٣١٠) .

فكانت تعقـد المناظرات فى حضرته ، وقـد خرج لـه الغزالى مرة وناظر الأئمـة والعلماء فى مجلسه ، وقهر الخصوم ، وظهر كلامه على الجميع ... فـولاه نظام الملك التدريس بالمدرسة النظامية ببغـداد(٣١١) .

وطالمـا جرت مناظرات بين أبى اسحاق الشيرازى وامام الحرمين ابى المعالى الجـوينى بحضرة نظام الملك(٣١٢) . والواقع أن الخلفاء العباسيين لم يألوا جهـدا فى تشجيع الحركة العلمية عن طريق المباحثة والمناظرة فى بيت الحكمة التى لعبت دورا عظيما فى تنميتها وتشجيع النهضة الفكرية واثراء تراثنا الثقافى فى جميع جـوانبه الدينية والأدبية والفلسفية والعلمية . ويشيد بذلك جوستاف لوبون : ان حب العرب للعلم كان عظيما وانهم بلغـوا درجة رفيعة من الثقافة بعـد أن أتمـوا فتوحاتهم بزمن قصير ، حتى استطاعوا أن يبدعـوا حضارة انبعث فيها الآداب والعلوم والفنون وبلغت الذروة .

---

(٣٠٧) Khuda Bukhsh : **Contribution to the History of Islamic Civilization**, p. 284.

(٣٠٨) احمد امين · ظهر الاسـلام جـ ٢ ص ٢٨٧ ·

(٣٠٩) العينى · بدر الدين محمود بن احمد : **عقـد الجمان فى تاريخ اهـل الزمان** جـ ١٣ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ ·

(٣١٠) السبكى : طبقات الشافعية جـ ٣ ص ١٣٥ ، ١٤٥ ·

(٣١١) الغزالى : احيـاء علوم الدين جـ ١ ص ٣ ·

(٣١٢) ابن الأثير : الكامل جـ ١٠ ص ٨١ ·

## ثانيا — رغبة الخلفاء والوزراء فى المباحثة والمناظرة داخـل بيت الحكمـة :

ومما لا شك فيه أن المجتمع كان يرتبط حينئذ بالاسلام ارتباطا وثيقا فى جميع شئونه الروحية والاجتماعية ولكن كأنمـا أصبح سلطان العقل فوق سلطان الدين . وكل ذلك باعثه الحقيقى رقى الحياة العقلية فى هـذا العصر ، فاذا كل شىء يناقش فى حرية ، واذا كل شىء يعرض على بساط البحث والجـدل فكان وراء هـذا المجلس الكبير ومجلس يحيى بن خالد البرمكى مجالس صـغرى ما يزال يجتمع فيهـا العلماء ويتجادلون ويتناظرون ، من ذلك مجلس أيوب بن جعفر ابن أبى جعفر أبى المنصور . وقـد اجتمع فيه يوما النظام وأبو شمر المتكلم ، وكانت فى أبى شمر رزانة تجعله لا يحرك يديه ولا منكبيه اذا جادل أو ناظر ، فاضطره النظام بمـا أورد عليه من البراهين فى مسألة ناظره فيها ان يحرك يديه وان يحبو اليه حبوا يريد أن يسكته بيـده بعـد أن أعجزه أن يسكته بالأدلة العقلية[٣١٣] .

فكانت الثقافة فى هـذا العصر شيئا طاغيا جارفا تنفعـل به النفوس وتدور حـوله أحاديث المجالس ؛ كمجلس يحيى بن خالـد البرمكى الذى أشرت اليه من قبـل ؛ وتنعقـد لـه حلقات الدرس فى المساجد وفى دور العلماء[٣١٤] .

ثم ان الأمراء والوزراء فى الدولة الاسلامية[٣١٥] كان لهم أيضا شغف بمجالس العلم ورعايتها ومن أشهر هـذه المجالس مجلس الوزير ابن الفرات فى عشرينات القرن الرابع الهجرى ؛ ومجلس أبى عبد الله الحسين فى سبعينات القرن نفسـه . ولعلنا ندرك أن هناك أرضا خصبة لاحتضان العلوم وازدهارها فى هـذا المجتمـع العباسى الذى يحرص فيـه الخلفاء والوزراء كل الحرص على رعاية العلم والعلماء ، وفى ظـل تلك النظرة السامية للعلم والعلماء اتفقت نظرتهم ورغبتهم فى المباحثـة والمناظرة فى بيت الحكمـة .

وما يروى من مناظرة الكسائى وسيبويه بين يدى الرشيد أو بين يحيى بن خالد البرمكى[٣١٦] ،وكانت مجالس البرامكة ندوات كبيرة للمتكلمين والفلاسفة من كل نحلة

---

(٣١٣) الجاحظ : البيان التبيين ج ١ ص ٩١ .

(٣١٤) د. محمد مصطفى هداره : ( **اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى** ) . ( دار المعارف بمصر ١٣٨٩ هـ/١٩٦٩ م ) ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٣١٥) ابن القفطى : ( **أنباه الرواة على أنباه النحاة** ) . ( طبعة مصر ١٣٦٩ هـ ) ج ٢ ص ٢٧١ .

(٣١٦) المسعودى : مروج الذهب حـ ٣ ص ٢٨٦ .

يتجادلون فيها ويتحاورون فى كل ما يعرض لهم من مسائل . وفى ذلك يقول المسعودى : « كان يحيى بن خالد البرمكى اذا بحث ونظر ، وله مجلس يجتمع فيه أهل الاسلام وغيرهم من أهل النحل ، فقال لهم يحيى وقد اجتمعوا عنده : قد أكثرتم الكلام فى الكون والظهور والقدم والحدوث والاثبات والنفى والحركة والسكون والمماسة والمباينة والوجود والعدم والجوهر ، والطفرة والأجسام والاعراض والتعديل والتجوير والكمية والكيف والمضاف والامامة أنص هى اختيار سائر ما ترونه من الكلام فى الأصول والفروع فقالوا الآن فى العشق على غير منازعة وليورد كل منكم ما سنح له فيه وخطر بباله »[٣١٧] .

ويصور المسعودى ما عاد على الحركة العلمية من هذه الندوات التى غدت كأنها مجمع علمى كبير فيقول : « قرب المأمون اليه كثيرا من الجدليين والنظاريين كأبى هذيل العلاف وأبى اسحاق بن سيار النظام[٣١٧] وغيرهما ممن وافقهما وخالفهما ( يريد المعتزلة وغيرهم ) وألزم مجالسة الفقهاء وأهل المعرفة من الأدباء وأقدمهم من الأمصار وأجرى عليهم الأرزاق ( الرواتب ) فرغب الناس فى صناعة النظر وتعلموا البحث والجدل ، ووضع كل فريق منهم كتبا ينصر فيها مذهبه ويؤيد بها قوله » .

وقد كفلت الحرية العقلية فى هذا المجلس وهذا المجمع الى أبعد غاية ممكنة بحيث كان كل رأى يعرض للمناقشة العقلية الخالصة حتى آراء الزنادقة[٣١٨] . ويتحدث صاحب النجوم الزاهرة عن مجلس فى البصرة فيقول : « كان يجتمع بالبصرة عشرة من مجلس لا يعرف مثلهم : الخليل ابن أحمد صاحب العروض ( سنى ) ووليد ابن محمد الحميرى الشاعر ( رافضى ) وصالح بن عبد القدوس ( ثنوى ) وسفيان ابن مجاشع ( صفرى ) وبشار بن برد خليع ماجن ، وحماد عجرد ( زنديق ) وابن رأس الجالوت الشاعر اليهودى وابن نظير النصرانى ( متكلم ) وعمرو بن أخت المؤيد المجوسى وابن سنان الحرانى الشاعر فتناشد الجماعة أشعارا وأخبارا[٣١٩] كما تروى لنا بعض كتب النحو مناظرات بعض العلماء فى النحو والصرف واللغة ، كالفصل القيم الذى عقده السيوطى فى كتابه ــ الأشباه والنظائر فى المناظرات

---

(٣١٧) المسعودى . مروج الذهب ج ١ ص ٢٤٥ .

(٣١٨) الجاحظ : الحيوان ج ٤ ص ٤٤٢ .

(٣١٩) ابن تغرى بردى ، أبو المحاسن جمال الدين : ( **النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة** ) . ( طبعة دار الكتب المصرية بالقاهره . ١٣٧٠ هـ/١٩٥٢ م ) ج ٢ ص ٢٩ .

والمجالسات والفتاوى والمكاتبات والمراسلات[320] وقد تناظر ثعلب مع المبرد فى حضرة محمد بن عبد الله بن طاهر فى كلمة « لواذا » ومن قوله تعالى : « قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا »[321] . ويروى أيضا أن محمد بن عبد الله بن طاهر كان رجلا لا يقبل من العلوم الا حقائقها وانه كان يجمع بين البصريين والكوفيين للمناظرة[322] . ويروى أن الكميت شهد الجمعة بمسجد الجامع فأحاط به علماء الكوفة ورواتهم ، فيهم حماد والطرماح فجعلوا يسألونه حتى اذا فرغوا من سؤالهم اخذ هو يسألهم[323] .

وكانت مسألة خلق القرآن أهم موضوع جدلى أثير فى عهد المأمون ، وقد اعتنق المأمون رأى المعتزلة فيه ، ولم يدع للناس حرية ما يعتنقون فى هذه المسألة ، بل رأى أن من لم يقل بخلق القرآن فهو مطعون فى دينه ، وكانت وسيلته الأولى الاقناع والمناظرة ، ومن ثم حفلت المجالس بالقول والجدل فى هذا الموضوع الخطير ، وقد دونت كتب الأدب والتاريخ صورا من هذه المناظرات[324] .

ولما كانت المناظرة والجدل من أهم ما كان يعتمد عليه المعتزلة فى نشر آرائهم فقد وضعوا أسسا تعتبر بحق قواعد علم للبحث والمناظرة فقد روى « أنه اجتمع متكلمان فقال أحدهما : هل لك فى المناظرة ؟ فقال على شرائط : الا تغضب ولا تعجب ولا تشغب ، ولا تحكم ولا تقبل على غيرى وأنا أكلمك ، ولا تجعل الدعوى دليلا ولا تجز لنفسك تأويل آية على مذهبك الا جوزت لى تأويل مثلها على مذهبى وعلى أن تؤثر التصادق ، وتنقاد للتعارف ، وعلى أن كلا منا يبنى مناظرته على أن الحق ضالته والرشد غايته »[325] .

وكان عهد سلسلة انتصارات للمعتزلة فى مجالس البحث والمناظرة الكثيرة التى عقدوها مع الشيعة ، والملحدين من الدهرية والثنوية فقد ناظر ابو الهذيل

---

(٣٢٠) السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر : ( **الأشباه والنظائر** ) . ( حيدر آباد ـ الدكن ـ الهند ـ الهند ١٣١٦ هـ ) ج ٣ ص ١٥ .

(٣٢١) ابن حنزابه : **مجالس أبى مسلم ـ مخطوط** ص ٦٠ دار الكتب المصرية ٧٧ أدب .

(٣٢٢) ابن طيفور ، أبو الفضل أحمد بن أبى طاهر : ( **تاريخ بغداد** ) ( طبعة ليبسك ١٩٠٨ م ) ص ٦٨ .

(٣٢٣) المصدر نفسه ١١٨ .

(٣٢٤) السبكى : طبقات الشافعية ج ١ ص ٢٠٥ ، ٢١٥ .

(٣٢٥) الأصفهانى ، الحسين : ( **محاضرات الأدباء** ) . ( القاهرة ـ ١٢٨٧ هـ ) ج ١ ص ٤٥ .

العلاف صالح بن عبد القدوس لما قال فى العالم أنه من اصلين قديمين : نور وظلمة ، وكانا متباينين فامتزجا فقال أبو الهذيل : فامتزاجهما اهوهما أم غيرهما قال : بل أقول هوهما : فألزمه أن يكونا ممتزجين متباينين اذ لم يكن هناك معنى غيرهما ولم يرجع(٣٢٦) ذلك اليهما فانقطع وأنشأ يقول :

الى الهذيل جزاك الله من رجل فأنت حقا لعمرى مفصل جدل

ويعود انتصار المعتزلة على خصومهم فى مجالس المباحثة والمناظرة الى اتصالهم بالفلسفة اليونانية وتزودهم بها حتى ضمنوا انتصارهم كما فعل أبو الهذيل العلاف وابراهيم النظام(٣٢٧) ودرسوا كذلك المذاهب الأخرى ليتعرفوا مواطن الضعف فيها وليعدوا أنفسهم للرد عليها .

على كل حال كانت هذه المجالس والمناظرات سببا كبيرا من أسباب الرقى العلمى ، فقد حفزت العلماء للبحث والنظر ، وحملتهم على الجد فى تصفية المسائل حتى يظهروا فى هذه المجالس مظهر الثقة الدقيق النظر وحتى لا يفشلوا فيكون فى هذا الفشل القضاء عليهم . كان العلماء يطيلون النظر ويعدون العدة الطويلة لمثل هذا الموقف(٣٢٨) .

وكثيرا ما أخذ المأمون نفسه دورا رئيسيا فى المناظرات التى كانت تدور فى مجلسه حيث كان الحوار مذهبيا . فسأل المأمون عليا الرضى : بم تدعون هذا الأمر ؟ قال بقرابة على من النبى صلى الله عليه وسلم وبقرابة فاطمة رضى الله عنها . فقال المأمون : ان لم يكن هاهنا شىء الا القرابة ففى خلف رسول الله من أهل بيته من هو أقرب اليه من على ومن هو فى القرابة مثله ، وان كان بقرابة فاطمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الحق بعد فاطمة للحسن والحسين وليس لعلى فى هذا الأمر حق وهما حيان ، واذا كان الأمر على ذلك فان عليا قد ابتزهما جميعا وهما حيان صحيحان واستولى على ما لا يجب له ، فما أحار على ابن موسى نطقا(٣٢٩) .

---

(٣٢٦) د. أحمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ٨٥ ، ٨٦ .

(٣٢٧) أحمد بن يحيى المرتضى : ( **المنية والأمل فى شرح الملل والنحل** ) ( حيدر اباد ـ الدكن ١٣١٦ هـ ) ص ٢٧ .

(٣٢٨) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٢ ص ٥٩ .

(٣٢٩) ابن قتيبة : عيون الأخبار ج ٢ ص ١٤٠ ، ١٤١ .

ولندع الآن عهد المـــأمون الزاخر بالعلم والمعرفة ، ولنسر الى العهود التالية لـــه : فى مجلس من مجالس الادب والمناظرة التى عقـــدت فى عصر الواثق تلاحى مخارق وحسين بن الضحاك فى أبى العتاهية وأبى نواس أيهما أشعر ، وكانت الملاحاة على مال ، فاتفقا على اختيار شعر من شعريهما يتناظران فيه ، فاختار الحسين بن الضحاك شيئا من شعر أبى نواس جيدا قـــويا لمعرفته بذلك واختار مخارق شيئا من شعر أبى العتاهية ضعيفا غزلا لا لشىء عرفه فيه الا لأنه استملحه وغناه ،واختار الواثق أبا محلم ليتحاكما اليه بالشعرين فحكم أبو محلم لحسين بن الضحاك . فقال مخارق لم أحسن الاختيار للشعر ، ولأبى العتاهية خير ممـــا أخـــذت وقـــد اختار حسين أجـــود ما قـــدر عليـــه لأبى نواس لأنه أعلم منى بالشـــعر ولكنـــا نتناظر بالشاعرين فيهما وقـــع الجـــدال فحكم أبو محلم لأبى نواس فقال : هـــو أشعر ، وأذهب فى فنون الشعر وأكثر احسانا فى جميع تصرفه فأمر الواثق بدفـــع المـــال الى الحسين ابن الضحاك وانكسر مخارق(٣٣٠) .

وكان الوزراء والأمراء البويهيون يحبون أصـــحاب هـــذه المجالس يشجعونها ماديا ومعنويا فكان عضـــد الدولة يمـــد يده بالمـــال الى أبى سليمان ويصـــله بالهبـــات والعطـــايا .

ومن المجالس العلمية المهمة الأخرى مجلس الشريف المرتضى على بن الحسين العلوى . وكان يملى فيـــه ضروبا من المسائل وكتابه الذى سماه ( الغرر والدرر ) مجالس أعـــلاها فى فنون معانى الأدب كالنحـــو واللغة وغيرها . وكان لأبى القاسم على بن المحسن التنوخى حلقة يحضرها طائفة من العلماء والأدباء(٣٣١) . ولأبى حامد الأسفرايني مجلس يحضره ثلاثمائة فقيه وقـــد أشار ابن السبكى الى ما كان يقـــع بينه وبين غيره من المناظرات — وذكر شيئا من المناظرات التى وقعت بين أبى اسحاق الشيرازى والدمغانى وبين أبى الطيب الطبرى وأبى عبد الله الصيمرى ، وبين أبى اسحاق وعبد الجبار المعتزلى وبين الطبرى لأبى الحسين الطلقـــانى وبين الطبرى والقـــدورى وغيرهما(٣٣٢) .

وكان الوزراء يهتمون بمـــا يدور فى تلك الاجتماعات من مناقشات وجـــــدل

(٣٣٠) أبو الفرج الأصبهانى : الأغانى ج ٦ ص ١٨٨ .

(٣٣١) ابن القفطى : أخبـــار العلماء بأخبـــار الحكماء ص ١٨٥ .

(٣٣٢) السبكي : طبقـــات الشافعية ج ٣ ص ٢٤ .

فكان ابن سعدان يسأل ابا حيان التوحيدى عن اخبار أبى سليمان وكيف يزوره رسل سجستان أيام الجمعة(٣٣٣) وكان يعطيه رقعة بخط يده ليباحث ابا سليمان بما فيها من المسائل الفلسفية الخاصة بالنفس قائلا أعرضها على أبى سليمان ولا تدع عنده بل انسخ له وحصل ما يجيبك به ويصدع لك بحقيقته ولخصه ورفعه بلفظك السهل وايضاحك اللين(٣٣٤) .

وقد نقل أبو حيان أهم ما كان يدور فى مجلس أبى سليمان فى كتابيه ( المقابسات ) و ( الامتاع والمؤانسة ) فى كل علم وفن من أدب وفلسفة ومجون وأخلاق وطبيعة وبلاغة وتفسير وحديث وغناء ولغة وسياسة وتحليل شخصيات الفلاسفة فى عصره والأدباء والعلماء وتصوير العادات وأحاديث المجالس وغير ذلك مما يطول شرحه(٣٣٥) .

---

(٣٣٣) أبو حيان التوحيدى : الامتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٧٢ .

(٣٣٤) المصدر نفسه ص ٨٣ .

(٣٣٥) المصدر نفسه ص ٢١٢ .

**ثالثا — مشاركة العلماء والشعراء والأدباء فى المباحثة والمناظرة فى بيت الحكمة :**

كانت تعقـــد فى قصور الخلفاء والأمراء حلقات العلم وفيها يتناظر العلمـــاء فى اللغة والأدب والشعر والفقه والحكمة والمنطق وعلم الكلام ، وكانت عنـــاية العباسيين واضحة واشهر من عقـــدت حلقات المناظرة فى قصره من حلقاتهم هارون الرشيد الذى كان قصره كعبة العلماء والأدباء وكان يحضر مجلسه أبو نواس وابو العتاهية ودعبل ومسلم بن الوليد والعباس بن الأحنف وابراهيم الموصلى والأصمعى والكسائى والواقـــدى وغيرهم(٣٣٦) .

فقد كان هو نفسه أديبا عالمـــا قرب العلماء وشجعهم على البحث والمناظرة وقد اعتنق المـــأمون مذهب المعتزلة الذين اعتمدوا على الجـــدل وقـــوة الحجة ولمـــا ضعفت الخلافة العباسية فى بغـــداد وانفصلت الأطراف وقامت بها دولة مستقلة تنافس سلاطين هـــذه الدول وامراؤها فى اجتذاب اشهر العلماء والأدباء الى مراكز حكمهم وقصورهم وأصبحت القصور فى العواصم المختلفة مراكز ثقافية(٣٣٧) .

نظهر فى العراق دور العلم هى كما ترى أنها دور خاصـــة بالدرس والبحث ، ولعـــل من أشهرها بيت الحكمة ببغـــداد ، ودار العلم فى الموصل ، وبيت الحكمة شبه ما يكون بأكاديمية مختصة بالدرس والبحث وترجمة الكتب العلمية والأدبية ، كما كانت تعقـــد فيها مجالس العلم للمناظرة من أجـــل التوصل الى حقائق العلم ومن مشاهير من اشتغل فى بيت الحكمة أبو سهل الفضل بن نوبخت وكان قـــد عهد اليه بترجمة كتب الحكمة من الفارسية الى العربية(٣٣٨) يضاف الى هـــذا كله انتشار مجالس المناظرة فى الدور والقصور والمساجد بين العلماء وفى حضرة الخلفاء فى الفقه والنحـــو والصرف واللغة والمسائل الدينية ، وكان يشد من أزر هـــذه المناظرات الشغف بالعلم وعطايا الخلفاء والأمراء ونيـــل الحظوة عندهم .. وكان بعض الخلفاء والأمراء يحضرون هـــذه المناظرات ويشتركون فى الرأى يؤيدون البعض ويفنـــدون البعض . وكان العلماء يستعدون للمناظرة يتسلحون لهـــا رغبة فى الشهرة ، وذيوع الصيت ، وكانت تذكيها المنافسة الحادة بين الامراء والخلفـــاء . وقـــد شـــهدت بغـــداد على نحـــو خاص مناظرات فى النحو والصرف واللغة ، ومن أمثالها ما جرى

---

(٣٣٦) Nicholson : A Literary History of the Arabs. London 1923, p. 261.

(٣٣٧) Khuda Bakhsh : Contribution of the History of Islamic Civilization, p. 184.

(٣٣٨) ابن النـديم : الفهرست ص ٣٩٦ .

بين سيبويه والكسائى فى مجلس يحيى البرمكى وما كان بين الكسائى واليزيدى فى حضرة المهدى ثم الكسائى والأصمعى أمام الرشيد ، وما روى عن محاورة بين أبى العباس احمد بن يحيى مع ابن الأعرابى فى مجلس الأمير أحمد بن سعيد ، كما تناظر ابو العباس ثعلب مع المبرد فى حضرة محمد بن عبد الله بن طاهر . ومن أشهرها جميعا مناظرات المأمون الذى كان يرى أن تثار بين يديه المسائل الدينية المختلفة فيسمع من كل رأيه وحجته ، ثم يفصل فى أوجه الخلاف على ضوء هذه الحجج(٣٣٩) .

ويشهد الحكام انفسهم المجالس الأدبية والمناظرات الفلسفية فقد كان عصر ابن المقفع يزخر بهذه المجالس الثقافية حيث كان الخليفة يجمع حوله العلماء والأدباء والشعراء الذين يتسابقون لنيل نواله ويبدعون فى صناعة القصائد وانشاد الأشعار وحكاية الروايات والنوادر والأمثال وغير ذلك من فنون الأدب ، مما جعل هذه المجالس وما يدور فيها من مناقشات أدبية طريفة عاملا من عوامل انعاش الحركة الثقافية فى البلاد الاسلامية فضلا عن أن هذه المجالس كانت تدور حول بعض المبادىء السياسية وأحقية العباسيين فى الحكم على بنى امية ، فكانت تراثا ذا طابع سياسى له قيمته وخطره واثره فى التوجيه الفكرى فى هذه الحقبة من التاريخ ، وكان الخلفاء العباسيون يجلون العلماء ، ويعنون بالشعر واللغة والأشعار ورواية الأخبار فكانوا يعتبرون عدم حفظ الأشعار العربية سبة ليس بعدها سبة(٣٤٠) .

وفى هذا العصر ظهر نوعان من العلماء : الأول هم الذين يغلب على ثقافتهم(٣٤١) النقل والاستيعاب ويسمونه أهل العلم ، والثانى هم الذين تغلب على ثقافتهم الابتداع والاستنباط ويسمونه أهل العقل(٣٤٢) .

وقد ذكر ابن خلكان(٣٤٣) : أن الخليل ابن أحمد اجتمع بابن المقفع وتحديا فى شتى المسائل ، فلما افترقا قيل للخليل كيف رأيت ابن المقفع ؟ فقال : رأيت رجلا علمه أكثر من عقله ، وقيل لابن المقفع : كيف رايت الخليل بن أحمد ؟ قال : رأيت عقله أكبر من علمه » ، وليس من شك فى ان ابن المقفع قد غلب على ثقافته النقل

---

(٣٣٩) د. حسن أحمد محمود وآخرون : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

(٣٤٠) محمد غفرانى خراسانى : عبد الله بن المقفع ص ٤٠ .

(٣٤١) د. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى جـ ٢ ص ٣٢٣ .

(٣٤٢) المرجع نفسه ص ٣٢٤ .

(٣٤٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ص ١٧٣ .

والترجمة والتأثر بآراء غيره من العلماء ، على حين قد غلب على ثقافة الخليل الابتكار الذى يتجلى من هذه الحقيقة وهى أنه أول من فرع قواعد النحو ، وأول من صنف المعاجم ، وأول من تكلم فى علم العروض ، فالأول اذن ذو علم والثانى ذو عقل .

وقد امتدت المباحثة والمناظرة الى منازل العلماء حيث كان بعض العلماء يخصص فى بيته مكانا للمجالس العلمية التى يرتادها أهل العلم وغالبا ما تكون المجالس العلمية التى تعقد فى المنازل خاصة وطبقه من الناس يتنافسون فى المسائل العلمية الدقيقة ويتناظرون فى الأدلة والحجج(٣٤٤) .

لقد كانت مجالس العلماء دورا لتلقى العلم والمعرفة يؤمها عدد كبير من مؤيدى العلم ينهلون من معينه وكانت تعقد هذه الندوات العلمية فى الليل ومن اشهر هذه المنازل فى العصر البويهى منزل الرئيس ابن سينا(٣٤٥) ، وقد ضمت هذه الدار نخبة عظيمة من العلماء .

وذكر ابن القفطى(٣٤٦) : أن الجوزجانى كان يجتمع كل ليلة فى دار ابن سينا طلبا للعلم وكنت أقرأ معه كتاب الشفاء ، وكان يقرأ من القانون وكان التدريس بالليل لعدم الفراغ بالنهار وخدمة الأمير شمس الدين ، وقضينا على ذلك زمنا » .

ومن المنازل المهمة ايضا منزل أبو سليمان السجستانى ( محمد بن طاهر بن بهرام ) كان معيلا لأهل العلوم القديمة تصدى لقراءتها وقصده الرؤساء الاجلاء وانتهت اليه الصدارة فى الفلسفة بعد يحيى بن عدى الذى كان تلميذا وهو بلا شك من انبغ تلاميذه وكان فاضلا فى العلوم الحكمية متقنا لها مطلعا على دقائقها واجتمع بيحيى بن عدى ببغداد(٣٤٧) وأخذ عنه .

وكان لتشجيع الخليفة المأمون للأدباء والعلماء والشعراء حيث كان بيت الحكمة تزخر بمختلف الكتب والمصنفات العلمية والأدبية والفلسفية(٣٤٨) ، مما

---

(٣٤٤) د. محمد فاروق النبهان : مبادىء الثقافة الاسلامية ص ٢٨ .

(٣٤٥) ابن النديم : الفهرست ص ٢٩٩ .

(٣٤٦) ابن القفطى اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٨٥ .

(٣٤٧) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ٣٢١ .

(٣٤٨) د. ابراهيم الشريقى : ( التاريخ الاسلامى فى خلال أربعة عشر قرنا ) ( القاهرة ١٩٧١ م ) ص ١٣٨ .

جعل الحلقات تعقد وتدور المناقشات والمجادلات فى القضاء والقـدر وفيما اذا كان الانسان مسيرا أم مخيرا فانقسموا الى فئتين كل فئـة تناصر احـد الرأيين ولذلك احتاجوا فى العصر العباسى الى معرفة ما عند الأمم الأخرى ممـا يفيدهم فى تلك المجادلات والمناظرات(349) .

وقـد أسهم بعض الخلفاء فى تلك المناظرات ، فكان يجلس المـأمون للمناظرة مـع العلماء والأدباء والشعراء من أول النهار الى آخره يتناظرون بين يديه فيرشدهم ويمـدهم بالأموال والكتب ويتفقـدهم اذا غابوا عنهم ويزورهم فى بيوتهم مـع كثرة العطـاء والرغبة فى حسن الثناء(350) .

فنفقت سـوق العلم فى زمانه ، وقامت دولة الحكمـة فى عصره وتنافس أولو النباهـة فى العلوم لمـا كانوا يرون من أخطـائه لمنتحليها واختصاصه لمتقـدميها ، فكان يخلو بهم ويأنس بمناظرتهم ، ويلتـذ بمذاكرتهم . فينالون عنده المنزلة الرفيعـة والمراتب السنية ، وكذلك كانت سيرته مـع سائر العلمـاء والفقهاء والمحـدثين والمتكلمين وأهـل اللغـة والأخبار والمعرفة بالشعر والنسب فأتقن جماعة من ذوى الفنون والتعليم فى أيامه كثيرا من أجزاء الفلسفة وسنوا لمن بعـدهم منهاج الطلب فمهـدوا لأصـول الأدب حتى كادت الدولة العباسية تضاهى الرومية أيام اكتمالها وزمان اجتماع شملها »(351) .

ومن هنا كانت بيت الحكمة منارة يهتـدى بها الخلفاء والشعراء والأدباء والعلماء فيتناقشون ويتناظرون من أجـل الوصول الى الحـق والحقيقة .

---

(349) د. ناجى معروف : أصـالة الحضارة العربيـة ص 420 .

(350) ابن دحية ، عمر بن حسن بن على الكلبى : ( **النبراس فى تاريخ خلفـاء بنى العباس** ) صححه وعلق عليه عباس العزاوى ( **مطبعة** المعارف ـ بغـداد ـ العراق 1946 م ) ص 48 .

(351) صاعـد الاندلسى : طبقـات الأمم ص 75 ، 76 .

# الباب الثالث



ويشتمل على الفصـول الآتية :

الفصـل الأول : بيت الحكمة فى عهـد المـأمون .

الفصـل الثانى : بيت الحكمة بعـد عهـد المـأمون .

الفصـل الثالث : تأثير بيت الحكمـة كمؤسسة علميـة وتعليمية على المدارس الاسـلامية .

الفصـل الرابع : بيت الحكمـة كجامعة اسـلامية عظيمة .

# الفصل الأول : بيت الحكمة فى عهد المأمون



١ ــ حالة بيت الحكمة قبل عهد المــأمون .

٢ ــ عنــاية واهتمام المــأمون ببيت الحكمــة .

٣ ــ صرف الأموال فى ســبيل ازدهار وارتقاء بيت الحكمــة .

## اولا — حالة بيت الحكمة قبل عهد المأمون :

وشهدت بغداد فى عهد منشئها أبى جعفر المنصور ، حركة تدوين العلوم والنقل عن الأمم القديمة فترجمت الكتب عن الفارسية واليونانية الى العربية . وبذلك كانت بغداد منذ انشائها مسرحا لنهضة علمية واسعة النطاق ، وساعد على ذلك أن المنصور نفسه كان راوية للحديث ، بارعا فى العلوم والفنون ولعا بالطب(1) . وكان المنصور اديبا مصيبا فى رأيه سديدا وكان مقدما فى علم الكلام ، مكثرا من كتابة الأخبار . ويعزز جانب الحكمة ويغدق بره ومعروفه لأهلها . وقد شهدت القرون الأولى من عهد العباسيين حركة ثقافية نشطة ذلك لأن الرفاه الاقتصادى أدى الى انشاء المدن حيث الحياة الحضرية المترفة والسكان ذوو الذوق الراقى والفراغ الكبير نسبيا وحب الاستطلاع(2) .

ولقد كان الخلفاء العباسيون أول من أدرك العناية بالعلم ، فكان حرصهم شديدا على أن يبذل العلماء كل ما يملكونه من جهد لنشر العلم بين الطوائف وافادة الأمة منه بقدر ما تستطيع من استفادة وكان أبو جعفر المنصور يجل العلماء ويجعلهم فى مكان الاعزاز والاحترام ، فلا يغلق بابه دونهم ، ولا يشيح بوجهه عنهم ، ولكنه يقربهم ، ويفسح صدره لهم ، ويبالغ فى رفع منازلهم ويطلب اليهم وضع الكتب القيمة ويشجعهم على أن يقدموا للناس عصارة مما علموه من الثقافات وخلاصة ما حصلوه من المعارف ، يرجو مالك بن أنس أن يؤلف له كتابه الموطأ ليكون عمدة الباحث ونبراس المتفقة وهداية الضال وفيصل المحتكم ، ويستجيب الامام رحمه الله لرجائه ويحقق عدته ، ويستقبل الناس ذلك الصنيع باغتباط ، وتلتف مجالسهم للدراسة فيه ، والفهم له والانتفاع به وكذلك يفعل ابن المقفع ليترجم عن الفارسية كليلة ودمنة وغيره ، ويحذو حذو ابن المقفع كثير من فحول العلم ، وأساطين المعرفة ، ولا تنتهى خلافة المنصور حتى تعج الدولة بالكتب المؤلفة أو المترجمة وتتحول البلاد الى دور للدراسة ، ومجالس للعلم ، ونواد للجدل والمناظرة ومعاهد للغة والفهم والثقافة والتهذيب(3) .

ثم يأتى المهدى بعد ذلك فيستن فى هذا سنة حميدة ، ويسلك سلوكا

(1) د. زكى محمد حسن : ( كنوز الفاطميين ) . ( القاهرة ١٩٣٧ م ) ص ٨٢ ، ١٤٠ .
(2) د. فاروق عمر : العباسيون الأوائل جـ ٢ ص ٧٣ ، ٦٧ ، ٦٨ .

(3) د. ابراهيم على ابو خشب : ( تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الأول ) . ( دار الفكر العربى بالقاهرة ١٩٧٤ م ) ص ١٤٧ ، ١٤٨ .

مستقيما ، ويولى العلم والتعليم جهدا مشكورا واهتمام المتفضل ، وعناية الراغب ، ونفكير الجاد ، ويتخذ لأهل العلم والأدب ، أياما خاصة من فراغه ليعرضوا عليه أحسن بضاعتهم ، وأروع نتاجهم ، ولا يفوته أن يغمرهم بالجود ، ويعمهم بالاحسان ، ويترك فى نفوسهم الأثر الطيب من اقباله عليهم ، وتقديره لهم ، وتشجيعه اياهم ، ليزيدوا من احسانهم الى البلاد ، وجهودهم للدولة ورفعهم لراية الخلافة واعزازهم للوطن الذى اقلتهم أرضه وأظلتهم سماؤه(٤) .

ويتولى الرشيد الخلافة فلا يشغله شاغل ، ولا يلهيه عمل ولا يحول وجهه من العلم والعلماء ، وفتح آفاق المعرفة واتساع مجال الثقافة فكان شغوفا بالفنون والعلوم . وكان قصره الزاهى مركزا لمختلف الثقافات ، وأما ولعه بالشعر فمضرب بالآداب ، واجازته الشعراء بسخاء فالحديث فى ذلك طويل المناحى(٥) .

كما شهدت بغداد فى عهد الرشيد نهضة ادبية وفكرية عظيمة لم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والفقهاء والقراء والفضلاء والكتاب ما اجتمع على باب الرشيد(٦) . ولم يكن دون سابقيه رغبة فى العلم ، وحبا للعلماء ، لقد حكى عنه أنه كان يحفظ شعر ذى الرمة(٧) .

فدولة الرشيد التى صورها جرجى زيدان وأمثاله دولة أبى نواس والجوارى والمغنين ، ودولة الف ليلة وليلة هى : دولة اعلام العلم والاختراع والحضارة حقيقة وصدقا ، فقد ضمت دولة الرشيد أعلام العلم الذين تفخر بهم البشرية جمعاء مثل : جابر بن حيان الكوفى ، والحسن بن الهيثم ، والبتانى أمثال العالم المسلم فى أرقى مراتبه . فالعلماء الذين تعتز بهم الانسانية ، لأن نهضتها تدين لهم بالفضل منهم من عاش فى كنف الرشيد ، ومنهم من هيأ له الرشيد كنوز العلوم فى « دار الحكمة » فنهلوا من مراجعها ومصادرها(٨) . فدار الحكمة أو بيت الحكمة يرجح المؤرخون أن أول من أسس هذه الدار الجامعة لمختلف المؤلفات هو الخليفة هارون الرشيد ثم أمدها ابنه المأمون بعده بالمؤلفات الكثيرة والدواوين

---

(٤) المرجع نفسه ص ١٤٨ .

(٥) د. أحمد فريد رفاى : عصر المأمون ص ١١٩ .

(٦) د. سميرة مختار الليثى : ( جهاد الشيعة فى العصر العباسى الأول ) ( دار الجيل - بيروت - لبنان ١٣٩٦/١٩٧٦ ) ص ٢٠٩ .

(٧) أبو الفرج الأصبهانى : الأغانى جـ ٧ ص ٣٩ .

(٨) شوقى خليل : ( جرجى زيدان ) . ( دار الفكر - دمشق ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م ) ص ١٧٩ .

الضخمة حتى صارت هــذه المكتبة من اكبر خزائن الكتب فى العصر العباسي وظلت هــذه الخزانة(٩) قائمة يستفيد منها الرواد والعلماء وطلاب العلم الى أن اســتولى عليها المغــول(١٠) فى بغــداد سنة ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م .

وعاش العلماء العرب عصرا ذهبيا انعكس على آلاف الكتب التى وضعوها فى مختلف العلوم وشتى الموضوعات ، تضمنت نظريات جــديدة ، وآراء مبتكرة ، وابحاثا قمية ، وافكارا فريدة ، ولقى العلماء كل تكريم من الخلفاء والحكام ، ففتحــوا لهم الأبواب ، واغــدقوا عليهم العطاء ، وذللوا لهم الصــــعاب وكانوا يجلسون اليوم دائمـــــا(١١) .

ويمكن أن يوصف بيت الحكمة ببغـــداد بأنه بناية كبيرة فيها عـــدد من القاعات والحجرات الواسعة موزعة فى اقسام الدار ، تضم مجموعة من خزائن الكتب فى كل خزانة مجموعة من الأسفار العلمية الخاصة التى تنسب فى الغالب الى مؤسسها كخزانة الرشيد وخزانة المـــأمون(١٢) . ووصفت بأنها دار كبيرة مقسمة الى عـــدة أقسام خصص البعض منها لحفظ الكتب والأقسام الأخرى للترجمة والنسخ والتأليف والتجليد والمطالعة(١٣) . وقـــدر لهـــذه الخزانة أن تصبح أعظم بيوت الحكمة شأنا عند المسلمين لمـــا حوت من كتب نفيسة .

وهكذا كان للرشيد مكانته وقـــدره فقـــد ازدهرت فيه الحضارة الاســـلامية أيما ازدهار وظهرت فيه آثار تحول المدنية فى العصور التى سبقته فقـــد كان قصره المثابة التى يهرع اليها الحكماء والعلماء من انحاء العالم وكانت سوق البلاغة والشعر والتاريخ والفقه والطب والموسيقى والفنون نافقة ، اذ يقابلها الخليفة مقـــــابلة فى سجيته النبل والكرم ، كل ذلك مما آتى أكله وثمره الناضج فى العصور الآتية . ولقـــد كان الرشيد يجيز العلماء فى كل فن جائزات ملكية نبيلة على أن الشعراء كانوا موضع تكريم منه وخاصـــــة مروان بن أبى حفصة الذى منحه الرشيد خمسة آلاف دينـــار

(٩) د. محمد عجاج الخطيب : لمحات فى المكتبة والبحث والمصادر ص ٣٥ .

(١٠) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ١ ص ٤٦٦ .

(١١) محمد ابراهيم الصيحى : ( **العلوم عند العرب** ) . ( مكتبة نهضة مصر ـ القاهرة ـ بدون ) ص ٨ .

(١٢) د. ناجى معروف : أصالة الحضارة العربية ص ٤٤١ .

(١٣) رشيد حميد حسن الجميلى : ( **اثر الترجمة فى الحضارة الاسلامية فى القرن الثانى الهجرى** ) . ( أطروحة ماجستير مكتوبة على الآلــة الكاتبة ) ص ٢٠ .

وكساه خلعته تشريفا لــه وأمر لــه بعشرة من رقيق الروم ، وحمله على برذون من خاص مراكبه(١٤) . يقول ابراهيم الموصلى :

**الم تر أن الشمس كانت سقيمة     فلمـا ولى هارون أشرق نورها**

**يمن أمين الله هارون ذى الندى     فهـارون واليها ويحيى وزيرها**

وأما العلم فان بغــداد صارت قبلة لطلاب العلم من جميع الأمصار الاسلامية ، يرحلون اليها ليتموا ما بدأوا فيه من العلوم والفنون فبها المدرسة العليا لطلاب الدينية والعربية على اختلافها فقــد كان فيها كبار المحــدثين والقراء والفقهاء وحفــاظ اللغــة وآداب العرب النحويون وكلهم قائمــون بالدرس والافــادة لتلاميذهم فى المساجد الجامعة التى كانت تعتبر مدارس عليا لتلقى هــذه العلوم وقلمــا كان يتم الانسان وصــف عالم أو فقيه أو محــدث أو كاتب الا اذا رحــل الى بغــداد وأخــذ من علمائها . وجميع هــؤلاء العلماء كانوا يعيشون عيشا رغــدا ممــا كان يفيضه عليهم الرشيد والبرامكة ومن دونهم من الخير الواسع والبر العميم . ولم تكن بغــداد بالمقصرة فى علوم الدنيا كالطب والحكمة وغيرها من ســائر الصناعات فقــد حشد اليها الأطبــاء والمهندسون وســائر الصناع من الأقاليم المختلفة فاستفاد من العــلوم ممــن سبقهم من الأمم فى المدنية كالفرس وأهــل الهند وأهــل الروم والصــابئة وغيرهم ، وزادوا على تلك العلوم بمــا منحوا من المواهب العقلية(١٥) .

ويؤكد ذلك ابن طباطبا(١٦) فى كتابه الفخرى فى الآداب السلطانية : « ان الدولة العباسية ساست العــالم سياسة ممزوجة بالدين والملك فكانت دولة كثيرة المحاسن جمة المكارم أسواق العلوم فيها قائمــة وبضائع الآداب فيها نافقة وشــعائر الدين فيها معظمة والحرمات مرعية » .

وفى بغــداد التقى الطب اليونانى بالطب الهندى على صعيد واحــد . فقــد سبق لهارون الرشيد نفسه أن استدعى مرة الطبيب الهندى منكه الى بغــداد ، وكما سبق للبرامكة أن أمروا بنقــل بعض الكتب الطبية الهندية الى اللغة العربية(١٧) .

---

(١٤) د. أحمد فريد رفاعى : عصر المأمون ص ١٣٣ ، ١٣٥ .

(١٥) الشيخ محمد الخضرى : ( **محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية ، الدولة العباسية** ) . ( المكتبة التجارية الكبرى – القاهرة ١٩٧٠ ) ص ١٣٥ .

(١٦) ابن الطقطقى : الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٢٨ .

(١٧) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٢٠٢ .

وهكذا جمعت الكتب التى ترجمت فى الطب والنجوم والهندسة والكتب التى ألفت فى الحديث والتاريخ والأدب ووضعت فى خزانة[18] بيت الحكمة .

ومن مميزات العصر العباسى اشتغال الخلفاء والأمراء بالعلم والأدب وأخبار المنصور والرشيد والمأمون وأقاربهم ووزرائهم وشعرائهم تملأ كتب الأدب والتاريخ العربى وكان من حياتهم أعظم دافع لاشتغال الرعية بطلب العلم والنبوغ فيه . ومن مفاخر هذا العهد اطلاق الفكر من قيود التقليد حتى تعددت البدع وتفرقت الفرق وكثرت النحل[19] . .

---

(١٨) سعيد الديوه جى : ( **بيت الحكمه** ) . ( مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر - جامعة الموصل ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م ط ٢ ) ص ٣٣ .

(١٩) محمد لطفى جمعه : ( **تاريخ فلاسفة الاسلام فى المشرق والمغرب** ) ( ط ١ المكتبة العلمية - ليون - فرنسا ١٩٠٩ م ) من المقدمة .

## ثانيا ــ عنــاية واهتمام المــامون ببيت الحكمة :

والمــامون بعــد تربعــه على كرسى الخلافة ، وتقلده زمام الحكم أصبح اليد المشكورة على العلم والأدب والثقافة والمعرفة ، والفلسفة والحكمة ، حتى كأنه هو وحــده باعث هــذا العصر والنافخ فيه من روحــه وهــو الذى حول بيت الحكمة الى ما يشبه الجامعة ، فصارت مثابة للعلم ومنارة للرشد ، ومباءة للمعرفة ، واصبحت حضارة العصر كله مدينة لها بما أدت للانسانية من جهود ميمونة مباركة[٢٠] .

وفى خلافة المــامون لقيت الموسومة بيت الحكمة كنوز العلم الاسلامية الى كنوز العلم الأجنبية وامر بأن تشترى المصنفات اليونانية من آسيا الصغرى فى عهده واستهل ابو يوسف يعقوب الكندى « فيلسوف العرب » واحــد العقول الكبرى[٢١] فى تاريخ العالم كما دعاه كاردفــو Cardavo .

ويقــول « هــوجز » : « ان عصر المــأمون أزهى فترة فى تاريخ النهضــة بالعالم الاسلامى اذ كان الخليفة نفسه عالمــا من أساطين العلماء ، واختار أصحابه ورجال الدولة من الصفوة الأفــذاذ فى الشرق والغرب ، هــذا ، الى جانب الأساتذة والمستشارين والمترجمين والمفكرين الذين حلى بهم بلاطــه وزين ملكه »[٢٢] .

ويصف سيد أمير على[٢٣] : « ان بلاط المــأمون كان يموج بجمهرة عظيمة من رجال العلم والأدب والشعراء والأطباء والفلاسفة الذين استدعاهم المــأمون من جبات متعــددة من العالم المتمــدين وشملهم بعنايته ، مهمــا اختلفت مشاربهم أو جنسياتهم ، وكثيرا ما أخــذ المــأمون نفسه دورا رئيسيا فى المناظرات التى كانت تدور فى مجلســه » .

ان المــأمون[٢٤] كان أديبا عالمــا افانين القــول ومناحيه ، وليس ذلك ببعيد على من تتلمذ على شيوخ الأدب كسيبويه واليزيدى ، ويحيى بن المبارك بن المغيرة ،

---

(٢٠) د. ابراهيم ابو خشب : تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الأول ص ١٤٩ .

(٢١) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٢٠٣ .

(٢٢) Hughos, Thomas Patrick : Dictionary of Islam, London 1885, p. 295 - 296.

(٢٣) Saed Ameer Ali : Short History of Saracens, p. 278.

(٢٤) د. أحمد فريد رفاعى : عصر المأمون ص ٣٥٤ .

الذى أخــذ العربية من امثال أبى عمرو بن العـــلاء وابن أبى اســحاق الحضرمى ، واخــذ اللغــة والعروض عن الخليل بن احمد ، والذى الف كتابا فى النحــو لبعض اولاد المــأمون . فقــد افاد المــأمون من هؤلاء وأمثالهم من رجال الأدب والكفاية أيما افادة . قال عمارة بن عقيل : انشدت المــأمون قصيدة مئة بيت فابتدىء بصــدر البيت فيبارى الى قافيته كما قفيته ، فقلت والله يا أمير المؤمنين ، ما سمعها منى أحــد قط ! فقال هكذا ينبغى أن يكون . ثم قال لى : أما مبلغك أن عمر بن أبى ربيعة أنشد عبد الله بن عباس قصيدته التى يقول فيها : تشط غــدا دار جيراننا . فقال ابن عباس : وللدار بعــد غــد ابعــد . حتى أنشد القصيدة يقفيها ابن عباس ثم قال : انا ابن ذاك .

وحينما قرب المــأمون الفلاسفة والمتكلمين كان فيه ميل الى العلم والثقــافة حيث جمع فى بيت الحكمة أمهات الكتب العربية وغير العربية مع مئات العلماء والمفكرين والمترجمين . وجمع بلاطه فلاسفة وعلماء تدارسوا القرآن والحــديث والفقه والمسائل المتفرعة منها ولكن المــأمون كان يميل الى آراء المعتزلة ويعجب بأدلتهم العقليــة والنقلية ولذلك اصــبح أحمــد بن أبى داوود المعتزلى ذا نفــوذ كبير فى دولة المــأمون(٢٥) .

كان المــأمون وافر العلم غزير الاطلاع وليس ذلك بعزيز على خليفة ملأ عصره بأنواع المعارف الانسانية ونفخ فيه من روحــه القــوى ، حتى استطاع الباحث ان أن يسميه بسمته ، وأن يرجع فضــل الحضارة العباسية اليه . ولكن المــأمون فى علمه وثقافته لم يقف عند حــد الثقــافة الذاتية ، وانمــا وجــه حرصه الى ان يثير فى نفــوس أصحابه كوامن الرغبة الى التعمق فى الدرس ، والشوق الى ادراك حقائق الأشياء ، وكانت لــه فى ذلك طريقة معروفة هى توجيه السمر والحــديث الى فنــون العلم وضروب العرفان فكان حــديث الليل وحــديث المــائدة يفتح لجلسائه ابوابا من القــول لما كانت تخطر لهم ببال(٢٦) فان المــأمون فى علمه وعرفانه أهــل للاحتذاء والارتسام من أقرانه ، قمين بالتمثيل به والاقتفاء ليكون زمانهم غرة فى جبين الدهر كزمانه ، وليكون نصيبهم نصيبه فى مهابته ورفعــة شأنه ، ورســوخ عرشه وقــوة بنيانه(٢٧) .

---

(٢٥) د. فاروق عمر فــوزى : ( **العصر الذهبى عصر الازدهار الحضارى** ) مجــلة المؤرخ العربى ـ بغداد ـ العراق ع ١٥ ( ١٩٨٠ م ) ص ١٤٢ .

(٢٦) د. أحمد فريد رفاعى : عصر المأمون ص ٣٥٩ ، ٣٦٠ .

(٢٧) المرجــع نفســه ص ٣٦٢ .

وفى غضون حكم المـأمون(٢٨) ( ١٩٨ هـ/٢١٨ هـ ــ ٨١٣ م/٨٣٣ م )وصلت الجهود الثقافية الجـديدة الحـد الأقصى . فقـد أنشأ الخليفة فى بغـداد دارا رسمية للترجمة مجهزة بمكتبة وكان احـد مترجميها « حنين بن اسحاق » الفيلسوف العبقرى العظيم المواهب والطبيب النطـاسى الواسع الاطـلاع والتشخصية الرئيسية فى عصر المترجمين هـذا .

واختار المـأمون سهل بن هارون كاتبا على خزانة الحكمة التى ضمت آلاف المراجـع فى كل علم وفن ، وخصص مكان معين للمؤلفات اليونانية وعكف المترجمون على العمل فى جـد ونشاط ظهر أثرهما واضحا فى تقـدم علوم الطب عند العرب(٢٩) .

ويقول العالم بلنتو : « ان اهتمـام المسلمين بالمكتبات لا يوصـف فهى مزودة بحجرات متعـددة بها رفـوف لوضـع الكتب وبعضها مخصص للاطـلاع وبعضـها للنسخ وبعضها لحلقات الدراسة » . ولأهمية خزائن بيت الحكمة جعل سهل بن هارون كاتبا عليها وهى كتب الفلاسفة التى نقلت للمـأمون من قبرص(٣٠) .

ان بيت الحكمة هـذا كان اكاديمية علمية بالمعنى الصحيح ، ولابد لنـا أن نشيد بالجهود العلمية التى بذلتها هـذه المؤسسة . ذلك ان النقـل والتعريب كان آنذاك صعبا كل الصعوبة لأن النقلة كانوا يطرقون موضوعا جـديدا كل الجـدة عليهم ولا سيما اذا تذكرنا المصطلحات العلمية الكثيرة التى كان يجب عليهم ايجـاد بديل لهـا باللغة العربية ، وقـد تمكنوا فى أغلب الأحيان من ايجاد البديل المناسب ونقولهم هـذه بشكل عام جيدة ، وقسم كبير من التراث اليونانى لم تعرفه أوروبا الا عن طريق النقـول العربية(٣١) .

ان قيام بيت الحكمة البغـدادى وازدهار حركة ترجمة الكتب الطبية والفلسفية والعلمية الأخرى من اليونانية الى السريانية فالعربية ، ونبوغ حنين بن اسـحاق ومدرسته وعلى رأس تلاميذها ابن اسحاق وابن أخته حبيش بن الحسن الأعسم فكانت مدرسة كاملة للترجمة ذات نهج علمى ، وانتاج زاخر ، وعرف العالم العربى

---

(٢٨) توماس أرنولد وآخرون : ( تراث الاسلام ) . ( ط ٣ دار الطليعة ـ بيروت ـ لبنـان ) ص ٤٥٣ ، ٤٥٤ .

(٢٩) محمد الحسينى عبد العزيز : الحياة العلمية فى الدولة الاسلامية ص ٥٩ .

(٣٠) احمد أمين : ضحى الاسلام جـ ٢ ص ٦٥ .

(٣١) ابن نباته المصرى : سرح العيون ص ١٣٢ .

اقـــوى حركة للترجمة بفضل بيت الحكمة على عهـــد المـــأمون والمتوكل وتكاثرت بيوت الحكمة والعلم فى ســـائر انحاء العالم الاسلامى ومنهم سلم الحرانى الملقب بصاحب بيت الحكمة وهـــو معاصر للمـــأمون ، وقـــد لمع خاصة ثابت بن قرة الذى انتقل من حران الى بغـــداد[٣٢] .

قال جوستاف لوبون عن المـــأمون انه كان يخـــلو بالحكمـــاء ويأتى بمناظرتهم ويلتذ بمذاكرتهم علمـــا منه بأن اهـــل العلم هم صفوة الله من خلقه ونخبته من عباده . فلهـــذا السبب كان أهـــل العلم مصابيح الدجى وسادة البشر وأوحشت الدنيـــا لفقـــدهم » . وكان أولئك يحيطون بخلفاء بغـــداد وكان يمكن لهـــؤلاء الخلفاء أن يعـــدوا قصورهم أول قصور العالم وأنضرها[٣٣] .

ويعتبر بيت الحكمة أول مكتبة علمية ذات شـــأن فى العـــالم الاسلامى ، ولعـــله اول جمعية علمية يجتمع فيها العلماء للبحث والدراسة . وكان عصر المـــأمون أزهى عصور العلم ، وكان الخليفة نفسه مثال الخليفة العالم ... يهب وقته ورعايته للعلماء ويمنحهم عطفه وتشجيعه . ونادى الخليفة بأن لا يكون نشاط بيت الحكمة متوقفا على سخاء الخلفاء فهيأ للعلماء أرزاقا يتقاضون فى أوقات ثابتة يفيض ريعها على التكاليف المطلوبة . وكان الخلفاء العباسيون يعـــدون أنفسهم حماة للعلم ويرون أن قصورهم لابد أن تكون مراكز ثقافية ومدارس يلتقى فيها العلماء والطلبة وخصص بعض الخلفاء فى قصورهم دورا ومساكن ومقاصير يرتب فى كل موضـــع منها رؤساء كل صـــناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعلمية[٣٤] .

فكان المـــأمون يجل علماء اليهود والنصارى ، ويحتفى بهم فى مجلسه لا لعلمهم فحسب بل لثقافاتهم فى لغـــة العرب وحـــذقهم فى معرفة لغـــة اليونان وآدابها ، ومن تشجيع الخلفاء لأهـــل العلم واكرامهم لرجال الأدب ، ومن انصراف همم أولى الفضل الى التأليف والترجمة أن السبيل التى سلكتها الآداب فى صـــدر العصر العباسى قـــد بلغت غايتها فى أيام المـــأمون ، فعصره اذن هـــو الثمرة الناضجة ، لتغير الآداب فى العصر العباسى[٣٥] . ويعتبر العصر الذى بلغت فيه الآداب العربية الذروة من الكمال المقـــدور لهـــا[٣٦] .

---

(٣٢) الأب يوسف حبى : ( يوحنا بن حيلان معلم الفارابى فى المنطق ) مجـــلة المؤرخ العربى - بغـــداد - العراق عـ ٣ ( ١٩٧٥ م ) ص ١٧٧ .

(٣٣) جوستاف لوبون : حضارة العرب ص ١٧٤ .

(٣٤) محمد الحسينى عبد العزيز : الحياة العلمية فى الدولة الاسلامية ص ٥٩ .

(٣٥) د. أحمد فريد رفاعى : عصر المـأمون ص ٤٠١ ، ٤٠٢ .

(٣٦) المصدر نفسه ص ٤٠٢ .

كما اقترن اسمه ( المـأمون ) بتلك النهضة الفكرية التى ازدهرت فى العصر العباسى الأول ، بوجه عام . وفى عصر المـأمون بوجه خاص ذلك لأنه شارك فيهـا بنفسه حتى قيل أنه أعلم الخلفاء بالفقه وعلم الكلام وأنه فيلسوف الخلفاء وحكيم بنى العباس . واهتم بالتراث القـديم وجمعه وخاصة التراث اليونانى ، فأرسل بعثات من العلماء الى القسطنطينية وجزيرة قبرص للبحث عن نفائس الكتب اليونانية ونقلها الى بيت الحكمة فى بغـداد ، وكان هـذا البيت بمثابة معهد علمى يضم مكتبة لنسخ الكتب ، ودارا لترجمتها الى العربية ، وكان له مدير ومساعدون ومترجمون ومجلدون للكتب وقـد بلغ من شغفه بالثقافة الاغريقية أن زاد اهتمامه بهـذا البيت وما حـدث فيـه[٣٧] .

فعصر المـأمون من العصور الاسلامية الزاهرة ، ولم تكن شخصيته سياسية بقـدر ما هى شخصية ادبية ، فقـد شجع النهضة العلمية وحرية الفكر ، ودفـع حركة النقـل والترجمـة الى الأمام[٣٨] فكان عصره من أزهـى عصـور العـلم فى الدولة العباسية لميله الى تحصيل العلوم والمعارف ونشر المعـرفة بين افراد الأمة الاسلامية وقـد تجلى ذلك فى امداد « بيت الحكمة » فى بغـداد الذى وضـع أساسه الرشيد وضمت مختلف العلوم والفنون ، ممـا جلبه من بلاد الهند والروم والفرس وغيرها حتى اصبح أشبه بجامعة علمية تحـوى دارا للكتب ، يجمع فيها العلمـاء للترجمة والتأليف والدرس وبه أماكن خاصة للنساخين لنسخ الكتب لأنفسهم ولغيرهم بأجـور معينة ، واشرف عليه موظف عرف باسم « صاحب بيت الحكمة » كان الخلفاء يختارونه ممن اتصف بسعة العقل والأمانة العلمية[٣٩] لو لم يكن المـأمون خليفة ، لكان احـد العلماء البارزين فى العصر العباسى ، نشأ نشأة علمية ، وعاش فى وسـط علمى ، ومال الى مذهب الاعتزال ، لانه مذهب يعتمد على العقـل فى محاكمـاته للأشياء ، فأفاد المـأمون من مركزه السياسى لتدعيم الحركة العلمية ، فأمر بنقـل جميع ما يقـع عليه من كتب فلسفية ومنطقية لتأييد مذهب الاعتزال ، ولم يتعصب للفلسفة فقط بل عطف على جميع العلوم ، وأنفق فى سبيلها بسخاء ، حتى أنه اعطى وزن ممـا يترجم ذهبا ، وكان يضع علامة على كل كتاب يترجم لـه ويشجع الناس على قراءة الكتب المترجمة ويرغبهم فى تعلمها ، ويضع الجوائز الكبيرة فى المنظرات التى كانت تجرى تحت اشرافه أو تحت رعايته ، واقتدى المـأمون أهـل الوجاهة

---

(٣٧) د. أحمد مختار العبادى : ( **فى التاريخ العباسى والأندلسى** ) . ( دار النهضـة العربية – بيروت – لبنان ١٩٧٢ م ط ٢ ) ص ١٠٨ .

(٣٨) د. على ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامى العام ص ٣٩٧ .

(٣٩) المرجع نفسه ص ٤٠٧ .

والثروة متقاطر المترجمون والنساطرة واليعاقبة والصابئة والمجوس والروم والبراهمة وغيرهم على بغـداد . وكثر الوراقـون وباعـة الكتب وراجت صـناعة العـلم والآداب ، واغتنى محترفـوها(٤٠) .

يقول خودا بخش(٤١) عن المـأمون عند الحـديث على النهضة الأدبية والنشاط العلمى فى العالم الاسلامى : يبـدو عصر المـأمون وهـو أزهى العصور ومكانته القمة بالنسبة الى سواه ... ومن الحق أن يقال ان جميع الحركات الثقافيـة فى الأقطار الاسلامية منذ عهد المـأمون هى فروع للأصول التى غرسها وسقاها ذلك الخليفة العظيم . فهـذا بيت الحكمة أول مؤسسة ثقافية عند المسلمين يدين للمـأمون بمـا منحه له عن عنايته ، وما أضفى عليه من قـوة ، وما أنفق من مال . وعن طريق هـذا المعهد كسبت اللغـة العربية كثيرا من الزاد والمعرفة بمـا يجرى فى بيت الحكمة من ترجمة اليها من اللغات الأجنبية وبواسطة بيت الحكمة حفظ للانسانية كثير من تراث الاغريق الذى ضاعت أصوله ، فلم يجـد العالم غير الترجمات العربيـة وسيلة للوصول الى هـذا التراث(٤٢) .

وليس من شـك فى انه قـدر للمـأمون أن يخـدم الثقافة الاسلامية خـدمة جلى خلال العشرين سنة من مقامه فى بغـداد عن طريق اهتمامه الشخصى بعـلوم اليونان(٤٣) ، وذلك أن المـأمون لمـا هادن صاحب هـذه الجزيرة ( جزيرة قبرص ) أرسـل اليه يطلب خزائنه من كتب اليونان وكانت مجموعة عندهم فى بيت لا يظهر عليها أحـد ، فجمع صاحب هـذه الجزيرة بطانته ، وذوى الرأى عنده واستشارهم فى حمل الخزانة الى المـأمون ، فكلهم أشاروا بعـدم الموافقة الا مطرانا وحـدا فانه قال : الرأى أن تعجل بانفاذها اليه فمـا دخلت هـذه العلوم العقلية على دولـة شرعية الا أفسدتها وأوقعت بين علمائها ، فارسلها اليه واغتبط بها المـأمون(٤٤) .

غير أن نشاط بيت الحكمة وصل الى ذروته فى عهد المـأمون الذى كان واسـع الثقافة حر الفكر ، ولـه شغف بالعلوم والآداب ، ومن أجل هـذا أولى بيت الحكمة عنـاية خاصـة كان من نتائجها تطـور الثقافـة عنـد المسلمين ، ودخـول العلوم

---

(٤٠) أنور الرفاعى : الاسلام فى حضارته ونظمه ص ٥٣٢ .
(٤١) Khuda Bukhsh : Islamic Civilization pp. 270-277.
(٤٢) د. أحمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ٣٥٥ ، ٣٥٦ .
(٤٣) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٢٠١ .
(٤٤) ابن نباته المصرى : سرح العيون ص ١٦٦ .

الأجنبية اليوم واختصاصهم لهـذه العلوم . ممـا أدى الى حفظ ذلك التراث ونقله الى الاجيال التالية ، وكان على وشـك أن يضيع . وقـد ضم بيت الحكمة كتبـا وضعت فى الأصـل بلغـات مختلفة ومن أهمها الكتب اليونانية والفارسية والهندية والقبطية والآرامية ومن أجـل هـذا كان المترجمون كثيرين ينقـل بعضهم من اللغة اليونانية ، وينقل آخرون من الفارسية ، وينتقل فريق ثالث من الهندية[٤٥] وهكذا .

ومن أجل هـذا نجـد يحيى بن خالد البرمكى الذى يشرف على شئون الدولة بوجـه عام وعلى النهضة الثقافية بوجه خاص يرسل فى طلب بعض العلماء الهنود المتفوقين ويعين من يترجم عنهم كتبهم وأفكارهم الى اللغة العربية وبواسطة هؤلاء العلماء الهنود الذين استدعاهم يحيى نقلت فنون من الثروة العلمية من الهندية الى العربية[٤٦] . ومن أبرز مترجمى المـأمون من أهـل الذمة يوحنا بن البطريق ، وكان أمينا على ترجمة الكتب العلمية حسن التأدية للمعانى وكانت الفلسفة أغلب عليـه من الطب[٤٧] .

ممـا تقـدم نرى أن بيت الحكمة كانت تنال جـل اهتمام المـأمون وعنايته ، ومع ذلك بقيت بغـداد على بعـدها ــ أستاذا لأهل هـذه الأقطار فاتخـذوها قبلة لهم فى تفكيرهم وسعوا اليها سعى الحاج الى بيت الله الحرام ، وتوافـدوا عليها من فارس والحجاز ومصر والشام ومن المغرب والأندلس وتركزت فيهـا الحركات الأدبية[٤٨] والعلمية زمنا طـويلا . كما كانت معينا فياضا سائغا ينهلون منه ويردون على الدوام حياضه ، ويقتفون أثره ويحملون رسالته ويتمون أداءها ، لبثت بغـداد نفسها تجنى ثمار نهضتها العلمية الأولى . فزخرت بفحول العلماء ، وكبار المؤلفين وأساطين الأدباء وبلغاء الشعراء ، والمبتكرين من أهـل الفلسفة والكلام وغيرهم ، وانضجت فى رجالها روح التخصص فى النواحى العلمية . كما ازدهرت التآليف الشائعة بها ويشهدون حلقات ودروس علمائها ومناظرات أدبائها ومحاورات ظرفائها ومسابقات شعرائها ، ومفاكهات أئمة المجالس فيها . وامتلأت كذلك فى خلال هـذه المدة بشتى الكتب طارفها وتليدها ، وتضخمت دور كتبها فأصبحت تراثا فكريا ثمينا ، وذخيرة علمية

---

(٤٥) د. أحمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ١٨٢ .

(٤٦) Khuda Bukhsh : ( Islamic Libraries The Nineteenth Century L11 ) P. 128.

(٤٧) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٣٦ ، ٢٣٩ .

(٤٨) محمود رزق سليم : ( **عصر سلاطين المماليك** ) . ( مكتبة الآداب بالجماميز بالقـاهرة ١٩٤٩ م ) ص ٦ .

نفيسة ورمزا انسانيا ساميا لمرحلة من مراحل العلم ، ودور من أدوار الحضـــارة المدنية(٤٩) . وبذلك كله ظلت بغـــداد زهاء خمسة قرون هى العاصمة الروحيـــة الفكرية للمسلمين قاطبة وللناطقين بالعربية ، وظـــل بيت الحكمة منارة تهتـــدى بـه الشعوب الاسلامية والعربية فى عز ازدهارها فى عهد الخليفة المـــأمون .

(٤٩) المرجـع نفســه ص ٦ . ٧ .

**ثالثا – صرف الأموال فى سبيل ازدهار وارتقاء بيت الحكمة :**

كانت رعاية المـــأمون لبيت الحكمة ، وما انفق عليه من مال وما جرى فى عهده من ترجمات لتراث الاغريق مضرب الأمثال ، فهو أول من نادى بألا يكون نشاط بيت الحكمة متوقفا على سخاء الخلفاء والأمراء فهيأ للعلماء أرزاقا سخية يتقاضـــونها فى أوقات ثابتة ، يفيض ريعها عن التكاليف المطلوبة لهـــذه المؤسسة العظيمة . وكذلك جرى العمـــل من بعـــده على أن يكون معهـــدا أو مؤسســـة لهـــا وقف ثابت يفى بنفقاتهـــــا(٥٠) .

وكان يتقاضى كل من حنين بن اسحاق ، وحبيش بن الحسن وثابت بن قرة وغيرهم فى الشهر خمسمائة دينار للنقـــل والملازمة(٥١) ، واتخـــذ العلماء والمدرسون لهم زيا خاصا ، وكان أبو يوســـف أول من غير لبس العلمـــاء واقترح لتميز هـــذه الطائفة عمامة سوداء أو طيلسانا لعله الروب الجامعى اليوم ، ومنذ ذلك الحين أصبح هـــذا الزى ضروريا للمدرسين(٥٢) وازدهرت بيت الحكمة وارتقت فى عهـــد المـــأمون لميله الى الفلسفة والعلوم العقلية ، وأنفق أموالا طائلة فى نقـــل الكتب الى بيت الحكمة من الدولة البيزنطية وغيرها .

وكان يعمل فى بيت الحكمة علماء تنوعت ثقافتهم ومعارفهم ، فسهل بن هارون صـــاحب خزانة الحكمة للمـــأمون كان حكيما شاعرا ، وجـــدير بالذكر أنه فارسى شـــعوبى المذهب شـــديد العصبية على العرب ويصف الجاحظ براعته وفصاحته فى عـــدة كتب(٥٣) .

وازداد النشاط الفكرى والثقافى فى بيت الحكمة بزيادة عـــدد الكتب فى عهـــد الخليفة المـــأمون ، ولم تكن الكتب اليونانية هى التى حرص المـــأمون على نقلها الى بيت الحكمة بل نجـــده يطلب من يوحنا بن البطريق احضار كتب لاتينية الى بغـــداد ، وقـــد كان يوحنا يعرف اللغة اليونانية ، وضمت هـــذه الكتب الى بيت الحكمـــة وبذلك ضم بيت الحكمة كتبا فى مختلف اللغات ومختلف العلوم(٥٤) وكان العلماء فى

---

(٥٠) د. عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم ودور العلماء العرب ص ٧٣ .

(٥١) محمد أسعد طلس : ( عصر الازدهار وتاريخ الدولة العباسية ) . ( دار الأندلس – بيروت – لبنـــان – بدون ، ط ١ ) ص ١٦٤ .

(٥٢) د. عبد الله عبد الدايم : التربية عبر التاريخ ص ١٧٥ .

(٥٣) ابن النـــديم : الفهرســـت ص ١٧٤ .

(٥٤) ابن القفطى : أخبـــار العلماء بأخبـــار الحكماء ص ٢٨٠ .

الدولة الاسلامية يودعــون نسخا من مؤلفاتهم فى بيت الحكمة وهــذا يدلنا على أهمية بيت الحكمة كمركز اشعاع فكرى للانسانية وهــذا ما يحــدث الآن بالنسبة لكل مؤلف عليه أن يودع نسخا من مؤلفاته أو مؤلفاتهم فى دار الكتب المشهورة فى بنده كدار الكتب المصرية فى القاهرة أو غيرها من البلاد الاسلامية الأخرى .

فحينما نقول المــأمون باطلاقه فانما نعنى المــأمون العباسى بن هارون الرشيد فكان الخليفة المــأمون العباسى كوكبا لامعا فى سماء الاسلام ، فى السياسة ، وفى الفكر والفلسفة وفى العلم ، فهــو نموذج للحكام المتنورين المستنيرين الذين نقيسهم به اذا قلنا ( فى التاريخ الحــديث ) : بطرس الأكبر ( فى روسيا ) ولويس الرابع عشر ( فى فرنسا ) وفردريك الكبير ( فى ألمــانيا ) وحينما نذكر عظماء الحكام فى الاسلام من أولئك الذين تركوا جهودهم على الحضارة الانسانية ــ فلابد أن نذكر عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، والوليد بن عبد الملك ، والمــأمون العباسى ، وعبد الرحمن الناصر ويوسف بن تاشفين وصلاح الدين الأيوبى والمنصور الموحــدى ، والظــاهر بيبرس ، ونفرا كثيرا من ملوك المسلمين فى العراق والشام ومصر والأندلس والهنــد وتركيــا من المشرق والمغرب(٥٥) .

كان المــأمون يحض الناس على قراءة الكتب التى ترجمت فى أيامه ويرغبهم فى تعلمها ، ومن ثم تقــدمت الحركة العلمية فى عهــده ، وتنافس أولو النباهــة من العلماء والفقهاء والمحــدثين والأدباء والشعراء فى تحسين انتــاجهم فأجزل لهم العطاء ، شــغل علماء بغــداد وغيرها من الحواضر الاسلامية فى القرنين الثانى والثالث للهجرة بنقــل وترجمة العلوم الأجنبية الى العربية ، لكنهم فى القرن الرابع انصرفوا الى الانتاج الشخصى ، وكانوا يعنون بالعلوم الدينية واللغوية أكثر من عنايتهم بالعلوم الرياضية والفلسفية ، ويرجع السبب فى ذلك الى ما كان للعامل الدينى من أثر فى حملهم على الاشتغال بالعلوم الدينيــة وما ترتب على ذلك من حرصهم على دراســة العلوم اللغوية ، لأنها خير زاد لفهم الدين(٥٦) .

وكان اكثر الخلفاء تسامحا فى الدين المــأمون الذى بلغ به تسامحه أن انتصر

---

(٥٥) د. عمر فروخ ( المــأمون ومكانته فى السياسة والفكر والعلم ) مجلة الباحث ـ بيروت ـ لبنان عــ ٤ ( السنة الرابعة ـ أبريل ١٩٨٢ م ) ص ٩ .

(٥٦) د. محمد جمال الدين سرور : ( تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ) ، ( دار الفكر العربى ـ القــاهرة ) ص ٢٠٩ .

المعتزلة فى القــول بخلق القرآن ، فكانت الأفكار من حيث الدين مطلقة الحرية لا يكره الرجـل على معتقد أو مذهب ، وقـد اجتمع ستة أخـوة لأبى جعـد اثنان منهما يتسيعان ، واثنان مرجئان واثنان خارجيان وكلهم تحت سقف واحـد[٥٧] .

ولقد تم هـذا التزاوج فى البيئات التى تعبق بالروح الهلينية بدافع من مساواة الاسلام بين معتنقيه ، اذ لم يكن ثمـة تعصب أو انحياز ، انمـا كانت المساواة وكان التسامح هما الأساس الذى بنى عليه الاسلام معاملته لأهـل الأديان الأخرى ، وقـد كان لذلك أثره فى استثارة هممهم ، وتحريك رغبتهم فى المشاركة فى ألـوان النشاط المختلفة التى تدور حـولهم[٥٨] .

يقول جوستاف جرونيباوم[٥٩] : « وكانت العلاقات بين المسلمين والمسيحيين فى بواكير صـدر الاسلام مرضية مقبولة » .

ويقول ف. بارثولد[٦٠] : « وكان النصارى أحسن حالا تحت حكم المسلمين فى الأزمنة الأولى لحاجـة الفاتحين الى هـذا العنصر المسيحى المتفوق على العـرب حضـارة » .

ولكن ولا شـك ابدا فى أن المـأمون قـد حفظ بعمله جانبـا كبيرا من تراث الفكر الانسانى ثم عمـل على نشر ذخائر ذلك الفكر فى العالم الاسلامى . ومن العالم الاسلامى انتشر هـذا النور الساطع فى أرجاء العالم المتحضر كلها[٦١] .

والمـأمون هـو الذى أولى بيت الحكمة فى بغـداد جل اهتمامه وصرف الأموال فى سبيل ازدهارها وارتقائها ، وبعـد أن كان نقـل الكتب يقوم به الأفراد تطـوعا واتجارا ، جعل المـأمون هـذا النقل لكتب العلم والفلسفة « ادارة رسمية » فى الدولة ، وجعل فيها الموظفين من كل طبقة ونوع ، وكانت الكتب تنسخ له ( أى يشبه

(٥٧) محمد لطفى جمعه : تاريخ فلاسفة الاسلام فى المشرق والمغرب — المقدمه .

(٥٨) د. النشحات السيد زغلول : السريان والحضارة الاسلامية ص ١٢٨ .

(٥٩) جوستاف جرونيباوم : حضارة الاسلام ص ٢٢٣ .

(٦٠) ف. بارتولد : ( **تاريخ الحضارة الاسلامية** ) ترجمة حمزة طاهر ( دار المعـارف بمصر ١٩٤٢ م ط ٣ ) ص ٥١ .

(٦١) د. عمر فروخ : المأمون ومكانته فى السياسة والفكر والعـلم ، مجـلة الباحث عـ ٢٢ ( ١٩٨٢ م ) ص ١٥ ، ١٧ .

هــو بنسخها عن اصــول عربية او ينقلها عن أصــول غير عربية وتفسر لــه ) اذا كانت موضوعاتها تحتاج الى مثل هــذا التفسير[٦٢] .

وقــد كان فى خزائنه هــذه كتب بخطوط مختلفة[٦٣] ، كما كان قــد أخـــذ ( الطالب ) أصحابه وكتابه بتجــويد خطوطهم .

فقــد كان للمــأمون ولعــه الشخصى بالأمور العلمية الفلسفية ، فكان يعقــد مجالس المناظرة فى حضرته ويبعث فى طلب العلماء والاعلام لحضورها من بيزنطه . وكان يتصيد الكتب النادرة ، ويدفــع فيها المبالغ الطائلة ، ويجعل بعضها شرطا من شروط الهــدنة مــع الروم ، كما أقام ( بيت الحكمة ) فجمع فيه مكتبة ضخمة هائلة وجهازا كبيرا للترجمة من مختلف اللغات الى اللغة العربية حشد لــه سبعين مترجما . ولقــد أدى هــذا العمل الى ظهور عصر الترجمة الثانى فى تاريخ الفكر الاسلامى ، أو الى التعجيل فى ظهوره على الأقل كما مزج الثقافات المختلفة مزجا قويا واعتنى باللغة العربية بتراث فكرى واسع وعجل فى ظهور ما نسميه بالثقافة الاسلامية[٦٤] .

ولم تكن العناية بالترجمة مقصورة على الخلفاء العباسيين ، بل اهتم جماعة من الأثرياء فى عهد المــأمون بنقل كثير من الكتب الى العربية . ومن هؤلاء بنو شاكر المنجم الذين عهدوا الى حنين بن اسحاق بالذهاب الى بلاد الروم ، فأحضر اليهم كثيرا من طرائف الكتب والمصنفات فى الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب[٦٥] . ومن الكتب التى ترجمت فى عهده الحــكم الذهبية لفيثاغــورس ، وبعض مصنفات لابواقراط وجالينوس ، وكتاب السياسة المدنية لأفلاطـــون ، وكتــاب المقــولات والطبيعيات لأرســطو[٦٦] . وكان عهد المــأمون أرقى عهود العلم فى العصر العباسى وذلك لأمرين . الأول : أن المــأمون نفسه قــد اشتغل بالعلم وأمعن فيه فبينما كان بمرو فقــد جالس كثيرا من العلماء وأخــذ عنهم جملة صالحة من العلوم الدينيــة كالحــديث والتفسير والفقه واللغــة العربية فكان لذلك محبا للعلم ولازدياد نشره . والثانى : ما كان نفسها اذ ذاك حيث وجد فيها شوقا الى العلم والبحث وكثرة العلماء

---

(٦٢) ابن النــديم : الفهرست ص ٥ ، ١٠ .

(٦٣) المصــدر نفسه ص ١٧ ، ١٩ .

(٦٤) د. شــاكر مصطفى : ( **دولة بنى العباس** ) . ( وكالة المطبوعات ـ الكويت ط ١ ، ١٩٧٣ م ) ج ١ ص ١ .

(٦٥) ابن النــديم : الفهرست ص ٣٤٠ .

(٦٦) أحمد أمين : ضــحى الاســلام ج ١ ص ٣٧٨ .

فى كل مصر من امصار المسلمين فتوافق راى الامام واستعداد الأمة فكان من وراء ذلك ما نقصه من تقدم حركة العلم ورفعة بغداد(٦٧) .

فليس غريبا على الخليفة المأمون ان يعرف عهده بالعصر الذهبى فقد قام بتوسيع ( بيت الحكمة ) التى أسسها والده الرشيد فكان بلاطه مزدحما بمشاهير الأساتذة والشعراء والأطباء والفلاسفة الذين قدموا من جميع أنحاء العالم ، ومن مختلف المعتقدات والجنسيات . وقد أغدق عليهم دونما تمييز فى الجنس والرعاية الواسعة كما أغدق الأموال الطائلة على المؤرخين والفلاسفة والنحويين وجامعى الحديث الذين تجمعوا فى عاصمة ملكه . ولقد قام المأمون باكتناز سجلات أيام الجاهلية عند العرب وأغنى بيت الحكمة فيها بالاضافة الى جمعه شعر العرب القدامى والرسائل والوثائق الأرشيفية(٦٨) .

ان ضخامة مكتبة المأمون والعدد الهائل من الكتب التى احتوتها يمكن تصورها بسهولة فى حقيقة كون مدينة بغداد رغم تعرضها للسلب والنهب مرات عديدة وسرقت منها الكتب الأدبية ولكنها رغم كل ذلك فان عدد الكتب التى بقيت سالمة حتى القرن السابع الهجرى كان هائلا جدا(٦٩) .

ومن حسن الحظ فان أبى اصيبعة قد حصل على هذه الكتب وذكرها فى ترجمة حنين بن اسحاق . ومنذ عصر المأمون فان ممارسة جمع وحفظ الكتب قد أصبحت سمة عامة فى أرجاء بغداد طولا وعرضا ، وان معظم الوزراء وأفراد الحاشية الملكية وكبار رجال الجيش يملكون مكتباتهم الخاصة بهم وصرفوا المزيد من المال من أجل جمعها وخزنها(٧٠) .

وفى خلال العصر العباسى أدخل المسلمون تحسينات كبيرة فى حقل النشاط الفكرى فتم تشييد المكتبات الكبيرة وادخلوا علوما جديدة فى حقل العلم والانسانيات كما أدخلوا فى معارفهم المكتشفات المهمة مثل الجغرافيا والكيمياء والطب ... الخ .

(٦٧) الشيخ محمد الخضرى : محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية ، الدولة العباسية ، ص ٢٠٦ .

(٦٨) محمد رستم ديوان : المكتبات فى العالمين العربى والاسلامى فى العصر الوسيط ، عن مجلة المورد عـ ٤ ص ٢٨٥ - بغداد .

(٦٩) مقالات الشبلى - المجلد السادس ص ١٥٧ ، ١٥٨ ، - غرام كاره - الهند .

(٧٠) محمد ديوان رستم : المكتبات فى العالمين العربى والاسلامى فى العصر الوسط - عـ ٤ مجلد ٩ ص ٨٦ . ١٩٨١ م - بغداد .

وكما اشرنا كان الخليفة المأمون هو السباق الى هذا فكان من كبار رعاة العلم والعلماء[71] . فترجمت المؤلفات العلمية والأدبية من اللغات الأجنبية الى اللغة العربية وذلك فى عام ٢١٥ هـ وقد أشار ابن النديم الى ذلك فى كتابه الفهرست .

وكان الأساتذة الهندوس يتدفقون من الهند أفواجا الى بلاط الخليفة العباسى فى بغداد حيث كان موضع ترحيب الخلفاء الذين كلفوهم بترجمة بضعة كتب من السنسكريتية الى العربية وقد تم تعيين بعض الأساتذة الهندوس فى بعض المناصب المهمة فى بلاط الخليفة[72] .

هذا هو المأمون بن الرشيد الذى ازدهرت وارتقت بيت الحكمة فى عهده كما بلغت حركة الترجمة أيضا فى عهده شأنا كبيرا ، وفتح آفاق العلم والمعرفة بصورة لم يسبق لها مثيل كما شجع العلماء والأدباء والمفكرين ، فكان من أهم من تعهدوا برعاية البذور التى غرسها من قبل الراشدون والأمويون فى بستان الحضارة الاسلامية . وحتى اينعت وعبقت بأريجها الدنيا . هذا هو المأمون يسمع عن عالم شهير فى الرياضيات فى القسطنطينية — هو « ليتسو » فيكتب اليه رسالة جاء فيها : « اننا نعرف الشجرة من ثمارها .. وتعرف الأستاذ من تلميذه لهذا فالك يا من زودت العلم الكثير من الأمور أنت بين مواطنيك مجهول بسبب فضيلتك .. وغزارة علمك ... أنت لم تجن ثمار علمك وحكمتك .. ولم تنل من مواطنيك أى تشريف أو تكريم .. ولا يتردد اذن فى القدوم الينا ، ولسوف نعرف لك نحن قدرك .. ونقدر فيك علمك . فاذا فعلت هذا وجئت فان العرب سوف يحتفون بك ويمنحونك شرفا عظيما وأموالا كثيرة لم ينلها من البشر أحد »[73] .

هكذا كان خلق الخليفة المأمون العربى العالم الذى يعلن استعداده للذهاب بنفسه الى بلاط خصمه لاستحضار أحد العلماء حتى لو افترضنا أن هذه كانت صورة مبالغة من جانب المأمون فان مجرد التفكير فيها والافصاح عنها دليل صدق على حضارة العالم العربى آنذاك وعلى رقى مؤسساته العلمية وخاصة بيت الحكمة .

---

(٧١) مقابلات الشبلى — المجلد السادس ص ٤ ، ٧ — غرام كاره — الهند .

(٧٢) مقالات الشبلى ، المجلد السادس ص ٤ ، ٧ — غرام كاره — الهند .

(٧٣) د. رأفت عبد الحميد : ( السلوك الحضارى والعسكرية العربية « تقدير العرب للعلم والعلماء » ) ، مجلة درع الوطن — أبو ظبى — الامارات العربية المتحدة . عدد ١٥٨ . ( ١٤٠١ هـ / ١٩٨٤ م ) ص ٥٧ .

# الفصل الثانى : بيت الحكمة بعد عهد المأمون



١ ـ بيت الحكمـــة تستمر فى رحلتها العلمية والأدبية .

٢ ـ عناية الخلفـــاء والوزراء ببيت الحكمة بعـــد المـــأمون .

٣ ـ الحركة العلمية ونشاطها فى بيت الحكمة بعـــد عهد المـــأمون .

**أولا — بيت الحكمة تستمر فى رحلتها العلمية والأدبية :**

سجل التاريخ نهضة للثقافة العربية الاسلامية فى العصر العباسى فى شتى مراحله ، وازدهرت الترجمة التى نقلت للمحيط العربى ثقافة الفرس ، والهند واليونان وفلسفتهم . وكان الخلفاء العباسيون الأولون مشاعل للعلم والمعرفة بما أنشئوه من المعاهد والمدارس ، وبما أقاموه من الأندية والمجالس وبما بذلوه من المكافآت للأدباء والعلماء والمؤدبين والولاة(٧٤) .

واذا كان العصر العباسى هو دون شك فترة الأوج فى العطاء فانه كان أيضا على المستوى نفسه فى الخصب السياسى ، يصف صاحب الفخرى دولتهم بأنها « كانت دولة كثيرة المحاسن جمة المكارم ، أسواق العلوم فيها قائمة ، وبضائع الآداب فيها نافقة وشعائر الدين فيها معظمة والخيرات فيها دارة ، والدنيا عامرة والحرمات مرعية ، والثغور محصنة ، وما زالت على ذلك حتى كانت أواخرها فانتشر الجبر واضطرب الأمر وانفلتت الدولة »(٧٥) .

ان استمرار حركة النقل بعد المأمون كانت ديدنا لكثير من الناس ، واستمر العقل والتصحيح والتحقيق فى التراجم السابقة ، وشاعت اللغات الآعجمية بين الناس حتى أصبحت الهندية واليونانية والفارسية لغات شائعة عند الطبقات المتأدبة التى لم تصل الى رتبة العلماء . وأهم ما ترجم فى هذا الدور كتاب الفلاحة النبطية نقله الى العربية احمد بن على بن المختار النبطى المعروف بابن وحشية(٧٦) سنة ٢٩١ هـ .

نقول بالرغم من هذا كان هذا العصر بحق أزهى العصور الاسلامية على الاطلاق وأن خلفاءه كانوا من أقوى الشخصيات ، فقد عرف أبو العباس السفاح بجبروته وقوة شخصيته واشتهر أبو جعفر المنصور بالحزم واليقظة وشدة البأس ، وكان المهدى يجلس للمظالم بنفسه والهادى يخوض المعارك متقدما الصفوف والرشيد الذى تحدثت بأقاصيصه الركبان والمأمون الذى يمثل عصره

---

(٧٤) د. محمد كامل الفقى : ( الأدب فى العصر المملوكى ) . ( الهيئة المصرية العامة للكتاب — القاهرة ١٩٧٦ م ) ص ١٥ .

(٧٥) ابن الطقطقى : الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٢٧ .

(٧٦) أنور الرفاعى : الاسلام فى حضارته ونظمه ص ٥٢٣ .

عصر الاسلام الذهبى والمعتصم الذى اشـــتهر بشـجاعته والواثق المحب للعلم والعـــلماء[٧٧] .

وقـد اشـتهر بعـد المـأمون أمراء شـغفوا بحبهم للكتب وجمعهم اياهـا وتأسيسهم للمكتبات الفخمة ، وانفاقهم على النقل كمحمد بن عبد الملك الزيات الذى نقلت باسمه عـدة كتب والتف حـوله فريق من أكابر الأطباء والفلاسفة مثل يوحنا ابن ماسويه وجبرائيل بن بختيشوع وبختيشوع وابنه داوود وابن سرابيون واليسع واسرائيل بن زكريا بن انطيفورى وحبيش بن الحسن[٧٨] .

وقـد ذكرنا سابقا أبناء شاكر محمد وأحمد والحسن وانقطاعهم للعمل ببيت الحكمة ويظهر انهم بعـد وفاة المـأمون بدأوا يعملون لحسابهم الخاص وجمعـوا حـولهم النقلة والبحاثة وخاصة حنين بن اسحاق الذى عاد يلازم بنى موسى ( هم أنفسهم أبناء شاكر ) بن شاكر رغبوا فى النقـل اليونانى الى العربى وعرفـوا على ذلك الجمـل العظيمة[٧٩] .

وقـد دخـل فى خـدمتهم أيضا حبيش بن الحسن وثابت بن قرة وغيرهما . وأولاد موسى هؤلاء كانوا مهندسين وفلكيين ولهم استنباطات لم يسبقهم اليهـا احـد وبرهنوا للمـأمون أن محيط الأرض ٢٤٠٠٠ ميل برهانا محسوسا فضلا عن مهارتهم بالرصـد وغيره[٨٠] .

يقول القلقشندى فى كتابه صبح الأعشى عند كلامه على خزائن الكتب الشـهيرة فى الاسلام : « فقـد كان للخلفاء والملوك فى القـديم مزيد اهتمام وكمال اعتنـاء حتى حصلوا على العـدد الضخم ، وحصلوا على الخزائن الجليلة ويقال ان أعظم خزائن الكتب فى الاسلام ثلاث خزائن : احـداها خزانة الخلفاء العباسيين فكان فيها من الكتب ما لا يحصى كثرة ولا يقوم عليه نفاسـة ، ولم يزل على ذلك الى أن دهمت بغـداد من التتر وقتـل ملكهم هـولاكو المستعصم آخر خلفائهم ببغـداد فذهبت خزائن الكتب فيما ذهب وذهبت معالمها وأعفيت آثارها »[٨١] .

---

(٧٧) د. زاهية قدوره : الشعوبية وأثرها الاجتماعى والسياسى فى الحياة الاسلامية فى العصر العباسى ص ٢٣٧ .

(٧٨) ابن أبى أصيبعة : عيـون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ٢ ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٧٩) المصـدر نفسـه ص ١٧٣ .

(٨٠) جرجى زيدان : تاريخ التمـدن الاسلامى جـ ٣ ، جـ ٥ ص ١٤٨ .

(٨١) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ١ ص ٤٦٦ .

وواضح أن القلقشندى يعنى بخزانة الخلفاء العباسيين بيت الحكمة هـذه وقـد استمرت حركة النقل بعـد المـأمون نشيطة مدى قرن آخر من الزمان . وليس معنى هـذا أن بيت الحكمـة قـد اختفى أو اندثر ، فلقـد ظـل يغالب الأحـداث ، ويجاهـد فى سبيل البقاء ولكنه بقاء المكلوم الهزيل ، وفيما يلى نصوص ثلاثة عن حياته بعـد المـأمون : ذكر ابن أبى أصيبعة[٨٢] : أن يوحنا بن ماسـويه تقلـد ترجمة الكتب اليونانية فى بيت الحكمة وخـدم هارون والأمين والمـأمون وبقى على ذلك الى أيام المتوكل .

ذكر ابن النـديم فى كتابه الفهرست[٨٣] ـــ أنه ( فى النصف الأخير من القرن الرابع الهجرى ) نقل نمـوذجا لكل من الخط الحميرى والحبشى من هـذه الخزانة .

وذكر القلقشندى[٨٤] : ان هـذه الخزانة ظلت حتى دهم التتر بغـداد وقتـل ملكهم هـولاكو المستعصم آخر خلفاء العباسيين ، فذهبت خزانة الكتب فيما ذهب ، وذهبت معالمهـا ، وأعفيت آثارها . ان ما اشتهر به خلفاء بنى العبـاس من أمثال المنصور والرشيد والمـأمون والمتوكل من حيث جمعهم للمخطوطات الكبيرة التى خلفتها الحضارات الهندية والفارسية والسريانية واليونانية وحفظها فى مكتبة بيت الحكمة لهـو دليل على عظمتها واستمرارها لرحلة العلم وجـوانبه الفكرية رغم أنها كانت مصـدرا من مصادر الثقافة العربية الاسلامية فى الطب والفلسفة والفلك فتأثرت بذلك المدن الاسلامية الأخرى من أمثال البصرة والكوفة ودمشق[٨٥] ، وغيرها .

وبعـد انتهاء حكم المـأمون تزعزع مركز بيت الحكمة فى بغـداد لحـدوث بعض الاضطرابات السياسية التى استمرت حـوالى ستة عشر عاما الى أن بويع جعفر بن محمد ( المتوكل على الله ) والذى استمر حكمه أربعة عشر عاما ( ٢٣٢ هـ ـــ ٢٤٧ هـ/٨٤٧ م ـــ ٨٦١ م ) فاتبع سياسة المـأمون من مساعدة العلماء وتشجيعهم على استئناف بحـوثهم وبذلك عادت الحركة العلمية الى ازدهارها وانقشعت سحابة الصيف لتكشف مرة أخرى عن غيوم لمعت وظهرت مواهبها فى مختلف ميادين العلم[٨٦] .

---

(٨٢) ابن أبى أصيبعة : عيـون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٧٥ .

(٨٣) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٨٤) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ١ ص ٤٦٦ .

(٨٥) د. على عبد الله الدفاع : موجز فى التراث العلمى والعربى الاسلامى ص ٢٧ .

(٨٦) د. امام ابراهيم احمد : ( **تاريخ الفلك عند العرب** ) . ( الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القـاهرة ١٩٧٥ م ) ص ٣٣ .

واذا كانت الدولة العباســـــية فى أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجرى حيث عاش المسعودى ، وقــد تميزت بمظاهر الضـــــعف والاضطرابات السياسية ، الا انها شهدت نهضة علمية ثقافية كبرى .. فهــذه الولايات الاسلامية وان كانت قــد استقلت عن الدولة العباسية اداريا وعسكريا وماليا الا انها ساهمت مساهمة كبيرة فى النهضة الثقافية(٨٧) والفكرية .

وبعــد ، فنقول ان هــذا الاضطراب السياسى والانقسام السياسى لم يؤثر فى الحضارة الاسلامية ذلك أن هــذا العصر الذى حفــل بالحروب والفواجــع والكوارث والذى انقسمت فيه دار الخلافة الى عــدد كبير(٨٨) جــدا من الدويلات الهزيلة والذى سيطر فيه الأعاجم الجهلة وبعضهم كان لا يعرف كلمة واحــدة من العربية والذى حفــل بالمبادىء المنحرفة عن الاســلام كالباطنية الذين استشرى شرهم وعظم خطبهم وكانوا اشــد على المسلمين من أى عــدو لهم ، اقــول انه فى هــذا العصر وصلت الحضارة الاسلامية الى اوجها وذروة تطورها(٨٩) .

ونبغ العظماء فى كل حقل وفن ولسنا بصــدد تعليل هــذه الظاهرة ولكنـــا نريد أن نقول ان بذور النــواة الأولى غرسها الاسلام فى أرض خصبة وسقتها الرعاية والعناية بمزيد من الاهتمام والاحتياط ، ولذلك أنبتت هــذه البذور الطيبة ثمــارا يانعة على الرغم من كل ما حــدث من تمزق وانقسام . ولا تنس كذلك ظهور مشاعل اضاءت الطريق المظلم واعنى بذلك الحكام المتنورين أمثال عضــد الدولة ونظــام الملك وغيرهما . كما أن تعــدد المراكز الحضــارية وتنافس الحكام على اجتــذاب العلماء والدارسين كل ذلك مــع غيره من العوامل أدى الى حــدوث هــذه الظاهرة بلوغ الحضارة الاسلامية أوجها فى عصر الاضطراب السياسى والضعف والتمــزق والفتن(٩٠) . هــذا كله يقودنا الى أن حيوية الاسلام وحضارته وتوجيهه نحــو النور اقوى بكثير من عوامل الهــدم والتجزئة والفرقة والخصام .

---

(٨٧) د. على حسنى الخربوطلى : ( **المسعودى ، من نوابغ الفكر العربى** ) . ( دار المعــــارف بمصر ١٩٦٨ م ) ص ١٧ .

(٨٨) د. محمد ماهر حماده : ( **الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصور العباسية المتتابعة** ) مؤسسة الرســالة - بيروت ط ١ ، ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م ص ٢٠ .

(٨٩) المرجع نفســه ص ٢١ .

(٩٠) المرجع نفســه ص ٢١ .

**ثانيا — عناية الخلفاء والوزراء ببيت الحكمة بعـد المـأمون :**

كان الخلفاء العباسيون يعـدون أنفسهم حماة للعلم ويرون ان تصورهم يجب أن تكون مركزا تشع منه الثقافة والعرفان ، ومثابة يلتقى فيها العلماء والادباء(٩١) .

ولا سيما العصر العباسى الأول — أدباء يتذوقـون الادب الرفيع البعيد عن التكلف ويقيمون الندوات لتنافس الأدباء . ثم ان الدولة كانت مشغولة بامور جسام لاتساع رقعتها وكثرة مناوئيها وسريان انتيار الحضارى والانشغال بعـلوم كثيرة فى الثقافة الاسلامية وما ترجم عن الثقافة الفارسية والهندية واليونانية ، كل ذلك شغل الادباء شعراء وكتابا عن الجرى وراء الحرص على المحسنات اللفظية ، كما تعـد هناك معاهـد للعلم التى كانت ببغـداد مجالس للمناظرات بين المعتزلة واهـل السنة والمناطقة(٩٢) .

وشهد العراق فى مطلع القرن الرابع ونهاية القرن الخامس الهجريين نهضـة علمية كبيرة نضجت فيها العلوم على اختلاف انواعها ونمت وازدهرت وصارت بغداد عاصمة الخلافة العباسية قبلة العلم والمعرفة على الرغم من تدهور الحالة السياسية وضعف الخلافة وفقدان السيطرة على الأقاليم والولايات . واستبد الأمراء والولاة بالسلطة وانفصالهم عن الخـلافة فى أغلب الأحيان . وظلت بغـداد كعبة العلمـاء يقصدونها من كل حـدب وصوب حتى سقوطها ٦٥٦ هـ على يد المغول(٩٣) .

وقـد زار المقـدسى هـذه البلاد وملخص ما قاله من الناحية العلمية : « ان اقليم العراق اقليم الظرفاء ، ومنبع العلماء ، ولطيف المـاء ، عجيب الهواء ، مختار الخلفاء ، أخرج أبا حنيفة فقيه الفقهاء ، وسفيان سيد القراء ومنه كان أبو عبيـدة الفراء ، وحمزة والكسائى وكل فقيه ومقرىء وسرى وأديب وحكيم ، وداع وزاهـد ونجيب ، وظريف ولبيب ، أليس به البصرة التى قـوبلت بالدنيا ، وبغـداد الممدوحة فى الورى والكوفة الجليلة وسـامراء »(٩٤) .

---

(٩١) د. عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم ودور الخلفاء فى تقدمه ص ٥١ .

(٩٢) د. سعد الدين الجيزاوى : دراسات فى الأدب العربى ص ٩٩ ، ١٠٠ .

(٩٣) د. محمد حسين الزبيـدى : المراكز الثقافيـة فى العراق فى القرنين الرابع والخامس الهجريين ، مجلة المؤرخ العربى — بغداد — العراق عـ ١٥ ، ١٩٨٠ م ص ٢٠٢ .

(٩٤) المقدسى : أحسن التقاسم فى معرفة الأقاليم ص ١١٣ .

وكان عهد المأمون هو أزهى عصور بيت الحكمة ، ولم يجد هذا المعهد بعد المأمون من يمنحه عناية المأمون ورعايته ، وكان أول من قلل من شأنه ان يتولى المعتصم الخلافة بعده ( المأمون ) والمعتصم قليل المعرفة بالثقافة لا يجد لذة ولا يتذوق لها حلاوة فلم يرع بيت الحكمة كما كان يجب — وانما اتجه الى جلب المماليك وتدريبهم والسرور ببطولتهم ، ثم هجر بسببهم بغداد الى سامراء ( المدينة الجديدة ) فأصيب بيت الحكمة بصدمة أخرى نتيجة انتقال الخلفاء من بغداد وعدم رعايتهم لما فى العاصمة الأولى من منشآت ثم تزاحمت الأحداث على بغداد وما فيها من مؤسسات ، وكثرت الحروب والفتن وكلها تنتقص من هذا المعهد وتقلل من شأنه ، وتخفت من صوته(٩٥) .

ثم جاء الخليفة الواثق فاقتفى اثر المأمون وسار على نهجه واستن سنته ، فكان الواثق يعطف على اهل بيته ، ويتفقد أحوال الرعية . أفرد فى قصره مكانا للمناظرة والجدل ، ولذا اطلق عليه « المأمون الأصغر » وشغف بالوقوف على آراء العلماء ، حتى انه طلب من حنين بن اسحاق كتابا يذكر فيه الفرق بين الغذاء والدواء ، فأتمه وسماه « كتاب المسائل الطبيعية » وعاش فى أيامه الشاعر أبو تمام صاحب ديوان الحماسة الذى أجزل الواثق له العطاء ولكثير غيره من الشعراء الذين زخر بهم عصره ، فقد كان الواثق نفسه شاعرا يقول الشعر ، ونبغ فى عهده الكندى فيلسوف العرب وحنين بن اسحاق فى الطب واليعقوبى والبلاذرى وأبو حنيفة الدنيورى وهم من فطاحل المؤرخين(٩٦) .

وكان للخليفة المتوكل(٩٧) نشاط ملموس حيث جدد مدرسة المترجمين ومكتبة فى بغداد والقى عبء ادارتها على عاتق حنين بن اسحاق واختاره رئيسا لهما ومهد الخليفة ورجال دولته لتلاميذ النصارى سبل البحث العلمى وقدموا لهم جميع التسهيلات للسفر والتنقيب عن المخطوطات اليونانية وحملها الى بغداد لترجمتها واننا لنجد ( حنينا ) يتحدث عن كتاب الآن مفقود فى ذلك الزمن نادر ، فيقول : « اننى بحثت عنه بحثا دقيقا وجبت فى طلبه أرجاء العراق وسوريا وفلسطين ومصر الى أن وصلت الى الاسكندرية لكنى لم اظفر الا بما يقرب من نصفه فى دمشق » .

---

(٩٥) ابن قتيبة : المعارف ص ١٠ .

(٩٦) د. على ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامى العام ص ٤٢٣ .

(٩٧) توماس أرنولد وآخرون : تراث الاسلام ص ٤٥٦ ، ٤٥٧ .

واستطاع المتوكل فى الحقيقة ان يعيد الحياة الى بيت الحكمة حينما اختار رئيسا لهما حنين بن اسحاق العبادى من قبيلة عباد بالحيرة وهو أحد مشاهير الأطباء الذين تلقوا العلم على يدى ابن ماسويه وكانت طريقته فى الترجمة : تحويل النص الاغريقى الى السريانية ثم يترك لمساعديه ترجمة هذه الى اللغة العربية . واخيرا يقارن هو بين النصوص الثلاثة كى يتأكد من دقة نقلها من لغة الى أخرى بل بلغ من حرصه وأمانته فى هذا العمل أن نقد ترجمات قام بها بنفسه فى مستهل حياته(٩٨) .

فالعراق من عهد المتوكل الى آخر الدولة البويهية لم تزل لها الصدارة فى العلم والادب والفلسفة ، ويدل ما ذكره الخطيب البغدادى من تراجم على ثروة واسعة فى العلم والعلماء ، من جميع الفروع كالتفسير والحديث والفقه والشعر والأدب . نعم ان المتوكل نصر اهل الحديث على المعتزلة واضطهدهم وكان فى هذا خسارة كبيرة على الحركة الفكرية ، ولكن مع ذلك ظل علم الكلام قويا(٩٩) . والعلم والأدب عادة فى أشد الحاجة الى هدوء بال ، وطمأنينة نفس وراحة فى الرزق ، فما لم توجد هذه الثلاثة لا يستوى لهما طريق ، ولا يؤمل لهما نجاح شأنهما شأن الزهرة الناعمة ، اذا عصفت بها العواصف ، ولم ترد فى أوقاتها ذبلت أوضعفت(١٠٠) .

وكان الخليفة العباسى المعتضد بالله يكثر من مجالسة العلماء وأصحاب المواهب والكفاءات ويشارك مشاركة فعلية فى حل مشكلاتهم وكان يسهر الليالى الطوال مستمعا الى مناقشاتهم حول ما يبتدعون من مستحدثات العلم ، وكان يقدم اليهم كثيرا من الهدايا والمنح ، فكان للعلماء فى عهد المعتضد بالله مكانة اجتماعية خاصة يتمتعون بها ، وكان المعتضد بالله يحترم ثابت بن قرة فيكنيه « بأبى الحسن » مع أنه ليس بين أبنائه من اسمه حسن(١٠١) كما كان عصر المستنجد(١٠٢) ( ٥٥٥ هـ — ٥٦٦ هـ/ ١١٦٠ م — ١١٧٠ م ) عصر ازدهار الترجمة عن الفرس واليونان

---

(٩٨) د. امام ابراهيم احمد : تاريخ الفلك عند العرب ص ٣٤ .

(٩٩) أحمد امين : ظهر الاسلام ج ٢ ص ٢٢١ .

(١٠٠) المصدر نفسه ص ٢٦٤ .

(١٠١) د. على عبد الله الدفاع : موجز فى التراث العلمى العربى والاسلامى ص ١٠٢ .

(١٠٢) البلاذرى ، أحمد بن يحى بن جابر : ( فتوح البلدان ) نشره ووضع ملاحقه وفهارسه صلاح الدين المنجد ( مطبعة لجنة البيان العربى — القاهرة ١٣١٨ هـ ) ج ١ ص ٨ .

التى انعشت التراث الاسلامى كما يعتبر عصر التراث الذى اتضح فى قصور المعتصم ومن جاء بعــده من خلفاء العصر العباسى الثانى .

وقــد أخرج هــذا العصر كثيرا من الامراء والوزراء الذين شجعوا الحركة العلمية ، اما لرغبتهم العلمية ، واما لتزيين مجالسهم بالعلماء ، كما تزين بالتحــف الطريفة ، ذلك أنهم فيما مضى من العصور العباسية كانت بغــداد وحــدها هى مقصد العلماء والشعراء والأدباء لأنها عاصمة المملكة الاسلامية كلها . فلم ينبغ وأحد منهم فى أى قطر ، ويحب أن يشتهر الا ويقصد بغــداد لينال الشهرة(١٠٢) .

وقــد عملت عوامل عــديدة على ازدهار بغــداد علميا وأدبيا منها :

١ ــ تشجيع الخلفاء والأمراء للعلم والعلماء .

٢ ــ حاجة الوزراء الى أساطين البيان والشعراء لأنهم وجــدوا فيهم سبيلا الى ابلاغ الرغائب ولسانا به يتحــدثون .

٣ ــ المجالس التى كان يعقدها العلماء فى بيوتهم .

حظيت الحركة العلمية والأدبية فى العهدين البويهى والسلجوقى بقــدر كبير من اهتمام المؤرخين ، فتضمنت كتب التاريخ والأدب والتراجم معلومات مفصلة ، بحيث أصبح لدينا صــورة واضحة كل الوضوح عن عناية الوزراء بالعلم والأدب عن طريق تشجيع العلماء والأدباء واغــداق الأموال عليهم لدفعهم إلى الانتاج ، حتى أصبحت مجالس بعض وزراء ما بين العهدين مقصدا فى ازدهار الحركة العلمية والأدبية وكانت مجالسهم تضم كبار العلماء والأدباء فيحيطونهم بالرعاية ممــا يشجعهم على تأليف الكتب ونظم الأشعار فى مدحهم والاشادة بفضلهم(١٠٤) .

كان عصر نفــوذ الأتراك الذى سبق العهد البويهى يسوده الاضطراب كمــا بلغت فيه الدولة حــدا كبيرا من الضعف والتفكك بسبب تسلط الأتراك وانشغال الناس بالمنازعات الطائفية والمذهبية ممــا ساعد على تقــدم الحركة العلمية ، فلما دخــل البويهيون بغــداد وقبضوا فى أول عهدهم على أزمة الأمور اندفع بعض أمراء البويهيين ووزرائهم فى تشجيع الأدب العربى مــع أنهم من أصل فارسى(١٠٥) .

---

(١٠٣) احمد امين : ظهر الاسلام جـ ٢ ص ٢٦٥ .

(١٠٤) د. محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ص ٢١٨ .

(١٠٥) د. محمد مسفر الزهرانى : ( نظــــام الوزارة فى الدولة العباسية فى العهدين البويهى والسلجوقى ) . ( مؤسسة الرسالة ــ بيروت ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م ) ص ١٨٤ .

نبغ فى عهدهم كثير من العلماء والأدباء والفلاسفة ، فكانت الرى وأصفهان من مراكز الثقافة والعلم فى مشرق الدولة الاسلامية وبخاصة فى عهد البويهيين ، وقد تقدمت الحركة العلمية(١٠٦) فى الرى بعد أن استقر فيها الوزير البويهى أبو الفضل العميد الذى تشبه بالبرامكة ففتح بابه للعلماء والأدباء والشعراء ، حتى انه كان يقضى جزءا من يومه مشغولا بهم(١٠٧) ، وكان هذا الوزير أديبا عالما يضرب به المثل فى البلاغة حتى قيل أن الكتابة بدئت بعبد الحميد وختمت بابن العميد(١٠٨) . وسمى ( بالجاحظ الثانى ) لمكانته الادبية الرفيعة ، وكان متبحرا فى علوم الهندسة ، والمنطق والفلسفة ومن مؤلفاته كتاب « المذهب فى البلاغات » وكتاب « يضم ديوان رسائله »(١٠٩) وبلغ من اهتمام أبى الفضل ابن العميد بالكتب انه أنشأ مكتبة عظيمة وعين احد العلماء خازنا لها وهو مسكويه(١١٠) .

عنى البويهيون بانشاء المكتبات العامة فى العراق ، وبذلوا لها المال فرتبوا لها المشرفين ، والمؤرخين والعمال لادارة شئونها وقد سميت هذه المكتبات « بدور العلم » ويدل مجرد اسم هذه المكتبات على الفرق بينها وبين دور الكتب القديمة . فكانت دار الكتب قديما تسمى خزانة الحكمة وهى خزانة كتب ليس غير . أما المكتبات الجديدة فتسمى « دار العلم » وخزانة الكتب جزء منه وعلى هذا فان دور العلم عبارة عن دار كتب عامة تقام فيها الندوات العلمية وتجمع طوائف عديدة من العلماء يجتمعون فيها للمناظرة والدرس ومن أشهر دور العلم : بيت الحكمة ، وقد ورث البويهيون هذه الدار عندما استولوا على بغداد وقد ذكر ابن النديم(١١١) وجود بيت الحكمة فى النصف الاخير من القرن السابع الهجرى بقوله انه ( نقل نموذجا لكل من الخط الحميرى الدبشى من هذه الخزانة ) وقد ظلت هذه المكتبة تؤدى رسالتها العلمية بكل همة ونشاط بفضل جهود الخلفاء والوزراء ولم تكن المكتبات فى شرق الدولة الاسلامية ومغربها مقصورة على أولى الأمر من الخلفاء والوزراء ،بل اهتم العلماء وطلاب العلم بالكتب وبتأسيس المكتبات اهتماما

---

(١٠٦) د. محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ص ٢١٩ .

(١٠٧) ابن مسكويه ، ابو على أحمد بن محمد بن يعقوب : ( **تجارب الأمم** ) . ( طبع مكتبة المثنى - بغداد العراق ) ج ٢ ص ٢٧٨ ، ٢٨١ .

(١٠٨) الثعالبى : ( **يتيمة الدهر** ) . ( القاهرة ١٣٥٣ هـ/١٩٣٤ م ) ج ٣ ص ٤ .

(١٠٩) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٥ ص ١٠٤ .

(١١٠) د. محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ص ٢١٩ .

(١١١) ابن النديم : الفهرست ص ٣٩ .

منقطع النظير ، وقــد وقف كثير من العلماء كتبهم على طلاب العلم حتى أن الامام الحافظ أبا حاتم محمد بن حيان البستى سنة ٣٥٤ هـ وضع مؤلفاته الكثيرة فى دار خاصة فى بلدة ( بست ) وجعلها وقفا على أهــل العلم[١١٢] .

ولم يقتصر النشاط العلمى واقتناء الكتب ، وانشاء المكتبات على الخلفــاء والأمراء والوزراء والعلماء وطلاب العلم ، بل تعــداهم الى غيرهم . اذ كانت حيازة نسخة من مؤلف بخط مصنفه أو نسخه من كتـــاب نادر مجـــالا كبيرا للتفـــاخر والاعتزاز[١١٣] .

فكان الفتح بن خاقان وزير المتوكل قــد بنى مكتبة ضخمة وعين يحيى بن المنجم مشرفا على بيت الحكمة وكانت تلك المكتبة تعتبر فريدة من نوعها فى تلك الأيام . وكان محمـــد بن عبـــد الملك الزيات وزير الـــواثق[١١٤] يصرف عشرة آلاف روبيـــة[١١٥] فى الشـــهر الواحـــد لترجمـــة واستنساخ الـــكتب وكان المـــؤرخ العربى[١١٦] ( عمر الواقـــدى ) ( ٣٣٦ م/٨١١ م ) يملك فى مكتبته ما حمولته من الكتب تعـــادل حمولة ١٢٠ جملا ويملك فى مكتبته ٦٠٠ رف صفت عليها أنواع الكتب وقبـــل بضع سنين من وفاته باع جزءا من هـــذه الكتب بسعر الفى قطعة من الذهب .

وتعتبر ( دار العلم ) فى الموصل من المكتبات التى أسسها أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمـــدان الموصلى[١١٧] . وكان متحمسا للمعرفة وحب العلم وكان ثمـــة حشد كبير من الشعراء والأساتذة فى بلاطـــه . وكان صفى الدين مولعا بالنشاطات ميالا لجمع الكتب لمكتبته وكذلك كان شأن أخيه ، وكلا الأخوين من الشعراء المجيدين فى ذلك العصر وعين أحـــد الأساتذة قيما على مكتبته[١١٨] .

---

(١١٢) الذهبى : تذكرة الحفـــاظ ج ٣ ص ١٢٥ .

(١١٣) ابن النـــديم : الفهرســـت ص ٢٤٥ .

(١١٤) محمد رستم ديوان : المكتبات فى العالمين العربى والاسلامى فى العصر الوسيط ص ٢٨٦ .

(١١٥) الروبيـــة : عمـــلة هندية ادخلهـــا الانجليز عند احتلالهم شبه القـــارة الهندية ، والروبيـــة تساوى ٧٥ فلسا ولا تزال هـــذه العملة قيد التداول فى كل من الهند وباكستان وبنغـــلاديش . عن مجلة المورد ، م ٩ ، عـــ ٤ ، ص ٢٨٦ .

(١١٦) جى دبليو . تومسون : تاريخ المكتبات فى العصر الوسيط ص ٣٥٠ ، ٣٥١ .

(١١٧) أ. س. قاسمى : ( المكتبات فى العالم الاسلامى ) ، صحيفة جامعة بيشاور – الباكستان ( يناير ١٩٥٨ م ) .

(١١٨) سيد امير على : روح الاســـلام ص ٣٧٣ .

اما فى العراق فكان للوزراء ابى محمد المهلبى وأبى المنصور بن صالحان وابى سوران وسابور بن أردشير أثر كبير فى النهوض بالحركة العلمية والأدبية فكانت مجالسهم تزخر بالعلماء والأدباء[119] . وكان الوزير المهلبى[120] أديبا بارزا وشاعرا بليغا ، ولـه ثلاثة مؤلفات تتضمن رسائله وتوقيعاته وديوان شعره . وكتاب عن البلاد والممالك والطرق والمسالك يسميه ياقوت « كتاب العزيزى »[121] . وكان هـذا الوزير محبا لرجال الأدب[122] . ومن الأدباء الذين حظوا بقدر كبير من عطفه ورعايته أبو الفرج على بن الحسين الأصفهانى مؤلف كتاب الأغانى[123] ، ويصف مسكويه دور هـذا الوزير فى انعاش الحركة العلمية والأدبية : « وتوفر مع ذلك على اهـل الأدب والعلوم فاحيا ما كان درس ومات من ذكرهم ، ونوه بهم ، ورغب الناس بذلك فى معاودة ما اهمل منها »[124] . كذلك عنى أبو منصور بن صالحان عناية كبيرة بالعلم والعلماء ، وكان له مجلس خاص يقصده أهـل العلم[125] . وقد عرف بسخائه فى اغـداق الأموال على العلماء .

وكان الوزير الحسين بن احمد بن سعدان واسع الاطلاع ملما بكثير من العلوم والآداب ، وقـد ضم مجلسه عـددا كبيرا من أبرز رجال العلم والأدب فى أواخر القرن الرابع الهجرى مثل مسكويه ( أبو حيان التوحيدى ) الذى ألف له كتابا عن الصداقة والأصدقاء[126] . كما أن كتاب الامتاع والمؤانسة ما هـو الا تسجيل للمحاورات والمناقشات الأدبية والعلمية التى كانت تجرى فى مجلس ابن سعدان بينه وبين أبى حيان التوحيدى[127] ولم يأل الوزير ابن سعدان جهدا فى أن يجعل مجلسه حافلا بجلة العلماء والأدباء وكان يباهى مجلسه من أمثال أبى حيان وأبى زرعـه وابن مسكويه وأبى الوفاء ثم مجلس سيف الدولة[128] . الذى استطاع أن

---

(١١٩) أحمد أمين : ظهر الاسلام جـ ١ ص ٢٥٥ .

(١٢٠) الثعالبى : يتيمة الدهر جـ ٢ ص ٥٨ .

(١٢١) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ١ ص ١١ .

(١٢٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ١٢٤ .

(١٢٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ١٥٠ .

(١٢٤) ابن مسكويه : تجارب الأمم جـ ٢ ص ١٢٥ .

(١٢٥) ابن كثير ، أبو الفداء الحافظ اسماعيل بن عمر الدمشقى : ( البداية والنهاية ) ( طبع مكتبة المعارف – بيروت ومكتبة النصر الرياضى ١٩٦٦ م ) جـ ١٢ ص ١٩ .

(١٢٦) أبو حيان التوحيدى : الامتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٢٦ .

(١٢٧) المصدر نفسه ، المقدمة .

(١٢٨) د. عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ص ٥٢ .

يجـــذب نحـــوه ذوى الرياسة من أدباء العصر وعلمائه ، فأحاطوا اسمه باطار من السمعة الخالدة ومجلس آخر كان يزدان بأمثال : البيرونى والعتبى والفردوسى . يقول العينى : وكان السلطان محمود الغزنوى يحب العلم والعلماء ويكرمهم يجالسهم ويحسن اليهم ، وكانت تعقد مناظرات طويلة بين يديه(١٢٩) .

وازاء هـــذا الانحطاط السياسى كنت تجـــد رقيا فى الحياة العقلية فكأن العلوم والفنون لا ترقى الا فى عصور الفوضى والاضطراب(١٣٠) . فقـــد نتج عن تفكك الدولة العباسية أن عمـــد أمراء الدول الصغيرة ســـواء لأسباب سياسية أو بدافع حـــب الظهور أو الابقاء على تقاليد بغـــداد أبان مجـــدها ، الى تشجيع العلماء وتقريب الفئة الممتازة من الادباء والشعراء والعطف عليهم(١٣١) .

وبعـــد أن كان نصير العلم الخليفة ووزيره أو بعض عماله فى بلد واحـــد ، اصبح نصراؤه فى هـــذا العصر عـــدة ملوك وأمراء ووزراء من اشـــتهر فى العـــلم الاسلامى(١٣٢) . فغـــدا كل قطر من أقطار المملكة مركزا هاما من مراكز الثقـــافة العربية واستمرت الحركة العلمية التى ظهرت زمن المـــأمون فى سيرها المطرد . وعدت تلك القصور الجـــديدة فى العواصم المتعـــددة مراكز خصبة ، وكانت تلك القصور وما فيها من مجالس فى ذلك العهد فى مقام الجامعات والجمعيات العلمية اليـــوم . ولم يأل الوزير عـــون الدين يحيى بن هبيره جهدا فى نشر العلم والمعرفة ، وكان يقرب أهـــل العلم ويحضر مجلسه الفقهاء والادباء ورجال الحـــديث ويناقش كل عالم فى تخصصه(١٣٣) . تعميقا واذكاء لروح البحث والمناظرة كما عنى باقامة دور العـــلم بجنبى مدرسة بغـــداد ورتب لهـــا المعلمين .

وهكذا كان للوزراء فى الدولة الاسلامية شغف بمجالس العلم ورعايتها ومن أشهرها مجلس الوزير ابن الفرات فى القرن الرابع الهجرى ، ومجلس عبد الله بن الحسين ولعلنا نتساءل بعـــد كل هـــذا هـــل كان يمكن أن تكون هناك أرض أكثر

---

(١٢٩) العينى ، بدر الدين محمود بن أحمد : عقد الجمان ، القسم الأول ج ١٩ ص ١٥١ .

(١٣٠) د. طـه حسين : تجـديد ذكرى أبى العلاء المعرى ص ٤٥ .

(١٣١) د. ابراهيم الكيلانى . ( أبو حيان التوحيدى ) من نوابغ الفكر العربى عـ ٢١ ( دار المعـارف بمصر ١٩٥٧ م ) ص ٨ .

(١٣٢) جرجى زيدان : ( تاريخ آداب اللغـة العربية ) ( طبع بمصر ١٩١٣ م ) ج ٣ ص ٣٢٣ .

(١٣٣) ابن الدبيثى ، جمال الدين الواسطى : ذيل على ذيل تاريخ بغـداد مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٩٥٠ تاريخ . ج ١ ف ٢ رقم ١٤٥ .

**ثالثا ـ الحركة العلمية ونشاطها فى بيت الحكمة بعد عهد المـأمون :**

لو أردنا تفصيل هـذه الحركة العلمية المباركة وما قام به العرب والمسلمون ، لاحتاج الامر الى بحث طويل . وان فى مؤلفات : ابن النـديم والقفطى وابن جلجل ، وصاعـد الأندلسى ، وابن أبى أصيبعة ، وحاجى خليفة ، تطلع المرء الى الجهـود الكبيرة التى بذلوها فى ترجمة الكتب المختلفة ، واقبـالهم الشديد على دراسـتها وتدبرها ،والتأليف بها . كان هـذا بزمن لم تبلغه أمة غيرها فى عـدة قرون ، فاجتمع فى خزائنهم ثقافة الشرق والغرب بأقـل من قرنين . فكانت بغـداد مركز العـلم والأدب والفـن(١٣٩) .

وكان أبو يوسف يعقـوب بن اسـحاق الكنـدى الفيلسوف العربى المتوفى ( ٢٦٠ هـ/٨٧٣ م ) فى طليعة العلماء واحد الأقطاب فى هـذه الحركة العلمية المباركة ، ويعـد من الرعيل الأول بين العلماء الذين تناولوا مختلف العلوم وشتى المواضيع : فى الكيمياء والطب والموسيقى والفلك والمنطق والرياضيات والطبيعيات والالهيات ، وكان لـه اليد الطولى فى توجيـه الثقافة ، وتذليل عويصها فى القرن الثالث للهجرة ـ التاسع الميلادى . ويمتاز الكندى باطلاعـه الواسع على اللغات الأخرى التى ترجم عنها ، وتمكنه من ابداء المعنى بدقـة وامعان . واتحف المكتبة العربية بكتب عـديدة بين مترجم ومنقح ومهـذب ومؤلف فهو من علمـاء العرب والمسلمين الذين مهـدوا طرق العلم وحلوا ما اشكل منه(١٤٠) . وقـد وصفه ابن جلجل بقـوله : « انه ترجم من كتب الفلسفة الكثير وأوضح منها المشكل ، ولخص المستصعب ، وبسط العويص » وهكذا كان الكندى من مفكرى العرب الذين يسروا العلوم لمن أتى بعـدهم(١٤١) وكان الخلفاء ومحبو العلم يقبلون عليهم ( التراجمـة ) يجزلون لهم العطاء ، ويرغبونهم بشتى الطرق لكى يستفيدوا منهم فى الترجمة ، وشرح الكتب العلمية التى يترجمـونها ، ولم يكن اهتمام الخلفـاء مقصورا على الحكمة والفلسفة والعلوم العقلية فقط ، بل كانوا يهتمون بالآداب والتاريخ والفقه والكلام وأيام العرب وأخبارها وكانوا يعقـدون المجالس العلمية ويشاركون فيما يدور بهـا من العـلوم والآداب والمعارف . وقـد شهدت كثير من قصور الخلفاء والوزراء مجالس علمية يشارك فيها أجـل العلماء ويحضرها الخلفاء أنفسهم(١٤٢) .

---

(١٣٩) سعيد الديوه جى : بيت الحكمة ص ٢١ .

(١٤٠) المرجع نفسه ص ٢٤ ، ٢٥ .

(١٤١) ابن جلجل : طبقات الأطباء ص ٧٣ ، ٧٤ .

(١٤٢) سعيد الديوه جى : بيت الحكمة ص ٢٦ .

خصبا لاحتضان العلوم وازدهارها من مثل هـذا المجتمع الذى يحرص ولاة الأمر فيه كل هـذا الحرص على رعاية العلم والعلماء(١٣٤) .

كما اسهم وزراء هذين العهدين البويهى والسلجوقى بالحركة العلمية والأدبية ، فشجعوا العلماء والأدباء وعقدوا المجالس الأدبية والعلمية وانشأوا المكتبات وزودوها بالكتب وأسسوا المدارس والعاملين بها وأعدوا لها النفقات اللازمة ، هـذا فضلا عن كثير تقلدوا الوزارة فى تلك الاثناء كانوا من العلماء والأدباء الذين اسهموا بمصنفاتهم فى دفع عجلة التقدم العلمى والأدبى(١٣٥) ثم ان عضد الدولة خلا له الأمر وطابت له بغداد فقتل ابن عمه عز الدولة ونفذ الى الطائع وبذل له كل ما يريده وصالحه وأعاده الى دار الخلافة . واشتمل ملك عضد الدولة على فارس وكرمان وخوزستان والعراق وديار ربيعة والشام ويحمل اليه الخراج من الروم واجتمع على بابه من العلماء والشعراء والأدباء ما لم يجتمع على باب ملك قبله(١٣٦) .

وكان عضد الدولة الى جانب ذلك كاتبا حاسبا مهندسا نحويا لغويا ، كريم الطباع ذا همة عالية ، مكرما للعلماء محبا لأهل التخصص حتى أنه كان يقدم مقل أبى على الفارسى ويحمل له السنية الى بيت المال بنفسه ومات رحمه الله سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة فى خلافة الطائع ، ودفن بتربة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضوان الله عليه بوصية منه(١٣٧) .

وكان للخليفة الناصر لدين الله سنة ٦٢٢ هـ/١٢٢٥ م مكتبة كبيرة جدا ، كما كان للخليفة المستعصم بالله سنة ٦٥٦ هـ مكتبة ضخمة فى داره فيها نفائس الكتب فى مختلف العلوم(١٣٨) . فلا عجب أن نرى الأمم العريقة تحفو بعظمائها وتحرص على تراثها فبقيت بيت الحكمة تكابد الزمن فى زمن الخلفاء والوزراء ورجال العلم والأدب منارة لهم ولغيرهم يقوى نورها حينا ويخبو أحيانا وتلك هى حالها بعد المأمون رغم عناية الخلفاء والوزراء بها من بعده .

---

(١٣٤) د. عرسى محمد عرب : ( التراث الطبى العربى بين الاصالة والتجديد ) مجلة المؤرخ العربى - بغداد - العراق عـ ٩ ( ١٩٧٨ م ) ص ٩٩ .

(١٣٥) د.محمد مسفر الزهرانى : نظام الوزارة فى الدولة العباسية ص ٨ .

(١٣٦) محمد بن على بن محمد المعروف بالعمرانى : ( الأنباء فى تاريخ الخلفاء ) تحقيق د. قاسم السامرائى ( طبعة ليدن ) ١٩٧٣ م ص ١٨١ .

(١٣٧) المصدر نفسه ص ١٨١ .

(١٣٨) د. محمد عجاج الخطيب : لمحات فى المكتبة والبحث والمصادر ص ٣٩ .

وبيت الحكمة الذى اسسه العباسيون ببغداد ، هو اول بيت عرف عند المسلمين ، كما كان أعظمها شأنا ، لما يحتويه من الكتب النفيسة فى شتى العلوم والمعارف بمختلف اللغات . وكان حنين بن اسحاق وهو أحد تلاميذ الخليل بن أحمد الفراهيدى على جانب من العلم اشتغل فى بيت الحكمة فترجم هو ومن كان يعمل بين يديه كتبا عديدة كانت على غاية الأهمية العلمية فى الطب والفلسفة والمنطق وكانت دائرته التى يرأسها فى بيت الحكمة لا تقل أهمية عن دائرة أبناء موسى الذين كانوا من أنشط العناصر التى كانت فى بيت الحكمة بما أضافوه اليه من الكتب كان هذا زمن الخليفة المتوكل العباسى(١٤٣) فاجتمع فى بيت الحكمة نخبة مختارة من العلماء ، والأطباء والفلكيين وأصحاب الصناعات والحيل ، وبلغ بيت الحكمة منتهى التقدم فى عهد المأمون وواكبت نشاطها العلمى فى عهد الخلفاء الذين جاءوا بعده فكان يحوى بيت الحكمة كل نادر وغريب يقصده المؤلفون ويجدون فيه خير معين لما يرغبون به من العلوم المختلفة(١٤٤) .

ومما شجع على الحركة العلمية(١٤٥) ونشاطها فى بيت الحكمة أن الخلفاء ذللوا للناس سبل المطالعة والدرس فيها ، الذى أنشىء لنشر العلوم والمعارف المنقولة من الأمم الأخرى ، والتى رغب الخلفاء فى تيسيرها للناس ، ليقفوا على حقائق الأمور ، وتراث الأمم التى تقدمتهم فى شتى النواحى الفكرية والعلمية ، ففتحوا الأبواب لكل قاصد وشوقوا الناس الى التعليم والاقبال عليه ، ويسروا لهم المطالعة والدرس والاستنساخ ، كما كان الناس يحضرون المناظرات العلمية التى تجرى بين العلماء فى هذه الدار ، وفى مختلف العلوم والفنون وابداء الآراء وغير ذلك .

ومما أذكى نشاط الحركة العلمية فى بيت الحكمة الحرية التامة والتسامح فلا نجد أثرا للتعصب الذميم بل تجد فيه أصحاب العلم والفلسفة يتناظرون بكل حرية وصراحة ، ويتكلم أهل الملل والنحل بما يبدو لهم وبما يعتقدونه ويرونه أقرب الى العقل والمنطق(١٤٦) .

---

(١٤٣) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٤٧ ، ٥٧ .

(١٤٤) ابن النديم : الفهرست ص ٣٢ .

(١٤٥) سعيد الديوه جى : بيت الحكمه ص ٣٨ .

(١٤٦) فيليب دى طرازى : خزائن الكتب القديمة ج ١ ص ٥٤ .

ومما يؤيد لنا هذا : أنه كان بين الذين تولوا أمر بيت الحكمة وأشرفوا على حركة الترجمة فيه هم من السريان واليهود والمجوس وغيرهم ولهم منزلة رفيعة عند الخلفاء يعمل برايهم ويأخذ عنهم علماء المسلمين اقوالهم وآراءهم .

لم يكن لبيت الحكمة الذى أسسه العباسيون ببغداد صبغة مذهبية ولم يدعوا فيه لمناصرة مذهب على آخر ، ولا تجد فيه اثرا لتقييد الحرية الفكرية ، وتسوده روح العلم ، ولأكثر كتبه كانت فى علوم الحكمة : من طب وفلسفة ومنطق وموسيقى ورياضيات وفلك ونجوم ، وتولاه علماء أعلام من الأطباء والفلاسفة والفلكيين وغيرهم من أصحاب العلوم العقلية ، وفيه من السريان والنصارى ومن الفرس والشعوبيين ، ومن الصابئة ومن اليهود والمجوس وغيرهم من أصحاب الملل والنحل المختلفة ، فالحرية الفكرية مطلقة ولكل منهم حق الكلام والمناظرة والتاليف بما يبدو له ، حتى ولو كان الامر ضد العرب والمسلمين(١٤٧) .

والعباسيون لم يقيدوا الأفكار ولم يفرضوا مذهبهم على الناس ، بل لكل دينه ومذهبه ورأيه ، وكان الخلفاء يشاركون فى المناظرات العلمية والدينية ويبدون آراءهم كأحد الحاضرين وتكون عرضة للنقد والرد عليها . هذه الصبغة السياسية لا نجدها فى بيت الحكمة ببغداد فهى مؤسسة ثقافية عالية ، تهدف الى نشر الحكمة والأدب(١٤٨) .

ولع الخلفاء الفاطميون بتشجيع المشتغلين فى دار الحكمة بنشر المذهب الشيعى حيث كانت المنافسة بينهم وبين العباسيين فى السياسة والعلم والأدب . وفى القرن الرابع الهجرى أسس الفاطميون دار الحكمة سنة ٣٩٥ هـ/١٠١٥ م أنشأ الحاكم بأمر الله جمعية علمية « أكاديمية » على مثال « الأكاديميات » الموجودة فى بغداد وغيرها من البلاد ، وأطلق عليها دار الحكمة(١٤٩) .

فالتحق بها عدد من القراء والفقهاء والمنجمين والنحاة واللغويين والاطباء والحق بدار الحكمة مكتبة أطلق عليها دار العلم ، حوت ما لم يجتمع مثله فى مكتبة من المكاتب . وأجرى هذا الخليفة ومن جاء بعده من الخلفاء على خدامها

---

(١٤٧) سعيد الديوه جى : بيت الحكمة ص ٥٠ .

(١٤٨) المرجع نفسه ص ٥١ ، ٥٣ .

(١٤٩) د. حسن ابراهيم حسن : ( تاريخ الدولة الفاطمية ) ( مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٥٨ م ط ٢ ) ص ٤٣٥ .

ومن بها من الفقهاء الأرزاق السنية ، وجعل فيها ما يحتاج اليه المطالعون والنساخ من الحبر والأقلام والمحابر والورق[150] . وكان الحاكم بأمر الله يشرف بنفسه على الحركة العلمية التى كانت فى دار الحكمة ، وتجرى بحضرته المناظرات والمجالس الدينية والعلمية .

يذكر السيد أمير على[151] : ان النفقة عليها ( دار الحكمة ) بلغت ٤٣ مليون درهم سنويا .بينما يذكر المقريزى : النفقة السنوية عليها كانت ٢٥٧ دينارا فى السنة . ولعل ما ذكره المقريزى هو ما كان يصرف عليها فى أواخر أيامها .

والسبب الذى حمل الخلفاء الفاطميين على أن يضاعفوا النفقة على دار الحكمة وان يصرفوا عليها بجود وسخاء ، أنهم اتخذوها مركزا ثقافيا لنشر دعوتهم ، ومبادىء مذهبهم الذى يؤيد حقهم فى الخلافة وخاصة أن النزاع بينهم وبين العباسيين كان قويا على الخلافة . فالحرية الفكرية مقيدة واهتمامهم بكتب الفقه ومجالس الدعوة أكثر من غيرها ، فكانت كتب فقه فى دار الحكمة مما يؤيد مذهبهم ، ويعزز خلافتهم ، والدار نفسها مركز دعوة واسعة للمذهب الاسماعيلى ، ولا تجد فى الدار الكتب التى تعارض مذهبهم أو تطعن بدعوتهم[152] .

وان المجالس التى كانت تلقى فيها مقيدة غاية التقييد ، فكان ينظمها فقهاء الدولة ، مع فقهاء دار الحكمة ، ويكون هذا تحت اشراف الداعى ، ثم الخليفة نفسه ، ثم بعد هذا التحفظ تذاع على السامعين . فالدار دار دعوة منظمة للمذهب الاسماعيلى ، تحت ستار من العلم ، ومناهج الدار تتبع السياسة العليا للدولة ، فهى دار دعوة ثم هى دار علم أو حكمة . وعلى هذا فان الدار مرت بأدوار مختلفة تتبين بذلك سياسة الخليفة التى يرمى الى تحقيقها . حيث قتل الحاكم بأمر الله أبا بكر الانطاكى وهكذا نجد أن الصبغة السياسية لدار الحكمة فوق كل اعتبار ، فهى مركز سياسى يدعو الى تثبيت دعائم المذهب الاسماعيلى ـ المستعلية منهم ـ ولكنها كانت تسير تحت ستار من العلم والحكمة[153] . وهذا عكس بيت الحكمة التى انشأها الخلفاء العباسيون .

---

(١٥٠) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٤٥٨ ، ج ٢ ص ٣٤٢ .

(١٥١) سيد أمير على : مختصر تاريخ للعرب ص ٥١٠ .

(١٥٢) المقريزى : ( اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ) تحقيق د. محمد حلمى أحمد ( لجنة احياء التراث الاسلامى ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ـ القاهرة ١٣٩٠ هـ/١٩٧١ م ) ج ٢ ص ٥١ .

ولا يعزب عن البـــال ، ولا يغيب عن الذهن ما اشتهرت به بغـداد من عـــلو كعبها فى العلم ، فكانت القبلة التى توجــه اليها رواد العلم من كل حــدب وفى الدولة الاسلامية والتى تحــدثت بذكرها الركبان واسمعت بشهرتها الأمم ، وطرقت أسماع القاصى والدانى الا وهى « بيت الحكمة » التى كانت تضم فى أركانها كل ما وصلت اليه الأمة الاسلامية من تفوق حضارى وتقــدم علمى وازدهار ثقافى(١٥٤) .

وبهـــذا نشطت الحركة العلمية فى بيت الحكمة بتشجيع الخلفاء والوزراء بمـــا قاموا به من ترجمة الكتب الأجنبية وارسال الوفـــود الى الدول الأخرى لجلبها لبيت الحكمة كما كان الشعراء والأدباء والعلمـــاء يغصون ببيت الحكمة التى كانت اشـــبه بخلية نحـــل يعـــودون منها وهم يحمـــلون الشـــهد الذى يبرىء القـــلوب والعقـــول بالفـــكر والثقـــافة .

(١٥٤) د. محمود أحمد القيسية : ( الامام ابن الجـوزى وكتـــابه الموضوعات ) ( أبو ظبى — الامارات العربية المتحدة ط ١ ١٤٠٢ هـ/١٩٨٣ م ) ص ٥٠ .

# الفصل الثالث : تأثير بيت الحكمة كمؤسسة علمية وتعليمية على المدارس الإسلامية



١ ـ بيت الحكمـة نمـوذج رائع للمدارس الاسلامية فى النواحى العلميـة والتعليميـة .

٢ ـ المدارس الاسـلامية تتأثر بالعلوم التى تدرس فى بيت الحكمـة مثل : الفلسفة والمنطق والطب والفلك والرياضيات .

٣ ـ موقف المدارس الاسلامية من بيت الحكمـة ومدى تأثرها بها .

## اولا ــ بيت الحكمة نموذج رائع للمدارس الاسلامية فى النواحى العلمية والتعليمية :

المساجد دين وخلق وهــدى ونور وصومعة الناسك ومدرسة الدارس ودين قــوة ودرك للعزة فى الأولى والفــوز العظيم فى الآخرة(١٥٥) لذا فان فكرة الدراسة للعلوم المختلفة فى خارج الجامع كانت من الأمور التى تراود اذهان الخلفاء العباسيين فى بغــداد فى زمن مبكر من تاريخ دولتهم ، فأوجــدوا من اجــل ذلك دور العــلم وبيوت الحكمة للدراسة وترجمة علوم الأقــدمين وكانت بغــداد فى عصر الازدهار العباسى كعبة العلماء والأطباء من كل الملل(١٥٦) ويعــد بيت الحكمة من اعظم المعاهد الثقافية حيث التعليم العالى فيها فكانت بيت الحكمة أول دار للدراسة العالية فى الاسلام فهو عــلاوة على كونه دار ترجمة كان معهــدا للعلم ، دار كتب عامة ، وله مرصــد ملحق به(١٥٧) .

ويقول د. خليل طوطح فى كتابه « التربية عند العرب » : قــد لا نكون مبالغين اذا قلنا أن بيت الحكمة كان من اقــدم الكليات الجامعية التى أسست فى التاريخ فيمكن اعطاء بيت الحكمة الأسبقية على ســائر كليات العلم وجامعاته ويضيف طوطح الى ذلك : اذ اصبحت تسمية بيت الحكمة بكلية أو جامعة كان له السبق على الأزهر أيضا ــ علما بأن الأزهر ــ كان أول جامعة لأنه أسس قبل جامعات أوروبا(١٥٨) .

بدأ بيت الحكم اول ما بدأ بوظيفــة مكتبة عامة فاصبح لهــذه المكتبة شــأن فى العالم الاسلامى(١٥٩) . ثم تطــور واصبح أول جامعة اسلامية اجتمع فيها العلماء والباحثون ولجــأ اليها الطلاب وكانت تجرى فيها الأبحاث والدراسات العليــا فأصبحت مؤسسة علمية للثقافة العالية أكثر كتبه فى الفلسفة والمنطق والطــب والنجــوم والرياضيات وغيرها من الكتب العلمية المختلفة . ثم ارتقت دار الحكمة من مجرد مكتبة الى دار للترجمة والانتاج الفكرى وكثر المترجمون فى هــذه الدار فى عصر المــأمون ، وكانوا يقومون بواجبهم العلمى ويتبادلون وجــوه الرأى ، وكان

---

(١٥٥) د. سعاد ماهر : ( الفن الواردى فى الفن السلجوقى ) مجــلة المؤرخ العربى ـ بغــداد ـ العراق عــ ١٠ ( ١٩٧٩ م ) ص ٤٩ .

(١٥٦) د. رمزية محمد الاطرقجى : ( بيت الحكمة البغدادى واثره فى الحركة العلمية ) مجــلة المؤرخ العربى ـ بغــداد ـ العراق عــ ١٤ ( ١٩٨٠ م ) ص ٣١٧ .

(١٥٨) د. خليل طوطح : التربية عند العرب ص ١٧ .

(١٥٨) د. خليل طوطح : التربية عند العرب ص ١٧ .

(١٥٩) د. عبد الله عبد الدايم : التربية عبر التاريخ ص ١٥٨ .

هـــذا تطورا هاما فى حيـــــاة المكتبة ، وتحولت من « خزانة » الى مجمع أو أكاديمية للبحث العلمى تعمل على خـــدمة العلم وترجمة ثمار المفكرين(١٦٠) . والحقيقة أن بيت الحكمة كان مدرسة عالية للبحث انتجريبى المستند الى الملاحظة ، ومكتب ترجمة كانت تتم فيه عملية التعريب للكتب الأجنبية بلغاتها المختلفـــة الى العربية ولكن من دراسة النصوص التاريخية المتعلقة بهـــذه الحركة العلمية .

وقال ( سيديو ) : « ان أهم ما اتصفت به مدرسة بغـــداد فى البداءة هـــو روحها العلمية الصحيحة التى كانت سائدة لأعمالها ، وكان استخراج المجهـــول من المعلوم والتدقيق فى الحوادث تدقيقا مؤديا الى استنباط العلل من المعلولات ، وعـــدم التسليم بمـــا لا تثبته التجربة ، مبادىء قال بها أساتذة من العرب وهـــذه هى الأصول التى لقنها العلماء ، ولقـــد كان العرب فى القرن التاسع متمكنين من هـــذه الطريقة الخصبة التى صارت عند المحـــدثين أداة استعملوها للوصول بها الى أروع الاكتشافات »(١٦١) .

ان هـــذا البيت لم يكن مقتصرا على الترجمة وانما كانت هناك أعمـــال أخرى ، منها تجليد الكتب التى تتم عملية تعريبها أو عملية نسخها بأكثر من نسخة لتوزيعهـــا على المكتبات المعروفة آنذاك(١٦٢) خارج بغـــداد ، أو بيت الحكمة التونسى فى رقادة ، أو دار الحكمة بالقاهرة وغيرها . كما كانت الكتب المترجمة والمؤلفة يقتنيها الأغنيـــاء والمؤسسات العلمية الأخرى(١٦٣) . والاحتفاظ بالنسخة الأصلية فى بيت الحكمة .

وللوصول الى دقـــة الكتب المترجمة كانت تراجع الترجمات التى كان يقـــوم بها النقلة فى دار الحكمة من قبل خبراء ، وكان ( ثابت بن قرة الحرانى ) فى دولة المعتضد من الذين راجعوا أو صححوا الترجمات العربية فى المؤلفات الرياضـــية والفلكية والمنطق . وكان يجيد الاغريقية والسريانية والعربية(١٦٤) . كذلك فعـــل ( اســـحق بن حنين ) فقـــد جعـــل له المتوكل كتابا نحارير عالمين بالترجمـــة كانوا يترجمون ويراجع ويتصفح ما ترجموه(١٦٥) .

---

(١٦٠) احمد فريد رفاعى : عصر المأمون ج ١ ص ٣٧٧ .

(١٦١) ل . ا . سيديو : تاريخ العرب العـام ص ١١٣ ، ١١٤ .

(١٦٢) رشيد حميد الجميلى : أثر الترجمة فى الحضارة الاسلامية ( اطروحة ماجستير ) ص ٢٠ .

(١٦٣) د . ناجى معروف : اصالة الحضارة العربية ص ٤٢٩ .

(١٦٤) ابن القفطى : أخبـار العلماء بأخبـار الحكماء ص ١١٥ .

(١٦٥) ابن ابى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٠٣ .

وهناك اشارات فى كتب التاريخ توضح أن عـــددا كبيرا من الأدباء والعلماء فى شتى التخصصات اجتمعوا فى بيت الحكمة ببغـــداد ، وكانت نتاجاتهم كثيرة وعالية ، ساعدت على تطـــوير عملية البحث العلمى وتنشيطها ، ومن ثم ازدهار الآداب والعلوم ، وممـــا يجـــدر الاشارة اليه أن بيت الحكمة ببغـــداد كان يضم العلمـــاء المسلمين والمسيحيين والمجـــوس . وحتى من الشعوبيين المغالين فى بغض العرب من امثال علان الشعوبى الذى ينسخ فى بيت الحكمة للرشيد والمـــأمون والبرامكة وصنف كتاب الميدان فى المثالب الذى هتك فيه العرب وأظهر مثالبها(١٦٦) ابتـــداء من بنى هاشم قبيلة بعـــد قبيلة على الترتيب الى آخر قبائل اليمن على ترتيب كتـــاب ابن الكلبى .

وهـــذا أن دل انمـــا يدل على انسانية العـــلم والتعليم فى بغـــداد حاضرة الخلافة العباسية مركز الاشعاع الفكرى الانسانى فى القرون الوسطى حيث تدفقت عليها الأموال ، ورعى خلفاؤها حرية العلم والفن والثقافة .

وقال وليم جيمس : يرتقى العلم بالأصـــالة ويعمـــق التفكير الفريد البعيد عن التقليد فترسخ قـــدمه ويزيد قـــدمه وأعنى بالأصالة هنا العبقرية التى تجلت فى التفكير العلمى العربى أو هى موهبة الادراك بطريقة غير مألوفة(١٦٧) . وهـــو القرن الرابع الهجرى ( العاشر الميلادى ) الذى ازدهر فيه العلم والمعرفة ازدهارا فى ظل عاصمة الدولة العربية الاسلامية بغـــداد عاصمة الخلافة العباسية فكان لبغـــداد الريادة فى العلم والمعرفة والثقافة(١٦٨) .

---

(١٦٦) ياقـوت الحمـوى : معجم الادباء جـ ٥ ص ٦٦ .

(١٦٧) د. سينوت حليم درس : ( الأصالة العربية فى التراث العربى ) مجلة المؤرخ العربى - بغـداد - العراق عـ ٢٢ ( ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م ) ص ٣١ .

(١٦٨) عبد الرحمن حسين العزاوى : ( أبو اسحاق ابراهيم بن هلال الصابى مؤرخا ) مجلة المؤرخ العربى - بغـداد - العراق عـ ٢٤ ( ١٩٨٤ م ) ص ١٧٩ .

**ثانيا ــ المدارس الاسلامية تتأثر بالعلوم التى تدرس فى بيت الحكمة :**

يعتبر عهد الرشيد من عهد المـــأمون العصر الذهبى فى التاريخ الاسلامى ، والواقع انه اجتمعت فى عصر الرشيد أشياء كثيرة جعلت عصره يبدو بهذه الصورة . فقــد أثمرت البــذور والغراس التى غرسها من اتى قبله وآتت أكلها آنذاك ، كما حفل عصره بعـــدد من الشخصيات اللامعة العظيمة ــ سواء فى عالم السياسة أو عالم الأدب ، وخيم السلم على البلاد ــ باستثناء بعض الحركات البسيطة التى لم تعق التطور العام . وبدت الدولة العباسية أقــوى دول الأرض ولقــد كان لشخصية الرشيد وولده المـــأمون أثر فى هـــذا التطور والازدهار(١٦٩) .

ويفيدنا المؤرخون المسلمون أنه فى مقــدمة العلوم التى ركز عليها العرب فى صــدر الاسلام ثم فى عهد الدولة العباسية ، وفى عهد المـــأمون خاصة علم الطب وبجانبه من علوم الفلسفة ، وعلم المنطق ، وعلم النجــوم والفلك ثم الرياضــيات وغيرها . وقــد اقتبسوا هـــذه العلوم من اليونان بواسطة نقول متعــددة قام بها الناطقون بالسريانية خاصة ، ثم طــوروا هـــذه العلوم ونهضوا بصرح الحضـــارة الاســـلامية خير نهــوض(١٧٠) .

ولعل أعمال حنين بن اسحاق فى الترجمة والتى استمرت حتى وفاته فضلا عن الترجمات التى قام بها هـــو ومدرسته والتى كانت السبب فى تنجر الثقافة العربية ، فان لـــه بضع مؤلفات فى الطب والفلك ومن بين هـــذه الأخيرة كتاباته المد والجزر والشهب وقــوس قزح وغيرها . ولا يسعنا فى صـــدد الكلام عن الترجمة الا أن نشير الى احـــدى دعاماتها القـــوية فى ذلك العهد وخاصة فى ناحية المراجع الرياضية والفلكية وهـــذا العالم الكبير هـــو أبو الحسن ثابت بن قــرة الحرانى ، نبــغ فى الطب والرياضة والفلك وكان أحـــد الضالعين من رجال الترجمة من الاغريقيـــة والسريانية الى العربية ، وتولى زعامة مدرسة المترجمين بعـــد حنين بن اســـحاق وضم اليه فى أعمالها الكثير من أقاربه ، ومن أهم أعماله فى تلك المدرسة اصـــلاحه لترجمات كتاب المجسطى مع تغييرات لمـــا تضمنه ذلك المرجع الفلكى(١٧١) .

---

(١٦٩) د. محمد ماهر حماده : الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصر العباسى الأول ص ٤٦ .

(١٧٠) د. الأب يوسف حبى : يوحنا بن هيلان معلم الفارابى فى المنطق مجلة المؤرخ العربى ــ بغداد ــ العراق عـ ٣ ، ١٩٧٥ م ص ١٩٥ .

(١٧١) د. امام ابراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ص ٣٤ ، ٣٥ .

كان العصر العباسى هــو العصر الذهبى للطب العربى ، اذ نبغ فيه عــدد كبير من الأطباء كان من بينهم ابن بختيشوع الذى خــدم هارون الرشيد والامين والمــأمون والمعتصم والواثق وكان موثوقا به عالج الخلفاء وأولادهم وزوجاتهم . وكان ماهرا فى مهنته ، عالمــا فى فنــه ، خلف عــددا من الكتب الهــامة منها ، المسائل فى الطب للمتعلمين « علاج العين » ــ علاج اللثة « الأسنان » ، معرفة اوجاع المعــدة وعلاجها ، المولود دون الثمانية اشهر ، الأغــذية ، اللبن ــ فكانت فى جملتها موسوعة طبية هامة . والى جانب هــؤلاء نذكر « ابن ماسويه » الذى كان يعــالج العقم أحيانا . وقــد أظهر فى كتابه « الملكى » تصحيحا لأخطاء كان قــد وقع فيها « أبو قراط » و « جالينوس » و « أبو عبد الله التميمى » وموسى أبو الحسن على بن رضــوان وأبو يعقوب اسحاق بن حنين وغيرهم . فكان للأطباء العرب دائمــا منزلتهم المرموقة فى الدولة . ومركزهم الاجتماعى والعلمى الملحوظ كان عــددهم يتزايد دائمــا بسبب اقبال الكثير على مهنــة الطب يتلقونها على اساتذتهم أما بالدروس والتنقيب فى الكتب او بالملاحظة والتجريب والمران فى المستشفيات على غرار ما هــو واقــع فى كليات الطب فى جامعاتنا فى العهد الحاضر(١٧٢) .

أما آل بختيشوع فكانوا فى عهود الدولة العباسية ، واشتهر منهم جبريل بن بختيشوع فانه تبحر فى جميع العلوم الداخلة فى علم الطب وكتب فى حياة الحيوان رسائل تدل على سعة اطلاعه ، فقربه الرشيد ، واتخــذه فى دور الخلافة ، واخــذ الناس يرجعون اليه فى ما يشير به من العلم فحملهم على الابتعاد عن الدجالين(١٧٣) .

ومن أشهر علماء الرياضيات العرب محمد بن موسى الخوارزمى الذى ظهر فى عهد المــأمون فى أوائل القرن التاسع الميلادى ، ووضع كتبا هامة ترجمت الى اللاتينية فكانت مصــدرا هــاما للجامعات الأوروبية وغيرها من كتب بقية الرياضيين العرب ، وعنها اخــذوا المبادىء الأولى لعلم الجبر(١٧٤) .

وقــد تبين لعلماء العرب العلاقة القــوية بين علوم الرياضيات والفلك فدعاهم هــذا الى التوسع فى دراســة الفلك التى كانت تستهويهم وتخلب ألبابهم وبدأت

---

(١٧٢) محمد ابراهيم الصيحى: ( العلوم عند العرب ) ( مكتبة نهضة مصر – القاهرة – بدون ) ص ٤٦ ، ٤٧ .

(١٧٣) جميل نخلة المدور : ( حضارة الاســلام فى دار الســلام ) ( مطبعــة الاعتماد – مصر ١٩٣٢ م ) ص ٢٠٥ .

(١٧٤) محمد ابراهيم الصيحى : العلوم عند العرب ص ٥٦ .

دراساتهم الجـدية المنظمة فى هـذا العلم فى عهد المنصور العباسى بوجـه خاص فى القرن الثامن الميلادى عندما ترجم محمد بن ابراهيم الفزارى كتاب « سند هند » وهـو موسوعة هامة تبحث فى أمور الفلك واعتمد عليـه الفلكيون العرب أول الأمر(١٧٥) . كما افادوا من كتاب المجستى لبطليموس الذى ترجم فى القرن التاسـع الميلادى كما تمكن أبو الوفا العالم العربى الذى عاش فى بغـداد فى النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى بفضل آلاته التى ابتكرها من مشاهدة انحراف الشمس بربع دائرة نصف قطرها ٢١ قـدما . وقـد كانت هـذه المراصـد العربية هى العون للفلكيين العرب فى دراساتهم وأبحاثهم . فقـد قام الخلفاء الذين كانوا يحتضنون هـذه النهضة العلمية للمراصـد فى كل مكان ، فى بغـداد ، وفى دمشق وفى القاهرة وفى قرطبة وفى طليطلة كذلك فتحت(١٧٦) .

اما فيلسوف العرب والاسلام الكندى العربى الأصل المتوفى حوالى منتصـف القرن الثالث فهـو أبو يوسف يعقوب بن اسحاق يتصل نسبه لملوك العرب والأقدمين من كندة(١٧٧) . وقيل من ولد الأشعث بن قيس كان ابوه الصباح من ولاة الأعمـال بالكوفة وغيرها ، فى أيام المهـدى والرشيد ، ويقول ابن جلجل : ان جـده ولى الولايات لبنى هاشم(١٧٨) انتقل يعقوب الى بغـداد واشتغل بعلم الأدب ثم بعلوم الطب والنجوم والفلسفة والحساب والمنطق ولـه كتب عـدة كثيرة ، وأنزله المـأمون منزلتـه عظيمة .

وكانت دولة المعتصم تتحمل به وبمصنفاته(١٧٩) . وحاول الكندى فى مذهبـه الفلسفى أن يجمع آراء افلاطـون وأرسطو واعتبر الرياضـيات والفيثاغوريسية اساس العلم كله . لقـد كان أساتذة الفلسفة الاسلامية العظام يدركون جيـدا اهمية التراث الفلسفى اليونانى . وكذلك راحوا يسعون منذ البداية أن يترجموا بكل حماس مؤلفات الفلاسفة اليونانيين فى كل وقت وكانوا يطلعون فيه على النصوص الأصلية لتلك المؤلفات . ان تاريخ هذا النشاط فى ميدان الترجمة لم يدون بعد(١٨٠) .

---

(١٧٥) المرجـع نفسـه ص ٦٩ .

(١٧٦) المرجـع نفسـه ص ٧١ .

(١٧٧) ابن جلجل : طبقـات الأطبـاء ص ٧٣ .

(١٧٨) المصـدر نفسـه .

(١٧٩) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ١٤٧ .

(١٨٠) سليم طـه التكريتى ( **بيت الحكمة فى بغـداد وازدهار حركة الترجمة فى العصر العباسى** ) **مجلة المورد** – بغـداد ، العراق عـ ٨ ( ١٩٧٩ م ) ص ٤٥٩ .

أما مدرسة حران التى قامت فى عهـــد الخليفة المتوكل فقـــد كانت مركزا هاما للثقافة اليونانية فى المنطقة التى تكلم اهلها اللغـــة السريانية كما كانت مركزا للاتصال الثقافى وظلت تقـــوم بعملها مدة أربعين عاما حتى تركها علماؤها الى بغـــداد فى خلافة المعتضد . وأنجبت هذه المدرسة طبقات متعاقبة من أفـــذاذ العلماء والفلاسفة فى طليعتهم أولئك الذين جاءوا من حران أمثال ثابت بن قرة الذى أوصله محمد بن موسى بن شاكر بالمعتضد[١٨١] وأدخله فى جملة المنجمين وسنان بن ثابت الذى كان طبيبا للمقتدر وبلغ من علو منزلته ان وكل اليه المقتدر أمر امتحان الأطباء وأجازتهم . وقـــد أظهر الحرانيون الأثر الاكبر فى الرياضيات وخاصة الهيئة ولعل ما فى ديانتهم من تعظيم للكواكب واقامة الهياكل لهـــا كان باعثا على نبوغهم فى العلوم الرياضية والفلكية[١٨٢] . ولقـــد تفوق الحرانيون على الآخرين بمعرفتهم اللغـــة العربية ولـــذا كانت ترجماتهم اكثر دقـــة[١٨٣] .

فقـــد شاعت بينهم بعض الأفكار الأرسطية المشهورة فذكر الفهرست أبو روح الصابئى على أنه مترجم لكتاب الطبيعة كما لخص ثابت بن قرة كتاب التاسوعات وشرح جزءا من كتاب الطبيعة مـــع بعض التعليقات لفورفوريوس[١٨٤] ، فلم تكن بيت الحكمة بمعلوماتها المختلفة بمنأى عن التأثير فى المدارس الاسلامية الأخرى التى ظهرت فى تلك الفترة وما بعـــدها فنرى أنها قـــد اثرت وتأثرت بها .

يقول نالينو : « ان وحـــدة الدين استوجبت أيضا وحـــدة اللسان والحضارة والعمران ، فصار الفرس وأهـــل العراق والشام ومصر يدخلون علومهم القـــديمة فى التمدن الاسلامى »[١٨٥] . كما أن اختلاط المسلمين بالمسيحيين وتلقيهم العلم عنهم فى المدارس كان له عظيم الأثر ، ولم يكن ما يستفاد من مطالعة الكتب فى الشرق فى تلك الأيام بالشىء الكثير ، بل كان الناس يأخـــذون عن أساتذتهم شفاها أكثر ممـــا يتعلمـــون من الكتب[١٨٦] .

---

(١٨١) ابن القفطى . اخبـــار العلماء بأخبـــار الحكماء ص ٨١ .

(١٨٢) أحمد أمين . ضـــحى الاســـلام ج ٢ ص ٢٥٩ .

(١٨٣) خدابخش : الحضـــاره الاســـلامية ص ١٥٨ .

(١٨٤) J. Windrow Sweetman : Islam and Christian Theology. London 1945, vol. I, II, p. 85.

(١٨٥) نالينو : تاريخ علم الفلك عند العرب ص ١٤١ .

(١٨٦) دى دبور : ( تاريخ الفلسفه فى الاسلام ) ترجمة د. محمد عبد الهادى أبو ريده ( لجنـــة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ١٩٣٨ م ) ص ٤٨ ، ٤٩ .

كذلك شجع على الاشتغال بالترجمة ميل أفراد من الخلفاء فى العصر العباسى الى العلوم الفلسفية « والخلفاء عادة أقدر على الترغيب فيما أحبوه ، والناس أسرع ما يكون الى تحقيق أغراضهم والولوع بما أولعوا به »(١٨٧) .

ويصف صاعد الأندلسى ثابت بن قرة فيقول انه « فيلسوف متوسع فى العلوم متفنن فى ضروب الحكم متقلد لجوامع الفلسفة ، له تآليف حسنة فى المنطق ، والعدد والهندسة والنجوم وغير ذلك »(١٨٨) فظهر أثر مدرسة حران فى الرياضيات ، وقد تميز الحرانيون بمعرفتهم اللغة العربية ولذلك جاءت ترجماتهم دقيقة . ولعل ذلك يعود الى اهتمام الخلفاء بالعلوم مما دفع كثيرا من الناس الى التشبه بهم فوجد العلماء والمترجمون من يرعاهم ويجزل لهم العطاء من أثرياء المسلمين وهذا كله يعود الى بيت الحكمة بما كانت تزخر به من العلوم الاسلامية كالفلسفة والمنطق والطب والفلك والرياضيات .

---

(١٨٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٩ .

(١٨٨) ابن صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٤١ .

### ثالثا ـ موقف المدارس الاسلامية من بيت الحكمة ومدى تأثرها بها :

وفى القرن الثانى الهجرى اشتهرت مدينة بغـداد بالدراسات الفلسفية نتيجة تشجيع الخلفاء لهـذا النوع من الدراسات ورعايتهم للترجمة والمشتغلين بها كالرشيد والمـأمون ، بينما اشتهرت جامعة الفسطاط فى ذلك العهد بالدراسات الفقهيـة الشافعية لاقامة الشافعى بها ووجـود تلاميذه فيها ، حتى أصبحت مقصـدا للطلاب الراغبين فى الفقه الشافعى . وكانت مصر فى منتصف القرن الثانى الهجرى تقريبا مركزا هاما من مراكز الفقه المـالكى لوجـود بعض اصحاب مالك بها مثل عثمان ابن الحكم ورشيد بن سـعد ( ت ١٦٣ هـ ) وكان طلاب هـذا المذهب يقصـدون مصر لتلقيه عن أساتذتها ، ومن هـؤلاء سحنون أمام أفريقيا فيما بعـد الذى تلقاه عن أبى القاسم من اصحاب مالك ونشره فى أفريقيا . واشتهرت جامعات المغرب بالعناية بالحـديث والفقه وتقصيرها فى العلوم النظرية من الفلسفة وفروعها(١٨٩) .

وهكذا لو تتبعنا بقية الجامعات الاسلامية القـديمة لوجـدنا أن درجـة تركيزها على مختلف العلوم تختلف من جامعات قطر الى آخر . وأحيانا من جامعة الى اخرى حتى فى القطر الواحـد . ولكن الذى لا مرية فيه ان جميع العلوم النافعة كان لهـا وجود فى الجامعات الاسلامية اذا اخـذت كـكل . وكانت هـذه الجامعات يكمل بعضها بعضا ، والطالب الذى لا يجـد علمـا فى أحـداها يمكنه ان يذهب الى أخرى ليدرس فيها العلم الذى ينقصه . وكان ممـا يساعد على ذلك انفتاح أجزاء الوطن الاسلامى بعضها على بعض ، والاعتراف بالهجرة فى سبيل العلم والرحلات العلمية كوسيلتين رئيسيتين من وسائل طلب العلم وحصول المتعلم على المعـارف والخبرات التى لا توجـد فى بلاده فى الجامعات المجاورة له(١٩٠) .

وكان لطلاب العلم فى الوطن الاسلامى شغف كبير بطلب العلم يطلبـونه لنيـل رضا الله ولتوسيع مداركهم وزيادة اطلاعهم على الحقائق المتصلة بطبيعة الـكون والانسان والحياة التى حولهم وقـد أدى هـذا الشغف بالعلم ، واخلاص النيـة فى تحصيله واحتمال المشقات فى سبيله ، الى أن زخرت البلاد الاسلامية ما بين غانة وفرغانة الى ما بين الصين والهند والباكستان والمحيط الأطلسى بالعلوم الشرعية واللغوية والعقلية على اختلاف أنواعها وأقسامها(١٩١) .

---

(١٨٩) محمد عبد الرحيم غنيمة : تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى ص ١٦١ ، ص ١٧٥ .
(١٩٠) د. عمر محمد التومى الشيبانى : فلسفة التربية الاسلامية ص ٣٩٤ .
(١٩١) المرجع نفسه ص ٣٩٥ .

فأنشأ المسلمون علوما ، وأخــذوا عن غيرهم علوما ، نقــلوا الى لغـــة القرآن لغـــة العلم فى تلك العصور ، ثم تعمقوا فى درسها ، ونقـــدوها ، وصـــححوها وشرحوها ، وزادوا عليها ، وقرنوا العلم بالعمل ، فكشفوا ما كشفوا فى العـــلوم الفلكية والرياضية وفى الكيمياء والطبيعة . ولا أحسب التاريخ يعى تعاون الامم على العلم والتعلم ، والتمحيص والتحقيق ، كما تعاونت الامم التى جمعتها أخـــوة الاسلام ، ولفت بينها عقائده وشرائعه وعـــدالته ورحمته ودعـــوته الى العـــلم والعمل هـــل يعرف التاريخ امة أو أمما أودعته ما أودعته الأمة الاسلامية من بين العلماء والأدباء وتراجمهم التى تزخر بها كتب الطبقات : طبقات الفقهاء على اختلاف المذاهب ، وطبقات النحويين واللغويين والأدباء والأطباء والحكماء ؟ ، وهل يعرف التاريخ كتبا فى تاريخ البلدان تتضمن(١٩٢) من أعـــداد العلماء ومناقبهم وسيرهم الحسنة ما نجـــد فى تاريخ بغـــداد للخطيب البغـــدادى وتاريخ دمشق لابن عساكر ، وفى الذخيرة لابن بسام والاحاطة فى أخبار غرناطـــة للسان الدين ابن الخطيب ، ونفـــح الطيب للمقرى ، وفى تواريخ أخرى للقاهرة ونيسابور وبيهق واصفهان وغيرها من مدن الاســـلام .

وحسبنا أن نعلم أن تاريخ الخطيب البغـــدادى ، حـــوى زهاء ثمانية آلاف ترجمة للعلماء الذين عاشوا فى بغـــداد أو وفـــدوا اليها ، والخطيب من علماء القرن الرابع الهجرى، فمـــا ظنك بعلماء بغـــداد من بعـــد القرن الرابع ؟ وما ظنك بعلماء المدن الأخرى فى أرجاء العالم الاسلامى على اختلاف الأجيال والقرون ؟

وقتصارى القـــول : ان العـــالم لم يشـــهد قبـــل المسلمين أمة مثلهم اخلصت فى طلب العلم وجـــدت فيه، وبذلت الجهد والوقت والمـــال ، وبلغت فيه الغايات التى بلغـــوها ، وكشفت الحقائق التى كشفوها »(١٩٣) ولقـــد كان لهـــذا التآثر فى العالم الاسلامى آثار طيبة كثيرة ، وكانت منبعا غنيا بالخير والنشاط الدائم ، وسبيلا نافعا الى تحقيق التبادل الثقافى والتعاون الفكرى بين جامعات الاسلام وبادانه(١٩٤) وقـــد بين العلامة المؤرخ ابن خلـــدون مزاياها وفضلها على العلم والتعليم بقوله : « ان الرحلة فى طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال فى التعليم والسبب فى ذلك أن البشر يأخـــذون معارفهم وأخلاقهم ، وما ينتحلون من المذاهب والفضائل ، تارة علمـــا

---

(١٩٢) المرجع نفســه ص ٣٩٥ .

(١٩٣) د. عبد الوهاب عزام : ( الاسلام والعلم فى الاسلام : اليوم وغـدا ) تأليف مجموعة من العلماء ( دار احياء الكتب العربية لعيسى البابى الحلبى وشركاه – القاهرة – بدون ) ص ١٢٩ ، ١٥٩ .

(١٩٤) محمد عبد الرحيم غنيمة : تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى ص ٢٠٨ ، ص ٢١٧ .

ونعليها والقاء وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة . الا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين اشــد استحكاما وأقــوى رسوخا فعلى قــدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها .... ( الى ان قال ) : فالرحلة لابد منها فى طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال ، والله يهــدى من يشاء الى صراط مستقيم »(١٩٥) .

ونحن نقول انه لجــدير بالاعجاب والاكبار تلك الثمرات الباهرات العلميــة والعملية التى أنتجها المسلمون فى العصور الذهبية الراقية ، وانفتاح الحــدود الفكرية لديهم لتقبل الحــق من أى مصــدر ظهر وللشغف بامتصاص العلوم والمعــارف من أى المنابع تدفقت . وللسعى الحثيث لاكتساب الكمالات الانسانية فى كل مجال من مجالات الحياة . وفى كل ميدان من ميادين العمل ، وهــو الأمر الذى أملته عليهم أســس الاســلام الحضــارية .

ولو أن حــدودهم الفكرية كانت مغلقة ، وعقولهم كانت منطوية على نفسها لا تتقبل الحقــائق العلمية التى تأتيها من الأمم والشعوب الأخرى ، غابرة كانت أو حاضرة لمــا بلغــوا من مجــد عظيم ، فى أقصر حقبــة عرفهــا تاريخ الحضارات الانسانية . وكم حرمت أمم نفسها من التقــدم والارتقاء بدافع الانانية الذاتيــة ، والعصبية القومية المقيتة وبسبب عزوفها عن اقتباس معارف الآخرين وعلومهم الصــحيحة(١٩٦) .

ولقــد هيأ للمسلمين الأولين هــذا الانفتاح الفكرى لتلقف المعارف الحقــة واقتباسها واكتساب الكمالات الانسانية سبقا حضاريا فــذا ، لم يضارعه تقــدم حضارى لأية أمة من الامم(١٩٧) . ويدهش المؤرخ الفرنسى العلامة جوستاف لوبون فيقول : « ان حماسة المسلمين فى دراسة المدنية اليونانية واللاتينية مدهشة حقيقة .. والانسان يقضى العجب من الهمة التى أقــدموا بها على البحث ، واذا كانت هناك أمم قــد تساوت هى والعرب فى ذلك فانك لا تجــد أمة فاقت العرب على ما يحتمــل .. »(١٩٨) .

---

(١٩٥) عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة جـ ٤ ص ١٣٦٠ .

(١٩٦) عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى : ( **أسس الحضارة الاسلامية ووسائلها** ) . ( دار القلم - دمشق . بيروت ، ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م ) ص ١٢٤ .

(١٩٧) المرجع نفســه ص ١٢٥ .

(١٩٨) جوستاف لوبون : حضارة العرب ، ترجمة اكرم زعيتر ص ٥٠٥ ، ص ٥٠٧ .

# الفصل الرابع : بيت الحكمة كجامعة إسلامية عظيمة



١ ــ هــل كانت بيت الحكمة جامعة يدرس فيها الطب أيضا ؟

٢ ــ هــل كانت جامعة بيت الحكمة دار اقامة للطلاب والأساتذة ؟

٣ ــ هــل كانت هناك علاقة بين الرصــد المــأمونى فى دمشق وفى بغــداد ؟

## أولا — هـل كانت بيت الحكمة جامعة يدرس بها الطب أيضا ؟

لما جاء العصر العباسى كان المسلمون قد أمعنوا فى التمدن ورأوا أن حياة الحضارة ، لابد أن تستند الى العلم ، فمالية الدولة تحتاج الى حساب دقيق ، وعيشة الحضارة المركبة تحتاج الى أدوية مركبة وعلاج مركب(١٩٩) . وكانت جنديسابور حتى ذلك الحين ما زالت مركزا للثقافة ومصدرا للاشعاع العلمى ، كما كانت تموج بالعلماء ، وتزخر بالأطباء ، فأخذت الأنظار تتجه اليهـا تسائلها العون ، وتناشدها المساعدة . وكان المنصور قد أدركه ضعف فى معدته وأصابه سوء استمراء ، وعجز معالجوه عن مداواته ، فجمع الأطباء وقال لهم : « أريد من الأطباء فى سائر المدن طبيبا ماهرا » ، فقالوا : « ما فى عصرنا أفضل من جورجيس بن بختيشوع رئيس الأطباء بجنديسابور ، فانه ماهر فى الطب ، وله مصنفات جليلة ، فتقدم المنصور باحضاره فأنفذه العامل بجنديسابور الى حضرة الخلافة بعد ما امتنع عن الخروج ... ولم يزل جورجيس يتلطف له فى تدبيره حتى برىء المنصور ، وعاد الى الصحة ، وفرح به فرحا شديدا ، وأمر أن يجاب الى كل ما يسأل »(٢٠٠) .

وقد ظل جورجيس فى خدمة المنصور حتى تقدمت به السن(٢٠١) وبنى له مستشفى(٢٠٢) على طريقة آل بختيشوع بجنديسابور(٢٠٣) وعندما جاء المهدى استقدم بختيشوع(٢٠٤) من جنديسابور ليعالج ابنه الهادى ، ولكن الخيزران عز عليها أن يستدعيه المهدى ، ولا يستطب أبا قريش طبيبها الذى كان يعرف بعيسى

---

(١٩٩) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٢ ص ٢٦٥ .

(٢٠٠) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ١٢٣ .

(٢٠١) كان جورجيوس من السريانيين الذين ينتمون الى طائفة النساطرة . أنظر : اسرائيل ولفنسون : ( **اللغات السريانية** ) ص ١٤٦ .

(٢٠٢) عيسى الملوف : ( **تاريخ الطب عند العرب** ) ( بيروت لبنان ، المطبعة الادبية ١٩٣٥ م ) ص ١٨ .

(٢٠٣) آل بختيشوع أسرة نسطورية اسم جدها هذا سريانى بمعنى حظ يسوع ويروى أن لها بقية فى بغداد وهم بنو غنيمة ، وفى الصالحية « آل الحكيم » وفى دمشق آل لطفى وآل منعم . عيسى الملوف : ( **الأسر العربية المشتهرة بالطب** ) ص ٦ — يرى ابن أبى أصيبعة أن معنى بختيشوع « المسيح لأن اللغة السريانية البخت العبد » ، وعنده أن البخت لفظة فارسية معناها الحظ والسعد ، تعقيب ابن العبرى فى كتابه مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٦ .

(٢٠٤) انظر ترجمة بختيشوع عند القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٧١ .

الصيدلانى(٢٠٥) ، فكان ذلك سرا فى أن يعيده المهـدى الى جنديسابور . وفى أيام الرشيد أصابه صـداع شـديد ، وعجز أطبـاؤه عن مداواته فاستخدم بختيشوع لذلك الأمر قال « بختيشوع يكون رئيس الأطباء كلهم وله يسمعون ويطيعون »(٢٠٦) .

وقـد ذكر صاعـد الأندلسى أن « بختيشوع له تآليف فى الطب معروفة ، منها كتاب التذكرة وقـد علمه لابنه جبريل »(٢٠٧) . الذى قام بعلاج جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى كما برئت جارية للرشيد بحيلة(٢٠٨) ، لطيفة استعان بها ، كما شـفى الرشيد على يديه من مرض ألم به ممـا دفعه الى أن يقربه منه ، ويرفع مكانته لديه . ولقـد كان للنجاح الذى أحرزه هـؤلاء الأطباء اثره فى المكانة التى وصلوا اليها ، ذلك لأن الخلفاء ورجال الدولة ، كانوا يعظمونهم لقـدر علمهم لا لدينهم(٢٠٩) .

وقـد ذكر القفطى أن « يحيى بن خالـد البرمكى أحب جبريل عندما عالجـه مثل نفسه ، وكان لا يصبر عنه ساعة ، ومعه يأكل ويشرب »(٢١٠) . كذلك ذكر بن أبى أصيبعة أن الرشيد عندما شفى قرب جبريل منه ورفع مكانته لديه حتى أنه قال لأصحابه : كل من كانت له الى حاجة فيخاطب بها جبريل لأنى افعـل كل ما يسألنى فيه ويطلبه منى(٢١١) . وقـد ظل جبريل على هـذه المكانة العالية فى عهد المـأمون ، فكان كل من تقلـد عملا لا يخرج الى عمله الا بعـد أن يلقى جبريل ويكرمه .

يقول حاجى خليفة : ان أول من عنى من العباسيين بالعلوم الخليفة الثانى أبو جعفر المنصور(٢١٢) . وكان ممن قـدموا من جنديسابور يوحنـا بن ماسويه(٢١٣) ( ت ٢٤٣ هـ/٨٥٧ م ) ومن هـذا الوقت تقريبا بدأت مدرسة الطب فيها تفقد أهميتها لأن كبار الأطبـاء والأساتذة قـد ذهبوا الى قصور الخلفاء فى بغـداد أو سر من راى(٢١٤) .

---

(٢٠٥) راجع أخبار عيسى الصيدلانى : ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٠ .

(٢٠٦) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٢٠٧) صاعد الأندلسى : طبقـات الأمم ص ٤٠ .

(٢٠٨) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٩٤ .

(٢٠٩) عيسى المعلوف : تاريخ الطب عند العرب ص ١٣ .

(٢١٠) ابن القفطى : أخبـار العلماء باخبـار الحكماء ص ٩٣ .

(٢١١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٢٧ ، ١٢٩ .

(٢١٢) حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ص ٣٤ .

(٢١٣) ابن النـديم : الفهرست ص ٤٢٥ .

(٢١٤) ماكس مايرهـوف : من الاسكندرية الى بغـداد ص ٥٦ .

وقــد عين يوحنا بن ماسويه رئيسا لمدرسة الطب فى بغــداد وكان من أطباء هارون الرشيد(٢١٥) . وكان الخليفة هارون الرشيد أول من انشأ مستشفى عاما فى العالم بأسره وقسمه الى قسمين قسم للعلاج — وقسم للتدريب ، وتخرج الأطباء وكانت اول كلية طب فى الدنيا بأسرها(٢١٦) تقام بجامعة بيت الحكمة ببغــداد .

وقــد أقام يوحنا بن ماسويه فى بغــداد مستشفى ، كذلك جعله الخليفــة المــأمون فى سنة ٢١٥ هـ/ ٣٨٠ م رئيسا لبيت الحكمة . وقــد ألف يوحنا كتبا كثيرة بلغت ثمانية وعشرين كتابا(٢١٧) منها كتاب البرهان وكتاب دغــل العين ، وعربية هــذا الكتاب ركيكة مــع استعمال اصطلاحات اغريقية وسريانية وفارسية(٢١٨) . وكان سنان بن ثابت بن قرة مقــدما كأبيه ، وقــد وكل اليه المقتدر امتحان أطبــاء بغــداد سنة ٣١٩ هـ .

ويقول ابن النــديم فى كتابه الفهرست : ( وكان منكه الهندى طبيب الخليفة هارون الرشيد ، ونقل عــدة كتب تبحث فى الطب على مذهب أهــل الهند ، ونقــل ابن دهن الذى كان يشرف على بيمارستان البرامكة عــدة كتب فى الطب(٢١٩) .

واشتهر عــدد من الأطباء بترجمة كتب الطب ، وخــدموا المكتبة العربية أجل خــدمة بما ترجموه والفــوه من الكتب الطبية منهم : يوحنــا بن ماسويه ، وآل بختيشوع ، وعيسى بن الحكم ، وزكريا الطيفورى ، وحبيش بن الحسن الأعسم ، وصالح بن بهــلة الهندى(٢٢٠) وغيرهم .

حقا كان بيت الحكمة أول مكتبة عامة ذات شأن فى العالم الاسلامى ، بل انه كان اول جامعة اسلامية يدرس بهــا الطب فاجتمع فيها العلماء والباحثون الذين يمثلون ثقافــة مختلفة الاتجاه تشمل علوم الطب والفلسفة والحكمة وغيرها .

---

(٢١٥) محمد عبد الحميد البوشى : ( **الاسلام والطب** ) ( دار القــلم ، الدار المصرية للتاليف والترجمة — القاهرة ١٩٦٥ م ) ص ١٥٢ .

(٢١٦) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ص ٤١٥ .

(٢١٧) ابن القفطى : أخبــار العلماء بأخبــار الحكماء ص ٢٤٩ .

(٢١٨) أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٢٤٦ .

(٢١٩) ابن النــديم : الفهرســت ص ٣٤٢ .

(٢٢٠) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ٢ ص ٣٣ .

ولعـــل الشواهد السابقة تدل على اهتمام الخلفاء بالطب والأطباء ســـواء بالمعالجة أو انشاء الكليات الطبية فان ذلك يجعلنا نقـــول بأن جامعة بيت الحكمة كان يدرس بها الطب بل وانها من اشهر الكليات الطبية حتى أن أهـــل جنديسابور احتجـــوا على ذلك لأن اكثر اطبـــائهم قـــد ذهبوا الى الخلفاء العباسيين سواء منهم الخليفة هارون الرشيد أو المـــأمون وعملوا تحت رعايتهم من أمثال جورجيس بن بختيشوع ويوحنـــا بن ماسويه .

## ثانيا ــ هل كانت جامعة بيت الحكمة دار اقامة للطلاب والأساتذة ؟

وكان الخليفة هارون الرشيد ( ١٧٠ هـ/١٩٣ هـ ــ ٧٨٦ م/٨٠٨ م ) كثير الاهتمام بعلوم الحكمة ، فصار فى بيت الحكمة دوائر علمية منوعة ، لكل منها علماؤها وتراجمتها ومشرفون يتولون امورها المختلفة(٢٢١) .

كان يوحنا بن ماسويه يتولى الكتب التى أمر الرشيد بنقلها من عمورية وأنقرة عندما غزا بلاد الروم وجعله الرشيد أمينا على الترجمة ــ وأكثرها كانت من كتب الطب ، وعين له الرشيد كتابا حذاقا يعملون بين يديه ، ويساعدونه فى عمله . وخدم بعده الأمين والمأمون وبقى الى أيام المتوكل(٢٢٢) .

فنجد مما تقدم : ان يوحنا كان على جانب من العلوم المختلفة ، عالما بالعلوم التى يقوم بترجمتها لذا عينه المأمون رئيسا لبيت الحكمة كما كان يعقد مجلسا للنظر ، ويعمر ذلك المجلس بعلم هذا الشأن اتم عمارة ، ويجرى فيه من كل نوع من العلوم القديمة بأحسن عبارة واجتمع أهل العلوم والآداب ، وكان يجتمع اليه تلاميذ كثيرون(٢٢٣) . وكان يحاضر بهذه العلوم ، ويجتمع اليه تلاميذ كثيرون يأخذون عنه ويدرس عليه بعضهم ما يرغب به من العلوم فكان بيت الحكمة يحوى كل نادر وغريب يقصده المؤلفون ويجدون فيه خير معين لما يرغبون به من العلوم المختلفة . أن نشاط بيت الحكمة وصل الى ذروته فى عهد المأمون الذى كان واسع الثقافة ، حر الفكر له شغف بالعلوم والآداب ، ومن أجل هذا اولى بيت الحكمة عناية خاصة كان من نتائجها تطور الثقافة عند المسلمين ، ودخول العلوم الأجنبية اليهم واحتضانهم لهذه العلوم ، مما ادى الى حفظ التراث ونقله الى الأجيال التالية ، وكان على وشك أن يضيع(٢٢٤) .

وقد ضم بيت الحكمة كتبا فى الأصل بلغات مختلفة ، ومن أهمها الكتب اليونانية والفارسية والهندية والقبطية والآرامية ، ومن أجل هذا كان المترجمون كثيرين ينقل بعضهم من اللغة اليونانية وينقل آخرون من الفارسية ، وينقل فريق

---

(٢٢١) فيليب دى طرازى : خزائن الكتب القديمة فى الخافقين جـ ١ ص ٩٩ .

(٢٢٢) ابن القفطى : أخبار العلماء باخبار الحكماء ص ٢٤٩ ، ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٧٥ .

(٢٢٣) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٧ .

(٢٢٤) د. أحمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ١٨٢ .

ثالث من الهندية وهكذا . وكان بنو موسى بن شاكر من انشط العناصر التى كانت فى بيت الحكمة وهم ثلاثة أخـوة : محمد واحمد والحسن وعرف أبناؤهم فيما بعـد ببنى موسى المنجم . كما كان حنين بن اسحاق على جانب من العلم حيث اشتغل فى بيت الحكمة فترجم هـو ومن كان يعمل بين يديه كتبا عـديدة كانت على غاية الأهمية العلمية فى الطب والفلسفة والمنطق وكانت دائرته التى يراسها فى بيت الحكمة لا تقل أهمية عن دائرة أبناء موسى الذين تقـدم ذكرهم(٢٢٥) .

وهكذا اجتمع فى بيت الحكمة نخبة ممتازة من العلماء والأطباء والفلكيين واصحاب الصناعات ، وترجموا مختلف الكتب التى تبحث فى شتى العلوم والفنون والمعـارف وبلغ بيت الحكمة منتهى التقـدم على عهد المـأمون(٢٢٦) .

وقـد صنفت الكتب والمؤلفـات التى أحضرت من مختلف الأقطـار بحسب موضوعاتها فى بيت الحكمة واختير لهـا المترجمون ممن لهم خبرة علمية بالموضوعات التى يترجمون منه ، بالاضافة الى سيطرتهم على اللغتين اليونانية والعربية ومن اشهر الذين اشتغلوا بترجمة هـذه الكتب يوحنا بن ماسويه ، وحنين بن اسحاق ، ومحمد بن موسى الخوارزمى وسعيد بن هارون وثابت بن قرة وعمر بن الفرخان . فلا غرو أن بيت الحكمة كان أول جامعة اسلامية اجتمع فيها العلماء والباحثـون والمترجمون فهى اكاديمية من الأكاديميات العلمية التى كانت تزخر بها بغداد آنذاك .

وكان التلاميذ يتلقون العلم بالمجان ، كما كانوا يحصلون على الطعام والعناية الطبية ويتناول كل منهم ديناراً من الذهب كل شهر لمصروفاته الأخرى ، وكانت تشتمل على مستشفى وحمام ومكتبة مفتوحة للطلبة وهيئة التدريس على السواء(٢٢٧) .

وجامعة بيت الحكمة لجـأ اليها الطلاب فكانت بذلك أول مركز علمى يحقق للطلاب زادا علميا وفيرا ويخرج لهم من جهد القائمين عليه ثقافة مختلفة الاتجـاه تشمل علوم الطب والفلسفة والحكمة(٢٢٨) وغيرها . وحقا ان ما حظيت به جامعة بيت الحكمة فى عهدى الرشيد والمـأمون ممـا جعلها دار اقامة للطلاب والأسـاتذة وتوفير كل ما يلزم للباحثين والعلماء والمترجمين ، وهـذا ما أوضحناه فى حـديثنا السـابق .

---

(٢٢٥) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٤٧ ، ٥٧ .

(٢٢٦) فيليب حتى : تاريخ العرب المطول ص ١١٧ ، ١٢٠ .

(٢٢٧) ول ديورانت : قصة الحضارة جـ ٤ ص ٣١٩ .

(٢٢٨) د. احمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ١٨٤ .

**ثالثا ـ هل هناك علاقة بين الرصد المأموني فى دمشق وفى بغداد ؟**

ـ كان قيام الدولة العباسية فاتحة عهد جديد فى تاريخ الاسلام يختلف عن العهد الأموى فقد نقلت العاصمة من دمشق الى بغداد التى بناها ابو جعفر المنصور وصارت ولاية الشام تحتل مرتبة من الدرجة الثانية فى الدولة وكان هذا الانتقال بذاته يعتبر تغييرا شاملا فى سياسة الدولة الاسلامية . فقد زاد اهتمامها بولاياتها الشرقية وقل اهتمامها بالولايات الغربية ، وأولها الشام ومصر والمغرب والأندلس(٢٢٩) .

لا شك ان العرب لم يصلوا بعلم الفلك الى ما وصلوا اليه الا بفضل المراصد ، فقد كانت هذه نادرة جدا قبل النهضة العباسية ، وقد يكون اليونان أول من رصد الكواكب بآلات وقد يكون مرصد الاسكندرية الذى أنشىء فى القرن الثالث عشر الميلادى ، هو أول مرصد كتب عنه ويقال ان الأمويين ابتنوا مرصدا فى دمشق(٢٣٠) . ولكن الثابت أن الخليفة المأمون أول من اشار باستعمال الآلات فى الرصد ، وقد ابتنى مرصدا على « جبل قاسيون »(٢٣١) فى دمشق وفى « الشماسية فى بغداد » وبعد وفاته أنشئت عدة مراصد فى أنحاء مختلفة من البلاد الاسلامية وقد تبع اشتغال العرب فى أوج ازدهار حضارتهم والنهضة التى شملت البلاد العربية الاسلامية على تأسيس العديد من المراصد وتجهيزها بأحسن الأجهزة ، مما دفع الخلفاء والحكام انفسهم الى تمويل هذه المؤسسات ، وان كانت قد جرت العادة على أن الأعيان والأغنياء هم الذين يتبنون مثل هذه المراصد ، ينفقون عليها من مالهم الخاص ويقدمونها هدية لأصدقائهم من العلماء(٢٣٢) . وتقول زيغريد هونكه فى كتابها : « شمس العرب تسطع على الغرب » : بنى العرب المراصد الجوية واشهرها مرصد المأمون فى بغداد ودمشق(٢٣٣) .

اننا نرى أن النزعة العلمية فى الفلك قد لازمت العرب منذ انتشار الاسلام ثم كانت تلك النزعة تقوى مع الأيام ولقد أهاب جرداق حين قال : « والعرب

---

(٢٢٩) د. حسين مؤنس : ( **تاريخ الدولة العربية الاسلامية فى العصور الوسطى** ) ( الكويت ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م ط ٥ ) ص ١٩٦ .

(٢٣٠) رياض باشا : ( **علم الفلك عند العرب** ) مجلة المقتطف ـ بيروت ـ لبنان مجلد ٣٩ ( ١٣٢٩ هـ/١٩١١ م ) ص ١٤٦ .

(٢٣١) جبل مشرف على غوطة دمشق شمالا يقرب علوه على ١٢٠٠ م .

(٢٣٢) محمد رجب السامرائى : علم الفلك عند العرب ص ٨٢ .

(٢٣٣) زيغريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ص ١٣١ .

المسلمون أول من قال بإبطال التنجيم المبنى على الوهم ومالوا لعلم النجوم نحو الحقائق المبنية على الرصد والمشاهدة والاختبار »[٢٣٤] .

وقد انشأ المأمون مرصدا فى الشماسية ببغداد وكان أساس تقدم العرب فى النجوم يرجع الى المراصد التى أقاموها والأجهزة التى ابتكروها ، على أن معظم المعدات الفلكية التى استخدموها مثل الأسطرلاب[٢٣٥] كانت فى الغالب مبنية على النماذج اليونانية ، واجريت حسابات دقيقة فى الفلك ، وعلى فروض تفرض لتقليل ما يرى من الظواهر الفلكية[٢٣٦] .

كان سند بن على يهوديا واسلم على يد المأمون ، وهو منجم فاضل عالم بتسيير النجوم وعمل آلات الارصاد والأسطرلاب وندبه المأمون الى اصلاح آلات الرصد ، وأن يرصد بالشماسية ببغداد[٢٣٧] .

ومن النتائج أن العرب اخذوا يقرنون العلم بالعمل فقد عملوا آلات الرصد ، وانشأوا المراصد فى كثير من البلدان أقدمهما المرصدان اللذان أمر المأمون بانشائهما ، كان احدهما فى الشماسية ببغداد والثانى على جبل قاسيون بدمشق وجهز المرصدان اللذان صنعها الفلكيون واخذوا يرصدون الكواكب ودونوا ملاحظاتهم ومشاهداتهم فكانت دقيقة الى حد ما[٢٣٨] .

واقام المأمون مرصدا لرصد الكواكب فى بغداد وعين نور الدين الطوسى مديرا للمرصد الذى يشرف على متابعة حركات الأقمار والكواكب وزوده بآلات الرصد التى يحتاج اليها ، وكان هذا أول اهتمام العرب بعلم الفلك وباقامة مرصد بغداد ، بدأ سير العرب فى الطريق الايجابى نحو نهضة علم الفلك ،

---

(٢٣٤) المرجع نفسه ص ١٩٥ .

(٢٣٥) الاسطرلاب : هى كلمة يونانية ( الاسطرلابون ) و « اسطر » هو النجم . و « لابون » هى المرآة ، ومن ذلك قيل لعلم النجوم « أسطرونوميا » ومنها ( Astronomy ) . واطلقت هذه الكلمة « اسطرلاب » على عدة آلات فلكية تنحصر فى ثلاثة أنواع رئيسية : بحسب ما اذا كانت تمثل مسقط الكرة السماوية على سطح مستو او مسقط هذا المسقط على خط مستقيم أو الكرة بذاتها بلا اى مسقط ما . ( **دائرة المعارف الاسلامية** ) محمد ثابت الفندى وزملاؤه ، الترجمة العربية ، مجلد ٢ سنة ١٣٥٢ هـ/١٩٣٣ م ، ص ١١٤ .

(٢٣٦) د. عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم عند العرب ص ١٠٨ .

(٢٣٧) د. احمد فؤاد الأهوانى : الكندى فيلسوف العرب ص ٤٨ .

(٢٣٨) ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٦ .

فاجتمع فى ذلك المرصـــد حشد من كبار العلماء ، دابوا على تسجيل أرصاد لمختلف الظواهر الفلكية بصفة مستمرة . وذلك لأول مرة فى تاريخ علم الفلك وكانت تلك الأرصاد تؤخـــذ بطريقة جماعية حتى أصبح من أشق الأمور علينا بالمقارنة بين هذا وذاك الا بالمؤلفات الخاصة لكل منهم أو بالمنصب الذى كان يتولاه . ومن بين فلكيى المـــأمون أبو الطيب سند بن على الذى اشرف على بناء المرصـــد ثم جعله الخليفة رئيسا للفلكيين الذين يقومون بارصادهم تحت ملاحظته . ولمـــا أمر المـــأمون بقياس محيط الأرض سار على رأس مجموعته الى صحراء سنجار بالعراق حيث عانوا مشاق السير على اقـــدامهم اكثر من ستين ميلا لتحقيق ذلك الغرض العلمى ، وينسب المؤرخون الى سند بن على الجـــداول الفلكية ، وان كان المرجح أنها من حساب نخبـــة الفلكيين فى ذلك المرصـــد(٢٣٩) .

وقـــد جمع الخليفة المـــأمون ببغـــداد علماء الفلك وعقـــد لهم مجالس علمية . وعمل فى دار الرصـــد للمـــأمون بالشماسية عـــدة فلكيين منهم : « سند بن على المنجم للمـــأمون » وقـــد امتحن مواقع الكواكب ، ولسند زيج مشهور ظل المنجمون يعملون به الى القرن السابع الهجرى . واشتغل ايضا به « العباس بن ســـعيد الجوهرى » منجم . وحقق مواضـــع بعض الكواكب السيارة . أما « يحيى ابن أبى المنصور المنجم » فقد عمل بالرصد واصلاح آلاته ، وله تصانيف كتاب «الزيج الممتحن» . كما عمل به « أحمد بن محمد بن كثير الفرغانى » وله كتاب « المدخل الى علم هيئة الأفلاك وحركات النجـــوم » . ثم اشتغل أبناء موسى بن شـــاكر الثلاثة فى هـــذا المرصـــــد(٢٤٠) .

وأبنـــاء موسى بن شاكر الذين عاشوا فى القرن التاسع من الميلاد هم من علماء الفلك ايضا ، فقد عنوا بضبط لم يكن معروفا قبلهم هو مبادرة الاعتدالين ، ووضعوا التقاويم لأمكنة النجوم السيارة ، قاسوا عرض بغـــداد سنة ٩٥٩ م وقيدوه ٣٣ درجة و ٢٠ دقيقة اى برقم يصح بعشر(٢٤١) ، وفى « باب الطاق » على نهر دجلة فى بغـــداد أقيم مرصـــد مارس فيه أبناء موسى أعمالهم النافعة والكشف عن مكنونات العـــلوم .

كما اهتم الخليفة المـــأمون برعاية العلمـــاء فتعهد أبناء العالم موسى بن شاكر

---

(٢٣٩) د. امام ابراهيم احمد : تاريخ الفلك عند العرب ص ٢٨ .

(٢٤٠) ابن القفطى : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٢٨ ، ٢٣٠ .

(٢٤١) جوستاف لوبون : حضـارة العرب ص ٤٥٧ .

واولاده فكان موسى بن شاكر عالم الفلك العربى المبدع بدار السلام « بغـداد » فى عهد الخليفة العباسى المـأمون وكان فى قصره مقربا ومكرما وصـديقا حميما له ، بل ومن أقرب المقربين اليه ، ورغم مكوثه بقصر الخليفة ، وهـو الذى كان من أحسن علماء الفلك آنذاك قـد أمضى حياته بالبحث والدرس وعندما حضرت وفاة موسى ابن شاكر ، كان قـد خلف من بعـده ثلاثة من أولاده(٢٤٢) .

ونشأ الأولاد الثلاثة فى بيت كله علم وجـو مشبع بالمناقشات الكثيرة بين العلماء ، وكان يحيى بن أبى منصور يدير « بيت الحكمـة » فى بغـداد ، وترعرع الأبناء الثلاثة فى هـذا الوسط العلمى ، فنبغوا نبوغا ملحوظا(٢٤٣) .

وقـد عظم شأن محمد بن موسى الذى ما كاد ينهى دراسته حتى أمره الخليفة أن يساهم فى قياس حجم الكرة الأرضية فتنقل فى شمال العراق ليقـوم بمـا كلف به ونجح فى مهمته واصبح اشهر رجال عصره فى دقـة أبحاثه الفلكية وقام بحساب شروق وغروب الكواكب حسب الأيام والسنين ، كما تعاون مع أخيه أحمد فى صناعة الآلات الفلكية التى استخدمها لقياس الأجرام السماوية فكانت الآلة التى ابتكرها عبارة عن كرة تتحرك بفعل ما ، ورسمت على الكرة الأجرام والكواكب ، واذا اختفى نجم من النجوم فى السماء يختفى فى الوقت نفسه النجم المرسوم على الكرة عن طريق خط يمثل الأفلاك وعندما يعود النجم فى السماء يظهر النجم على الكرة فـوق خط الأفـق المرسـوم(٢٤٤) .

ومع ذلك فان للبيرونى فضلا كبيرا فى بناء المراصـد العلمية فى بعض المـدن الاسلامية التى ساعدت على أن تكون المراصـد أمكنة للتحقيق العلمى والوصـول الى معلومات فلكية . كما عمل البيرونى على اعادة قياس خط العرض فى عـدة مدن من اقليم خـوارزم باستعمال أجهزة مختلفة الحجوم(٢٤٥) .

وقـد اعترف الأفرنج بأن العرب ، أتقنوا صنعة هـذه الآلات(٢٤٦) وجاء فى

---

(٢٤٢) محمد رجب السامرائى : علم الفلك عند العرب ص ٩٥ .

(٢٤٣) د. عمر فروخ : ( **تاريخ العلوم عند العرب** ) . ( دار العلم للملايين – بيروت – لبنـان ١٩٧٧ م ) ص ٥٨ .

(٢٤٤) محمد الحسينى عبد العزيز : الحياة العلمية فى الدولة الاسلامية ص ٥٨ ، ٦٠ .

(٢٤٥) د. حسين امين : ( **البيرونى عالم ساهم فى تقـدم العلوم** ) مجلة المؤرخ العربى – بغداد – العراق عـ ١ ( ١٩٧٥ م ) ص ١٥ .

(٢٤٦) ارنولد توماس وآخرون : تراث الاسلام ، ترجمة جرجيس فتح الله ص ٣٩٥ .

كتب العرب : « ابا اسحاق ابراهيم بن حبيب الفزارى » من فلكيى المنصور اول من عمل اسطرلابا واول من الف فيه كتابا سماه « العمل بالأسطرلاب المسطح » ويقال ان « ما شاء الله » الف كتابا فى ذلك وفى ذات الحلق .

وجماع القول أن للعرب فضلا كبيرا على الفلك فهم : اولا : نقلوا العلوم الفلكية عند اليونان والفرس والكلدان والسريان وصححوا بعض اغلاطها وتوسعوا فيها ، وهذا عمل جليل جدا اذا عرفنا أن أصول تلك الكتب ضاعت ولم يبق منها غير ترجماتها فى العربية . وهذا طبعا ما جعل الأوروبيين يأخذون هذا العلم عن العرب — أساتذة العلم فيه — . ثانيا : فى اضافاتهم الهامة واكتشافاتهم الجليلة التى تقدمت بالفلك شوطا بعيدا . ثالثا : فى جعلهم علم الفلك استقرائيا وفى عدم وقوفهم عند حد النظريات كما فعل اليونان . رابعا : فى تطهير علم الفلك من أدران التنجيم[٢٤٧] .

وقد أخذ خلفاء بنى العباس منذ اتخاذهم مدينة بغداد التى أقيمت سنة ٧٦٢ م عاصمة لدولتهم ، يحثون على دراسة علم الفلك والرياضيات وعلى ترجمة ما الفه أقليدس وأرشميدس وبطليموس وترجمة كتب اليونان فى تلك العلوم ويستدعون العلماء الذين كانوا على شئ من الشهرة فى بلاطهم . وخاصة محبى العلم أن يجمعوا هذه الكتب فى أماكن خاصة سميت « بيت الحكمة » أو دار الحكمة او خزانة الحكمة[٢٤٨] .

وأدت مدرسة بغداد الفلكية فى زمن هارون الرشيد وفى زمن ابنه الخليفة المأمون على الخصوص أعمالا مهمة وأدمجت مجموعة الأرصاد التى اشتمل أمرها فى المراصد ببغداد فى كتاب « الزيج المصحح » الذى نأسف على ضياعه[٢٤٩] . وبقيت مدرسة بغداد الفلكية مزدهرة لمدة ( سبعة قرون ) كما ادت أعمالا جليلة مهمة وادمجت مجموعة الأرصاد التى تم أمرها فى المراصد ببغداد ودمشق فى كتاب « الزيج المصحح » وقد عين العرب فيه مدة السنة بالضبط .

ووضع فلكيو هذه المدرسة ، عددا من التقاويم لأمكنة الكواكب السيارة ،

---

(٢٤٧) قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ١٣٨ .

(٢٤٨) د. نافع توفيق عبود : ( **من تاريخ الترجمة عند العرب** ) مجلة المؤرخ العربى ع ١٠ ( ١٩٧٩ م ) ص ٢٣ .

(٢٤٩) جوستاف لوبون : حضارة العرب ص ٤٥٦ .

وتمييزهم بالضبط مبادرة الاعتدالين . فقاسوا ( خط نصف النهار ) الذى لم يوفق اليه الأوروبيون الا بعـــد « ألف سنة » !! وهكذا ظلت هـــذه المدرسة منارة للدارســـين ومنهلا عـــذبا للطالبين من بعـــد سنين ، وخلدت كتب التراث هـــذه المدرســـة البغـــدادية . ويجب ان نذكر أن مدرسة القاهرة الفلكية قد نافست مدرسة بغـــداد من حيث العناية بالفلك ، وانشاء المراصـــد ، وقـــد عول العالم ابن يونس المصرى فى ارصاده على أرصاد ( بنى موسى بن شاكر البغـــداديين )(٢٥٠) .

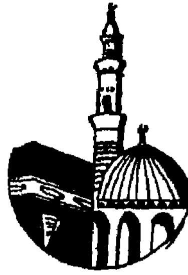
ومن هنا نجـــد أن العلاقة قـــوية بين الرصـــد المـــأمونى فى دمشق وفى بغـــداد ، حرص الخلفاء فى الدولة العباسية(٢٥١) بأن دولتهم دولة اسلامية مهمتهـــا الأولى هى المحافظة على الاسلام والدعوة له والحرص الشديد على القضاء على كل حركة تمس العقيدة الاسلامية ويفتحون أبوابهم للمسلمين من كل جنس . فاضـــفى الازدهار العلمى على عهد الرشيد هالة من المجـــد حتى اعتبره الناس من ازهـــى العصور ، وتوج ابنه المـــأمون تشجيعه للفكر برعايته « دار الحكمة » كجامعة اسلامية عظيمة عمـــل فيها المترجمون على نقـــل ثمار الفكر الى العربية . وقـــد وصفة احـــد المؤرخين هذا الازدهار بقوله : « كانت ايام الرشيد كلها كانها من حسنها اعراس » .

---

(٢٥٠) محمد رجب السامرائى : علم الفلك عند العرب ص ٨٩ .

(٢٥١) د. حسين مؤنس : تاريخ الدولة العربية الاسلامية فى العصور الوسطى ص ١١٧ ، ١٢٧ .

# الباب الرابع



الفصل الأول : بيت الحكمة كمؤسسة علمية وحركة الترجمـة فيهـا .

الفصل الثانى : الحياة العلمية ونشاط الترجمة فى بيت الحكمة .

الفصل الثالث : العـلاقة بين مؤسسة بيت الحكمـة والحكومة والعلماء الذين عملوا فيها .

# الفصل الأول : بيت الحكمة كمؤسسة علمية وحركة الترجمة فيها




أولا :

١ ـ العلوم الاسلامية فى بيت الحكمة ، مثل :

ـ علم الكلام .

ـ علم الفلسفة .

ـ علم الطب .

ـ علم الكيمياء .

ـ علم المنطق .

ـ علم الرياضيات .

ـ علم الفلك والتنجيم .

## أولا ــ العلوم الاسلامية فى بيت الحكمة :

### أولا ــ علم الكلام :

ومن العلوم التى ازدهرت فى بغداد فى العصر العباسى الأول علم الكلام وهو يتضمن الحجاج عن العقائد الايمانية بالأدلة العقلية ، والرد على المبتدعين والمنحرفين فى الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة . وأساس هذه العقائد الايمانية تكمن فى التوحيد ، ويقدم فى برهان عقلى(1).

وكان أهل الحديث يرون أن مناقشات المتكلمين وآراءهم بدعة لأن الايمان عندهم هو الطاعة ، وقد غلا خصوم المتكلمين ، فرموهم بالزندقة ، وقالوا : علماء الكلام زنادقة ، والحق أن مناقشات المتكلمين انعشت الحياة الثقافية فى بغداد ، ولكن ظهرت مشكلة كما سنرى ــ اثارت جدلا كثيرا بين المتكلمين واهل الحديث وهى مسألة القول بخلق القرآن ، هل هو مخلوق أم قديم ؟ ولذلك كانت أهمية المتكلمين فى الرد على أهل البدع والضلالات ، فدونوا الأدلة العقلية دفاعا عن الدين(2) .

لاقى المتكلمون ــ وقواهم المعتزلة ــ معارضة شديدة فى بغداد لأنهم آمنوا بسلطان العقل وتحكيمه فى كل الأمور ، وقد استخدموا ما توصلوا اليه من تقدم علمى خصوصا فى الفلسفة والمنطق فى آرائهم الدينية ، وهاجموا أهل السنة بشدة وضراوة ــ وأثاروا مسائل كثيرة فى الالهيات والطبيعيات والسياسيات ، وكان لهم مقدرة كبيرة على الجدل والاقناع والحوار بمهارة فائقة(3) .

واضعف من شأن المتكلمين فى العصر العباسى الأول فى بغداد معارضة الخلفاء العباسيين الأوائل للاعتزال ، فكان عمرو بن عبيد من أبرز المعتزلة فى عصر المنصور ، يتجنب المنصور ، لأنه يدرك مدى معارضته المعتزلة(4) .

كذلك كره الرشيد المعتزلة فلما أدرك أن الشاعر العتابى من المعتزلة عظم عليه ذلك وأنكره ، ولما أدرك أن الرشيد يعتزم التنكيل به غادر بغداد ، ولم

---

(1) NLCHOLSON : Alitrary History of Persia, p. 337.

(2) أحمد امين : ضحى الاسلام جـ ٣ ص ٨٩ ، ٩٠ .

(3) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٦١ .

(4) ابن قتيبة : عيون الأخبار جـ ٢ ص ٢٣٧ .

يكن للمتكلمين الحرية فى عهد الرشيد فى ابداء آرائهم فقد نهى عن الجدال فى الدين وزج من خالف ذلك فى السجن(٥) .

واستمرت فكرة الاعتزال تلقى التأييد السياسى من الخلفاء العباسيين وخاصة المأمون ، فالمعتزلة قد ارتفع شأنهم وانتعشوا فى عهده لأنه ايد المعتزلة واعتنق مبادئهم وسار المعتصم على نهجه كما أن الواثق كان يؤمن بآراء المعتزلة . ويجمع المؤرخون على أن بشر بن المعتمر مؤسس الاعتزال فى بغداد غضب الرشيد منه فقال : بلغنى أن بشرا يقول : القرآن مخلوق ، « والله ان أظفرنى الله به لأقتلنه » فقام بشر متواريا أيام الرشيد(٦) .

وقد تتلمذ عليه كثيرون مثل ابى موسى المردار وثمامة بن الأشرس واحمد بن ابى داوود وكانت له صلات قوية بالمأمون(٧) . وأما أبو موسى فيرجع اليه الفضل فى انتشار الاعتزال فى بغداد ، ومن اشهر المتكلمين فى بغداد أبو الهذيل العلاف ، يرجع اليه الفضل فى ادخال الفلسفة على مبادىء المتكلمين ، كان واسع الاطلاع فصيح القول قوى البيان ، يستشهد بالشعر العربى فى مناظراته ، درس الفلسفة اليونانية واستفاد منها فى مناقشاته وابداء آرائه وقد جادل الزنادقة والمجوس وضعاف العقيدة وبلغ من قوة اقناعه وتأثيره أن أسلم على يديه ثلاثة آلاف رجل(٨) .

كما أن أحمد بن يحيى الراوندى ، كان من الفضلاء فى عصره ، وله عدة كتب فى علم الكلام تزيد على المائة ، وقد انفرد بآراء نقلها عنه أهل الكلام فى كتبهم(٩) .

وكان النظام واسع الأفق ، متعدد الثقافات قوى الحجة ، مقنعا قوى التأثير ، تتلمذ على أبى هذيل العلاف الذى لعب دورا كبيرا فى مناهضة البدع والخرافات التى تفشت بين الناس فى بغداد ، اتبع الأسلوب العلمى فى اثبات صحة آرائه ، ودافع عن الاسلام بالمنطق والبرهان القاطع وأظهر للملحدين والخارجين

---

(٥) الجهشيارى ، محمد بن عبدوس : ( **الوزراء والكتاب** ) . ( مطبعة البابى الحلبى - مصر ١٩٣٨ م ) ص ٢٩٠

(٦) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٦١ ، ٢٦٢ .

(٧) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ج ٧ ص ١٧٧ .

(٨) ديبور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ٥٧ .

(٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٧٨ .

على الدين خطأ اتجاهاتهم بالأدلة المقنعة . فالنظام استاذ الجاحظ وقد شابه استاذه في اعتماده على النقل وسعة اطلاعه ودراسته للفكر اليونانى وسعة ثقافته[١٠] .

وكان علم الكلام هذا ارهاصا للفلسفة ، وأهم فرق بين علم الكلام والفلسفة ان المتكلم يؤمن أولا بدينه ثم يتلمس الدلائل والبراهين الفلسفية لتقويته والدفاع عنه ، والرد على مخالفيه ، اما الفيلسوف : فيدخل في هذه المسائل مجردا عن كل اعتبار وهو طوع الدليل حيثما يكن ، وكان طبيعيا أيضا أن تكون الكراهية سائدة بين المتكلمين والفلاسفة كما فعل الجاحظ مع الكندى الفيلسوف[١١] .

وكان المعتزلة من أشد الطوائف الاسلامية دفاعا عن الدين وتحمسا له ، لذلك فانهم لما وجدوا اليهود والنصارى يدمجون الدين والفلسفة ويتخذون منها سلاحا قويا للدفاع عن ديانتهم ووجدوا أنهم لا يستطيعون مجاراتهم في ذلك المضمار الا اذا تسلحوا بسلاحهم ، فأقبلوا على درس الفلسفة[١٢] وتعمقها حتى يتوفر لهم ذلك السلاح الذى يستطيعون به دعم آرائهم وتجلية افكارهم . يقول المقريزى : ان المأمون قد بعث الى بلاد الروم من عرب له كتب الفلاسفة فتلقاها المعتزلة واقبلوا على تصفحها والنظر فيها فاشتد ساعدهم بها[١٣] .

ومن هنا ايضا كان المعتزلة هم أول مدرسة فكرية في الاسلام وضحت في آرائهم ومناهج تفكيرهم الملامح الأصيلة للفلسفة اليونانية[١٤] . فقد جاء في تاريخ بغداد : أن بشر المريسى ، وهو أحد كبار المعتزلة الداعين الى القول بخلق القرآن كان أبوه يهوديا صباغا في الكوفة[١٥] . ولكن لم يكد المأمون يلى الخلافة حتى كادوا « المعتزلة » يستأثرون دونه بالسلطان ، فلقد أحبهم المأمون حبا عميقا ووثق في آرائهم ومبادئهم ثقة جعلته يستن القوانين ضد من لا يؤمن بها فلقد أنشأ مجلسا قضائيا لكى يحصل على موافقة رجال الدين والقضاء وأئمة القانون على القول بخلق القرآن ومن كان يعارض ذلك يجلد ويهدد بالسيف[١٦] .

---

(١٠) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

(١١) أحمد أمين : ظهر الاسلام جـ ٢ ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

(١٢) CIBB, H. ( Muhammedanism ) p. 29 ( Oxford, 1949 ).

(١٣) المقريزى : الخطط جـ ٤ ص ١٨٣ .

(١٤) د. عبد الحكيم بلبع : أدب المعتزلة في القرن الرابع الهجرى ص ١٠٣ .

(١٥) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ ٧ ص ٦١ .

(١٦) NILCHOLSON : A litrary History of the Arabs.

لقد انتصر المأمون لآراء المعتزلة ايما انتصار ، وتشدد فى التمسك بها وحمل الناس عليهم الى حد التعسف والاضطهاد والتهديد بالسيف كما سبق . وقد أثبت الطبرى كتابا وجهه المأمون الى رئيس شرطته ببغداد يأمره بأن يمتحن الفقهاء ، وأهل الحديث فى خلق القرآن . وقد تضمن هذا الكتاب دفاع المأمون عن هذه القضية ، وأن الخليفة وحده له حق الاجتهاد فى اقامة دين الله وأن العامة والرعية أهل جهالة وعمى عن حقيقة الدين[17] .

ولقد كان المأمون محبا للحكمة شغوفا بالعلم والفلسفة فرعى دار الحكمة كمؤسسة علمية وحشد اليها الكثير من مختلف الكتب فى الفلسفة والمنطق والطب وغيرها[18] .

وشجع حركات الترجمة تشجيعا جعل عصره أزهى عصورها لذلك لم يكن غريبا أن يقبل المأمون على تعاليم المعتزلة ، وأن يروج لها ويدعو اليها وهو الذى شغف بالعلم ومجد حرية العقل[19] .

وعلى هذا النحو أصبح العقل العربى فى العصر العباسى الأول عقلا متفلسفا كما أصبح عقلا علميا . لا من حيث فهمه وفقهه علوم الأوائل بل أيضا من حيث اسهامه فيها باضافاته الجديدة حتى ليضيف علوما لأول مرة فى تاريخ الحضارة الانسانية على نحو ما أضاف الخوارزمى علم الجبر وكان هذا العقل قد أظهر نضجه العلمى وأحكامه لوضع العلوم منذ القرن الثانى للهجرة[20] ، ولعل علما لم يزدهر فى هذا العصر كعلم الكلام .

ويراد بالكلام الجدل الدينى فى الأصول العقيدية لا عند المسلمين وحدهم ، بل عند جميع الملل والنحل ، ومن أجل ذلك نرى الوصف بالمتكلم يضاف الى بعض الرافضة مثل هشام بن الحكم وشيطان الطاق[21] . بل نراهم يضيفونه الى أهل

---

(١٧) الطبرى ، ابو جعفر محمد بن جرير : ( **تاريخ الرسل والملوك** ) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ( طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٠ م ، ١٩٦٣ م ، وطبعة الحسينية ـ القاهرة ١٣٢٦ هـ ) ج ١٠ ص ٢٨٢ .

(١٨) المقريزى : الخطط ج ٤ ص ١٨٣ .

(١٩) د. عبد الحكيم بلبع : أدب المعتزلة ص ١٥٤ .

(٢٠) د. شوقى ضيف : العصر العباسى الأول ص ١٣٢ .

(٢١) ابن النديم : الفهرست ص ٢٠ .

الحجاج من المسلمين(٢٢) . بل لقد اضافوه الى اهل الجدل من المنائية والثنوية والقائلين بالهى النور والظلمة الذين يحامون ويناضلون عن عقيدتهم الفاسدة(٢٣) .

وقد مضى كل متكلم مدافع عن عقيدة هذا العصر يتسلح فى دفاعه بالفلسفة اليونانية وما يتصل بها من منطق وغير منطق حتى ليقول الجاحظ « ولا يكون المتكلم جامعا لأفكار الكلام متمكنا فى الصناعة حتى يكون الذى يحسن من الكلام الدين فى وزن الذى يحسن من كلام الفلسفة »(٢٤) .

وكانت هناك قضايا عدة اختلفت فيها آراء علماء الكلام ، ومن أهم هذه القضايا ، قدم العالم وحدوثه ، وذات الله وصفاته ، ورؤية الله يوم القيامة ، والجبر والقدر ، وخلق القرآن ، وتعتبر قضية خلق القرآن من أعقد القضايا التى أثارت نقاشا عنيفا بين علماء الكلام ، واضطهد بسببها عدد من أهل السنة من أمثال الامام « أحمد بن حنبل » الذى رفض أن يقول بخلق القرآن(٢٥) ، ودخل السجن بسبب ذلك .

وصفوة القول : ان مدرسة المعتزلة تمثل فى الفكر الاسلامى الطبقة المثقفة الواعية المدافعة عن الاسلام ، فقد كان منها علماء الكلام المتبحرون وأدباء نبهاء وائمة فى النحو وأعلام فى التفسير ويهمنا هنا بخاصة مفسرو المعتزلة الذين أسهموا فى خدمة القرآن والذين تشير مؤلفاتهم الى الثروة الفكرية الضخمة الضائعة على هذا النشاط العقلى الذى أوتيته مدرسة الاعتزال فواصل بن عطاء له من التصانيف معانى القرآن(٢٦) .

ولا شك أن حركة المعتزلة الفكرية أحدثت أثرا كبيرا فى التفكير الاسلامى بخاصة وفى الفكر الانسانى بعامة لما أتت به من أفكار وآراء تستند الى العقل وتفسر الحوادث والظواهر والأفعال الانسانية بالروح العلمية وبالأسلوب المنطقى

---

(٢٢) الجاحظ : ( **ثلاث رسائل** ) **وتسمى** ( رسائل الجاحظ ) . ( باعتناء فنكل ، القاهرة ١٣٤٤ هـ ) ص ٥٠ .

(٢٣) ابن النديم : الفهرست ص ٣٣٨ .

(٢٤) الجاحظ : الحيوان ج ١ ص ١٣٤ .

(٢٥) د. عمر فروخ : ( **تاريخ الفكر العربى الى ايام ابن خلدون** ) . ( المكتب التجارى ، بيروت - لبنان ط ٢ . ١٩٦٢ م ) ص ٢٠٢ .

(٢٦) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ج ١٩ ص ٢٤٧ .

المعتمد على قـوة الحجة والاقناع وكان ذلك عاملا مهما فى نشر الأفكار الحرة[٢٧] وعملت على ازدهار الحركة العلمية .

كما تعـد حركة المعتزلة من أهم الحركات الدينية التى ظهرت فى العـالم الاسلامى ، وقـد ازدهرت هـذه الحركة فى عصر المـأمون العباسى الذى وافـق المعتزلة فى القـول بخلق القرآن ، واستخدم نفـوذه فى اقرار هـذه العقيدة فى أذهان الناس[٢٨] وهى مشكلة خلق القرآن ، تلك المشكلة التى شغلت المـأمون أكثر ممـا شغلت المتكلمين وعنى بها المـأمون نفسه كما عنى بها المسلمون ووقف يناصب العـداء كل من خالفه ويسومه سوء العـذاب[٢٩] .

وعلى الرغم من الفتن والثورات التى ملأت عهد المـأمون فان عصره يعتبر من ازهى عصور الدولة العباسية من الناحية العلمية فقـد اهتم بالمسائل العلميـة والفلسفية ، وشـجع النهضة الفكرية ونشر العلوم ، فزود دار الحكمة بمختلف أنواع الكتب من الهند وبلاد الروم والفرس حتى أصبحت بيت الحكمة أشبه بجامعة علمية تضم دارا للكتب يجتمع فيها شيوخ العصر للترجمة والتأليف والتحصيل ، كما خصص فيها مواضع للنساخين[٣٠] . فأصبحت بيت الحكمة مؤسسة علمية وحركة الترجمة فيها تسير على قدم وساق ، كما كان علم الكلام احد العلوم الاسلامية فيها .

---

(٢٧) د. حسين امين : ( **كتاب المستنصرية** ) مجـلة المؤرخ العربى - بغـداد - العراق عـ ٤ ( ١٩٧٧ م ) ص ١١ .

(٢٨) د. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ج ٢ ص ٢١٣ .

(٢٩) الشيخ محمد الخضرى : تاريخ الأمم الاسلامية - الدولة العباسية : ص ٢١٠ ، ٢١٥ .

(٣٠) د. عبد العزيز سالم : ( **دراسات فى تاريخ العرب - العصر العباسى الأول** ) . ( مؤسسة الشباب - جامعة الاسكندرية ، بدون ) ج ٣ ص ٩٠ .

**ثانيا ــ علــم المنطــق :**

المنطق مشتق من النطق ، وهــذه اللفظة تقال عند القــدماء على ثلاثة معان : أحــدها القــول الخارج للصوت والثانى القــول المركوز فى النفس والثالث القــوة النفسانية فى الانسان التى بها يميز التمييز الخاص بالانسان دون ســواه من الحيوان وهى التى بها يحصل للانسان بالمعتقدات[٣١] . وأن المنطق يعطى قوانين فى المنطق بأنواعــه الثلاثة المذكورة .

يقول ابن خلدون[٣٢] : العلوم الطبيعية لازمة للانسان من حيث أنه ذو فكر ، هــذه العلوم عند العرب علوم الفلسفة والحكمة وهى مشتملة على أربعة علوم : الأول علم المنطق ، وهــو علم يعصم الذهن عن الخطأ فى اقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة بالمعلومات وفائدته تمييز الخطــأ من الصواب فيما يلتمسه الناظر فى الموجـــودات ليقف على تحقيق الحـــق فى الكائنــات بفكره الحر ، ثم النظــر بعــد ذلك اما فى المحسوسات من الأجسام العنصرية المكونة عنها من المعدن والنبات والحيوان والأجسام الفلكية والحركات الطبيعية والنفس التى انبعثت عنها الحركات ويسمى هــذا الفن بالعلم الطبيعى ، والعــلم الالهى هــو علم ما وراء الطبيعة ، والعلم الرابع هــو الناظر فى المقابير ، ويشتمل على علم الهندسة وعلم الموسيقى وعلم الهيئــة .

وللرازى كتب اخرى فى المنطق والفلك والرياضيات نذكر بعضها من التى وردت فى كتاب طبقات الأطباء وغيره من كتب التاريخ . وكتاب المدخل فى المنطق[٣٣] . وهكذا انبثقت العلوم اليونانية ، ولا سيما منطق أرسطو وانتشرت فى بلدان الشرقين الأدنى والأوســط على يد السريان ســواء فى ديارهم أو حواضرهم ، فازدهرت انطاكية ومن بعــدها حران . وكانت حران حسب رأى مايرهوف « مركزا مهما للثقافة اليونانية فى المناطق التى يتكلم أهلهــا الارامية الشرقية . وكانت الى جانب هــذا نقطة مهمة للتبادل والاقتصاد ــ حتى أن آخر الخلفاء الأمويين مروان الثانى نقل الخلافة وأحيانا فى أثناء خــلافته الى هــذه المدينة »[٣٤] .

---

(٣١) أبو نصر الفارابى : ( احصاء العلوم ) تحقيق د. عثمان امين ( القاهرة ١٩٤٩ م ) ص ٦٢ .

(٣٢) ابن خلــدون : المقــدمة ص ٥٦٦ .

(٣٣) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ٩٢ .

(٣٤) ماكس مايرهوف : ( التراث اليــونانى فى الحضــارة الاسلامية ) ترجمة د. عبد الرحمن بدوى ، ( مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٤٠ م ) ص ٧٠ .

وكان لمدرسة جنديسابور القريبة من البصرة أهمية كبيرة ، اذ كانت تدرس فيها الثقافة اليونانية الى جانب الثقافات الفارسية والسريانية والهندية . وقد استردت فى هذه الحقبة شهرتها القديمة بفضل نشاط أسرة بختيشوع(٣٥) .

وفى أوائل القرن الثالث — عندما انتقل الجاحظ من البصرة الى بغداد — نرى يوحنا بن ماسويه يهاجر من جنديسابور الى بغداد ، حيث جعله المأمون رئيسا لبيت الحكمة وقد تتلمذ عليه حنين بن اسحاق(٣٦) .

ونستطيع أن نتصور قليلا كيف وصلت العلوم اليونانية ، ولا سيما المنطق منها الى الأوساط الاسلامية فى أواخر العصر الأموى وأوائل العصر العباسى أى الفترة التى نشأ فيها علم الكلام بمعناه الدقيق على يد المعتزلة . فكان هناك طريقان : الطريق الرئيسى يمر بجنوب فارس وأما الثانى الذى يمر بدمشق والكوفة وربما بالبصرة أيضا فلا نعرف عنه الا اشارات طفيفة(٣٧) .

وفى العصر العباسى رأينا مظهرا آخر — رأينا العلوم الدينية تفيض فيضا فى المملكة الاسلامية فتترجم الفلسفة اليونانية بجميع فروعها من طب ومنطق وطبيعة وكيمياء ونجوم ورياضة ، وتترجم الرياضة الهندية ، والتنجيم الهندى ، ويترجم تاريخ الأمم من فرس ورومان ويونان وغيرهم(٣٨) .

فتحولت الدعوة الدينية الى علم الكلام ، وتأثر تفسير القرآن وتفسير الحديث والتشريع بهذا الأثر الفلسفى ، ورأينا العلماء يجتهدون فى شرح كل ما يعرض لهم من ذلك بعلل عقلية وعبارات منطقية ، واذا كان هذا فى العلوم الدينية فالأمر فى العلوم الأخرى أشد وضوحا ، فالطب والرياضة والهيئة وغيرها اعتمدت كل الاعتماد على التجارب وأقوال العلماء وبراهين المنطق وهذه على العموم ظاهرة جديدة فى العصر العباسى وان كانت النتيجة طبيعية لحياة الناس وسيرهم العقلى . فقد ميزت العلوم فى هذا العصر وجمعت مسائل كل علم على حدة ، بل وضعت المسائل المتشابهة تحت باب واحد(٣٩) .

---

(٣٥) الأب فكتور شلحت اليسوعى : ( **النزعة الكلامية فى اسلوب الجاحظ** ) ( دار المعارف بمصر ١٩٦٤ م ) ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٣٦) المرجع نفسه ص ٥٧ .

(٣٧) اميرهوف : التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية ص ٦١ .

(٣٨) أحمد أمين : ضحى الاسلام : ج ٢ ص ٨ .

(٣٩) المصدر نفسه ص ٩ .

اهتم المـأمون بالأدب والفلسفة والعلوم وحقا ما قيـل من ان كل الحركات العقلية التى قامت فى الامصار الاسلامية يمكن أن ننسبها الى عصر المـأمون . ولما كانت أم المـأمون فارسية ، فقـد كان المـأمون ميالا بالطبع الى الثقافـة والحضارة الفارسية وظهر هـذا الميل بوضـوح خـلال اقامتـه فى مرو فى الفترة الأولى من خلافته(٤٠) . فقد عمل على حفظ تراث الثقافة والحضارة الفارسية .

وقـد أدت الاكتشافات العلمية والآراء الفلسفية الى حرية الرأى والفكر الى جانب تشجيع الخلفاء ، ولكن هـذه الآراء الفلسفية جعلت علماء الدين من أجـل ان يسايروا حاجات العصر يصقلون أسلحتهم ، فيحـدثنا ابن خلـدون أن الغزالى وفخر الدين الرازى كانا أول من استخدم المنطق فى المناقشات الدينية . ورغم أنه درس كتب ابن سينا الا أن شهرته فاقت شهرة أستاذه ويعتبر كتاب ( احياء علوم الدين ) أعظم كتبه قيمة ، وهـو يشبه ديكارت فى منهج الدراسة(٤١) .

ولا شـك أن المـأمون بفضل همته الشريفة وقـوة نفسه الفاضلة وايمـانه بحرية الفكر ، وميله الى مذهب المعتزلة كان وراء ترجمة الفلسفة والمنطق وهـذا راجـع الى اجلاله للحكماء ورغبته فى الاطلاع على آثارهم وقـد سلك الأثرياء مسلك المـأمون ، فاقبلوا على طلب الكتب وترجمتها ومن هؤلاء بنو موسى بن شاكر(٤٢) .

يقول ابن صاعـد : ان أول علم اعتنى به من علوم الفلسفة : المنطق والنجوم فأما المنطـق فأول من اشتهر به عبـد الله بن المقفع الخطيب الفـارسى فانه ترجم كتب أرسطوطاليس المنطقية الثلاثة التى فى صورة المنطق ، وهى كتاب فاطاغورياس وكتاب « بارى أرمنياس » وكتاب « تولوطيقا » وذكر أنه لم يترجم منه الى وقتـه الا الكتاب الأول وترجم ذلك المدخل الى كتاب المنطـق المعروف « بايساغـوجى » «لفرفوريوس الصورى » . وتميز عمـا ترجم من ذلك بعبارة سهلة قريبة المـأخـذ وترجم مـع ذلك الكتـاب الهندى المعروف « كليلة ودمنة » وهـو أول ما ترجم من الفارسية الى العربية(٤٣) .

---

(٤٠) المسعودى : مروج الذهب ج ٨ ص ٣٠٠ ، ٣٠١ .

(٤١) صلاح الدين خودابخش : حضارة الاسلام ص ١٣٧ .

(٤٢) د. التسحات السيد زغلول : ( الانجاهات الفكرية فى التفسير ) ( الهيئـة المصرية العـامة للكتاب - فرع الاسكندرية ١٣٩٥ هـ/١٩٧٥ م ) ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٤٣) ابن صاعـد الأندلسى : طبقـات الأمم ص ٥١ .

ان حركة النقـــل والترجمة هى تلك الحركة التى حببت الى المـــأمون الفلسفة ووجهت عنايته الى المنطق وبعثت فى نفسه حب أرسطاطاليس حتى أصبح موضـــع تفكيره فى يقظته ونومه[٤٤] . وهكذا كان المنطق من العلوم الاسلامية التى كان لهـــا مكانتها فى بيت الحكمة .

---

(٤٤) د. أحمد فريد رفاعى : عصر المـأمون ص ٣٩٨ .

**ثالثا ـــ علـــم الفلســـفة :**

لم تكن الثورة العباسية ثورة سياسية غيرت مفاهيم الحكم ووسائله فحسب بل كانت ثورة اجتماعية وفكرية أيضا لمـــا أعقبها من تغيرات جـــذرية فى المفـــاهيم الاجتماعية ونشاط حركة الترجمة والتأليف والابداع الفكرى فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى . ومن نتائج حركة النشاط العقلى هـــذه تبلورت المذاهب الفكرية الفلسفية السياسية وغير السياسية . فكان هناك من الصف الأول أهـــل السنة وأصحاب الحـــديث والشيعة العلوية والخوارج ، ومن الصف الثانى المعتزلة والمرجئة والشعوبية والدهرية والزنادقـــة وغيرهم . فكانت حلقات المناظرة والمجالس الكلامية والمناقشات فى المسجد والبيت والحلقة هى الظواهر البارزة فى تلك الفترة التى ولـــع بها العامة من الناس قبـــل الخاصة وجـــدوا الى الاستمتاع بمـــا يدور فيها من حـــوار عقلى وأدبى(٤٥) .

لقـــد ساد العصر العباسى عقلية جـــديدة متفتحة جعلته من أخصب العصور الفكرية فى تاريخ الحضارة الانسانية ولعـــل مرجع هـــذه الحياة العقلية النشيطة يعـــود الى حقيقة كون الدولة الجـــديدة العباسية نتاج اقليمين من أخصب أقاليم الدولة العباسية حضارة هما خراسان والعراق حيث التقت حضارات قديمة وحديثة مختلفة وتفاعلت فأنتجت صراعا فكريا حادا كان لـــــه أكبر الأثر فى تكوين العقليـــة الحضـــارية المرنة(٤٦) .

وكان للفلسفة شأن عظيم فى العصر العباسى ، فاشتغل بها أكثر الذين عنوا بعلوم القـــدماء ولا سيما الأطبـــاء منهم . وكان الفلاســـفة فى هـــذا العصر متهمين بالالحـــاد والتعطيل فكان الانتساب الى الفلسفة مرادفـــا للانتساب الى الـــكفر ، وشاعت النقمة على الخليفة المـــأمون ، لأنه كان السبب فى نقـــل الفلسفة الى اللغة العربية ، حتى قال فيه ابن تيمية : « ما أظن الله بغافل عن المـــأمون ، ولابد أن يعاقبه على ما أدخله على هـــذه الأمة » .

ان الثورة العباسية التى جاءت بهـــذه التغييرات الجـــذرية كانت قبـــل كل شيء نصرا للاسلام والداعين الى الاصلاح الدينى . ومن هنا نشأت العلوم الاسلامية فى هـــذه الفترة جنبا الى جنب مـــع العلوم الأجنبية . فالعلماء العباسيون هم الذين

---

(٤٥) د. فاروق عمر : العباسيون الأوائل جـ ٢ ص ١٣٣ .

(٤٦) المرجـــع نفســـه ص ١٣٣ .

وضعوا المصادر الأساسية والمؤلفات الممتازة فى الدراسات القرآنية والفقه وعلم الكلام وقواعد اللغة والمعاجم والبلاغة والأدب من جهة ، وفى الفلسفة والعلوم والطب والجغرافيا ، وعلم الفلك والموسيقى من جهة اخرى(٤٧) . فكان لانفتاح أبواب العلم الاسلامى على الفلسفة وقع بعيد المدى على حياته الفكرية والثقافية فى القرن الثالث الهجرى فهو أولا قد ولد حافزا الى تأنيس المفاهيم الاسلامية والعربية للانسان ، وعلاقته بالخالق والكون عن طريق التوفيق بين مفاهيم الخير والشر فى الاسلام .

فالحياة الثقافية وليدة وعى ويقظة ، وثمرة انطلاق وحرية ، ان الاسلام بعث فى العالم العربى وعيا يقظا خلاقا وأسبغ عليه نعمة شاملة وحرية كاملة ، فتفجرت فيه عبقريات واستطاعت أن تقيم حضارة لها شأنها بين الحضارات الانسانية الكبرى ، يتنافش العرب والمسلمون جميعا فى ميدان الثقافة ، فأنجزوا وانتجوا نواحى شتى فى الأدب والفن ، وفى العمران والحضارة ، وفى العلم والفلسفة واسترعى انتاجهم الأنظار وبهروا أوربا فى العصور الوسطى واخذت تنهل من حياضه ومجاليه . ولم يبق اليوم شك فى ان العلم والفلسفة لدى اللاتين مدينان للعلم والفلسفة عند العرب(٤٨) .

وكان يميز الحياة الفكرية فى القرن الرابع الهجرى الذى عاش فيه المتنبى شيوع الفلسفة وازدهارها ، فاتبعت الفلسفة وأكثر العلوم العقلية منذ هذا العصر منهجا علميا وصار لها اسلوب مذهبى خاص وقد مشى معها علم الكلام ، وأقبل عليها المتأدبون(٤٩) .

ونحن نعلم أن فلسفة المسلمين انما نبعت من فلسفة الاغريق وخاصة المنطق بما نقل الى العربية منذ عصر المأمون من آثار اليونان ، فتفهم علماء الاسلام هذه الفلسفة حتى عرفوها واتقنوها فأخذوا يعلقون عليها ويحققون فيها وينشئون لهم فلسفة خاصة تتفق مع المنقول الاسلامى من آثار السلف وأعمال الخلف بما يساير المعقول الجديد(٥٠) .

---

(٤٧) جون س. بادو وآخرون : عبقرية الحضارة العربية ينبوع النهضة ص ٣٨ ، ٦٩ .

(٤٨) المرجع السابق ص ٢٢٧ .

(٤٩) د. زكى المحاسنى : ( **المتنبى ، من نوابغ الفكر العرقى** ) ( دار المعارف بمصر ١٩٧١ م ) ط ٤ ص ١٧ .

(٥٠) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٣ ص ١٦٠ .

وان تأثر الاعتزال بالفلسفة اليونانية كان أظهر فى مدرسة بغـــداد من مدرسة البصرة لقـــوة حركة الترجمة فى بغـــداد ، لأن بلاط الخلفاء كان ملتقى رؤســـاء المسلمين برؤساء المفكرين من أهـــل الديانات الأخرى فنرى ثمامة بن الأشرس يقرر أن العالم نشأ عن طبيعة الله وقـــد كانت الحياة العلمية فى هـــذا العصر العباسى الثانى مزدهرة نامية اذ كانت الامارات الاسلامية تتبارى فى تجميل مواطنها بالعلمـــاء والأدباء وتتفاخر بهم(٥١) .

فكان العقليـــون يعظون فى المساجد ويحاضرون فى الكليات والمدارس ويقومون على تربية الشباب وتهـــذيبه كما كانوا أكبر مستشارى الخلفاء ولا ينكر أنهم نصحوا بحكمة وعملوا على رفـــع شأن الأمة العربية بوصفهم أساتذة ووعاظا وعلماء وأطباء ووزراء وولاة(٥٢) .

ففى عهد المـــأمون بدأ أبو يوسف يعقوب الكندى ، فيلسوف العرب نشاطه الفكرى ولم يقف عند التعريف بالفلسفة الأرسطوطاليسية والأفلاطـــونية عن طريق الترجمة والاقتباس ، بل عـــدا ذلك الى دراسات فى التاريخ الطبيعى وعلم الظواهر الجـــوية(٥٣) .

وذاع صيته فى عهد المـــأمون والمعتصم ، لتعـــدد مواهبه وسعة علمه ، اذ الف فى الفلسفة والرياضيات والفلك والطب والسياسة والموسيقى ... الخ وكان ملمـــا بلغة اليونان والفرس والهنود متبحرا فى العلوم والفلسفة واختاره المـــأمون لترجمة كتب أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان(٥٤) .

فالكندى أول من احتذى حـــذو « أرسطوطاليس » كان ملمـــا بحكمة الهنود فسر كثيرا من كتب الفلسفة ووضـــع بعض النظريات الفلسفية فى قالب مفهوم ، حتى أن كتبه فى المنطق وغيره لقيت اقبالا عظيما . « ولـــه رسائل ومؤلفات فى علوم شتى نفقت عند الناس نفاقا عجبا ، وأقبلوا عليها اقبالا مدهشا »(٥٥) .

---

(٥١) احمد امين : ظهر الاســلام جـ ٢ ص ٢ .

(٥٢) سيد أمير على : روح الاســلام جـ ٢ ص ٣١ .

(٥٣) ابن قتيبة : المعـــارف ص ١٠ .

(٥٤) سيد أمير على : روح الاسـلام جـ ٢ ص ٣١٣ .

(٥٥) أبو حيان التوحيدى : ( **المقابسات** ) ، تحقيق ونشر حسن السندوبى « من مقـــدمة » ( القاهرة – المكتبة التجارية ١٩٢٩ م ) ص ٥٨ .

واشتغل الكندى فى « الفلسفة » ولـــه فيها تصانيف ومؤلفــات جعــلته من المقــدمين ويعتبرها المؤرخون نقطة تحــول فى تاريخ العرب العلمى والفلسفى ، اذ كانت فى عهده وقفا على غير المســلمين والعرب ويعــترف الأقــدمون بأثره فى الفلسفة وفضــله عليها(٥٦) .

وقــد حاول الكندى التوفيق بين الفلسفة والدين ، وقال ان الفلسفة علم الحق والدين ، وفى رأيه أن الذى يتنكر للفلسفة انمــا يتنكر للحقيقة وهــو من ثم كافر . ورأيه فى حدوث العالم يختلف عن رأى أرسطو وهو فى ذلك يتبع تعاليم الدين الاسلامى ويجارى آراء المتكلمين فى عصره ، وبرهان الكندى قــائم على معنى الزمان والحركة فهو يثبت أن كل ما فى العالم متحرك والحركة هى تبدل الأحوال .

وان كان الكندى قــد أثر تأثيرا كبيرا فى الحيــاة العقلية الاسلامية ، فقــد كان هــذا العالم معلما ومؤلفا بلغ من الشهرة حــدا بعيدا .وكان تأثيره الكبير عن طريق مؤلفاته القيمة فى علوم الرياضيات وأحكام النجوم والجغرافيا والطب . وكان من أنبغ طلابه بن محمد الطيب السرخسى ( ت ٢٨٦ هـ/٨٩٩ م ) وقــد نبغ السرخسى فى الكيمياء واجتهد فى حكمة الخالق وقــدرته فى عجائب مخلوقاته واشتغل بدراسة التاريخ والجغرافيا(٥٧) .

والكندى عقــل من العقليات الاسلامية الفــذة التى عملت على تحفيز المسلمين للأخــذ بعــلوم الأوائل والتعرف على أفكارهم وآرائهم وقــد قام بتقــديم آرائه وأفكاره الفلسفية التى بنــاها على أساس علمى ومنطقى وخلف تراثا حيــا تفخر به المكتبة العربية كما تظهر بوضوح نضوج العقلية العربية والاسلامية(٥٨) .

ويتضح هــذا بمقارنة العصر العباسى الأول بالثانى ففى الأول كان الفــكر نشيطا يوم كانت الحرية مكفولة ، وفى الثــانى مال الى الركود بعــد أن اشــتدت السلفية على اهــل العلم ومنعوا من الاشتغال بالعلوم العقلية والفلسفة(٥٩) .

---

(٥٦) قــدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الفلك والرياضيات ص ١٩٧٠ .

(٥٧) د. حسين أمين : الفلاسفة المسلمون الأوائل وأثرهم فى التراث الفكرى مجلة المؤرخ العربى ـ بغــداد ـ العراق عــ ٩ ص ١٤ .

(٥٨) د. محمد الهاشمى : ( **الفكر العربى وجــذوره وثماره** ) . ( مكتبة الفــلاح ـ الكويت ـ ١٩٧٨ م ) ص ١٣٩ .

(٥٩) المرجــع نفســه ص ١٣٩ .

وهنا يعلل الأستاذ المؤلف لمـاذا توفرت الحرية فى العصر العباسى الأول ولم تتوفر فى العصر العباسى الثانى منه ؟ ويعلل ذلك بأن المجتمع العربى آنذاك كان يعتمل فى داخله تياران رئيسيان متباينان أو كما سماهما الدكتور محمـد الهاشمى فى كتابه « الفكر العربى جـذوره وثماره » فريقين « فريق انحـدر من بيئة صحراوية قاسية تميزت بشح الموارد وصعوبة العيش الى حـد يعجز معه الفرد مهما بذل من جهـد فى تأمين حاجاته الضرورية »(٦٠) . وبذلك استولى عليـه اليأس وفقـد ثقته بنفسه واستسلم للقضاء والقـدر ، وعاش عيشة راكدة ، محافظا « يأبى التطور والتحرر ، ويرى فيها بدعـة وضـلالة » وفريق آخر له جـذور عريقة فى الحضارة عاش فى بيئة غنية بالموارد فعمل وأنتج وأفاد من عمله وانتاجه .. وبذلك نشـأ نشأة مستقلة يعتمد على ذاته ويثق بقـدراته وعقله الخلاق ويرى فيهما مادة الحياة والوسيلة المؤدية الى التغيير والتطـوير .. ، هـذان الفريقان اللذان كانا القـوة الدافعة فى ذلك العصر كانا فى صراع دائم(٦١) .

يقـول الفارابى الفيلسوف : « ان أخص الخبرات بالانسان هـو عقل الانسان ، اذ بالعقل صار الانسان انسانا(٦٢) . كما يحثنا على التعرف بوعى على تراثنا المجيد فان « المعرفة » هى أثمن شىء يملكه الانسان فى هـذه الحياة »(٦٣) .

وكان من أشهر المشتغلين بالفلسفة فى بغـداد يحيى بن عـدى النصرانى ، وكان رئيس المناطقة فى زمانه أخـذ العلم عن بشر بن متى وعن الفارابى ، وكان كثير الانتاج بمـا ينقل من السريانية الى العربية وبمـا يؤلف وبمـا ينسخ ، وقـد عمر احـدى وثمانين سنة كان فيها حركة دائبة ألف مقالات كثيرة فى المنطق وفى الالهيات ومات ببغـداد سنة ٣٦٤ هـ . ومن اشتهر بالفلسفة أيضا أبو على بن زرعـه النصرانى اشتهر بالمنطق وعلوم الفلسفة والنقل الى العربية ، اختصر كتاب أرسطو فى المعمور من الأرض ، وألف كتاب أغراض كتب أرسطو المنطقية ، ومقالة فى العقل ... الخ . مات ببغـداد سنة ٣٩٨ هـ . وقـد فضله أبو حيان على يحيى بن عـدى فقال : « وانه كان حسن الترجمة صحيح النقل كثير الرجوع الى الكتب ـ محمـود النقـل الى العربية »(٦٤) .

---

(٦٠) المرجع نفسه ص ٣٦٠ .

(٦١) المرجع نفسه ص ١٣٩ .

(٦٢) الفارابى : ( **التنبيه على سبيل السعادة** ) ( طبعة الهند ١٣٤٦ هـ ) ص ٢٢ .

(٦٣) د. محمد الهاشمى : الفكر العربى جـذوره وثماره ص ١٠ .

(٦٤) أحمد أمين : ظهر الاسـلام ج ١ ص ٢٣١ ، ٢٣٢ .

كما كان على راس الفلاسفة ابو بكر محمد بن زكريا الرازى ( نسبة الى الرى ) مولده ومنشأه بالرى وكذلك عددناه منها وان تنقل فى بلاد كثيرة . وهو من اكبر فلاسفة المسلمين ومتفوقيهم فى الطب النظرى والعملى والالهيات فى الكيمياء والأخلاق . وقد الف فى كل ذلك كتبا كثيرة أوصلها بعضهم الى ما يقرب من مائتين(٦٥) .

كما اشتهر من الفلاسفة فى هذه البلاد أبو الخير الحسن بن موار المعروف بابن الخمار كان نصرانيا — وقد نقل كتبا كثيرة من السريانية الى العربية واشتهر بالطب ، كما الف فى المنطق والطب والالهيات . ثم الفيلسوف الأديب أبو الفرج على ابن الحسين بن هندو ، كان من تلاميذ ابن الخمار الف فى الطب وألف المدخل فى علم الفلسفة . ووصل الينا من كتبه « الكلم الروحانية » وهى مجموعة لطيفة من الحكم اليونانية كما كان شاعرا معدودا من رجال البلاغة الممتازين(٦٦) .

ولقد كان المأمون محبا للحكمة شغوفا بالعلم والفلسفة فى بيت الحكمة — وحشد اليها الكثير من مختلف الكتب فى الفلسفة(٦٧) والمنطق والطب وغيرها . وشجع حركات الترجمة تشجيعا جعل عصره ازهى عصورها ، لذلك لم يكن غريبا أن يقبل المأمون على تعاليم المعتزلة ، وأن يروج لهما ويدعو اليها وهو الذى شغف بالعلم ومجد حرية العقل فنالت الفلسفة حظوة عنده(٦٨) .

---

(٦٥) أحمد أمين : ظهر الاسلام جـ ١ ص ٢٥٠ .

(٦٦) المرجع نفسه ص ٢٥١ .

(٦٧) المقريزى : الخطط جـ ٤ ص ٨٣ .

(٦٨) Nicholson : Litarary History of the Arabs p. 308.

## رابعا — علم الرياضيات :

وقد برع العرب فى العلوم الرياضية ، وأجادوا فيها وأضافوا اليها اضافات هامة أثارت الاعجاب والدهشة لدى علماء الغرب ، فاعترفوا بفضل العرب وأثرهم الكبير فى تقدم العلم والعمران . لقد اطلع العرب على حساب الهنود ، فأخذوا عنهم نظام الترقيم ، اذ رأوا أنه من النظام الشائع بينهم(٦٩) . كما أن العلوم التى تفوق فيها الهنود وكانت لهم فيها قدم راسخة ومعرفة واسعة كالرياضة والتنجيم والفلك والطب والحساب ، وقد اخذ المسلمون من هذه العلوم وأفادوا منها قبل أن يتصلوا بالعلم اليونانى(٧٠) .

وربما كانت الرياضة والفلك هى المادة الأولى التى سبق التأثير الهندى فيها التأثير اليونانى ، وان كان من المحتمل أن يكون الهنود قد نقلوا هذه المادة ابتداء عن أصول(٧١) يونانية ، الا أن المصادر تشير أن تأثر المسلمين بهذه العلوم قد جاء عن الهند بطريقة مباشرة ، فيقر « بروكلمان » أن الطب الهندى والطب اليونانى قد التقيا فى بغداد على صعيد واحد . وان هارون الرشيد قد استدعى الى بغداد طبيبا هنديا اسمه « منكه » وأن البرامكة كانوا قد أمروا بنقل بعض كتب الطب الهندى الى العربية(٧٢) .

وقد قرر « دييور » أن كتاب « السند هند » الذى ترجمه الفزارى الى اللغة العربية قد عرف قبل أن يعرف كتاب الماجيستى لبطليموس(٧٣) وقد سجل البيرونى فى كتابه « تحقيق ما للهند من مقولة » أن العلم الهندى وبخاصة الطب والرياضة والفلك ، كان له الفضل فى توجيه المسلمين الى هذه المجالات .

وعندما رعى الخليفة المأمون « بيت الحكمة » عين محمد بن موسى الخوارزمى رئيسا لها وكتابه عن الجبر عنوانه « الجبر والمقابلة » ( الحساب بالرموز ) ومن الكلمة الأولى فى هذا العنوان جاءت كلمة ALGEBRA ( علم الجبر ) ، ومن تصحيف اسم المؤلف الخوارزمى جاءت كلمة « لوغاريتم » وقد كتب جيرارد الكريمو

---

(٦٩) قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٤٧ .

(٧٠) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ج ٣ ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٧١) أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٢٣٦ .

(٧٢) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ج ٢ ص ٣٩ .

(٧٣) دييور : تاريخ الفلسفة الاسلامية ص ١٤ .

فى ترجمة لهـذا الكتاب : « بعـد أن ظـل حجر الزاوية فى التعليم الرياضى الـذى بنـاه العرب الذين جاءوا بعـده ، نبه معاصريهم من الغربيين الأوائل الى روعـة الحسابات الجبرية وفى نفس الوقت نبههم الى حساب الكسور العشرية »[٧٤] . ويقول الدكتور حسن الباشا : ابرز شخصية عربيـة فى تاريخ الرياضيات محمد بن موسى الخوارزمى ـــ ١٦٣ هـ/٢٣٥ هـ ـــ ٧٨٠ م/٨٥٠ م وقـد استخدم الخـوارزمى فى مؤلفاته الأرقام الهندية ـــ العربية وبفضل هـذه المؤلفات اخـذ الأوروبيون نظـام الأرقام التى يستعملونها الان حيث سميت باسمه فى أول الأمر ( Alcorisms ) وكان الأوروبيون يستعملون قبل ذلك الأرقام اللاتينية التى لا تساعد على اجراء العمليات الحسابية المعقـدة ومن ثم لم يتح لهم التقـدم فى الرياضيات الا بعـد استخدامهم للأرقام التى يسميها العرب بالأرقام الهندية اعتقادا بأنهم نقلوها عن الهنـود[٧٥] .

امتازت خلافة المـأمون بالتقـدم فى الرياضة ، ولعل أبقى وأهم ما أسهم به العرب فى العلم الغربى كان ادخال الأرقام والأعـداد الأفرنجية الشائعة الآن ، فحتى القرن الثالث عشر الميلادى ، كان علماء الرياضيات فى أوروبا ما يزالون يستخدمون الأرقام الرومانية القـديمة المعقدة ، ولكن بمجرد ادخال الأرقام الأفرنجية حـدث التقـدم فى العلم الرياضى[٧٦] .

وأول من أطلق لفظـة جبر على العـلم المعروف الآن بهـذا الاسـم وعنهم اخـذ الأفرنج هـذه اللفظة ALGEBRA وكذلك اول من الف فيه بصورة علمية منظمة ، وأول من الف فيه محمد بن موسى الخوارزمى فى زمن المـأمون فلقـد كان كتاب الخوارزمى « فى الجبر والمقابلة » منهلا نهل منه علماء العرب وأوروبا على السواء واعتمدوا عليه فى بحـوثهم وأخـذوا عنه كثيرا من النظريات ـــ وقـد أحـدث أكبر الأثر فى تقـدم علم الجبر كما احـدث كتابه فى الحساب بحيث يصـح القـول بأن الخوارزمى وضع علم الجبر وعلمه ـــ وعلم الحساب للناس أجمعين[٧٧]

---

(٧٤) حيدر بامات : ( **اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية** ) ( دار المعرفة الجامعية ـ الأزأريطة ـ الاسكندرية ـ بدون ) ص ١٠٤ ، ترجمة د. ماهر عبد القادر محمد على ، وعبد القادر البحراوى .

(٧٥) د. حسن الباشا : دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ٩٦ ، ٩٧ .

(٧٦) انتـونى ناتنج : ( **العرب انتصاراتهم وأمجـاد الاسـلام** ) ترجمـة د. راشـد البراوى ( القاهرة ـ ١٩٤٧ م ) ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

(٧٧) الخوارزمى ، محمد بن موسى : ( **مقـدمة كتاب الجبر والمقابلة** ) مخطوط قـدمه وعلق عليـه الأستاذان مشرفه ومحمد مرسى ( القاهرة ١٩٣٧ م ) .

ولقد كان من حسن نهضتنا العلمية الحديثة أن قيض الله الأستاذ د. على مصطفى مشرفة و د. محمد مرسى احمد فنشرا سنة ١٩٣٧ م كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمى عن مخطوط فى مكتبة بودلين باكسفورد ، وهذا المخطوط كتب فى القاهرة بعد موت الخوارزمى بنحو ٥٠٠ سنة . وقد عكفا عليه وأوضحا ما استغلق من بحوثه وموضوعاته ، ولقد نشر الدكتوران الأصل العربى لكتاب الجبر والمقابلة لأول مرة مشروحا معلقا عليه فى اللغة العربية فأسديا بذلك خدمة جليلة للتراث العربى وتاريخ العلم .

ومهما يكن من شىء فان العمليات الحسابية لم تتطور تطورا كبيرا الا بعد استخدام العرب لهذه الأرقام ومن المعروف أن لفظة زيرو ( Zero ) فى اللغة الانجليزية . ولفظة ( Cipher ) التى عرفت عند الانجليز قبلها بمائتى عام هى تحريف للفظة « صفر العربية » ، وكان استخدام الصفر فى الأرقام العربية مساعدا على التقدم فى علوم الحساب والرياضيات . ومن أشهر أعمال الخوارزمى :

١ — الزيج المشهور الذى سبقت الارشارة اليه .

٢ — كتاب فى الحساب ويعتبر من أقدم الكتب فى علم الحساب ، ولم يصلنا الا نسخة مترجمة .

٣ — حساب الجبر والمقابلة وهو أقدم كتاب فى الجبر ولا يزال الأصل العربى مفقودا . وقد نقل الى اللاتينية فى القرن السادس الهجرى وظل الكتاب المعتمد فى الجامعات الأوروبية حتى القرن السادس عشر الميلادى وبواسطته عرفت أوروبا علم الجبر وكذلك اللفظة نفسها(٧٨) .

يقول المستشرق الألمانى جورج يعقوب : « هبة أخرى من هبات العقل الشرقى لا تقل أهمية عن اختراع الأبجدية وصلت أوروبا فى العصور الوسطى وهى ( نظام العدد العربى ) الذى هو عبارة عن آخر بقايا الكتابة الفكرية فى كتاباتنا الحالية . فالثابت أن الغرب لم يعرف الصفر قبل القرن الثانى عشر الميلادى ، بينما تحدثنا المصادر العربية أن المسلمين كانوا يعرفونه وكانوا يرسمونه حلقة والتعبير عن الصفر موجود فى مصادر اخرى كثيرة منها كتاب النقط « لأبى عمرو عثمان بن سعيد الدانى »(٧٩) .

---

(٧٨) د. حسن الباشا : دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ٩٦ ، ٩٧ .

(٧٩) جورج يعقوب : ( **أثر الشرق فى الغرب** ) ترجمة فؤاد حسنين على ( القاهرة ١٩٤٦ م ) ص ٢٠ ، ٢١ .

وقــد حاول نفر من العلماء ارجاع هــذه الأعــداد الى أصل غربى الا أن التوفيق خان أولئك الباحثين كما خان تلك الفئة التى عارضت الأبجــدية[80] وهنـا نشير الى ما اثبته المستشرق « نــو » نقــلا عن مخطوط باريس السريانى رقم ٣٤٦ لمؤلفــه « ساوير اساخت » فى قوله : « ان العرب لم ينقلوا الأرقام الهندية من بلادها رأسا وانما أخذوها عن السريان كما توصلوا الى علوم اليونان بواسطتهم » [81] أيضا .

وبلغ من اهتمام العرب بعلم الجبر أن الخليفة المــأمون قد كلف محمد بن موسى الخوارزمى بوضع كتاب فى هــذا العلم وهــذا الكتاب الذى نقله الى اللاتينيـــة « روبرت الشيسترى » سنة ١١٤٥ م — و بذلك قــدم العرب علما جــديدا الى أوروبا — وظل هــذا الكتاب مستعملا فى المدارس والجامعات الأوروبية حتى القرن السادس عشر[82] .

وهــذا العلم اخترعــه العرب فىعصر الخلافة العباســية واستعمله بعض الافرنج بلفظه ذكروا أن الخوارزمى أول من وضعه بشكل علمى ، وأول من ألف فيــه آخر عصر العباسيين وبعده أبو كامل شجاع بن أسلم ، ثم جاء الناس على أثره وكتبوا فيه ، وكتابه فى مسائله الست من أحسن الكتب الموضوعة[83] فيه .

ومن حــق الخوارزمى أن يوصف بأنه أبو علم الجبر ، اذ أن العلماء الرياضيين الذين سبقوه لم تكن لديهم فكرة عن الجبر وكانت كل محاولاتهم منصرفة الى علم الأعــداد وحــده . ولهــذا يحق القــول بأن الخوارزمى وضــع علم الجبر على أسسه الصحيحة ، ولعل خير دليل على أهمية التراث العلمى الرياضى عند المسلمين هــو ابتداء الخوارزمى بمؤلفه المشهور حساب الجبر والمقابلة ، فقــد امتاز عنوان كتابه بأشهر عمليتين من عمليات الجبر فى حــل المعادلات هما الجبر والمقابلة[84] .

ومن القرن الثانى الهجرى حتى القرن السابع الهجرى ( الثامن الميلادى حتى السادس عشر الميلادى ) كانت بلاد المسلمين مركزا للنشاط العــلمى .. وفى ذلك

---

(٨٠) حسنى أحمد حماد : ( **الحضارة العربية نشأتها تطورها آثارها** ) ( وزارة الثقــافة — مؤسسة التأليف والنشر — القاهرة ١٩٦٧ م ) ص ٦٤ .

(٨١) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ص ٣٤٧٠ .

(٨٢) د. سعيد عبد الفتاح عاشور : ( **فضل العرب على الحضارة الأوروبية** ) مكتبة الأنجــلو المصرية — القاهرة ١٩٧٥ م ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٨٣) عبد الله بن العباس الجرارى : تقــدم العرب فى العلوم والصناعات وأستاذيتهم لأوروبا ص ٥٠ .

(٨٤) المرجــع نفســه ص ٦٥ .

الوقت كانت أهم وجــوه النشاط العلمى فى العالم تجرى فى « بيت الحكمة » الــذى رعاه الخليفة المــامون فى بغــداد .. وفى بيت الحكمة هــذه كان تأثير الخوارزمى على الفكر الرياضى أكبر من تأثير أى رياضى فى العصور الوسطى ، اذ أنه اكتشف سنة ٢١٠ هـ الموافق ٨٢٥ م طرقا هندسية وجبرية لحــل معادلات الدرجة الأولى والثانية ما كان منها ذا مجهول أو مجهولين[٨٥] .

ومن علمــاء العرب ايضا الذين لهم فضل على الغرب فى علم الجبر « أبو بكر محمد بن حسن الكرخى » وقــد ألف كتابين « الفخرى فى الجبر والمقــابلة » وكتاب « الكافى فى الحساب » أما فى الهندسة وعلم المثلثات فقــد ترجم العرب كتاب أقليدس فى الهندسة ، هــذه الترجمة العربية هى التى نقلها الأوروبيون الى اللاتينية فى القرن الثانى عشر كما أن العرب هم الذين ادخلوا المماس الى علم حساب المثلثات[٨٦] . كذلك أقام العرب الجيوب مقام الأوتار وحلوا المعــادلات المكعبة ، وتعمقوا فى أبحاث المخروطات . كذلك اهتم العرب بعلم الميكانيكا حتى اننا نجــد الطــوسى المتوفى سنة ١٢٧١ م يترجم « الــكرة » المتحركة « لأوطالوقلس » وقــد تعمــق العرب فى هذه المعــلومات حتى يرى بعض العــلماء الأوربيين انهم اخترعوا رقاص الســاعة واستعملوا البندول فى قياس الوقت[٨٧] .

وكان نصر الدين الطوسى أول من شــك فى قياس هندسة أقليدس ويجب ان يعتبر الرائد القديم للوبتشفسكى دريمان فى الهندسة اللااقليمية[٨٨] . ويعترف ابن القفطى بفضــل ابن الهيثم فى الهندســـة » فيقول : « انه صاحب التصانيف والتآليف فى علم الهندســة كان عالمــا بهــذا الشأن ، متقنا لـــه ، متقننا فيه قيما بغــوامضه ومعانيه ، مشاركا فى علوم الأوائل اخــذ عنه الناس واستفادوا »[٨٩] .

ومن علماء العرب من وضـــع مصنفات فى الرياضيات ولا سيما فى الهندســة تدل على استقلال فى التفكير على انهم سلكوا طرقا لم يسلكها المتقــدمون فقــد وضع « ابن الهيثم » كتاب الجامع فى أصول الحساب ويقول عنه بلفظه : « واستخرجت أصوله بجميع أنواع الحساب من أوضاع « أقليدس » فى اصول الهندسة والعــدد ،

---

(٨٥) المرجــع نفســه ص ٦٣ .

(٨٦) د. سعيد عبد الفتاح عاشور : فضل العرب على الحضارة الأوروبية ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٨٧) المرجــع نفســه ص ٣٦ ، ٣٨ .

(٨٨) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ١٠٥ .

(٨٩) ابن القفطى : أخبار العلماء باخبار الحكماء ص ١١٤ .

وجعلت السلوك فى استخراج المسائل الحسابية بجهتى التحليل الهندسى والتقدير العددى ، وعدلت فيه عن أوضاع الجبريين والفاظهم »(٩٠) .

والف محمد البغدادى رسالة موضوعها تقسيم المستقيم الى اجزاء متناسبة مع أعداد مفروضة برسم مستقيم ، وهى أثنتان وعشرون قضية سبع فى المثلث ، وتسع فى المربع ، وست فى المخمس . ولقد طبق العرب الهندسة على المنطق ، والف و « أبو لونيوس » ، ونوعت فيه الأطوال وقسمتها وبرهنت عليها ببراهين نظمتها من الأمور التعليمية والمنطقية(٩١) .

وعلى وجه العموم يمكننا فى شيء من الاطمئنان أن نعزو تقدم العلوم الرياضية فى العصر العباسى للأسباب التالية :

١ ــ انتشار المذهب الشيعى الذى احتضنه الايرانيون لكى تبرز الشخصية الايرانية على مسرح الحضارة الاسلامية ، بفضل قوة تقاليدها التى تتصف بصفة الاستمرار والاتصال بكبرياء الماضى حيث عصر الأكمينين ثم عصر الساسانيين ، ثم جاء الفردوسى الشاعر العظيم ناحيا فى الشاهنامة أمجاد ايران الغابرة ، مما مهد للحركة الشعوبية المناهضة للعرب وكان من انصارها ابن المقفع .

٢ ــ ظهور دويلات حربية يقودها عسكريون أميون من أصل تركى قبلى فى الأطراف الشمالية الشرقية من ايران والزم ما يلزم لهؤلاء الأمراء فى الفلك والرياضيات والتنجيم وحكماء فى الطب يستعينون بهم فى فتوحاتهم تماما مثل ما فى حملة الماريشال مونتجمرى عند الهجوم على العلمين فى الحرب العالمية الثانية حيث استعان بأكبر علماء الرياضة الانجليز لكى يحسبوا له خطوات الاحتمالات المختلفة(٩٢) .

وقد تمكن المسلمون من تطوير معارف كثيرة خاصة بهم فى حقل الرياضيات وغيرها . وكانت لهم فتوحات علمية رفعت العلوم الى مستوى يعلو بكثير عن المستوى الذى رفعها اليه الاغريق .. فكان هذا على وجهه الخصوص فى علمى الجبر

---

(٩٠) قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٨٩ .

(٩١) ابن ابى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ٢ ص ٩٣ .

(٩٢) ابو الريحان البيرونى : ( استخراج الأوتار فى الدائرة بخواص الخط المنحنى فيها ) مخطوط ، تحقيق أحمد سعيد الدمرداش ( الدار المصرية للتاليف والترجمة ــ القاهرة ١٩٦٥ م ) ص ١٥ ، ١٦ .

وحساب المثلثات اللذين كانا من ابتكارهم ولم تقتصر مآثر المسلمين على الرياضيات بل تجاوزتها الى غيرها مثل الطب والجغرافيـــــا والكيمياء والفيزياء والصـــيدلة والزراعـــــة(٩٣) .

ولا أدل على أثر العرب فى الرياضيات من أن البابا كانّ يحسب بالعربية حيث تقول المستشرقة الألمانية زغريد هونكه : « عندما ارتقى جربرت كرسى البابوية ليصبح البابا سلفستروس الثانى ، كسب ذلك الرجل ـــ دون معاصريه ـــ عن العرب شيئا مهما ، لقـــد كان جربرت يحسب الأرقام التسعة التى تعلمها عن العرب على الحدود الأسبانية . فكان بذلك اول رجل فى الغرب تعلم تلك الأرقام واستخدمها»(٩٤) .

وتقول هـــونكه أيضا : « ان علم الجبر لا يزال حتى اليوم يحتفظ بطابع عربى ، ويعتبر العرب المؤسسين الحقيقين لعلم المثلثات وهـــذا ميدان لم يخضـــه الاغريق البتة ، ولم يعرفوا عنه شيئا ، ولقـــد تابع الأوروبيون تطـــويرهم لهـــذا العلم على أساس ما ورثوه عن العرب اكثر ممـــا ورثوه عن ديكارت ذاته . كذلك فان الغرب اخـــذ عن العرب فن الحساب فى السدس وأعشاره وتقسيم الدائرة الى ســــتين جـــــزءا »(٩٥) .

والحقيقة التى لا مرية فيهـــا أن العرب قبـــل غيرهم من العلمـــاء بمئات السنين وعلى وجـــه التحـــديد بسبعمائة ســـنة ، وقبـــل أن يوجـــد انجليزى أو المـــانى حسابهما الغربى ، قـــد وفقوا الى القيام بسلسلة من التحقيقات الكبيرة الهـــامة فى العلوم والرياضيات . وانه ليس من المستبعد جـــدا أن تكون نظرية الفارابى ونظرية ابن سينا فى الأحجام المتناهية الصغيرة هى التى امدت العـــلماء الغربيين فيها بعـــد وعبر القرون بنظرياتهم فى الـــذرة(٩٦) .

كما أن العالم مدين بعلم الجبر للمـــأمون فى مقـــدمة « كتاب الجبر والمقـــابلة » للخـــــوارزمى .

ان المـــأمون هـــو الذى اقترح عليه ايجاد وسيلة يسيرة يستعين بها التجار

---

(٩٣) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى ص ٢١

(٩٤) زغريد هـــونكه : أثر الحضارة العربية فى أوروبا ص ٨١ .

(٩٥) المرجـــع نفســـه ص ١٥٩ ، ١٦١ .

(٩٦) المرجـــع نفســـه ص ١٦٣ .

على اعــداد قــوائم بضــائعهم واستخراج اثمانها وأرباحها . ويبدو أن الخوارزمى لـما فعل ما اقترحة المـأمون عليه . وجـد ان يبسط الطريقة المنطقية التى وصل بها الى الوسيلة العملية لخـدمة التجار . وفضل المـأمون فى حث الخـوارزمى على وضـع كتابه الجبر والمقابلة(٩٧) .

قال فيليب حتى : « كان الخوارزمى من أفضل العقول العلمية من المسلمين ، وهـو بلا شك الرجـل الذى اثر أبلغ التأثير فى الفـكر الرياضى طيـلة العصـور الوسطى »(٩٨) . فان المسلمين لم يقتصروا على اتباع الجبر ، وهـو الأداة الأساسية للتحليل العلمى بل وضعوا كذلك قواعـد للطرق المطبقة والأبحاث التجريبية الحـديثة باستخدام نماذج رياضية .. وكما كان أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمى مؤسسا لمدرسة الرياضيات فى بغـداد فان بحوث الرياضيات العربية وبحوث العصـور الوسطى المبكرة اعتمدت الى حـد كبير على رسالته فى علم الجبر(٩٩) .

ومن ابرز علماء الرياضة فى بغـداد ابناء موسى بن شاكر ، وقـد شـجعهم المـأمون وقربهم اليه ، ولهم ابحاث فى الميكانيكا ، كما ألفوا فى مراكز النقـل وكتبوا فى الآلات(١٠٠) .

يقول د. حسن الأشمونى فى كتابه : ( أثر الترجمة فى حضارة العرب ) ما يلى : « نشأ بفضل العلوم المنقولة طائفة من الأطباء والفلكيين والرياضيين استغلوا بحوثهم فوصلوا الى مرتبة النبوغ فى علوم شتى منهم بنو موسى بن شاكر محمد وأحمد والحسن أشهر رياضيى هـذا العصر ، وأول من ألف فى علم الحيل والآلات والميكانيـكا من المسـلمين »(١٠١) .

اما الأخ الثالث الحسن ، كما روى أحـدهم ، فقـد كان بارعا فى علم الهندسة موهـوبا تربع دهره ، يشهد بذلك جميع الذين عرفوه ، فلمسوا فيه نبـوغا خارقا ، وألفـوا عنده ذاكرة نادرة ومخيلة قـوية كانت تمكنه دوما من حـل المسـائل

---

(٩٧) د. عمر فروخ : المأمون ومكانته فى السياسة والفكر والعلم - مجلة الباحث بيروت - لبنان - عـ ٢٢ ، ١٩٨٢ م ص ٢٠ .

(٩٨) فيليب حتى : تاريخ العرب المطول ج ٢ ص ٤٦٣ .

(٩٩) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى ص ٦٨ .

(١٠٠) ابن خلكان : وفيـات الأعيـان ج ٤ ص ٢٤٨ .

(١٠١) زغريد هـونكه : أثر الحضارة العربية فى أوروبا « شمس العرب تسطع فى الغرب » ص ١٨٧ .

المستعصية التى لم يتمكن من حلها القدامى ، لقد وصف نفسه قائلا : « وكلما كنت اغوص باحثا عن حل لمعضلة تشغل بالى كنت احس كأن العالم فى وجهى واصابنى شعور بالاغماء ، أو كأنى مستغرق فى حلم »(١٠٢) .

ومن الأعمال التى حققها الحسن بنفسه ، دون الاشتراك مع أخويه كتاب فى تطع المستديرات وهو أيضا موحد الشكل البيضوى « الاهليلجى » فى هندسة الحدائق(١٠٣) . فقد كان ثابت بن قرة من الذين تعددت نواحى عبقريتهم ، فنبغ فى الطب والرياضيات والفلك والفلسفة ووضع فى هذه كلها وغيرها مؤلفات جليلة ودرس العلم للعلم ، وشعر باللذة العقلية ، فراح يطلبها فى الرياضيات والفلك فقطع فيها شوطا بعيدا واضاف اليها ، ومهد الى ايجاد فرع من فروع الرياضيات « التكامل والتفاضل »(١٠٤) lcaluculs واشتهر ثابت بن قرة كأستاذ للفلسفة والرياضيات ونجح فى تطبيق النظريات الجبرية للهندسة . ولذا سمى أبا الهندسة التحليلية كما اعتبر مؤسسها وأعظم عالم هندسى فى القرون الوسطى ، كما توصل ثابت بن قرة الى حجم الجسم المكافىء ومن هنا يعده كثير من الرياضيين مبتكر علم التفاضل والتكامل(١٠٥) .

كتب البروفيسير ديفيد سميث فى كتابه « تاريخ الرياضيات » المجلد الثانى « ان ثابت بن قرة صاحب الفضل فى اكتشاف علم التفاضل والتكامل حيث أوجد حجم الجسم المكافىء وذلك فى عام ٢٥٦ هـ/ ٨٧٠ م — » ومن المعروف أن علم التفاضل والتكامل أعان على حل عدد كبير من المسائل الصعبة والعمليات الملتوية — كما اضاف الأستاذ « موسى بول » فى كتابه « ملخص تاريخ الرياضيات » : « فى تقديرى ان ثابت بن قرة مناط العبقرية فلم يترك علما من العلوم الا ترجمه — وكتب كتبا عديدة ، ولكنها للأسف فقدت كلها ما عدا جزءا من الجبر ناقش فيه معادلات الدرجة الثالثة(١٠٦) .

وهكذا توارث آل قرة العلم عن ثابت وكان منهم ابنه : أبو سعيد بن سنان ، وكان منهم حفدته : ابراهيم بن ثابت وأبو الحسن بن ثابت بن اسحاق ابو الفرج وهؤلاء

---

(١٠٢) المرجع نفسه ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

(١٠٣) المرجع نفسه ص ١٢٤ .

(١٠٤) قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ١٩٥ .

(١٠٥) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى ص ٦٤ .

(١٠٦) المرجع نفسه ص ٦٥ .

نبغــوا فى الرياضيات والفلك والطب ، فقــد كان منهم الطبيب والعالم والفيلسوف والمهندس ـــ سلك مسلك جــده فى الطب والهندسة وجميع الصناعات الرياضــية للقــدماء ـــ وله تصانيف فى التاريخ(١٠٧) .

كما كان ابو يعقوب بن اسحاق الكندى قــد نبغ فى المرتبة الأولى فى الرياضيات والفلسفة والطبيعية ويرى أن الانســان لا يكون فيلسوفا الا اذا درس الرياضيات المركبــة وللكندى نظريات فلسفية تتعلق بالله والنفس والعقل والعالم . فيرى أن كل ما يقــع فى الكون يرتبط بعضه ببعض ارتباط علة بمعلول والى العقل مرد كل شىء والمــادة تتخــذ الصورة التى يشاء العقل افاضتها عليها(١٠٨) ولقــد كان للكنــدى الكثير من التلاميذ الذين استفادوا من مصــنفاته فى الرياضــيات وأحكام النجــوم والجغرافيــا والطــب .

وهناك فى القرن الثالث الهجرى ولــد « الدينورى » هــو احمد ابو حنيفة بن داوود من اهــل الدينــور(١٠٩) وقــد توفى حــوالى ســنة ٢٨٢ هـ/٨٩٥ م كان الدينــورى من النابغــين الذين اشتهروا فى الهندسة والحساب والأدب والفــلك والنبات . اما ابو عبد الله البتانى فهــو من علماء القرن العاشر للميلاد وأحــد الذين اشتغلوا بالفــلك والرياضيات ، وقــد اســدى اجــل الخــدمات ، ويعدم الكثيرون من عباقرة العالم من الذين وضعوا نظريات هامة ، واضافوا بحــوثا مبتكرة فى الفلك والجبر والمثلثات ، ونظرة الى مؤلفاته وأزياجــه تبين خصب القريحة ، وترسم لك صورة عن عقليته الجبارة(١١٠) .

وسماه بعض الباحثين « بطليموس العرب » وقال عنه « سارطون » : « انه من أعظم علماء عصره ، وانبغ علماء العرب فى الفلك والرياضيات » وهــو الذى اهتدى الى فكرة من اســتبدال اوتار الأقــواس التى استخدمها اليونانيــون فى حســابات مثلثاتهم ، بنصف وتر ضعف القــوس أى بجيب الزاوية . ويقول م. تشارلس : « ان البتانى كان أول من استخدم فى مؤلفاته جيب « وجيب تمــام » واستعمله فى حسابات المزولة وأسماه « الظــل الممتد » وهــو ما نسميه فى حساب المثلثات الحــديث « بالظـــل »(١١١) .

---

(١٠٧) ابن خلكان : وفيـات الأعيـان جـ ١ ص ١٠١ .

(١٠٨) دى دبور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ١٤٣ .

(١٠٩) ابن النـديم : الفهرسـت ص ١١٦ .

(١١٠) قـدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٢٤١ .

(١١١) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ١٠٥ .

وكان البوزجانى من علماء القرن العاشر للميلاد ومن أعظم علماء الرياضة عند العرب ومن الذين لهم فضل كبير فى تقدم العلوم الرياضية وهو محمد بن محمد ابن يحيى بن اسماعيل بن العباس ابو الوفا البوزجانى ( الحاسب ) . ولد فى « بوزجان » وهى بلدة صغيرة واقعة بين « هراة » و « نيسابور »(١١٢) . وقرأ على عمه المعروف بأبى عمر المغازلى وخاله المعروف بأبى عبد الله محمد بن عبده ، وقرأ أبو عمرو الهندسة على « أبى يحيى الماسرونى » وأبى العلاء ابن كرنيب(١١٣) . ولما بلغ من العمر العشرين انتقل الى بغداد حيث فاضت قريحته ولمع اسمه ، وظهر للناس انتاجه فى كتبه ورسائله ، وشروحه لمؤلفات « أقليدس » و « ديوفنطس » والخوارزمى .

ويذكر القفطى(١١٤) : « انه لم يزل مقيما فى بغداد حتى توفى سنة ٣٨٨ هـ فكان ابو الوفا احد الأئمة المعدودين فى علمى الفلك والرياضيات وله فيهما مؤلفات قيمة ، وقد اعترف علماء الغرب بأنه من أشهر الذين برعوا فى الهندسة ، وله فيه — أى فى علم الهندسة — استخراجات غريبة لم يسبق اليها ، وكذلك استخراج الأوتار تصنيف جيد نافع » اما أبو القاسم على بن احمد المجتبى الأنطاكى من مشاهير مهندسى القرن الرابع للهجرة ورياضييهم فقد ولد فى انطاكية وتوطن بغداد(١١٥) كان من المقدمين لدى عضد الدولة بن بويه اشتهر بفصاحة اللسان وعذوبة البيان واذا سئل أبان وأتى بالمعانى الحسان(١١٦) ، هذا الى توقد ذهن وحضور بديهة ، مما جعل الرؤساء والحكماء يجلونه ويكثرون دعوتهم اياه الى مجالسهم الخاصة .

وهناك أبو النصر الكلوازى هو « محمد بن عبد الله » من « كلواز » قرب « مدينة السلام » ويسمى « بالبغدادى » لأنه عاش أكثر حياته فى بغداد من رياضيى القرن الرابع للهجرة ومشاهير محاسبيه . وكان أبو الرشيد الرازى هو معشر بن أحمد بن على بن أحمد بن عمرو أبو الرشيد الحاسب الملقب بالبرهان رازى الأصل بغدادى المولد والدار ، اشتغل بالرياضيات وبرع فيها . ولا سيما فى الحساب ، وخواص الاعداد والجبر والمقابلة ، وقسمة التركات ، عدا المامه بسائر فروع

---

(١١٢) ياقوت الحموى : ( **معجم البلدان** ) ( مطبعة السعادة — القاهرة ١٣٢٣ هـ/١٩٠٦ م ) جـ ١ ص ٣٠٢ .

(١١٣) ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٤ .

(١١٤) ابن القفطى : أخبار العلماء باخبار الحكماء ص ١٨٩ .

(١١٥) ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٥ .

(١١٦) ابن القفطى : اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ١٥٧ .

المعرفة . قرأ عليه كثيرون وأخذوا عنه . وتميز فى أيام الخليفة الناصر لدين الله أبو العباس أحمد » وقرب منه واعتمد فى اختيار الكتب التى وصفها فانه أدخله الى خزائن الكتب بالدار الخليفية(١١٧) وتوفى سنة ٥٨٩ هـ/١١٩٣ م .

وكان كمال الدين بن يونس متبحرا فى الرياضيات والفقه عالما بأجزاء الحكمة الأخرى قد استغرق حب الكيمياء عقله ووقته . يقول ابن أبى اصيبعه : « كان كمال الدين علامة زمانه وأوحد أوانه وقدوة العلماء وسيد الحكماء ، وقد أتقن الحكمة وتميز فى سائر زمانه »(١١٨) .

برع فى الحساب ونظرية الاعداد والجبر والكيمياء والصرف والمنطق وله مؤلفات فى علم الهيئة والأسطرلاب ورسائل نفيسة فى الحكمة والمنطق والطبيعيات . ويمكن القول انه كان لبحوث كمال الدين قيمة كبرى عند علماء عصره وأثره فى تقدم العلوم .

ومن المؤسف انه لم يصلنا من نتاج كمال الدين الا القليل ، فقد ضاع أكثره أثناء الانقلابات والفتن التى حدثت فى العراق . ومن هذه المؤلفات التى تتعلق بالفقه والمنطق والنجوم وهى : « كتاب كشف المشكلات وايضاح المعضلات فى القرآن » وشرح كتاب التنبيه فى الفقه بمجلدين . كتاب مفردات ألفاظ القانون . كتاب فى الأصول ، كتاب عيون المنطق — كتاب لغز فى الحكمة . كتاب الأسرار السلطانية فى النجوم . وخلف كمال الدين أولادا أتقنوا الفقه وسائر العلوم وهم من سادات المدرسين وأفاضل المصنفين(١١٩) .

لقد اعترف له الأقدمون من العلماء والباحثين بالفضل والنبوغ فى فنون الرياضة وانواع الحساب والجبر والمقابلة والمساحة معرفة لا يشاركه فيها غيره(١٢٠) .

---

(١١٧) المصدر نفسه ص ١٧٧ .

(١١٨) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الاطباء جـ١ ص ٣٠٦ .

(١١٩) قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٣٩٩ .

(١٢٠) المرجع نفسه ص ٣٩٦ .

**خامسا ــ علـم الطـب :**

اعتمد العباسيون على اطباء جنديسابور فى العـلاج ، فلما مرض الخليفـة المنصور ، بعث فى طلب جورجيس بن جبرائيل ، وله خبرة فى الطب ، ومعرفة بانواع العلاج ،وقـد قـدره المنصور لأنه أحسن علاجه ، ووجـد راحة عظيمة فى جسمه ، وتخلص من الأمراض ، وجـدير بالذكر أن جورجيس نهى المنصـور عن الاسراف بالطعام ، وطلب منه تخفيف الغـذاء ، وترجم هـذا الطبيب للمنصور بعض الكتب الطبية ، واعتمد على أطباء غيره من السريان[١٢١] .

ونبغ فى بغـداد أطباء من أصـل سريانى نخص بالذكر منهم يوحنا بن ماسويه ، ولاه الرشيد ترجمة الكتب الطبية القـديمة ، ولـه تصانيف قيمة ، وكان يجتمـع اليـه تلاميذ كثيرون[١٢٢] . ومن أطبـاء بغـداد سـهل بن سـابور وجبرائيل الكحـال[١٢٣] .

وحيث دخل الطب العربى مرحلة جـديدة من التقـدم فى عهد الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور فقـد أخـذ أطباء جنديسابور ورعاهم رعاية مكنتهم من ادخال الترجمة اليونانية الأمر الذى جعل من بغـداد قبلة أنظار اساتذة الطب من جنديسابور وغيرها . وكان أول هؤلاء الطبيب جورجيس رئيس أطباء جنديسابور الذى استقدمه المنصور لمعالجته[١٢٤] . حيث أنزله منزلة كبيرة وأكرمه وأمر بأن يجاب الى كل ما طلب وما يطلب ، وبفضل ذلك استطاع جورجيس أن يشكل مع الوافـدين من الأطباء الى بغـداد نواة علم الطب العربى حيث انتقل العلم من جنديسابور الى بغـداد . وعندما تولى الهادى الحكم جلب جورجيس ابنه جبرائيل بن بختيشوع[١٢٥] .

على أن أسرة بختيشوع قـد نبغ أفرادها فى علم الطب ، واعتمدت عليهم بغـداداعتمادا كبيرا لسعة ثقافتهم فلما مرض الخليفة الهادى أرسل الى جنديسابور باستدعاء بختيشوع ، لكن الهادى توفى قبل مقـدم هـذا الطبيب ، على أنه عالج

---

(١٢١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ٢ ص ١٢٤ .

(١٢٢) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٦ .

(١٢٣) المصـدر نفسـه ص ٢٤٣ .

(١٢٤) هاشم للرازى : ( **تاريخ الطب فى العراق** ) ، مجلة المؤرخ العـربى ــ بغـداد ــ العراق عـ ٦ ( ١٩٨ م ) ص ٣٧ .

(١٢٥) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٣٣ .

الرشيد ولاحظ دقته وبراعته ، وخلع عليه خلعة حسنة جليلة ، ووهب لـــه مالا وافرا وعين بختيشوع رئيسا للأطباء ، وله كتب منها « التذكرة »(١٣٦) . اما جبرائيل ابن بختيشوع فكان مشهورا بالفضل جيد المـــداواة ، عالى الهمة حظيا لدى الخلفاء حصل من الخلفاء من الأموال ما لم يحصله غيره من الأطباء وجعله الرشيد رئيســا للأطبـــاء فى بغـــداد .

وبلغ من تقـــديره له أن قال : كل من كانت لـــه حاجة فليخاطب بها جبرائيل لأنى افعل كل ما يشاء ، وكان رجال الدولة يقصـــدونه فى كل أمورهم(١٢٧) . لأنه احسن علاج الرشيد ووزرائه وخاصته ، وكان الأمين لا ياكل ولا يشرب الا باذنه ، واجزل لـــه علاجه ، ولمـــا سمع لجبرائيل بعلاج المـــأمون شخص مرضه ، ووصف له دواء شفى به ورد اليه الأموال التى صادرها منه ، وبالغ فى اكرامه ، ولمـــا مرض جبرائيل طلب منه المـــأمون أن ينفـــذ اليه ابنه بختيشوع لعلاجه ، ولمـــا قـــدم على المـــأمون والتمس فيه سعة العلم بالغ فى اكرامه ورفع منزلته(١٢٨) .

والخلاصة أن آل جورجيس من الأطباء أجـــل أهـــل زمانهم بمـــا خصهم الله من ترف النفوس ونبـــل الهمم ومن البر والمعروف والأفضـــال والصـــدقات وتفقـــد المرضى من الفقراء والمساكين والأخـــذ بيد المنكوبين .

ومن أبرز المهن التى عمل بهـــا أهـــل الذمة فى بغـــداد ــ لا سيما النصارى ــ مهنة الطب ، فقـــد برعوا فى تشخيص الأمراض ووصف العلاج الناجع لهـــا ونقلوا الكتب الطبية من اللغة اليونانية الى العربية ، وانكبوا على دراستها واضافة الجديد لهـــا مما يتمشى مـــع خلاصة تجاربهم وقراءاتهم ، ومن اشـــهرهم جورجيس بن بختيشـــــوع(١٢٩) .

ودخل ابنـــه جبرائيل فى خدمة البرامكة ، ومما يجـــدر ذكره أن جبرائل هذا عالج الأمين والمـــأمون ، وكانت رواتبه سبعمائة الف واربعة وثلاثين درهما ســنويا وأخص ما ربحـــه من الرشيد فكان ثلاثمائة ألف وثمانين مليونا من الدراهم(١٣٠) .

---

(١٢٦) المصـــدر نفسه جـ ٢ ص ١٢٤ .

(١٢٧) المصـــدر نفسه جـ ٢ ص ١٢٦ .

(١٢٨) المصـــدر نفسه جـ ٢ ص ٢١٣ .

(١٢٩) Hitti : History of the Arabs, p. 360.

(١٣٠) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٢٦ .

مما ادى الى تنافس بعض الأطبـاء على الامتيازات والتقرب من رجال الحكم واستأثرت أسرة بختيشوع بخيرات الخلفاء . وكان منهم يوحنا بن ماسويه الذى ترعرع فى كنف الرشيد ونبـغ فى الترجمة حيث ولاه الخليفة أمانة الترجمة(١٣١) . وامتدت خـدماته الى خلافة الأمين والمـأمون وكانت الامتيازات التى حصل عليها سببا فى افساد ذمته فأخـذ يتدخـل فى الأمور السياسية الى حـد أن تواطـأ مـع المعتصم(١٣٢) .

ومن أساتذة الطب فى عهد الرشيد يوحنا بن ماسويه النصرانى السريانى ، كان موضع تقـدير الناس فى بغـداد ، وله مصنفات قيمة ، وكان يعقد مجالس علميـة يتناول فيها خلاصة معرفته ، وقـد وفـد اليه طلاب العلم للاستفادة من علمـه والاستزادة من معرفته(١٣٣) . كما عالج بختيشوع بن جبرائيل المـأمون والمعتصم والواثق(١٣٤) ، وجالسهم ونادمهم ونال منهم العطايا السنية وصنف كتبا فى الطب . ومن أبرز الأطباء النصارى فى بغـداد سهل بن سابور ، ومن أطباء المـأمون جبريل الكحال ، فكان يتقاضى مرتبا شهريا قـدره ألفا درهم . وكان أول من يدخل اليـه فى كل يوم(١٣٥) ، وكان سلمويه عالمـا بصناعة الطب وعالج المعتصم فى مرضه .

أما خلفاء العباسيين فقـد كرموا أطباء أسرة بختيشوع الفارسية الأصل ، كما اشتهر منهم أيضا كثير من الأطباء غير المسلمين : أمثال حنين بن اسحاق ، ويوحنا ابن ماسويه ، وقـد عرف العرب نظاما للمؤتمرات الطبية حيث كانت تعقد الاجتماعات فى بيت الحكمة ببغـداد وهى التى رعاها المـأمون أو دار الحكمة فى القـاهرة التى انشأها الحاكم بأمر الله وكان على الطلبة والعلماء أن يحضروا الى تلك الدور من شتى بقاع الأرض لحضور تلك الاجتماعات فى مجـال التأليف العلمى والتزم أغلب الأطباء العرب منهجية فى كتاباتهم بالحرص على ذكر مصادر من سبقوهم(١٣٦) .

---

(١٣١) د. خالد ناجى : ( **الطب عند الرازى** ) مجلة المؤرخ العربى - بغـداد - العراق عـ ٦ ( ١٩٨١ م ) ص ٣٨ .

(١٣٢) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٨٢ .

(١٣٣) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٧١ ، ٧٢ .

(١٣٤) المصدر نفسـه ص ٩٩ ، ١٠٠ .

(١٣٥) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٣٩ .

(١٣٦) د. مرسى محمد عرب : ( **التراث الطبى العربى بين الأصالة والتجـديد** ) مجلة المؤرخ العربى - بغـداد - العراق عـ ٩ ( ١٩٧٨ م ) ص ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٣ .

اقام يوحنا بن ماسويه مستشفى فى بغـداد كذلك جعله الخليفـة المـأمون رئيسا لبيت الحكمة(١٣٧) ، وقـد تمكن من تحقيق مآربه عندما أصيب المـأمون فى رقبته وهـو فى طرطوس فقـد أمر يوحنا تلامذته أن يفتح الخراج فى رقبته قبـل نضوجها ، ورغم تمنع التلميذ قال لـه : امض وافتحها كما أقـول ولا تراجعنى وهكذا أدت العملية بهـذا الشكل الى وفاة المـأمون(١٣٨) .

ان المـال والحظوة مسخا ابن ماسويه وجعلا منه انسانا عـديم الدين فقـد خان الأمانة ولم يدانيه بذلك عاقل أو يركن اليـه حازم . حتى أن الناس أخـذت تقـول أن هؤلاء القوم من جنديسابور أخـذوا يعتقدون أنهم وحـدهم أهل لهـذا العلم ، ويعملون على أن لا يتسرب الى غير أبنـائهم وذويهم وقـد تعصبوا كثيرا لأبناء جنسـهم(١٣٩) .

حتى أنه عندما قـدم حنين بن اسحاق من الحيرة لدراسة الطب فى بغـداد ، سعى يوحنا الى مضايقته واغلاق أبواب التحصيل بوجهه وحـدث أن سـأل حنين يوحنا عن بعض ما يقرأ وكان حنين شـديد الانتباه كثير المطالعة فشعر يوحنا ببعض الاحراج فأمر باخراجه ومنعه من حضور مجلسه وهـو يقول : « ما لأهـل الحيرة من دراية بأمور الطب وصناعته فخرج حنين مكروبا ورحـل بعـدها الى بلاد الروم لطلب العـلم »(١٤٠) .

ان صيرورة الطب عند حنين بن اسحاق الذى ولـد فى الحيرة من قبيلة عبـاد العربية النصرانية ، اشتهر بنقـل الكتب اليـونانية الى السريانية والعربيـة ومن مؤلفـاته : « المدخـل فى الطب » وغيره ممـا ترجمه عن أفلاطون وأرسطو وأبو قراط وجالينـوس .

لكن الطب اذا ما أصـبح نوعا من التجارة وخضع للأهـواء السياسية ، فقـد اثار بلبلة واسعة فى هـذا الوسط حيث تصـدى للمعالجة والتحصيل والترجمـة أشخاص ليسوا مؤهلـين وهم أقرب الى الاحتراف منهم الى العلم ولم تكن للطب

---

(١٣٧) د. التسحات زغلول : السريان والحضارة الاسلامية ص ١٨٦ .

(١٣٨) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٨٢ .

(١٤٩) المصـدر نفسـه ص ١٥٨ ، ١٩١ .

(١٤٠) براون ، ادوارد جـورج : ( **الطب العربى** ) ترجمة د. داوود سلمان على ( مطبعة العانى ـ بغـداد ـ العراق ١٩٦٤ م ) ص ٣٨ .

قواعـــد معينة تحكم تحصيله وممارسته ولم يكن هنـــاك امتحان للأطبـــاء يجيز لهم ممارســـة المهنة زمن الخليفة المقتدر(١٤١) .

لذلك عمل الخليفة المـــأمون الذى أراد أن يجعـــل الطب عربيا أصيلا على أن يكون من بين العرب مترجمون ينقلون الطب والعلم والفلسفة من اليونانية الى العربية مباشرة . وكان على رأس هؤلاء جميعا شيخ تراجمة العصر العباسى بل ومترجم العرب الأكبر حنين بن اسحاق الذى قام مع غيره من التراجمة كثابت بن قرة وابنـــه سنان بترجمة كتب الطب اليونانية الى اللغة العربية ترجمة متقنة دقيقة(١٤٢) .

هـــذا . وقـــد كان لحنين مؤلفات طبية أشهرها عشر مقالات فى طب العيـــون ـــ كما كتب غيره من أولئك التراجمة كتبا طبية أخرى ، غير أنهم جميعا قلمـــا أتوا بجـــديد فى الكتابات اذ أنهم قـــد اقتبسوا عن اليونان أكثر ما كتبوا فيها . وفيـــه استقر علم الطب فى اذهان العرب وازدهر ازدهارا بالغا ونبغ فيه الكثيرون(١٤٣) .

ووجـــد الخليفة المـــأمون مدرسة للحكماء فى بغـــداد حيث ظلت ترجمة الآثار اليـــونانية ودراستها متواصلة باشـــد ما يمكن من النشاط والعزم ولعب الطبيب النسطورى حنين بن اسحاق العبادى فى ميدان الترجمة دورا هاما وأسرته ، ولم يشتغل فى بغـــداد وحـــدها بل سار الى ســـوريا وفلسطين وهـــو فى طريقه الى الاسكندرية ليقف على كل وعى العالم القـــديم من الطب ويوسع معارفه العلميـــة باللغـــة اليـــونانية(١٤٤) .

ويقول كارل بروكلمان : « وفى بغـــداد التقى الطب اليونانى بالطب الهنـــدى على صعيد واحـــد ، فقد سبق لهارون الرشيد نفسه أن استدعـى الطبيب الهندى « منكه » الى بغـــداد ، كما سبق للبرامكة أن أمروا بنقـــل بعض كتب الطب الهندية الى اللغـــة العربيـــة(١٤٥) .

---

(١٤١) اليعقوبى ، أحمد بن أبى يعقوب بن واضح : ( **كتـــاب البلـــدان** ) . تحقيق دى غـوية ( لـيدن ، بريل ١٨٩٢ م ) . ص ٤٦ .

(١٤٢) د. حسن أحمد ابراهيم : ( **العرب واثراء الدراسات الطبية** ) . مجلة المؤرخ العربى ـ بغـداد ـ العراق ( ١٩٨١ م ) ص ١٤٥ .

(١٤٣) المرجـع نفسـه ص ١٤٦ .

(١٤٤) أرنولد ، سيرتوماس وآخرون : تراث الاسلام ج ٣ ص ٣٦٥ .

(١٤٥) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ج ٢ ص ٣٩ .

ويقول القفطى فى اخبار الحكماء : « والهند هم الأمة الأولى كثيرة العـــدد فخمة الممالك قـــد اعترف لهـــا بالحكمة وأقر بالتبريز فى فنون المعرفة ــ كل الملل السالفة ــ وكان الصين يسمون ملك الهند ملك الحكمة لفرط عنايتهم بالعلوم ــ فكان الهند عند جميع الأمم معـــدن الحكمة وينبوع العـــدل والسياسة(١٤٦) .

لم يكن الدور الذى قامت به الثقـــافة الهندية فى تغـــذية العقلية العربية وبناء الفكر الاسلامى بأقـــل خطرا من الدور الذى قامت به الثقافة الفارسية ، فقـــد كان للهنود من قـــديم الزمان علم وحكمة وفلسفة ومعرفة واسعة بالحساب والرياضـــة والفلك والتنجيم والطب كما كان لهم آداب وقصص وفنون مختلفة وحرف كثيرة ؛ وقـــد عرف المؤرخون فى الشرق والغرب هـــذه الثقافة الواسعة التى اشتهر بهـــا الهنود فأشادوا وتحـــدثوا عنها ، فيقول « ديبـــور » : « الهند تعـــد بلاد الحكمـــة على الحقيقة ــ وكثيرا ما يقول العرب فى كتبهم أنها مهد الفلسفة »(١٤٧) .

نخلص من ذلك الى أن بغـــداد أصبح لدى علمائها مادة غزيرة فى الطب ، وقـــد شجع الخلفاء العباسيون الأطبـــاء على تأدية رسالتهم الانسانية فمنحوهم الرواتب الكثيرة وكافأوهم احسن مكافأة كمـــا شجعوهم على الترجمـــة والتصنيف وأسسوا المدارس الطبية والبيمارستانات من بينها بيمارستان لعلاج مكفوفى البصر ، ومصحة للمصابين بأمراض عقلية وكان بيت الحكمة مزودا بالكتب الطبية القيمة(١٤٨) .

كما جمعت المخطوطات الكثيرة التى خلفتها الحضـــارات الهندية والفارســـية والسريانية واليـــونانية وحفظت فى مكتبة بيت الحكمـــة كمؤسسة علمية وجامعـــة اســـــلامية(١٤٩) .

قام العرب أيضا بانشاء المستوصفات المتنقلة المحمولة بين القرى والى جانبهـــا مستوصفات خاصة بالسجون ، وفى عام ٩٢٣ م أقام الوزير ابن الفرات فى بغـــداد عيادة جامعة على نفقته الخاصة وخصصها للموظفين العاملين تحت امرته ، ولم يكن تأسيس المستشفيات وقفا على الخلفاء والسلاطين أو الرجال الأغنياء ، وانما دأب

---

(١٤٦) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء : ص ٢٦٦ .

(١٤٧) ديبور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ١٢ .

(١٤٨) د. عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٩١ .

(١٤٩) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى ص ٢٧ .

ايضا على تأسيسها الأطباء أمثال سنان بن ثابت وثابت بن سنان بن ثابت بن قرة وحفيده[١٥٠] .

ومما يذكر ان المستشفيات عند العرب كانت من نوعين أحدهما : خاص ببعض الأمراض المعدية وهو النوع المتنقل حسب ظروف الأمراض والأوبئة وانتشارها . وثانيهما : المستشفى العام لجميع الأمراض وكلا النوعين مقسم الى قسمين رئيسيين : واحد للرجال والآخر للنساء[١٥١] .

لقد برع أطباء العرب المسلمين فى علم الطب حتى ظلت مؤلفاتهم تستعمل فى جامعات العالم قرونا عديدة ، وتقدموا على من سبقهم من الأمم فى كل علم من علم الجراحة وطب الأطفال وانشأوا المستشفيات وقننوا نظمها .

تقول زغريد هونكه فى كتابها « شمس العرب تسطع على الغرب » قبل ٦٠٠ عام كان لكلية الطب الفارسية أصغر مكتبة فى العالم فلا تحتوى الا على مؤلف واحد ، وهذا المؤلف كان لعربى كبير ( أبى بكر الرازى ) وكان هذا الأثر العظيم ذا قيمة كبيرة بدليل ان ملك المسيحية لويس الحادى عشر اضطر الى دفع اثنى عشر ماركا من الفضة ومائة تالر من الذهب الخالص لقاء استعارة هذا الكنز الغالى رغبة منه فى أن ينسخ له اطباؤه نسخة منه يرجعون اليها اذا ما هدده مرض أو دواء صحته وصحة عائلته »[١٥٢] .

يقول ف. بارثولد : « كان للمسلمين طريق آخر غير بيزنطة لتلقى العلوم اليونانية ، وهو مدرسة الطب التى بجنديسابور والتى بقيت قرونا عدة بعد فتح المسلمين »[١٥٣] .

ويقول خودابخش : « رغم سقوط الدولة الفارسية ، فقد استمرت الاكاديمية فى نشاطها طوال ثلاثة قرون انقضت على نهاية الساسانيين[١٥٤] . ولم يكن

---

(١٥٠) هل ، يوسف : ( **الحضارة العربية** ) ترجمة د. ابراهيم أحمد العدوى ( مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة ١٩٥٦ م ) ص ٩٨ .

(١٥١) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى ص ٢٨ .

(١٥٢) زغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٢٥٧ .

(١٥٣) ف. بارثولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٥٣ ترجمة حمزة طاهر .

(١٥٤) خودابخش : الحضارة الاسلامية ص ١٥٧ .

الخليفة الواثق اقــل اهتماما من أسلافه بعلم الطب ـــ بل كان يكرم اهــل العــلم عموما ، وكان يعقد مجالس مناظراته فى فروع العلم المختلفة ومن بينها الطب . ومن مناظراته لأطبائه يتضح لنا ان الأطباء فى بغداد كانوا يعتمدون على التجربة(١٥٥) .

كذلك حــذق الأطباء فى بغــداد فى طب الأسنان . فقسموا الأسنان الى ٣٢ سنا منهــا فى اللحى الأعلى ســتة عشر ســنا وفى اللحى الاسفل كذلك . وتوجــد قواطــع أربع فى كل واحــد من اللحيين عراض محــددة الأطراف . ومن جنبى هــذه الأربع فى كل واحــد من اللحيين سنان رءوسها حادة واصولها عريضــة وهى الأنياب ، وبها كسر كل ما يحتاج الى تكسيره من الأشياء الصلبة ممــا يؤكل . وعن جانبى النابين فى كل واحــد من اللحيين خمس أسنان ، وهى الأضراس ، وتسمى الطواحين لأنها تطحن كل ما يؤكل . وكان فى بغــداد أطباء للعيون(١٥٦) نذكر منهم : على بن عيسى ولد فى القرن الخامس الهجرى وهــو اشهر اطباء العيون وله ٣٢ كتابا فى علم الرمد افضلها تذكرة الكحالين وقــد وصف فيها ١٣٠ مرضــا من أمراض العيون ، ونقلت الى العبرية مرة والى اللاتينية مرتين(١٥٧) .

كذلك برع اهــل بغــداد فى علم الصيدلة ، ومن أبرز علماء الصيدلة كوهين العطار اليهودى الذى وضع كثيرا من المؤلفات منها كتاب الصيدلة ، شرح فيه العقاقير شرحا وافيا واوضح طريقــة عمــل المشروبات والجرعات والمساحيق والحبــوب وغــــيرها(١٥٨) .

ومن أعظم أطباء العرب محمد بن زكريا الرازى ( ٢٥١ هـ/٣١٠ هـ ـــ ٨٦٥ م/ ٩٢٥ م ) وينسب الى مسقط رأسه(١٥٩) فهو كطبيب معالج يتمتع بخصائص ممتــازة أظهرها استقاؤه أعراض المرض ، فهــو يغضب غضبا شــديدا عندما يخطىء ويكون خطــأه راجعا الى نقص فى سؤال المريض ، كما كانت لــه عناية خاصة بالتشخيص

---

(١٥٥) د. عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٩٤ .

(١٥٦) المسعودى : مروج الذهب : ج ٢ ص ٣٨٦ .

(١٥٧) د. حسن الشيال : دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ٩٣ .

(١٥٨) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٩٥ .

(١٥٩) ولد فى الرى من أعمال فارس جنوبى طهران ، توفى ٣١٠ هـ/٩٢٥ م قـدرى حافظ طوقان . تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٢١٦ .

المقارن . ولــه قول جيد فى أمراض الجهاز البولى . وهــو أول من فرق بين الحصبة والجــــدرى[١٦٠] .

وللطبيب الرازى العربى الرائد كلمات مأثورة فى العلاج أضاءت ولا تزال تضىء الطريق أمام الأطباء فى مشارق الأرض ومغاربها فحكمته الخالدة تقول : « مهما قدرت أن تعالج بالأغــذية فلا تعالج بالأدوية ، ومهما قــدرت أن تعالج بدواء منفرد فلا تعالج بدواء مركب » وحكمة اخرى أطلقها ذلك العالم الجليل : « اذا كان الطبيب عالمــا والمريض مطيعا فما اقــل لبث العلة » . ومن مآثره أيضا : « ينبغى للطبيب أن يوهم المريض ابدا بالصحة ويوحيه بها وان كان غير واثق بذلك فمزاج الأخـــلاق النفسى » . وقــوله الخلاق : « ينبغى للطبيب أن لا يدع مسألة المريض عن كل ما يمكن أن تتولد عنه علته » واخيرا : « وأن من العلل ما تجتمع فى الأيام وتبرأ[١٦١] .

وأختتم الكلام عن الرازى بالقول الشائع المعروف : « كان الطب معروفا فأحياه جالينوس ، وكان الطب متفرقا فجمعه « الرازى » والرازى فى الواقع لم يقف عند الجمع بل أضاف اضافات مهمة دفعت بالبحوث الطبية والكيميائية خطوات الى الأمام ولــه مؤلفات غير التى ذكرت فى الطب والكيمياء والصيدلة[١٦٢] .

ومن أطباء بغــداد أيضا ابن جزله الذى اعتنق الاسلام سنة ١٠٧٤ م وتوفى ١١٠٠ م وله « تقــويم الأبدان فى تدبير الانسان » رتبت فيه أسماء الأمراض بجداول . و « منهج البيان فيما يستعمله الانسان من العقاقير »[١٦٣] . ونقــل الى اللاتينية فى ستراسبورغ سنة ١٩٣٢ م .

أما قسطا بن لوقا البعلبكى توفى حوالى سنة ٩١٢ م : اشتهر بصناعة الطب وبرع فى علوم أخرى ، كالفلسفة والهندسة والأعــداد والموسيقى ، عــدا اجادته اللغــة اليونانية ، وقــد ترجم منها كثيرا[١٦٤] .

---

(١٦٠) حسن احمد ابراهيم : العرب واثراء الدراسات الطبية مجلة المؤرخ العربى - بغــداد - العراق عــ ١٧ ص ١٤٥ .

(١٦١) المرجــع نفســه ص ١٥٢ .

(١٦٢) قــدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٢٢١ .

(١٦٣) زغريد هــونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٤٧ .

(١٦٤) ابن النــديم : الفهرســت ص ٤١١ .

وابن التلميذ : عميد الأطباء فى بغـــداد أهم كتبه كتاب « الأقرباذين الكبير » استعمل فى العالم العربى لعـــدة قرون كـــكتاب للتعليم . أما كتـــابه « الأقرباذين الصغير » فقـــد استخدم فى المستشفيات ، وله ١٨ مؤلفا آخر كما اهتم بالشـــعر والأدب(١٦٥) .

أما سنان بن ثابت فكان طبيبا للمقتدر وقـــد بلغ من عـــلو منزلته أن وكل اليه المقتدر أمر امتحان الأطباء واجازاتهم ولقـــد أشار سنان بفتح البيمارستان المقتدرى ؛ وانفق عليه من ماله ، كما فتح بيمارستان السيدة دربت المتطببين به ، ولقـــد « نقـــل الى العربى نواميس هرمس والصلوات التى يصلى بها الصابئين ومن تصانيفه(١٦٦) . رسالة فى تاريخ ملوك السريان ورسالة فى شرح مذهب الصابئين .

كما كان هلال بن ابراهيم طبيبا حاذقا تقـــدم عند أجـــلاء بغـــداد وخالطهم بصناعته ، وكذلك ثابت بن ابراهيم فكان كذلك طبيبا حاذقا ببغـــداد(١٦٧) . وهناك على بن العباس الذى نذكر من تآليفه الكتاب الملكى الذى وضعه لعضد الدولة(١٦٨) .

أما ابن بطلان هـــو الحكيم : أبو الحسن الطبيب البغـــدادى المعروف بابن بطلان طبيب منطقى نصرانى من أهـــل بغـــداد وفضل فى علم الأوائل يرتزق بصناعة الطب وخرج عن بغـــداد الى الجزيرة والموصل ودخـــل حلب وأقام بها لكنه ســـئم الأسفار وانقطع للعبـــادة ، الى أن توفى سنة ٤٤٤ هـ ، ومن مؤلفـــاته ( دعـــوة الأطبـــــاء )(١٦٩) .

---

(١٦٥) زغريد هـونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٤٨ .

(١٦٦) ابن القفطى : أخبـار العلماء باخبـار الحكماء ص ١٣٣ .

(١٦٧) المصـدر نفسـه ص ٧٨ .

(١٦٨) د. حسن الشيال : دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ٩٣ .

(١٦٩) زغريد هـونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٤٨ .

## سادسا ـ علم الفلك والتنجيم :

مما لا شك فيه أن علم الفلك تقدم تقدما كبيرا فى العصر العباسى كغيره من فروع المعرفة ، وكانت بعض مسائله مما يطالب المسلم بمعرفتها ، كأوقات الصلاة التى تختلف بحسب المواقع من يوم الى يوم ، ولا يخفى أن حسابها يقتضى معرفة عرض الموقع الجغرافى وحركة الشمس فى البروج ، وأحوال الشفق الأساسية ، وفوق ذلك : فاتجاه المسلمين الى الكعبة فى صلواتهم يستلزم معرفتهم تجاه القبلة أى حل مسالة من مسائل علم الهيئة الكبرى ، مبنية على حساب المثلثات(١٧٠) .

وهناك صلاة الكسوف أو الخسوف التى تقتضى معرفتها ، معرفة حساب النيرين واستعمال الازياج الدقيقة . وهناك أيضا هلال رمضان ، واحكام الشريعة والصوم ، حملت الفلكيين على البحث عن المسائل العويصة المتصلة بشروط رؤية الهلال ، وأحوال الشفق ، فبرزوا فى ذلك واخترعوا حسابات وطرقا بديعة ، لم يسبقهم اليها احد من الهنود والفرس(١٧١) .

أضف الى هذا كله شغف الناس بالتنجيم ، كل هذه العوامل ساعدت على الاهتمام بالفلك والتعمق فيه تعمقا أدى الى الجمع بين مذاهب اليونان والكلدان والهنود والسريان والفرس والى اضافات لولاها لما أصبح علم الفلك على ما عليه الآن .

قد يستغرب القارىء اذا علم أن أول كتاب فى الفلك والنجوم ترجم عن اليونانية الى العربية لم يكن فى العهد العباسى ، بل فى زمن الأمويين قبل انقراض دولتهم فى دمشق بسبع سنين . ويرجح الباحثون أن الكتاب هو ترجمة « كتاب عرض مفتاح النجوم » الى « هرمس الحكيم » والكتاب المذكور : موضوع على تحليل سنى العالم وما فيها من الأحكام النجومية(١٧٢) .

فعلم اللفك هو علم ينظر فى حركات الكواكب الثابتة أو المتحركة ويستدل من تلك الحركات على اشكال وأوضاع للأفلاك لزمت عنها الحركات المحسوسة بطرق هندسية ، وكان اليونانيون يعنون بالرصد كثيرا ، ويتخذون له الآلات التى توضع

---

(١٧٠) نالللنيو ( كرلو ) : علم للفلك وتاريخه عند العرب فى القرون الوسطى ص ٢٣٠ .

(١٧١) المرجع نفسه ص ٢٣١ .

(١٧٢) المرجع نفسه ص ٢٤١ .

ليرصد بها حركة الكواكب المعينة ، بقصد معرفة عملها والبرهنة على مطابقة حركتها بحركة الفلك(١٧٣) .

يقول الجاحظ : « اشتهر الهند بالحساب وعلم النجوم ، والأسرار والتصاوير والصناعات الكثيرة العجيبة »(١٧٤) . ويقول الآصفهانى : « ان الهند لهم معرفة بالحساب والخط الهندى وأسرار الطب وعلاج فاحش الأدواء والرقى وعلم الأوهام وخرط التماثيل ونحت الصور وطبع السيوف والشطرنج »(١٧٥) . فالمسعودى فى « مروج الذهب » والبيرونى فى « تحقيق ما للهند من مقولة » ونالِّلنيو فى كتابه « علم الفلك » يتحدثان عن مدى ثقافة الهند وحكمتهم وفلسفتهم واحاطتهم بعلوم الفلك والطب والتنجيم(١٧٦) .

وقد اتصل العرب بهذه الثقافات وأفادوا منذ أن كانت لهم صلة بالهند ، أيام السلم عن طريق التجارة أو أيام الحرب فى عهد الفتوحات(١٧٧) وقد فتح العرب السند وكابل وكشمير(١٧٨) .

أصبحت هذه البلاد خاضعة للدولة الاسلامية ، فأتاح ذلك للعرب أن يتصلوا بالهنود ، وللهنود أن يندمجوا فى الحياة الاسلامية ، ويتنقلوا فى ربوعها من بلد الى آخر — وحينئذ تم اللقاح الثقافى بين العرب والهند . وقد كان بين الهنود الذين أسرو افى الحرب من برز فى العلم والأدب والشعر كابن الأعرابى وأبى معشر نجيح السندى وأبى عطاء السندى(١٧٩) ، وغيرهم .

اذن لقد كان للثقافة الهندية فى مختلف مناحيها دور هام فى ايضاح الفكر الاسلامى ويقرر ديبور أن كتاب « السند هند » الذى ترجمه الفزارى الى اللغة العربية قد عرف قبل أن يعرف كتاب المجستى لبطليموس(١٨٠) .

---

(١٧٣) المسعودى : مروج الذهب جـ ٢ ص ٥٥٤ .
(١٧٤) الجاحظ : رسائل الجاحظ ص ٧٣ .
(١٧٥) الأصفهانى ، حسين : محاضرات الأدباء جـ ١ ص ٩٣ .
(١٧٦) أحمد أمين : ضحى الاسلام جـ ١ ص ٢٤٤ .
(١٧٧) ديبور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ١٢ .
(١٧٨) ابن خرداذبة ، عبيد الله : ( **المسالك والممالك** ) . ( طبعة ليدن – ١٨٨٩ م ) ص ٦٢ .
(١٧٩) د. عبد الحكيم بلبع : ادب المعتزلة ص ١٨٩ .
(١٨٠) ديبور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ١٤ .

يحكى نالللنيو : « أن وفـــدا من الهند وفـــد على ابى جعفر المنصور ســـنة ١٥٤ هـ وفيهم رجـــل ماهر فى معرفة حركات الكواكب وحسابها ، وســـائر أعمـــال الفلك على مذهب علماء أمته . وخصوصا على مذهب كتاب باللغة السنسكريتية اسمه « براهمسبهطسد هانت » ألفـــه سنة ٦٣٨ م أو ٧٠٦ م الفلكى الرياضى « برهمكبت » فكلف المنصور ذلك الهندى باملاء مختصر الكتاب ثم أمر بترجمته الى اللغة العربية ، وباستخراج كتاب منه تتخـــذه العرب اصلا فى حساب حركات الكواكب وما يتعلق به من الاعمال فتولى ذلك الفزارى وعمل منه زيجا اشتهر به بين علماء العرب ، حتى انهم لم يعمـــلوا الا به الى أيام المـــأمون حيث ابتـــداء مذهب بطليمـــوس فى الحساب والجـــداول الفلكية »[١٨١] . هـــذا الكتـــاب الذى ألفـــه « برهمكبت » هـــو الذى اشتهر بين المسلمين بعـــد اختصاره باسم « السند هند » .

ثم يقول نالللنيو : « ... فاتضح ممـــا بينته أن تأثير علماء الهنـــد والفرس فى نشأة ميل العرب الى ذلك العلم الجليل سبق تأثير اليونان ولو بزمن قليل »[١٨٢] . يؤخـــذ من هـــذا كله ومن التقارير الكثيرة التى سجلها البيرونى فى كتـــابه « تحقيق ما للهند من مقولة » ان العلم الهندى وبخاصة الطب والرياضة والفلك كان له الفضل فى توجيه المسلمين الى هـــذه المجالات .

فعلم الفـــلك هـــو أول ما أعتنى العرب به فى بغـــداد ، حيث كانت بغـــداد مركزا مهما لمباحث علم الفلك ، ولكنها لم تكن المركز الوحيد لهـــذه المباحث ، فالمراصد كانت قائمـــة فى البلاد الممتدة من آسيا الوسطى الى ســـواحل المحيط الأطلسى ولا سيما فى دمشق وسمرقند والقاهرة وفاس وطليطلة وقرطبة[١٨٣] . وقـــد اشتهر عند العرب فى علم الفلك كتاب المجستى وهـــو تأليف العالم بطليموس الذى عاش فى القرن الثانى بعـــد الميلاد ونقـــل العرب كتابه فى عصر الترجمة وقـــد أخـــذت أوروبا اللاتينية اسم الكتاب عن العربية ممـــا يدل على ارتفاع شـــأن العرب فى الحضارة[١٨٤] . والفلك من أحب الدراسات الى العرب بعـــد الرياضيات ذلك لأن النجوم منذ الأيام القـــديمة كانت هى هادى العرب فى الصحراء ، وقـــد عرف العرب أن ضـــوء القمر مستمد من الشمس ولكن أخطأوا فى أن الأرض مركز الكون ،

---

(١٨١) نالللنيو : علم الفلك وتاريخه عند العرب فى العصور الوسطى ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

(١٨٢) المرجـع نفســه ص ٢١٤ .

(١٨٣) جوستاف لوبون : حضـارة العرب ص ٤٨١ .

(١٨٤) د. أحمد فـؤاد الأهـوانى : ( **الفلسفة الاسلامية** ) . ( دار القلم بمصر ـ القـــاهرة ١٩٦٥ م ) ص ٤٤ ، ٤٥ .

وكان معلم أوروبا فى هـــذا الميدان اثنين من اقـــدم الفلكيين المسلمين وهما ( الفرغانى والبتانى ) اللذين تمتعا بشهرة ذائعة تحت اسمى الفراجانوس والباياتجنيوس[١٨٥] .

ممـــا يدل على أن الغرب مدين لمــا قام به المسلمون من دراسات فلكية فى العصور الوسطى تلك المصطلحات الفلكية العـــديدة ذات الأصـــل العربى مثل سمت الرأس وسمت السماوات وسمت العـــدم وغير ذلك[١٨٦] . عنى العباسيون[١٨٧] فى بغـــداد برصـــد الكواكب ، والخليفة المنصور أول خليفة قرب المنجمين ، وعمـــل بأحكام النجوم وبلغ من شغفه بالمشتغلين بالفلك درجـــة جعلته يصطحب معه دائما من منجميه نوبخت الذى أسلم على يديه ، وابراهيم الفزارى صاحب القصـــيدة فى النجوم نقتطف منها الجزء المتعلق بحساب الوقت :

**فـــان اردت ما مضى وما بقى من النهار بالحساب الاوفـــــق**

**فأعمـــل هـــداك الله بالترفـــق**

**عـــودا وقـــدرة لحسن القـــدر ستار وستار استعن بالصـــبر**

**وطـــوله قـــدرا كقـــدر الشبر**

**فانصـــبه نصـــبا فى مكان مستو ثم انظر الظـــل الى ما ينتهى**

**فقـــدره بالعـــود ( هنا نقص فى الأصـــل )[١٨٨]**

كما كان هناك من علماء الفلك على بن عيسى الأسطرلابى المنجم وبلغ من شغف المنصور بعلم الفلك أن عهد الى علماء الفلك بترجمة أعمال الاغريق والسريان والفرس والهنود ، فترجم له كتاب « السند هند الكبير » وظل هـــذا الكتاب فى بغـــداد أهم مرجـــع فى هـــذا العلم حتى عهد المـــأمون ، فاختصره الخوارزمى وأضاف اليه اضافات من مراجع فارسية ويونانية ، وضم اليه أبوابا مفيدة ، واعتمد العرب على زيجه[١٨٩] وأخـــذوا منه فى وضع أزياجهم ، وألف فى الفلك[١٩٠] ، كما نقـــل يحيى بن البطريق فى عهد المنصور كتاب الأربع مقالات لبطليموس فى أحكام النجوم[١٩١] .

---

(١٨٥) حسنى أحمد حماد : الحضارة العربية نشأتها وتطورها ص ٥٨ .

(١٨٦) هـل ، يوسـف : الحضارة العربية ص ١١٠ .

(١٨٧) المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ص ٥٥٥ .

(١٨٨) محمد رجب السامرائى : علم الفلك عند العرب ص ٧٠ ، ٧١ .

(١٨٩) زيج : جـدول فلـكى .

(١٩٠) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٢٠ .

(١٩١) المصـدر نفسـه ص ٢٣٣ .

كان اهتمام المهدى بالنجوم لا يقل عن اهتمام أبيه المنصور فكان تيوفل ابن توما رئيس منجميه عالما بالنجوم ، وصنف فيها كتبا ، وترجم كتابا فى الفلك من اليونانية الى السريانية وفى عهده تم تصحيح بعض أخطاء كتاب المجستى لبطليموس(١٩٢) .

وفى عصر الخليفة هارون الرشيد وابنه المأمون صاغ العرب كل أسماء النجوم والكواكب لدى ترجمتهم لأعمال الفلكى الأكبر أبرخس HIPPARCH ودليله المنقح بقلم بطليموس PTOLEMAIS مع عدم اغفال أسمائها القديمة التقليدية الأمر الذى جعل لمعظم أسماء الكواكب الثابتة فيما بعد ، أسماء ذات مصدر عربى كالغول ALGOL والكور ALKOR والطير ALLTALR والذنب DENALS وفم الحوت FAMALHOUT وغيرها . ولم ينحصر الأمر بأسماء النجوم فحسب بل تعداها الى الرموز الفلكية ASTRONC MISCHE وأشكالها التى يعرفها الكل ، كالسمت ZENITH وسموت الشمس AZIMUT والنظير NADIR والمقنطرات ALMUQNTARAT والعضادة ALHIDADE والبتودوليت THEODOLIT وبتشجيع من علم الفلك الهندى فى كتاب « سند هند » SIDHANTA لبراهما غويتا BRAHMAGOPLA وعلم الفلك فى كتاب المجستى ALMAGEST لبطليموس . وانصرف العرب الى الاهتمام بهذا العلم وأصبحوا فى قصور خلفاء المنصور والرشيد والمأمون خاصة يراقبون السماء وما دار فى فلكها من نجوم مراقبة دقيقة علمية منطلقين به من مفهومه البدوى المحدود الى آفاق واسعة جعلت من ذلك العلم القائد فى العالم نقرون عديدة(١٩٣) .

كما كان الفضل بن سهل وزير المأمون حجة فى علم الفلك ويقال أن النجوم دلته على أن الأمر سيصير للمأمون لذلك تقرب اليه ، وأخلص له ، ولما ولى المأمون الخلافة قدر جهود الحسن بن سهل فى بلوغه الخلافة فاستوزره ، وكان الحسن بن سهل أيضا على علم بالنجوم ، وقد علم بمؤامرة لاغتيال أخيه الفضل فى خلال بالنجوم . ولا يمكن قبول الروايات التى ترددت عن أن النجوم أنبأت المسلمين بها عن الحوادث المستقبلة ، ولكن الناس كانوا فى ذلك العصر شغوفين باستطلاع الأخبار عن طريق النجوم(١٩٤) .

---

(١٩٢) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٢١ ، ٢٢٣ .

(١٩٣) زغريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ص ١١٤ ، ١١٥ .

(١٩٤) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٨٥ .

مهما يكن من أمر فقد انتقلت علوم الاغريق فى النجوم الى العرب وخاصة ما كتبه بطليموس عن طريق الأرض والكواكب والشمس ، وقد نقلوا — كما قلنا كتاب المجستى[١٩٥] — وزادوا عليه ، ووافقوه فى بعض آرائه . وخالفوه فى بعضها ، قالوا : ان الأرض مركز للكون وأنها قائمة فى الفضاء ، وقالوا بدوران الشمس والقمر والنجوم حول الأرض ، وأن القمر أقرب الأجرام السماوية الى الأرض ويليه الكواكب الأخرى ، وأنها جميعا تدور حول الأرض دورة كاملة كل يوم ، كما قاسوا أجرام الشمس والقمر والنجوم بطرق هندسية حسابية بما يقرب من الحقيقة . وقاسوا أبعادها عن الأرض ، وقد أنشأ المأمون مرصدا فى الشماسية فى بغداد وكان أساس تقدم العرب فى النجوم يرجع الى المراصد التى أقاموها ، والأجهزة التى ابتكروها . على أن معظم المعدات الفلكية التى استخدموها مثل الأسطرلاب كانت فى الغالب مبنية على النماذج اليونانية وأجريت حسابات دقيقة فى الفلك ، وعلى فروض تفرض لتعليل ما يرى من الظواهر الفلكية[١٩٦] .

وجدير بالذكر أن المراصد تضمنت آلات الأسطرلاب الذى يقيس ارتفاعات الكواكب من الأفق ، وتعيين الزمن ، وحل كثير من المسائل الفلكية كما وضعوا الأزياج ، وهى جداول فلكية تتضمن قوانين رياضية فيما يختص بكل كوكب عن طريق حركته مثل زيج البلخى وزيج الخوارزمى[١٩٧] كذلك اهتم جابر بن حيان بدراسة علم الفلك ، وتوصل الى أن الكواكب السبعة تختلف فى مقدار الحرارة التى تستمدها من الشمس باختلاف قربها منها أو بعدها عنها فالشمس هى التى تمد الكواكب كلها بالحرارة والنور ، والشمس وسط بين الكواكب فتصل حرارتها الى الكواكب كلها . وعلى قدر القرب أو البعد من الشمس تكون حرارة الكواكب ، ودرس كوكبا من حيث ظواهره الطبيعية وخصائصه كما درس خصائص البروج[١٩٨] .

---

(١٩٥) لا شك أن المجستى من أهم ما نقل من التراث اليونانى الى العربية ، ومن اكثر المؤلفات التى ساعدت على تقدم الفلك عند العرب ، وقد وصفه « بطليموس العلوذى » ويقول عنه القفطى : « امام فى الرياضة كامل فاضل من علماء اليونان · كان فى أيام آندرياسيوس وفى أيام نظميوس من ملوك الروم وبعد « أبرخس » بمائتين وثمانين سنة ·· والى بطليموس هذا انتهى علم حركات النجوم ومعرفة أسرار الفلك وعنده اجتمع متفرقا من هذه الصناعة بأيدى اليونانيين والروم وغيرهم من ساكنى الشق الغربى من الأرض وبه انتظم شتيها وتجلى غامضها : ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار احكماء ص ٦٧ ، ٦٩ ·

(١٩٦) د· عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم عند العرب ص ١٠٨ ·

(١٩٧) د· عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية ص ٢٨٩ ·

(١٩٨) المرجع نفسه ص ٢٨٨ ·

من أبرز من تصـــدى لعلم الفلك فى بغـــداد جعفر بن محمد بن محمد بن عمر البلخى فكان امام وقته فى فنـــه وله التصانيف المفيدة فى علم الفـــلك . ولم يكن الخوارزمى عالمـــا فى الرياضيات فقط بل كان من المهتمين بعلم الفلك وكان احـــد منجمى المـــأمون ولعله اشترك فى حساب ميل الشمس فى عهـــده ، وجرى على العكوف فى مكتبة المـــأمون للاطلاع وكان من المنجمين الذين استدعاهم الواثق فى مرضـــه الأخير لينبئوه بما يكون من أمره ، وقـــد انصرف الى دراسة الجغرافيـــا والتاريخ بالاضـــافة الى الفـــلك ، وألف كتاب التاريخ الذى اعتمد عليـــه المسعودى فى دراساته ، أما المصادر اليونانية فكانت تأتى فى المرتبة الثانية من مصادرة وقـــد الف كتابين فى الأسطرلاب ، وتناول فيـــه مسائل فى التنجيم من الناحية العلمية واعـــد مجموعة من صور السماوات والعالم نزولا على طلب المـــأمون(١٩٩) . ومن هـــذه الصـــور كتاب « صـــورة الأرض » .

ان الانسان ليصل عن طريق علم النجوم الى برهان وحـــدة الله ومعرفة عظمته الهائلة ، وحكمته السامية ، وقوته الكبرى ، وكمال خلقه(٢٠٠) . قال البتانى ايضا « وهـــو أحـــد كبار فلكيى العرب » فان : « علم النجوم هـــو علم يتوجب على كل امرىء أن يعلمه ، كما يجب على المؤمن أن يلم بأمور الدين وقـــوانينه لأن علم الفلك يوصل الى برهان وحـــدة الله ومعرفتـــه وعظمته وحكمته وكمال خلقه(٢٠١) ولـــد البتانى(٢٠٢) فى بتان من نواحى حران ، وجاء فى دائرة المعارف لفريد وجـــدى أن البتانى ولد سنة ٢٤٠ هـ ويقول بول فى كتـــابه « مختصر تاريخ الرياضيات » أنه ولد سنة ٢٦٤ هـ/٨٧٧ م .

بينما المصادر العربية كالفهرست وبعض المصادر الأفرنجية لا تذكر بهـــذا الشأن ، أما كتاب آثار باقية فيقول « ان تاريخ ولادة البتانى غير معروف الا ان هناك ما يجعلنا أنه ولد بعـــد عام ٢٣٥ هـ وكانت وفاته سنة ٣٢٧ هـ فى طريقه « بقصر الجص » عند رجـــوعه من بغـــداد حيث كان مـــع بنى الزيات من أهـــل الرقـــة

---

(١٩٩) HITTI : History of the Arabs, p. 379.

(٢٠٠) زغريد هـونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ص ١١١ .

(٢٠١) المرجـع نفسـه ص ١٣٠ .

(٢٠٢) تقول المصادر ان البتانى ابتدأ الرصـد سنة ٢٦٤ هـ/٨٧٧ م يفكون « بول » قـد خلط بين تاريخ الولادة وابتداء الرصـد : طـوقان : تراث العرب العلمى ص ٢٤٢ .

فى ظـــلامات لهم[٢٠٣] . وقصر الجص هـــو قصر عظيم بنـــاه المعتصم قرب « ســـامراء »[٢٠٤] .

البتانى[٢٠٥] معروف عند الأفرنج باسم ( البتانى ALBATEG ) . وعنـد آخرين باسم ( الباتانمانيوس ALBATAGNIEIS ) . وقـد اشتهر برصـد الكواكب ويقال انه ابتدأ الرصـد سنة ٢٦٤ هـ والى ٣٠٦ هـ . وأمضى ذلك العهد فى الرقـة على الفرات وفى انطاكية بسوريا . وكان البتانى أوحـد عصره فى فنـه وأعماله تدل على غزارة فضله وسـعة علمه[٢٠٦] .

رأى البتانى أن شروط التقـدم فى علم الفلك ، والتبحر فى نظرياته ونقـدها ، والمثابرة على الأرصاد والعمل على اتقانها ذلك : « لأن الحركات السماوية لا يحـاط بها معرفة مستقاة حقيقة الا بتمادى العصور أو التدقيق فى الرصد »[٢٠٧] جاء فى زيجـه : « وان الذى يكون فيها من تقصير الانسان فى طبيعته عن بلوغ حقـائق الأشياء كما يبلغها فى القـوة ، يكون يسيرا غير محسوس عند الاجتهاد والتحرز ، ولا سيما فى المـدد الطوال . وقـد يعين الطبع وتسعد الهمة وصـدق النظر وأعمال الفكر والصبر على الأشياء ، وان عسر ادراكها وقـد يعـوق عن كثير من ذلك قلة الصبر ، ومحبـة الفخر والحظـوة ، عند ملـوك النـاس ، بادراك ما لا يمـكن ادراكـــه على الحقيقـــة فى سرعـة أو ادراك ما ليس فى طبيعتـــه أن يدركه الناس[٢٠٨] . أما عالم الفلك موسى بن شاكر وأولاده الثلاثة ، فكان فى قصر الخليفة المـأمون العظيم رجـل يدعى موسى بن شاكر صرف معظم سنى عمره فيه ، فأصاب مكانة عجز عن نيلها أحـد من علماء الفلك والرياضيات . ولا عجب فى ذلك . فقـد كان صـديق الخليفة الحميم وأقرب المقربين اليه وعلى الرغم من هـذا ، فقـد كان هـذا الرجل وهـو موثوق بقيود القصر الذهبية ورغم مكانتـه الخاصـة فى قلب أمير المؤمنين . وكانوا بنـو موسى بن شـاكر ، من أنشط العناصر التى كانت فى بيت الحكمـة وهم ثلاثة اخـوة محمد وأحمد والحسن ، وعرف أبناؤهم فيمـا بعـد ــ ببنى موسى المنجم[٢٠٩] .

---

(٢٠٣) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٣٩٠ .

(٢٠٤) ياقـوت الحمـوى : معجم البلـدان جـ ٧ ص ١٠٠ .

(٢٠٥) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٣٨٩ .

(٢٠٦) ابن خلكان : وفيـات الأعيـان جـ ٢ ص ٨٠ .

(٢٠٧) نالينو : علم الفلك وتاريخه عند العرب فى العصور الوسطى ص ٢١٤ .

(٢٠٨) قـدرى حافظ طوقان : تاريخ العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٢٤٢ .

(٢٠٩) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٣٧٨ ، ٣٧٩ .

كان أبوهم قد خدم المأمون ، وتوفى وهم صغار ، فأوصى المأمون بهم اسحاق بن ابراهيم المصعبى ، أن يثبتهم مع يحيى بن أبى منصور المنجم ، فى بيت الحكمة ، فلازموا التعلم بها ، فشبوا مولعين بعلوم الحكمة والهندسة والفلك ، والحيل والحركات الفلسفية ، ولما علا شأنهم أثبتوا فى بيت الحكمة مع العلماء والمترجمين ، فكانوا يتولون دائرة العلوم الرياضية والهيئة والهندسة والنجوم والحيل والموسيقى ، واشتهر اكبرهم أبو جعفر محمد بن موسى « المتوفى سنة ٢٥٩ هـ/٨٧٢ م » فكان يشرف على ما يترجم من كتب الجبر والمقابلة لبيت الحكمة ، وله كتاب يعملون بين يديه ، وتراجمة يترجمون الكتب التى يختارها وكان ممن يساعده فى عمله هذا يحيى بن أبى منصور الموصلى المنجم وكان أحد خزنة بيت الحكمة وأحد الرصاد[٢١٠] .

من هؤلاء الذين الفوا فى الفلك وعملوا أرصادا وازياجا جليلة ادت الى تقدم علم الفلك أمثال :

أحمد بن عبد الله حبش الحاسب المروزى ، ظهر فى عصر المأمون ولم تكتب عنه المصادر شيئا جديرا بالاعتبار ويقول ابن النديم :انه جاوز سنه المائة[٢١١] . قضى معظم أوقاته فى المطالعة والبحث فى كتب الأقدمين فى مختلف الفرون وهو من الذين كتبوا كثيرا فى الفلك وآلات الرصد[٢١٢] . ويقال : انه عمل أول جدول للظل ، ويوجد هذا الجدول فى احدى المخطوطات فى برلين[٢١٣] . ويظهر أن « حبشا الحاسب » استعمل القاطع أيضا . وله عدة تآليف منها : ثلاثة أزياج أولها : المؤلف على مذهب « السند هند » خالف فيه الفزارى والخوارزمى فى عامة الأفعال واستعماله الحركة واقبال البروج وادباره على رأى « ثادن الاسكندرى » واتضح له بها مواضع الكواكب فى الطول[٢١٤] . ثانيها : الزيج المتحن وهو أشهر ما له ألفه بعد أن رجع الى معاناة الرصد ، وضمنه حركات الكواكب على ما يوجبه الامتحان فى زمانه[٢١٥] .

ومما يدل على منزلة هذا الزيج وفضل مؤلفه « كون أبو الريحان البيروتى »

---

(٢١٠) ابن القفطى : اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ٢٨٧ .

(٢١١) ابن النديم : الفهرست ص ٣٨٤ .

(٢١٢) سميث : ( **تاريخ الرياضيات** ) مجلد ١ ص ١٧٤ .

(٢١٣) المرجع نفسه مجلد ٢ ص ٦٢ .

(٢١٤) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٨٦ .

(٢١٥) المصدر نفسه ص ٨٦ .

دافع عن الزيج المتحن فى كتابين من كتبــه[٢١٦] . ولقــــد لقب « حبش الكاتب الحاسب » بالحكيم حبش وفى كتاب « الآثار الباقية عن القرون الخاليـــة »[٢١٧] . وثالثها : الزيج الصغير المعروف بالشاه وله أيضا كتاب الأبعاد والأجرام « كتاب عمل الأسطرلاب ، كتاب الرخائم والمقاييس ، كتاب الدوائر الثلاث المماسة »[٢١٨] . وكيفية الأوصال بكتاب عمل السطوح المبسوطة والقائمة والمــائلة والمنحرفة . وقـــد لاحظت أن حبش لـــه أيضا زيجين آخرين غير الثلاثة المذكورة ، الزيج الدمشقى ، والزيج المـــأمونى وهـــذان الزيجان مذكوران فى تاريخ الحكماء والفهرست .

سند ابى على أبو الطيب « ظهر حوالى ٨٥٠ م » كان سند يهوديا وقـــد اسلم على يد المـــأمون وكان من جملة منجميه ، وعمل فى جملة المراصدين ، بل كان على الأرصاد كلها[٢١٩] . اشتهر بعمل آلات الرصـــد والأسطرلاب ، وقـــد ندبه المـــأمون الى اصلاح آلات الرصـــد « بالشماسية » فى بغـــداد ،وقـــد امتحن موضع الكواكب وله زيج مشهور عمل به المنجمون فى زمانه[٢٢٠] ، وفيما بعـــد ، له مؤلفات فى العلوم الرياضية منها كتاب المنفصلات والمتوسطات ، كتاب القواطع ، كتاب الحساب الهندى ، كتاب الجمع والتفريغ ، كتاب الجبر والمقابلة[٢٢١] ويقال انه كتب فى المثلثات .

أما العباس بن سعيد الجوهرى فقد ظهر حوالى ٨٣٠ م كان من أوائل الذين رصـــدوا فى الاسلام ، خبيرا بصناعة التيسير وحساب الفـــــلك ومن الذين ندبهم المـــأمون للرصـــد « بالشماسية فى بغـــداد ، وكذلك اجرى بعض الأرصاد » فى دمشق . الف فى مواضـــع بعض الكواكب السيارة والنيرين زيجا مشهورا[٢٢٢] . كما كان هناك أيضا أبو حامد بن محمد الصاغانى[٢٢٣] . اشتهر « الصاغانى » فى صناعة الأسطرلاب والآلات الرصـــدية وابقائها كما اشتهر فى الهندسة وعلم الهيئة وهـــو من الذين عهد اليهم فى الرصـــد وتوفى فى بغـــداد حوالى سنة ٩٨٩ م .

---

(٢١٦) صالح زكى : ( **آثار باقية** ) . ( اسطنبول ١٣٢٩ م مجلد ١ ) ص ١٥٧ .

(٢١٧) البيرونى : محمد بن أحمد الخوارزمى : ( **الآثار الباقية عن القرون الخالية** ) . ( لا يبزج ١٩٢٣ م ) ص ١٩٨ .

(٢١٨) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٨٦ .

(٢١٩) ابن النـديم : الفهرست ص ٣٨٣ .

(٢٢٠) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٤٠ ، ١٤١ .

(٢٢١) ابن النـديم : الفهرست ص ٣٨٤ .

(٢٢٢) قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٢١٣ .

(٢٢٣) المرجع نفسه ص ٢٦١ .

وابو اسحاق ابراهيم بن سنان ثابت بن قرة ولد سنة ٩٠٨ م وتوفى ٩٤٦ م هو حفيد ثابت بن قرة ، اشتهر بالذكاء والعلم واشتغل بالهندسة والفلك وأنواع الحكمة ، وله فى ذلك مؤلفات وقد عمل فى الهندسة ثلاثة عشر مقالا ، منها أحد عشر فى الدوائر المتماسة بين فيها على أى وجه تتماس الدوائر والخطوط التى تجوز على النقط(٢٢٤) وغير ذلك .

وقد انتشرت المراصد فى البلاد العربية فبنى المأمون مرصدا فى الشماسية فى بغداد وآخر فى جبل قاسيون فى دمشق . وبنى الحاكم بأمر الله الفاطمى على جبل المقطم بالقاهرة ، فكان هناك مرصد للدينورى فى أصفهان ، ومرصد الرقة ومرصد انطاكية اللذان عمل فيهما البتانى ومرصد ابن الشاطر فى الشام ومرصد مراغة الذى أشرف على بنائه نصر الدين الطوسى ومرصد أولغ بك فى سمرقند(٢٢٥) .

وكان من أساطين علم الفلك فى أيام المأمون أبو العباس أحمد بن محمد ابن كثير الفرغانى — الذى ذاع صيته لتعدد الدراسات الفلكية التى قام بها والمؤلفات التى وضعها فى هذا الشأن والتى على رأسها كتاب الحركات السماوية ، وجوامع علم النجوم ، وهو مخطوط قيم ترجم مرتين الى اللاتينية فى القرن الثانى عشر الميلادى . ثم طبعت هذه الترجمات فى أوروبا فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر(٢٢٦) . ثم صار أحد المراجع الهامة التى اعتمدت عليها دراسات الفلك فى أوروبا فى ذلك الوقت وقام الفرغانى بحساب أبعاد الكواكب وأحجامها كما أن له مؤلفات اخرى فى علم الفلك مثل « ملخص الهيئة » وكتاب عن المزاول — وفى أواخر حياته رحل الى مصر حيث أشرف على اقامة مقياس النيل عند الفسطاط .

أما العباس بن سعيد الجوهرى : فقد اشترك فى أرصاد بغداد مع سند بن على ويحيى بن أبى منصور وفى دمشق مع سند بن على ، وعلى بن عيسى الأسطرلابى المنجم وكان الخليفة المنصور قد أمر بنقل كتاب النجوم مع تعليل معموله على كردجات ( أى حساب جيوب القسى واثباتها فى الجداول ) محسوبة لنصف درجة مع ضروب من أعمال الفلك من الكوفيين ومطالع البروج وغير ذلك .

---

(٢٢٤) المرجع نفسه ص ٢٥٣ .

(٢٢٥) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٢٢٦) د. امام ابراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ص ٢٩ ، ٣٠ .

وهــذا الكتاب عرضه عليه رجــل قــدم سنة ١٥٦ هـ من الهند قيم فى حســاب السند هنتا . وقــد كلف المنصور محمد بن ابراهيم الفزارى ترجمته وعمل كتابا فى العربية يتخــذه العرب أصــلا فى حركات الكواكب ، وقــد سماه المنجمون كتاب السند هند وبقى الى أيام المــأمون(٢٢٧) . وقــد اختصره « الخوارزمى » وصنع منه زيجــه الذى اشتهر فى كل البلاد الاسلامية(٢٢٨) وعــول فيه على أوسط السند هند وخالفه فى التعاديل والميل ، فجعل تعاديله على مذهب الفرس ، وميل الشمس فيه على مذهب « بطليموس » واخترع فيه من أنواع التقريب أبوابا حسنة ، استحسنه أهــل ذلك الزمان وطاروا به فى الآفاق »(٢٢٩) .

وأبو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخى شــهرته مدوية فى الشرق والغرب على السواء سمع عنها كل من لــه صلة بالتنجيم . ولا يفــوتنا أن نذكر العــالم الجليل أبا عبد الله محمد بن موسى الخوارزمى الذى يعتبر من أنبغ علماء العرب وهــو وان كان معروفا بكتاباته الرياضية الا أننا نضعه فى مصاف الفلكيين لاشتراكه معهم فى بعض اعمالهم من جهة وللعلاقة الوثيقة بين الرياضة والفلك من جهة أخرى(٢٣٠) .

وابن أعلم الشريف البغدادى قال عنه البيهقى : « هو بغدادى المنشأ والمولــد صنف الزيج المنسوب اليه ، وكان عالمــا بالهندسة وأجزائهــا عارفا بالقــانون الفيثاغــورى من الموســيقى »(٢٣١) .

وقال القفطى(٢٣٢) : « هــو على بن الحسن أبو القاسم العلوى صاحب الزيج ، رجــل شريف عالم بعلم الهيئة وصناعة التيسير ، مذكور مشهور فى وقته ، وكان قــد تقــدم عند عضــد الدولة يقف الملك عند اشاراته فى اختبارات ويرجع الى قــوله فى أنواع التيسيرات وعمل زيجه المشهور الذى عمل به أهــل زمانه فى وقته وبعــد زمانه الى أواننا وتوفى سنة ٣٧٥ هـ » .

---

(٢٢٧) ابن القفطى : اخبــار العلماء باخبــار الحكماء ص ١٧٧ .

(٢٢٨) رياض بانسا : ( **علم الفــلك عند العرب** ) مجلة المقتطف ـ بيروت ـ لبنان مجلــد ٣٩ ( ١٣٢٩ هـ/١٩١١ م ) ص ١٤٦ .

(٢٢٩) ابن القفطى : أخبــار العلماء بأخبــار الحكماء ص ١٧٨ .

(٢٣٠) د. امام ابراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ص ٣٢ .

(٢٣١) البيهقى : ( **تاريخ حكماء الاســلام** ) . ( مطبعة الترقى ـ دمشق ) ومطبوع تتمة صوان الحكمة تحقيق محمد شفيع لاهــور ١٣٥٠ هـ ص ٩٠ .

(٢٣٢) ابن القفطى : أخبــار العلماء باخبــار الحكماء ص ١٥٧ .

أما البديع الأسطرلابى : فهو أبو القاسم هبة الله بن الحسين بن يوسف الأسطرلابى المعروف بالبديع الأسطرلابى ، انه من الحكماء الفضلاء والأدباء النبلاء طبيب عالم وفيلسوف متكلم غلبت عليه الحكمة وعلم الكلام الرياضى . وكان متقنا لعلم النجوم والرصد ...(٢٣٣) . عرف العرب علم الفلك معرفة عملية لم تتجاوز سد الحاجة الى الاهتداء بالنجوم ليلا ، والعلم بعدد السنين والشهور ، فعرفوا عددا من الكواكب الثابتة مع مواضع مطالعها ومغاربها ، ولكنهم ذهبوا فى جعلها اشكالا وصورا مذهبا يختلف عن غيرهم من الأمم الأخرى ، وعرفوا كذلك منازل القمر وانفردوا عن سائر الشعوب فى استعمال تلك المنازل واخذوا أنواءها . ولم يتوصلوا الى تعيين السنين بحساب دقيق لجهلهم بعلم الهيئة واقتصارهم على المعرفة العلمية بالنجوم(٢٣٤) .

ويرجع العهد بمدرسة بغداد للفلك الى عصر المنصور ثانى الخلفاء العباسيين الذى كان هو نفسه فلكيا ، وقد صدر عن هذه المدرسة فى عهد خلفائه هارون الرشيد والمأمون بعض المؤلفات الهامة فروجعت النظريات القديمة وصوب العديد من اخطاء بطليموس وصححت جداول اليونان . والى مدرسة بغداد يرجع الفضل فى اكتشاف حركة نقطة الأوج فى مدار الشمس وتقدير انحراف المدار البيضاوى ونقصانه المتوالى والدراسة التفصيلية لتقدير مدة السنة(٢٣٥) . وقد لاحظ علماء بغداد عدم انتظام اقصى ارتفاع للقمر واكتشفوا التباين القمرى الثالث ويعرف باسم « التغيير » وراقبوا الكلف « البقع » الشمسى ودرسوا الكسوف والخسوف ، وظهور المذنبات وغيرها من الظواهر الفلكية وشكوا فى ثبات الأرض فكانوا السباقين الأوائل لكبرنيقوس وكبلر(٢٣٦) .

كما سجلت نتائج هذه المراقبات التى قامت بها مدرسة بغداد ، فى الجداول ومن أشهر علماء هذه المدرسة البتانى الذى يعتبره لالاند واحدا من أشهر عشرين فلكيا فى العالم وأبو الوفا الذى يرتبط اسمه بأحد أساسيات علم الفلك وهو التباين القمرى الثالث(٢٣٧) .

---

(٢٣٣) خير الدين الزركلى : ( الأعلام ) ( ط ٤ بيروت - لبنان - دار العلم للملايين ١٩٧٩ م ) ج ٩ ص ٥٨ .

(٢٣٤) د. أحمد فؤاد الأهوانى - الكندى فيلسوف العرب ص ١٨٩ .

(٢٣٥) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ٩٩ .

(٢٣٦) المرجع نفسه ص ١٠٠ .

(٢٣٧) المرجع نفسه ص ١٠٠ .

اما التنجيم : فهـــو ضرب من التخمينات على غير اساس مقنع ، فكان من أبرز رجاله أبو معشر جعفر بن محمد البلخى المتوفى سنة ٣٧٢ هـ/٨٨٦ م اذ كان من اوفر المنجمين الأوائل حظا من الاحترام واقـــواهم تأثيرا على معرفة واسعة بالتراث القـــديم وقـــد وضع نظرية تقول : « بأن الصور النجمية تتراءى فى السماء مـــع حلول العشور اى عقـــود الشهور الست والثلاثين التى يشكل كل منها ثلث برج فى الأبراج الاثنى عشر ... »(٢٣٨) . كان مولد البلخى فى بلخ واقام فى بغـــداد واثبتته المراجع الأوروبية فى العصور الوسطى حجة وصور كقـــديس او نبى ونقـــل أربعة من كتبه الى اللاتينية فى القرن الثانى عشر الميلادى . وقـــد اكتشف حقائق علميـــة تتعلق بنظم المـــد والجزر وعلاقتهما بطلوع القمر وغيابه(٢٣٩) .

قال صلى الله عليه وسلم : « تعلم السحر ولا تعمل به » وعلى هـــذا فان دراسة علم التنجيم صارت حاجة ضرورية بعـــد الاسلام لأن الله تعالى هـــو الذى أوصى الأنام بتأمل السماء . فباسمه درست حركات النجوم والأفلاك وباسمه ايضا كانت فاتحة المخطوطات العلمية جميعا وهـــذا لعمرى ما تمتع به العربى دون غيره .

قال تعالى فى سورة يس : « **والشمس تجرى لمستقر لهـــا ، ذلك تقـــدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القـــديم ، لا الشمس ينبغى لهـــا ان تدرك القمر ولا الليل ســـابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون** »(٢٤٠) .

جاء فى سورة يونس : « **هـــو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا ، وقـــدره منازل لتعلموا عـــدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك الا بالحـــق يفصل الآيات لقـــوم يعلمون . ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والأرض لآيات لقـــوم يتقـــون** »(٢٤١) .

وقـــد كانت ثقافتهم العلمية الوافرة سببا من الأسباب التى حفظتهم من الوقوع فى مستنقع الشـــعوذات الباطلة لهـــذا كله فانه لم يكن لعلم التنجيم ASTROLOGIIE عند العربى الواقعى النزعة اى معنى سحرى خطير ، كما ان هـــذا العلم ما كان ليمنح العرب قـــوى سحرية خارقة على حـــد زعم الأوروبيين الذين كانوا ينسبون

(٢٣٨) محمد رجب السامرائى : علم الفلك عند العرب ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٢٣٩) د. حسن الشيال : دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ٩٦ .

(٢٤٠) ســورة يس ، الآيات ٣٦ ــ ٣٨ .

(٢٤١) ســورة يونس ، الآيتــان ٥ ، ٦ .

ــ خطـــأ ــ الى مخطوطاتهم ما ليس فيها . وقـــد ركبهم الذعر . واعتصم الخوف فى قــلوبهم .

والواقـــع ان علم التنجيم العربى هـــو فى حـــد ذاته ــ واكثر من اى ميدان آخر من ميادين الثقافة الاسلامية ــ علم فارسى صرف ، أدخـــل الى العالم الاسلامى من اعطاء النجوم معانى ورموزا وتصويرا لظواهر الطبيعة الخارقة ، على لأنها قوى شر أو خير تسعى الى مكافأة الانسان والى انزال العقاب به(٢٤٢) .

كان أستاذ أبناء موسى « يحيى بن أبى منصور » وهـــو فارسى الأصـــل أيضا منجما بارعا فى هـــذا العلم ، كغيره من مواطنيه ، وقـــد كان أحرى بتلاميذه ــ أبناء موسى الثلاثة ــ ان يأخـــذوا عنه هـــذه الهواية وان يبرعوا فيها كأستاذهم بيـــد أنهم لم يعقلوا شيئا من هـــذا ، لأنهم كانوا رجال علم صحيح ورواة حقائق مندفعين فى ســـبيلها كل الاندفاع(٢٤٣) .

وفى عام ٧٦٠ م توجه المنجم الفارسى الشهير « نوبخت » NAUBAGHT المتوفى عام ٨٧٧ م تقريبا الى قصر الخليفة العربى المنصور يحمل معه تراث الأجيال المتعلقة بالتنجيم والتنبؤات ، وكان ميزان القوى قـــد مال لصالح العباسيين الذين قضوا على ســـلالة بنى أمية ونقلوا العاصمة من دمشق الى الشرق حيث الوفرة والغنى . وهناك على ضفاف دجلة نهضت عاصمة الامبراطورية وقلبها النابض لمدة من الزمن « بغـــداد » ولكن قبل أن يشرع الخليفة فى بنـــاء المدينة طلب اليه نوبخت أن يأذن له فى درس موضع النجوم ، حتى يحول دون التأثيرات الشريرة ، ويحسب الوقت ليعرف أنسب ساعة للشروع فى البناء ، وانصرف نوبخت للاشتراك مـــع يهودى فارسى كان قـــد دخل الاسلام وحمل اسم ما شاء الله(٢٤٤) . الى استنطاق النجوم أسرارها وسؤالها عن موعـــد الولادة المناسبة ، ومعرفة الوقت الصحيح للقيام بالقياسات ومسح الأراضى وتخطيطها . فكان أن أخرجت الى الوجود مدينة المدن ، آنذاك ، فسميت « بغـــداد » أى مدينة السلام . وقـــد أصـــبح نوبخت الفـــارسى المنجم للقصر وغـــدا ذا نفـــوذ قـــوى وتأثير كبير ، وترأس جماعة من زملائه عرفوا كيف يحافظون على أهميتهم ومراكزهم كمستشارين لا غنى للخلفاء عنهم . ونشط

---

(٢٤٢) زغريد هـونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ١٦٧ .

(٢٤٣) المرجـع نفسـه ص ١٦٧ .

(٢٤٤) المرجـع نفسـه ص ١٦٨ .

الفرس فى جميع المصادر المختلفة المتعلقة بعلم التنجيم القـديم ، من هندية وبابلية للعالم تيوكروس TEUKROS وبـاشـان BETHAN أو كلدانية ونقلوها الى القصور العربية . الا أن ما شاء الله كان أكثر هؤلاء زعامة ، وقـد وجـدت آراؤه فى بلاد الغرب فيما بعـد آذانا صـاغية كما كان لـه أيضـا تلامذة بررة ومريدون كثيرون(٢٤٥) ٭

لا جرم ـــ أن علم التنجيم قـد وصل ـــ بفضل التفات العرب اليه الى عصره الذهبى فى وقت كان فيه علم الفلك يحبو كالطفل على الأرض أو يخطـو خطـواته الأولى . كما كانت الحال فى علم الفلك ، كذلك كانت الحال أيضا فى علم التنجيم . فالفرس واليهود انصرفوا كليـا الى رعاية هـذا العلم والدعـوة لـه فى أوروبا فنالوا ثناءها وتقديرها(٢٤٦) ومن هؤلاء العاملين : « أبو بكر بن الخصيب AL - CHASIB وعبـد العزيز القـابسى AL - KABIS ) المعروفان فى أوروبا باسـم ( AL - CABITIUS -- ABU BAHER ) ومن هؤلاء أيضا سهل بن بشر اليهودى المعروف فى الغرب باسم ( ZAHEL ) وتلميذ العلامة « ما شاء الله » أبو هالة AL BOHALY ) وغيره من السابقين ، ومن هؤلاء كذلك اليهودى الفارسى ابو معشر ABU MASCHER والذى عرفه الغربيون باسم ( AL BUMASSER ) كأعظم علماء العرب فى التنجيم لم يقم احـد من هـؤلاء باتباع أية طريقة منظمة فى البحث أو بصوغ أية معلومات بشكل ترتيبى نظـامى ( SYSTEMALISCH ) الى أن جاء أبو معشر فقـذف فى وعاء واحـد بكل ما وصلت اليـه يداه من معلومات وجعـل منها كتـلة من المزيج العجيب(٢٤٧) .

وكان سند بن على منجما للمـأمون ودخل فى الاسلام وهـو فى جملة الراصدين ثم أهلته كفاءته الى أن أصبح على الأرصـاد كلها(٢٤٨) . وقـد حفزهم الى ذلك اهتمام الناس عامة والخليفة خاصـة بالتنجيم ، فضـلا عن انتشار الدين الاسلامى فى مناطق مترامية الأطراف ، وحاجـة الناس فى كل مكان الى تحـديد اتجاه مكة ، وكذلك الحاجة الى حساب النتيجة القمرية لتحـديد المواسم والأعيـاد ، وتعيين مواقيت الصـلاة ، ولعـل القارىء يلمس مدى ذلك الاهتمام من قـول أبى الدرداء : « ان شئتم لأقسمن لكم أن أحب عباد الله الى الله الذين يرعـون الشمس والقمـر

---

(٢٤٥) المرجع نفسه ص ١٦٩ .

(٢٤٦) المرجع السابق ص ١٧٠ .

(٢٤٧) المرجع السابق ص ١٧٠ .

(٢٤٨) ابن النديم : الفهرست ص ١٨٥ .

والنجـوم والأظلة لذكر الله » . ويقصـد بذلك الذين يستخدمونها لتحـديد اوقات الصـلاة والعبـادة[٢٤٩] .

وكانت رغبـة العرب وتصميمهم على بدء دراسات علمية واسعة النطـاق ، فجاء وفـد الى بغـداد سنة ٧٦٧ م ومن بين أعضائه عالم فلكى يدعى ( كازكاه ) يحمل معه مرجعا هاما فى علم الفلك اسمه ( الدهانت ) حرفه العرب فيما بعـد ( الى السند هند ) الذى أصبح بعـد أن تمت ترجمته نبراسا على هـداية علماء الفـلك العرب مدى نصف قرن او أكثر[٢٥٠] .

ومن أوائل من قام بترجمة السند هند الى العربية يعقوب بن طارق المتوفى سنة ٧٩٦ م وابراهيم الفزارى المتوفى سنة ٧٧٧ م ، ومن مؤلفات يعقوب بن طارق الأخرى جـداول وضعها على أساس السند هند وكتاب يبحث فى تعيين الوقت ــ وتمتـاز كتاباته عن كتابات زميله باحتوائها على مزيد من الآراء الهندية ممـا يشير الى تأليفها بعـد أن ازداد معرفة واطلاعا على مختلف المراجع الهندية فى علم الفلك[٢٥١] .

---

(٢٤٩) د. امام ابراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ص ٢٠ .

(٢٥٠) المرجـع نفسـه ص ٢١ .

(٢٥١) المرجـع نفسـه ص ٢٢ .

## سابعا ــ علم الكيمياء :

ظهر جابر بن حيان ( ٨٣ هـ/١٤٨ هـ ــ ٧٠٢ م/٨٦٥ م ) ، واشتهر[٢٥٢] باشتغاله بالعلوم ولا سيما الكيمياء ، وله مصنفات ذكرها ابن النديم بالفهرست[٢٥٣] . وقد اعتبر أبا الكيمياء[٢٥٤] الحديثة وقيل عنه أنه بلغ فى الكيمياء ما بلغه أرسطوطاليس فى علم المنطق . ومن خلال ادخال الأساطير والخرافات التى نشأت حول شخصيته وعلمه ، نستطيع أن نتبين عقلا علميا رأى أهمية التجارب العلمية بصورة أوضح مما رآها أى من قدماء الكيميويين ، ودون آراء جد صائبة فى أساليب البحث الكيميوى وتأثير جابر واضح فى ذلك سباق فى تاريخ الكيمياء فى أوروبا[٢٥٥] .

فجابر بن حيان الكوفى كان متقدما فى العلوم الطبيعية بارعا فى صناعة الكيمياء وله فيها تآليف كثيرة ومصنفات مشهورة . وكان مع هذا مشرفا على كثير من علوم الفلسفة ومتقلدا للعلم المعروف بعلم الباطن ، وهو مذهب المتصوفين من أهل الاسلام كالحارث بن أسد المحاسبى وسهل بن عبد الله التسترى ونظرائهم ، وذكر محمد بن سعيد السرقسطى المعروف بابن المشاط والأسطرلابى الأندلسى أنه رأى لجابر بن حيان بمدينة مصر تأليفا فى علم الأسطرلاب يتضمن ألف مسألة لا نظير له . ولجابر بن حيان تآليف عديدة منها « كتاب السبعين » ، « كتاب الخواص » ، « كتاب السموم » وكتب أخرى كثيرة[٢٥٦] .

وانى لنا ان نعلم الناس ونحن فى حاجة لمن يعلمنا « ان فاقد الشىء لا يعطيه » . ولعل من أهم عوامل انتصارات العرب هو ما فوجئت به الشعوب من سماحتهم حتى أن الملك الفارسى كيروس بنفسه قال : « ان هؤلاء المنتصرين لا يأتون كمخربين »[٢٥٧] .

كان جابر تلميذا لجعفر الصادق أمام الشيعة على ما رواه بعض الثقات وقيل

---

(٢٥٢) قدرى حافظ طوقان : ( **العلوم عند العرب** ) . ( سلسلة الألف كتاب ــ رقم ٤ ــ مكتبة مصر ــ شارع كامل صدقى بالفجالة ، سنة ١٩٥٦ م ) ص ٩٨ .

(٢٥٣) ابن النديم : **الفهرست** ص ٥١٢ ، ٥١٧ .

(٢٥٤) د. التيجانى الماحى : ( **تاريخ الطب عند العرب** ) . ( الخرطوم ١٩٦٠ ) ص ٣٠ .

(٢٥٥) نجلاء عز الدين : ( **العالم العربى** ) ترجمة محمد عوض ابراهيم ( القاهرة ــ بدون ) ص ١٢ .

(٢٥٦) زغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٤٩ .

(٢٥٧) المرجع نفسه ص ٣٥٣ ، ٥٥٤ .

انه كان تلميذا لخالد بن يزيد بن معاوية الذى عرف بانه اول من تكلم فى الكيمياء وشرح صنعة الأكسير ، ونقل عنه جابر هـذه الصنعة التى اشتهر بها ، والف فيها نحـو خمسمائة كتاب وكان بعض الناس فى زمانه يعـدون هـذه الصناعة أمرا مرهوبا ، اذ كيف يتسنى للعقل استخراج الذهب من طبخ مواد نباتية ومعـدنية ، وقـد جرب بعضهم ما ذكر جابر مدة طويلة ، فذهب تعبه سدى وكتب على مصنفاته :

**هـذا الـذى بمقـاله غـر الأوائـل والأواخـر**
**ما أنـت الا سـاحر كذب الذى سـماك جابر[258]**

لكن جابر على الرغم من ذلك كشف باختباراته العلمية أمورا مهمة فى فن الكيمياء وترجمت كتبه الى اللغات الأوروبية ، واشتغل الأوروبيون وقتا طـويلا بكيمياء جابر وانتفعـوا بها . فيذكر حاجى خليفة جابرا مصحوبا بعبـارة « تلميـذ جعفر الصـادق »[259] ويقول كاردى فـو وهـو يتحـدث عن جابر : « ومعلماه هما : خالد بن يزيد بن معاوية وجعفر الصـادق »[260] .

أما اولهما : فهـو أول من تكلم فى علم الكيمياء ، ووضـع فيها الكتب ونظر فى كتب الفلاسفة من أهـل الاسلام[261] ، وقـد أخـذ جابر عن خالد بن يزيد بن معاوية العلم[262] . وأما جعفر الصادق : الذى كثيرا ما يرى اسمه فى كتابات جابر مشارا اليه بقوله « سـيدى » فهنالك من يزعم أنه جعفر بن يحيى البرمكى ، لكن الشيعة[263] تقول : وهـو القـول الراجح الصـدق ـ انه انمـا عنى به جعفر

---

(٢٥٨) حاجى خليفـة : كشف الظنـون ص ٣٤٣ .

(٢٥٩) المصدر نفسـه ص ٣٤٣ .

(٢٦٠) د. زكى نجيب محمود : ( **جابر بن حيـان** ) . ( أعـلام العرب عـ ٣ ـ وزارة الثقـافة ـ مكتبة مصر ـ القـاهرة ١٩٦١ م ) ص ١٨ .

(٢٦١) حاجى خليفة : كشف الظنـون ص ٢٤٤ .

(٢٦٢) بمقارنة التواريخ التى ذكرناها نرى أن جابرا أخـذ العلم عن خالد فى كتبه لا باللقـاء المباشر لأن وفاة خالـد سبقت ولادة جابر .

(٢٦٣) كانت مسالة الخلافـة قـد قسمت المسلمين فرقتين : أهـل السنة والشيعة وكان لأهـل البيت فريق يعترف سرا بحقوقهم ،حتى فى عهـد الخلفاء الثلاثة الأولين ، ولكن هـذا الفاريق لم يجاهر بالخصام ، وبعـد عصر الخلفاء صـار يعارض كل من حكم من غير أبنـاء على ، وكانت هـذه المعارضـة موجهة أول الأمر الى الأمويين ، ثم الى من بعـدهم ممن لم تتوافر فيهم الشروط التى يوجبها الشيعة فى الامام .

=

الصادق ونقول انه مرجح الصدق لان جابرا شيعى ، فلا غرابة أن يعترف بالسيادة لامام شيعى(٢٦٤) . وهـذا الى وفرة المصادر التى لا تتردد فى أن جعفرا أشـار اليه فى حياة جابر ونشأته وهـو جعفر الصـادق .

وبدون شـك فان أعظم كيمياوى(٢٦٥) عربى كان ابو يوسف جعفر السكوفى ( جابر بن حيان ) الذى عاش فى النصـف الثانى من القرن الثامن الميلادى وتعـد مؤلفاته دائرة معارف علمية وتعطينا ملخصا لعـلم الكيمياء فى عصره وقـد ترجم الكثير من مؤلفاته الى اللاتينية ، وأهمها هـو « مجموع الكمال » الذى ترجم الى الفرنسية سنة ١٦٧٢ م . كذلك نشط أهـل بغـداد فى دراسة علم الكيمياء وأخرجوا فيـه ابحاثا قيمة ومن اشهر علماء الكيمياء جابر بن حيـان الذى درس الكيمياء على يد أستاذه جعفر الصادق ، وأقام فى بغـداد واتصل بالبرامكة ، ونال حظوة عندهم وغادر بغداد بعد نكبة البرامكة ، ويعتبر جابر بحق واضـع علم الكيمياء اعتمد على التجربة فى وضع نظرياته وتحقيق ما كتب وألف كتبا فى الرياضة والفـلك والفلسفة بالاضافة الى ذلك(٢٦٦) .

---

=

والامام – عند الشيعة – هـو رئيس المسلمين ومعلمهم بفضل ما وهبـه الله من الصفات . وبحكم وراثته للنبى عليه السلام ، وهـو يحكم ويعلم متلقيا ذلك عن الله ... ويزعم الشيعة أن وراثة الامامة تنقلت من آدم حتى انتهت الى عبد المطلب جـد النبى عليه السلام . وجـد على رضى الله عنـه ، ومن عبد المطلب انقسم النور الى قسمين : أحدهما انتقل الى عبد الله والـد النبى ، والآخر الى أخيه ابو طالب والـد على ، ثم سار النور من على الى ذريته ، وهـذا النـور الذى فى روح الامام يجعله امام عصره ويجعل لـه قـوى روحانية تجاوز حـدود القـدرة الانسانية . ( عن جـولد زيهر فى كتابه الذى ترجم الى الانكليزية بعنوان : « **محمـد والاسـلام** » ) ص ٣٣٣ .

(٢٦٤) جعفر بن محمد ، ويلقب أيضـا بالصادق . سادس الأئمـة الاثنا عشرية ، ولـد عام ٨٠ هـ او ٨٣ هـ/٦٩٩ م – ٧٠٠ م أو ٧٠٢ م – ٧٠٣ م ، وخلف فى الامامة أباه محمد الباقر ، ولم يكون لـه شـان فى عالم السياسة . ولكنه عرف بدرايته الواسـعة بالحـديث ، ويقال أيضا انه اشتغل بالتنجيم والكيمياء وغيرهمـا من العـلوم الخفية ، اما المؤلفـات التى تحمل اسمه فقـد دست عليه فيما بعـد ، توفى بالمدينة عام ١٤٨ هـ/٧٦٥ م . والامامية متفقون على تسلسل الأئمـة حتى جعفر ولكنهم مختلفـون فى تعيين الامام الشرعى الذى خلفـه ، لأن جعفرا أعقب أبنـاء عـدة ادعى الامامة منهم مالا يقـل عن أربعـة هم : محمـد وعبد الله وموسى واسماعيل ، على أن غالب الامامية يعترفـون بأن موسى الكاظم هـو الامام السابع ( دائرة المعـارف الاسـلامية ) .

(٢٦٥) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ١٠٨ .

(٢٦٦) د. عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم عند العرب ص ١٦٢ .

لقــد توصل من خلال ابحــاثه الى تكوين الزئبق والكبريت ولــه أبحــاث فى التفاعلات الكيمياوية والمعادلات ممثلا حــدد العناصر التى تكون الذهب وكان جابر ينصح تلاميذه دائمــا بالتجربة وعــدم الاعتماد فى الأبحاث العلمية الا عليها مــع التدقيق فى الملاحظة والاحتياط والتأنى فى الاستنتاج ، لأن التجربة طريق المعرفة ولقــد عرف جابر الكثير من النظريات الكيمياوية كالتبخر والتقطير والترشيح والتبلور والتصعيد والاذابة ، وحضر كثيرا من المواد الكيماوية . وعرف خواصها مثل نترات الفضة وحامض الأزوتيك وهــو اول من لاحظ أن محلول نترات الفضة يكون مــع محلول ملح الطعام راسبا ابيض وأن النحاس يكسب اللهب لونا أخضر ولقــد ميز بين التقطير والترشيح[٢٦٧] ويقول هولميارد : انه بواسطة جابر نقلت كتب عــديدة من الاستانة الى بغــداد بقصــد الترجمة كما حــدث ذلك من قبل فى عهد خالد بن يزيد قبل ثلاثة ارباع القرن[٢٦٨] :. **وهكذا** استقبل جابر فى **بلاط هارون** الرشيد بحفاوة زائدة ، وكانت صلته مــع البرامكة قــوية ايضا وخاصة مــع يحيى بن خالد البرمكى الذى تجــد ذكره فى رســائله .

ومنذ حكم العباسيين[٢٦٩] بدا تطــور شــامل فى نهضــة العرب العلمية .. وكانت تفزات سريعة حملتهم الى القمة فى سرعة مذهلة وظــل العرب متربعين على عرش العلوم حتى أواخر القرن الحادى عشر . قال الشاعر :

**يانفس خوضي بحار العلم او غوصى      فالناس من بين مغموم ومخصوص**

**لا شيء فى هــذه الدنيا يحاط به      الا احاطة منقــوص بمنقوص[٢٧٠]**

والحق أن جابرا كيميائى العرب الأول ــ فهو أول من بحث فى علم الكيمياء ولقد اصاب من ارتفاع المكانة وفخامة الثراء ، وبعــد الصيت ما جعله موضــع التقدير . وقال عنه القفطى[٢٧١] : « كان متقــدما فى العلوم الطبيعية بارعا منها فى صــناعة الكيمياء ولــه فيها تآليف كثيرة ومصنفات مشهورة ــ وكان لا يقبل تعليم أحــد الكيمياء الا اذا أطمأن اليه اطمئنانا كاملا على مقــدرته العلمية وحسن استعداده » .

---

(٢٦٧) HITTI : History of the Arabs, pp. 380-301.

(٢٦٨) هــولميارد : ( **الكيمياء حتى عصر دالتــون** ) . ( طبعة باريس ١٩٢٨ م ) ص ١٥ .

(٢٦٩) د. امام ابراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ص ١٩ .

(٢٧٠) د. محمد يحيى الهاشمى : ( **الكيمياء فى التفكير الاســلامى** ) . ( دار الفكر العربى ــ القــاهرة ١٩٥٨ م ) ص ٣٠ .

(٢٧١) ابن القفطى : أخبــار العلماء بأخبــار الحكماء ص ٢٢٠ .

كان ابن حيان يرى أن العالم فى استطاعته أن يجاوز الطبيعة الى ما وراءها بالبحث العلمى المجرد ، وهـذا ييسر لـه استخراج كوامن الطبيعة . ففى وسـع الباحث العلمى أن يلتمس طريقه الى تحقيق غايته فى الوصول الى الحقيقة العلمية(٢٧٢) .

والواقـع أن جابر بن حيـان ينفرد أو يسبق غيره فى المنهـج العلمى . فهـو حريص على أن يقصر نفسه على مشاهداته المستندة الى التجربة التى تثبت صحتها وكان لا يعتمد على أقـوال الغير ما لم تؤيدها التجربة التى يجريها هـو . ولا يعتمد على ما توصـل اليـه غيره من نتـائج الا اذا كانوا ثقـات مشـهودا لهم بأمانتهم العلميـة(٢٧٣) .

أما مذهب ابن حيان العلمى فيسير فى ثلاث خطوات ، الاولى : ان يفترض العالم فرضا ليفسر الظاهرة المراد تفسيرها . والثانية : أن يستنبط من هـذا الفرض نتائج تترتب عليه . والثالثة : أن يطابق هـذه النتائج على الواقـع فان صـدقت تحول الفرض الى قانون علمى(٢٧٤) . يرى ابن حيان أن العالم يجب أن يكون مثابرا فى جهوده العلمية التى تهـدف الى الكشف عن الحقيقة مهما كلفـه هـذا البحث من عنـاء وجهد . ويؤكد ابن حيـان أنه لا نجاح فى عمـل علمى الا اذا كان مسبوقا بعلم يتبعه التجربة ثم التطبيق(٢٧٥) .

يقول الرواة أن يحيى البرمكى كانت له جارية فاتنة ، وقـد أصابها مرض عضـال اعيا الأطباء شفاؤه فعرض يحيى أمرها على جابر . ويقال أنه فحص عن حالها فوصـف لهـا دواء لمـا تناولته كتب الله لهـا الشفاء . وحينما علم يحيى بذلك تعجب غاية العجب ، وبالغ فى اكرام جابر . وبذلك توافرت لـه الأسباب التى عاونته على التعمق فى دراسة الكيمياء والطب(٢٧٦) .

غير انه لمـا وقعت الكارثة الكبرى التى ألمت بالبرامكة ونكبهم الرشـيد نكبة يختلف المؤرخـون فى تصويرها وشرح أسبابها ، فر جابر من بغـداد خـوفا على

---

(٢٧٢) د. زكى نجيب محمود : جابر بن حيان ص ٢٥ وما بعدها .

(٢٧٣) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٩٨ .

(٢٧٤) زكى نجيب محمود : جابر بن حيان : ص ٦٤ .

(٢٧٥) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٢٣ .

(٢٧٦) محمد عطية الأبراشى والتوانسى : ( **أعلام الثقافة العربية ونوابغ الفكر الاسلامى** ) . ( مكتبة نهضة مصر . القاهرة – بدون ) ص ٢٨ .

نفسه من ان يفتك به الرشيد لقوة صلته بالبرامكة ثم اقام فى الكوفة وظل بها زمنا حتى ادرك عصر المأمون وفى هذه الفترة من حياته سطع نجمه ، وملأت شهرته الخافقين ، فقد كان عصر المأمون عصرا مخصبا تم فيه نقل جميع الثقافات الأجنبية الى اللغة العربية فأقبل جابر على كتب الكيمياء الاغريقية والهندية يستوعب ما فيها وسرعان ما انتقل من دور التحصيل والاستيعاب الى دور التأليف والاضافة والابتكارات ، حتى أطلق عليه بحق أبو الكيمياء وتوفى جابر على ما رواه خير الدين الزركلى فى الاعلام فى سنة ١٦١ هـ(٢٧٧) .

يقول د. فيليب حتى(٢٧٨) : « تتلو مآثر العرب العلمية فى الطب والفلك والرياضيات مآثرهم فى الكيمياء ، ففى دراسة الكيمياء وسواها من العلوم الطبيعية أدخل العرب فكرة التجربة العلمية » غير انه ينسب كل ما فى هذا العلم من الابتكارات فى العصر العربى « لجابر بن حيان » حتى قال فيه : « لجابر بن حيان فى علم الكيمياء ما لأرسطوطاليس من قبله فى علم المنطق »(٢٧٩) .

يقول كرد على « كان جابر أشهر من ألف فى العربية فى علم الكيمياء واسمه يقترن من حيث الشهرة ومن حيث الأثر النافع بأسماء العظماء ورواد الحضارة والعمران(٢٨٠) .

كان لنقل كتب جابر بن حيان والرازى وغيرهم الى اللغات الأوروبية أن تلقى الأوروبيون عن العرب تقسيم المواد الكيمياوية الى نباتية وحيوانية ومعدنية(٢٨١) .

وقد أسدى العرب للحضارة خدمة جليلة فى علم الكيمياء بالتوصل الى تركيب المواد المعروفة ، والمواد المفرقعة لم تغير مجرى الحرب فحسب بل استخدمت أيضا فى السلم ، فقد عاونت على القيام بالكثير من الأعمال والمشاريع العمرانية العظيمة كشق الطرق بين الجبال والفكرة القديمة التى كانت سائدة هى أن اليونان

---

(٢٧٧) المرجع نفسه ص ٢٩ .

(٢٧٨) د. فيليب حتى : تاريخ العرب المطول جـ ٢ ص ٤٦٤ .

(٢٧٩) كرد على : ( **الاسلام والحضارة العربية** ) . ( مطبعة لجنة التاليف والنشر ـ القاهرة ـ ط ٢ . ١٩٥٠ م ) ٢١٦ .

(٢٨٠) المرجع نفسه ص ٢١٦ .

(٢٨١) عباس العقاد : ( **أثر العرب فى الحضارة الأوروبية** ) . ( دار المعارف بمصر ـ القاهرة ١٩٦٣ م ) ص ٤٣ ، ٤٤ .

والرومان هم الذين توصلوا الى اختراع هــذا المسحوق وهــذه فكرة خاطئـــة اذ الواقــع أن سائر المواد الملتهبة التى استخدمت فى الحروب قــديما ومن بينها النــار الاغريقية لا علاقة لهــا البتة بالمواد المفرقعة وما هى الا مواد متصلة بالنفط .

يقول فى هــذا المستشرق الألمــانى جورج يعقوب : « أما سبب الاضطراب الذى وقع فيه الكثيرون من العلماء حول المواد المفرقعة ومخترعها فهــذه الوثيقــة التى تشتمل على مسحوق ملح البارود[٢٨٢] والكبريت والفحم ، والتى يقال ان صاحبها هــو « مرقس جوبكرس » الذى يظــن أنه عاش فى القرن التاســع الميلادى ولكن اثبت العلماء أن مرقس هــذا كان من أبناء القرن الثالث عشر ، وأنه اهتدى الى هــذا المركب حــوالى ١٢٥٠ م وتحت التأثير العربى » .

ولعــل أكبر دليل على تحقيقات العرب العظيمة فى علم الكيمياء ما نراه اليــوم من كلمات عربية ما تزال على لسان كل عالم كيمياوى بل ولسان كل ربة بيت منها : بنزين ، عطار ، الأكسير ، قطرون ، الصودا الكاوية ، الحنظل ، الكحول ، انيسلين ، عرق ، وغير ذلك . وكلها لم يتغير معناها فى القواميس الأجنبية . ويدين الطب لعلم الكيمياء العربى بسلسلة من أشكال العقاقير كالشراب الحلو المستخرج من الكرنب مع السكر الذى فعــل دورا هاما فى تاريخ الطب[٢٨٣] .

كما نبغ الرازى فى علم الكيمياء والطب وأدخل حقل تجاربها الكثير من الأدوات وقــد بلغ ما الفــه فى الكيمياء تسعة عشر كتابا . وكان أهم ما وضــعه فى الكيمياء « كتاب الأسرار » الذى نقله الى اللاتينية جيرارد الكرمونى فأصبح مصــدرا رئيسيا للكيمياء الى أن خلفته تآليف جابر بن حيان[٢٨٤] .

حاول الرازى كشف الأكسير الذى يهب الحياة ويعيد الشباب[٢٨٥] كما كان أبو بكر الرازى فى كتابه « الحاوى » أول من وصــف تحضير حمض الكبريتيك والكحول الذى كان يحضر من نقطير النشويات والسكريات المخمرة[٢٨٦] .

لقــد سلك أبو بكر الرازى فى تجاربه كما يتجلى فى كتبه مسلكا عمليا خالصا ،

---

(٢٨٢) جــورج يعقوب : أثر الشرق فى الغرب ص ٣١ .

(٢٨٣) زغريد هــونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٢٦ ، ٣٢٨ .

(٢٨٤) د. فيليب حتى : تاريخ العرب المطول ج ٢ ص ٤٤٧ .

(٢٨٥) كرد على : الاســلام والحضارة العربية ص ٢١٦ .

(٢٨٦) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ١٠٨ .

وهـــذا ما جعـــل لبحوثه فى الكيمياء قيمة دفعت بعض الباحثين الى القــول : « ان الرازى مؤسس الكيمياء الحــديثة فى الشرق والغرب معا » . كما مجـد العقل ومدحه وقـد أورد فصلا خاصا بذلك فى كتابه « الطب الروحى » فهو يعتبر العقــل أعظم نعم الله وانفـع الأشياء وأجـداها ، وبه ادراكنا ما حولنا ، واستطاع الانســان بالعقل ان يسخر الطبيعة لمصلحته ومنافعـــه ، والعقل هـــو الذى ميز الانسان على الحيوان . وقــد رفـــع الرازى شأن العقل وأدرك محله وخطره وجــلاله فطالب : « بأن لا يجعله وهـــو الحاكم محكوما عليه ولا هـــو الزمام مزموما ولا هـــو المتبوع تابعـــا ، بل يرجـــع فى الأمور اليه ويعتبرها به ، ويعتمد فيها عليه فتمحصها على مضائه ، وتوقفها على ايقافه ولا يسلط عليه الهوى الذى هـــو آفته ومكدره ، والحائد به عن سننه ومحجته وقصــــده واستقامته . بل نرفضه ونذلله ، ونحمله ونجبره على الوقـــوف عند أمره ونهيه »(٢٨٧) .

ويتجلى فضل الرازى على الكيمياء بصورة واضحة فى تقسيمه المواد الكيمياوية المعروفة فى زمانه الى أربعـــة أقسام رئيسية وهى المواد المعـــدنية والمواد النباتية والمواد الحيوانية والمواد المشتقة ، ثم قسم المعدنيات لكثرتها واختلاف خواصها الى ست طـــوائف ولا يخفى ما فى هـــذا التقسيم من بحث وتجربة وهـــو ما يدل على المـــام تام بخواص هـــذه المواد وتفاعلاتها بعضها مع بعض(٢٨٨) .

والرازى يعظم صناعة الطب وما يتصل بها من دراسات ولعل هـــذا من عوامل اهتمامه بالكيمياء . ومن مؤلفات الرازى فى الكيمياء : كتاب الأسرار فى الكيمياء ترجمه كريمـــونا فى أواخر القرن الثانى عشر للميلاد وكان المعتمـــد فى مدارس أوروبا مدة طـــويلة ، وقـــد رجع اليه « باكون » واستشهد بمحتوياته(٢٨٩) . ولا تزال الطرق التى اتبعهـــــا فى ذلك مستعملة حتى الآن . والرازى أول من أتى على ذكر حامض الكبريتيك وقـــد سماه « زيت الزاج والزاج الأخضر » ونقله عن كتبه « البير الكبير » وسماه « كبريت الفلاســـفة » . واستخرج الكحول باستقطار مواد نشوية وسكرية مختمرة ، وكان يستعمله فى الصيدليات لاستخراج الأدوية والعلاجات حينما كان يدرس ويطبب فى مدارس « بغـــداد » و « الرى »(٢٩٠) .

وهكذا كان جابر بن حيان وأبو بكر الرازى من أعظم العلماء العرب وأشهرهم فى المشرق والمغرب فى الكيمياء .

---

(٢٨٧) قـدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٢١٧ .

(٢٨٨) المرجـع نفسـه ص ٢١٨ .

(٢٨٩) المرجـع نفسـه ص ٢٢٠ .

(٢٩٠) المرجـع نفسـه ص ٢١٩ .

## جـــدول المتخصصين فى العلوم الاســـلامية فى بيت الحكمة

| علم الكلام | علم المنطق | علم الفلسفة | علم الكيمياء |
|---|---|---|---|
| ابو الهــذيل العــلاف | عبد الله بن المقفع | ابو يوسف يعقوب الكندى | جابر بن حيــان |
| أحمد بن يحيى بن اســحاق الراونــدى | ثمــامة بن الأشرس | أبو نصر الفــارابى | أبو بكر الرازى |
| أحمد بن أبى داوود | يحيى بن المبــارك | أبو حامد الغزالى | أبو يوسف يعقوب الكندى |
| ثمــامة بن الأشرس | أبو نصر الفــارابى | أبو بكر محمد بن زكريا الرازى | |
| | ابو على بن زرعــة | يحيى بن عــدى النصرانى | |
| | يحيى بن عــدى النصرانى | ابو على بن زرعــة النصرانى | |
| | أبو بشر متى بن يونس | أبو الحسن على بن هارون الزنجـــانى | |
| | | ابو الخــير الحسن بن موار المعروف ( ابن الخمــار ) | |
| | | أبو الفرج على بن الحسين بن هنــدو | |

# (تابع) جـــدول المتخصصين فى العلوم الاســـلامية فى بيت الحكمة

## علم الرياضيات

محمد بن موسى الخوارزمى
أبو يوسف يعقوب الكندى
أولاد موسى بن شاكر ( احمد ، محمد والحسن )
ثابت بن قـرة
أبو بكر محمد بن حسن الكرخى
محمد بن جابر بن سنان
أبو عبد الله البتـانى
الحسن بن الهيثم
البوزجانى الحاسب « محمد بن محمد بن يحيى بن اسماعيل بن العباس أبو الوفا البوزجانى »
أبو القاسم على بن أحمد
المحتسبى الأنطـاكى
أبو النصر الكلوازى
أبو الرشيد الرازى البرهانى
أبو حنيفة بن داود الدينـورى
ابن زهـدون ( ابو اسحاق ابراهيم بن هـــلال الحـرانى )
كمال الدين بن يونس
قسطا بن لوقـا البعلبكى
نصر الدين الطـوسى

## علم الطب

آل بختيشوع ( جرجس ، جبرائيل )
يوحنـا بن ماسـويه
حنين بن اسـحاق
الطبيب الهندى ( منكه )
يعقـوب الكنـدى
قسطا بن لوقـا البعلبكى
أبو بكر الرازى
على بن العباس المجـوسى
ابن بطـلان الحكيم
ابن جـزلة البغـدادى
على بن عيسى الكحـال
ابن التلميذ البغـدادى
موفق الدين عبد اللطيف البغـدادى
ابو البركات بن على ملـكا
ابن هبـل البغـدادى
ثابت بن ابراهيم

## علم الفلك والتنجيم

أبو عبد الله محمد بن جابر البتانى
موسى بن شاكر وأولاده الثلاثة
ابو سـهل الفضل بن نوبخت
محمد بن ابراهيم الفزارى
يحيى بن ابى منصـور
محمد بن موسى الخـوارزمى
سـند بن على
على بن عيسى الأسـطرلابى
ما شـاء الله
أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى
العباس بن سعيد الجوهرى
أحمد بن محمد النهـاوندى
يحيى بن البطـريق
أبو حامد بن محمـد الصـاغانى
سـهل بن بشـار
عبد العـزيز القـابسى
ابن أعلم الشريف البغـدادى
أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن يوسف الأسطرلابى المعروف ( بالبديع الأسطرلابى )
أبو اسـحاق ابراهيم بن سنان بن قـرة
محمد بن عيسى أبو عبد الله الهـانى
أبو الحسن على بن اسماعيل الجـوهرى
أبو جعفر بن أحمد الكوهنى
على بن زياد التميمى

# الفصل الثاني : الحياة العلمية ونشاط الترجمة في بيت الحكمة



١ ــ المترجمون الذين يعملون فى بيت الحكمة ، مثل : حنين بن اسحاق ، يوحنـــا ابن ماسويه ، الفضـــل بن نوبخت ، الكندى ٠

٢ ــ حركة النقـــل والترجمة على أيدي الموالى ، مثل عـــلان الشعوبى ، الفضل ابن ســـهل ، ســـهل بن هارون ٠

٣ ــ دور المترجمين فى تنشيط حركة التأليف والترجمة ، مثل : أولاد شاكر : أحمد ومحمد وحسن ، ثابت بن قرة ٠

٤ ــ ترجمـــة التراث والفكر العـــالمى الى اللغـــة العربية على يد حنين بن اســـحاق ، وأولاد شـــاكر ، والكنـــدى ٠

## اولا — المترجمون الذين يعملون فى بيت الحكمة :

### ( أ ) حنين بن اسحاق العبادى :

ولد سنة ١٩٤ هـ/٢٦٠ هـ — ٨١٣ م/٨٧٣ م وكان أبوه نصرانيا من العباديين بالحيرة وكان يشتغل بالصيدلة ، فلما نشأ حنين أحب العلم ودرس الطب فى مدرسة جنديسابور وحضر مجالس يوحنا بن ماسويه فى بغداد[٢٩١] .

كان حنين بن اسحاق بحق شيخ المترجمين ، وكان من نساطرة العرب ، ويقال انه كان أعلم أهل عصره فى الطب . اهتم بدراسة اللغة اليونانية وعمل مع جبريل ابن بختيشوع طبيب المأمون ثم عهد اليه ببيت الحكمة ، وأمره المأمون ان يترجم ما يمكنه من الكتب اليونانية ، وكان يعمل معه ابنه اسحاق وابن أخته حبيش ابن الحسن . ومن الترجمات التى تنسب اليه شرح أرسطو وكتب لجالينوس وابقراط وديقوريدس ومجموعها حوالى خمسين كتابا ، وكتاب السياسة لأفلاطون والمقولات والخلقيات والطبيعيات لأرسطو . ويقال ان المأمون كان يعطى زنة ما يترجمه ذهبا ، وان بنى شاكر كانوا من المهتمين بالترجمة يدفعون له ولزملائه نحو خمسمائة دينار فى الشهر ثمن ما يقومون بترجمته[٢٩٢] .

كان حنين مترجما موثوقا دقيق التمحيص ، يجول فى العديد من البلدان ليجمع كل ما يقع تحت يديه من مخطوطات النص الواحد حتى اذا نجحت المحاولة قام بترجمة النص الموثوق فى أمانة دون أن يوغل فى الحرفية ، موصيا طلابه ومساعديه باتباع هذا النهج ، وهكذا استطاع حنين ومساعدوه فى مدرسة الترجمة خلال العقود الخمسة من حياته أن ينقلوا الى العربية جميع ما توفر من البحوث اليونانية الهامة فى العلوم الصحية من ذلك أشهر ما ضمته مجموعة أبقراط ، وكتابات أرسطو وجالينوس ، وكذلك الشروح والتنقيحات التى تلت ذلك من بحوث أوريناسيوس الى كتابات بادلوس[٢٩٣] .

لكن حنين بن اسحاق صمم على تعلم اللغة العربية لأنه رأى فيها خير مساعد له على ارواء غلته من الثقافة الطبية ، وقد اندفع بقوة فى هذا الاتجاه

---

(٢٩١) ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٣ .

(٢٩٢) د. حسن التسيال : دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ٨٨ ، ٨٩ .

(٢٩٣) جون س. بادو وآخرون : عبقرية الحضارة العربية ينبوع النهضة ص ١٧٦ .

حتى أنه برىء من دين النصرانية أن رضى ان يتعلم الطب حتى يحكم اللسان اليونانى احكاما لا يكون فى دهره من يحكمه احكامه[٢٩٤] . فسافر الى بلاد الروم[٢٩٥] وهناك أحكمّ اللغة اليونانية وتوصل فى تحصيل كتب الحكمة غاية امكانه[٢٩٦] .

كما تعلم حنين اللغة اليونانية باحساس من الحاجة اليها ، وكذلك نجد أنه وهو أحد أبناء الحيرة اضطر الى تعلم العربية فى وقت متأخر من حياته ، كانت الطبقات الدنيا فى الحيرة تتكلم السريانية[٢٩٧] فقصد البصرة وكانت فى ذلك العهد أكبر معهد لعلوم اللغة العربية وملتقى اقطابها يقصدها الطلاب من كل بلد ليحذقوا ويفهموا[٢٩٨] . وهنا لزم الخليل بن أحمد حتى برع فى اللسان العربى وبذلك أصبح حنين يجيد لغات أربع : هى[٢٩٩] : الفارسية واليونانية والعربية والسريانية التى هى لغته الأصلية ، ولقد أعانه ذلك على أن ينقل الكتب الى السريانى والى الاوروبى .

ولقد بلغ من سرور جبريل بحنين واعجابه بروعته فى ترجماته ، أنه قدمه لأبناء موسى الثلاثة ، وقد كانوا من رعاة العلم الأثرياء ، يقول القفطى فيهم : « وممن عنى باخراج الكتب من بلاد الروم ، محمد واحمد والحسن بنو موسى بن شاكر المنجم ، وقد بذلوا فى سبيل ذلك من الرغائب ، وأحضروا الغرائب منها فى الفلسفة والهندسة والموسيقى والارثماطيقى والطب وغيرها »[٣٠٠] . فاحتضنه هؤلاء وكانوا أصحاب الفضل فى اظهار مواهبه كما كانوا يجزلون له العطاء وقدموه[٣٠١] بدورهم الى الخليفة المأمون ، فعينه عميدا لبيت الحكمة[٣٠٢] .

يذكر ابن أبى أصيبعة : « ان المأمون احضره وكان فتى وأمره بنقل ما يقدر عليه من كتب الحكماء اليونانيين الى العربى واصلاح ما ينقله غيره فامتثل أمره . وقام بما اسند اليه خير قيام وظل يوالى النقل بهمة واقتدار حتى أيام المتوكل »[٣٠٣] .

---

(٢٩٤) ابن أبى أصيبعة : عيون الانباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٨٥ .

(٢٩٥) ابن القفطى : اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ١١٩ .

(٢٩٦) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥٠ .

(٢٩٧) أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٩٩ .

(٢٩٨) حنين بن اسحاق : مقدمة العشر مقالات فى العين ص ١٥ .

(٢٩٩) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٤٠ .

(٣٠٠) ابن القفطى : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٤ .

(٣٠١) أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٢٤٩ .

(٣٠٢) حنين بن اسحاق : مقدمة العشر مقالات فى العين ص ١٥ .

(٣٠٣) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٨٩ .

ويقول ابن العبرى : « ولم يزل أمره ( حنين ) يقوى وعلمه يتزايد وعجائبه تظهر فى النقل والتفاسير حتى صار ينبوعا للعلم ، ومعدنا للفضائل واتصل خبره بالخليفة المتوكل فأمر باحضاره »(٣٠٤) واختاره للترجمة وائتمنه عليها وجعل له كتابا تحارير عالمين بالترجمة كانوا يترجمون ويتصفح ما ترجموا(٣٠٥) .

كذلك ذكر أنه كان يؤلف الكتب بالسريانية أو يترجمها الى العلماء النصارى وأطبائهم . بينما كان يؤلف الكتب العربية ويترجمها الى العلماء المسلمين(٣٠٦) . ويذكر سويتمان(٣٠٧) : « ان حنينا كان يترجم الى السريانية ، ثم ينقل ابنه اسحاق ما يترجمه الى اللغة العربية » . ويقرر أوليرى(٣٠٨) : « ان بعض ترجمات حنين قد نقحها فيما بعد كتاب متأخرون » .

والواقع أن هذا المسلك قد يثير الشك فى معرفة حنين باللغة العربية « يقول الدكتور عبد الرحمن بدوى » : كان يغلب عليه أن يترجم من اليونانية الى السريانية ثم يدع لتلاميذه مهمة الترجمة من السريانية الى العربية ، وهذا أمر غريب حقا لأن حنين بن اسحاق كان يتقن العربية اتقانا مدهشا ، فماذا يدعوه اذن الى اتخاذ هذا الطريق الملتوى الغريب »(٣٠٩) . الموقف يتضح اذا ما عدنا الى قول أوليرى : « ان حنينا اضطر الى تعلم العربية فى وقت متأخر من حياته »(٣١٠) . فكان أن قصد البصرة ولازم الخليل بن أحمد حتى برع فى اللسان العربى .

فلا غرابة اذن أن يدع حنين مهمة الترجمة من السريانية الى العربية لتلاميذه ، وأن يتناول الكتاب المتأخرون بعض ترجماته بالتنقيح والتهذيب ذلك لأنه ظل شطرا من حياته يحس بحاجته الى اتقان العربية هذا فضلا عن أنه هو نفسه قد أعاد

---

(٣٠٤) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥١ .

(٣٠٥) ابن القفطى : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١١٨ .

(٣٠٦) حنين بن اسحاق : مقدمة العشر مقالات فى العين ص ٣٧ .

(٣٠٧) SWEETMAN : Islam and Christion Theology V. L., p. 88.

(٣٠٨) أوليرى : ( علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب ) تحقيق د. وهيب كامل ( مكتبة النهضة المصرية – القاهرة ١٩٦٢ م ) ص ٢٢٨ .

(٣٠٩) د. عبد الرحمن بدوى : ( فن الشعر لأرسطوطاليس ) . ( مطبعة مصر – بدون التصدير ص ٥٣ .

(٣١٠) أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٩٩ .

ترجمة الكتب التى كان قد ترجمها فى صدر حياته الى العربية عندما أحس تفوقه فيها[٣١١] .

لم يشأ حنين ان يقف عند حد النقل والتعريب فقد أحس قدرته على التأليف فى هذه الموضوعات التى طالما اشتغل بالترجمة فيها . فقد أورد القفطى قائمة[٣١٢] كاملة لمؤلفاته وقد كانت باللغتين السريانية والعربية وكانت كتبه الطبية صورة منعكسة لكتب أطباء اليونان التى استنفذ فى ترجمتها أهم قسط من نشاطه فى حياته العلمية . وقد ذكر ماكس مايرهوف أن أهم كتبه[٣١٣] « تفسير كتاب الصناعة الصغيرة لجالينوس » وقد ترجم الى اللغة اللاتينية ، و « المسائل فى الطب » وهو مقدمة للطب العام على هيئة أسئلة واجوبة ، ثم كتاب العشر مقالات فى العين وكتاب المسائل فى العين . ثم نجد ابن أبى أصيبعة قد عقد فى كتابه عيون الأنباء بابا للنقلة الذين نقلوا كتب الطب وغيره من اللسان اليونانى الى اللسان العربى وعند تحليلنا لقائمة الأسماء التى أوردها فى هذا الباب ، وجدنا أنه صنف المترجمين الى درجات ومستويات متباينة بحسب اتقانهم للترجمة فقد اعتبر حنينا بن اسحاق من المجودين فى النقل وقال عنه : « كان عالما باللغات الأربع عربيها ومستعملها : العربية والسريانية واليونانية والفارسية ونقله فى غاية الجودة »[٣١٤] .

كما كان ابنه اسحاق ابن حنين عالما باللغات التى يعرفها أبوه ، وهو يلحق به فى النقل ومثلهما كان حبيش الأعسم ناقلا مجودا[٣١٥] كما كان هناك عيسى بن يحيى بن ابراهيم تلميذ حنين ابن اسحاق وقد أثنى عليه حنين ورضى نقله وقلده فيه وكان اصطفن بن بسيل يقارب حنينا فى النقل الا أن عبارة حنين افصح واجلى[٣١٦] .

ومن بين المترجمين الآخرين من كان متوسط الحال فى الترجمة فمثلا كان ايوب المعروف بالأبرش قليل النقل متوسطه وما نقله فى آخر عمره يضاهى نقل حنين ،

---

(٣١١) د. النجاحات السيد زغلول : السريان والحضارة الاسلامية ص ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٣١٢) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١١٩ ، ١٢٠ .

(٣١٣) حنين بن اسحاق : مقدمة العشر مقالات فى العين ص ٢٣ ، ٣٩ .

(٣١٤) ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٧٩ .

(٣١٥) المصدر نفسه ص ٢٧٩ .

(٣١٦) المصدر نفسه ص ٢٧٩ .

ومثله كان ابن شهدى الكرخى الذى نقل من السريانى الى العربى(٣١٧) . والحجاج ابن يوسف بن مطر الذى نقل للمأمون كتاب أقليدس وكذلك سرجس الراس ( من اهل مدينة راس العين )(٣١٨) الذى كان متوسطا فى النقل .

والى جانب هؤلاء المترجمين المذكورين كان هناك تراجمة آخرون لم يتقنوا فى راى ابن أبى اصيبعة نذكر منهم على سبيل المثال : فثيون الترجمان الذى كان « كثير اللحن ولم يكن يعرف علم العربية اصلا »(٣١٩) وابو سارى بن أيوب الذى لم يكن يعتد بنقله وحيرون بن رابطة الذى ليس له شهرة بجودة النقل(٣٢٠) .

اذ نستنتج من قائمة ابن أبى اصيبعة أيضا أن بعض النقلة تتلمذوا على بعض التراجمة المشهورين ، فقد تتلمذ حبيش وعيسى بن يحيى على حنين بن اسحاق ، والى جانب ذلك نجد ان بعض النقلة المشهورين اتخذوا لهم أعوانا ممن عرفوا بجودة النقل لمساعدتهم فى الترجمة مثال ذلك أن حنين بن اسحاق استعان بقسطا الرهاوى ، عندما كثرت عليه الكتب وضاق عليه الوقت ثم يصلحها(٣٢١) .

بعد ذلك الوقت بثلاثين سنة أسس حنين بن اسحاق الذى عرف لدى الغرب باسم ( يوحنا نيوس ) مدرسة للمترجمين فى العراق(٣٢٢) ، ظلت تواصل عملها على يد كل من ابنه اسحاق بن حنين وابن أخته حبيش بن الحسن ، وكان السريان والنساطرة هم الذين استخدموا الترجمات السريانية القديمة لفلاسفة اليونان ، بمثابة نصوص يونانية للمؤلفات الفلسفية التى كان عليهم أن ينقلوها الى اللغة العربية .

**(ب) يوحنا بن ماسويه(٣٢٣) :**

توفى « ٢٤٣ هـ/٨٥٧ م » وكان ممن قدموا من جنديسابور من هذا الوقت

---

(٣١٧) المصدر نفسه ص ٢٨٠ .

(٣١٨) ياقوت الحموى : معجم الأدباء جـ ٣ ص ١٤ .

(٣١٩) ابن أبى اصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ٢٨٠ .

(٣٢٠) المصدر نفسه ص ٢٨١ ، ٢٨٢ .

(٣٢١) المصدر نفسه جـ ١ ص ٢٨٢ .

(٣٢٢) سليم طه التكريتى : ( **شيخ المترجمين حنين بن اسحاق** ) مجلة العربى ـ الكويت ( ١٩٦٨ م ) عـ ١٠٧ ص ١٠٢ ، ١٠٨ .

(٣٢٣) راجع ترجمة ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٥ ، ٤٢٦ .

تقريبا بدأت مدرسة الطب فيها تفقد أهميتها لأن كبار الأطباء والأساتذة قد ذهبوا الى قصور الخلفاء ببغداد(٣٢٤) . كان يوحنا سريانيا نسطوريا ، وقد ولاه هارون الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة التى وجدت بأنقره وعمورية وسائر بلاد الروم حين افتتحها المسلمون وسبوا ما فيها ، ووضعه أمينا على الترجمة ورتب له كتابا حذاقا يكتبون بين يديه(٣٢٥) . وقد أقام يوحنا مستشفى فى بغداد ، كذلك جعله الخليفة المأمون فى سنة ٢١٥ هـ/ ٣٨٠ م رئيسا لبيت الحكمة وقد الف يوحنا كتبا كثيرة بلغت ثمانية وعشرين كتابا(٣٢٦) منها كتاب البرهان ، وكتاب دغل العين ، وعربية هذا الكتاب ركيكة مع استعمال اصطلاحات اغريقية وسريانية وفارسية(٣٢٧) وكان يوحنا يعقد مجلسا للنظر ويجرى فيه من كل نوع من العلوم القديمة بأحسن عبارة ، وكان يدرس ويجتمع اليه تلاميذ كثيرون وقد تتلمذ عليه حنين بن اسحاق فترة من الزمن(٣٢٨) .

على أن الترجمة لم تلبث أن اخذت فى العصر العباسى وصفا رسميا يدخل فى سياسة الدولة ، وتعتمد على رصيد سخى من الخزانة العامة ، وقد استوعبت الحركة فى عصر الرشيد وولده ذخائر التراث الفكرى والعلمى فى الفلسفة والرياضيات والطبيعة لليونان والفرس والهند ومصر . ثم ما لبثت العقلية الاسلامية أن هضمت ذلك التراث وتمثلته فأعطته روحا جديدة على نحو ما فعلت مدرسة الاسكندرية بالفكر اليونانى حين هاجر(٣٢٩) اليها . وترجمتها الى اللغة العربية وشتان بين غزو من أجل استعباد الشعوب وسلب الناس حرياتهم وحقوقهم الطبيعية فى الحياة والهدار آدميتهم ، والحط من كرامتهم ، وفى عصر الرشيد اشتهر يوحنا بن ماسويه باعتباره شيخ المترجمين ، وقد كان للرشيد ثقة كبيرة فيه ، فنقرأ فى تاريخ عصر هارون الرشيد انه الف هيئة علمية باشراف « ابن ماسويه » مهمتها تقدير التعويضات التى تدفعها الدول المهزومة من ذخائر كتبها(٣٣٠) . وهو الذى نصح هارون الرشيد بانشاء دار كبيرة للكتب ، تلك الدار التى اتسعت واشتهرت فيما بعد وأصبحت

---

(٣٢٤) ماكس مايرهوف : من الاسكندرية الى بغداد ص ٥٦ .

(٣٢٥) ابن القفطى : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٤٩ .

(٣٢٦) ابن ابى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٨٣ .

(٣٢٧) أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٢٤٦ .

(٣٢٨) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٧ .

(٣٢٩) د. عائشة عبد الرحمن : ( **لغتنا والحياة** ) . ( دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٧١ م ) ص ١٣٠ ، ١٣١ .

(٣٣٠) المرجع نفسه ص ٧٤ .

تدعى « دار الحكمة » فى عصر المأمون . وقد تميز هذا العصر بأنه كان عصر تهذيب للترجمات السابقة ذلك التهذيب الذى ترتب عليه التحصيل الواعى والهضم الدقيق لجميع الثقافات الأجنبية ثم عصر الابتكار وبناء الثقافة العربية الاسلامية ووضع اصولها ومناهجها(٣٣١) .

**(جـ) ابوسهل الفضل بن نوبخت :**

وهو من ائمة المتكلمين ومشاهير المترجمين ، كان متضلعا باللغتين الفارسية والعربية وكان يشتغل فى بيت الحكمة فيترجم من الفارسية الى العربية ، ومعوله فى عمله على كتب الفرس ، وله عدة مؤلفات بعلوم مختلفة ، ولذا فان هارون الرشيد عهد اليه بترجمة كتب الحكمة الفارسية الى العربية(٣٣٢) . يقول ابن النديم عنه(٣٣٣) : « أنه كان فى خزانة الحكمة لهارون الرشيد وله نقل من الفارسى الى العربى » .

ومن الممكن أن نقرر دون تردد أن هذا الصنف من العلماء الباحثين عاشوا فى بحبوحة من العيش ونعموا بمستوى مالى مرموق اذ أضفى عليهم الخلفاء والعظماء كثيرا من عنايتهم وأمدوهم بهبات متجددة وأفضال لا تنقطع . فقد حكى عن المأمون أن منحه لحنين بن اسحاق كانت متصلة وهباته اليه لا تتوقف(٣٣٤) .

فكانت النهضة العلمية التى احتضنها المسلمون ورعوها تعتمد جل الاعتماد على الدراسات التى قام بها غير العرب من الشعوب الأخرى ، ومن أجل هذا كان المترجمون حلقة الاتصال بين العرب وهذه العلوم وبمساعدة هؤلاء المترجمين وعن طريقهم نقلت علوم اليونان والسريان والقبط والفرس والهنود الى اللغة العربية . ولكننا نتحدث قصيرا عن نماذج لطائفة واحدة من المترجمين تشمل هؤلاء الذين كانوا يقومون بعملهم فى بيت الحكمة(٣٣٥) .

ومنهم النساطرة واليعاقبة والصابئة والمجوس والبيزنطيون والبراهمة ، وترجموا من اليونانية والفارسية والسريانية والهندية والقبطية الى اللغة العربية ،

(٣٣١) أبو الفتوح التوانسى : من أعلام الطب العربى ص ٢٢ .

(٣٣٢) ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٦ .

(٣٣٣) المصدر نفسه ص ٣٨٢ .

(٣٣٤) KHUDA BUKHSH : Islamic Civilzation, p. 277.

(٣٣٥) ابن أبى اصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٧٥ .

وأقبل الناس على هذه الكتب والبحث فيها أيما اقبال . وترتب على حركة الترجمة وذيوع الكتب المنقولة الى اللغة العربية أن اتيح للمسلمين تصحيح أغلاط القدماء فى كثير من المواضع ، كما أضافوا من عندهم اضافات وابتكارات قيمة ولا سيما فى الطب والفلك والكيمياء والرياضيات(٣٣٦) .

**( د ) أبو يعقوب بن اسحاق الكندى :**

من قبيلة كندة ، عربى النسب ، عاش ما بين سنة ١٨٥ هـ/٢٥٢ هـ — ٨٠١ م/ ٨٦٧ م وولد فى الكوفة ودرس فى البصرة على أشهر علمائها حتى برز فى علم الفلسفة ولذلك لقب بفيلسوف العرب ، تمييزا له عن أقرانه من المتوافرين على دراسة الحكمة العقلية من غير العرب ، كما كان أبوه أميرا على الكوفة فى القرن الثانى الهجرى . وحصل الكندى بعض علومه فى البصرة ثم فى بغداد وأولع بدراسة ثقافة الفرس وحكمة اليونان ، وكان يخدم فى قصور الخلافة ويشتغل بترجمة كتب اليونان وتهذيب ما يترجمه غيرمنها كما كان واسع الاطلاع على جميع العلوم ، وقد تمثل منها كل ما كان فى عصره وله آراء خاصة فى الجغرافيا وتاريخ التمدن والطب والفلسفة والكيمياء وآراؤه الكلامية فيها نزعة المعتزلة قاوم نظرية شائعة فى عصره قيل أنها تنسب للبراهمة وهى أن العقل وحده مصدر المعارف ، وكان يدافع عن النبوة ، ولكنه كان يميل الى التوفيق بينها وبين العقل كما اخذ بمذهب ارسطو(٣٣٧) .

عاش الكندى فى الزمن الذى يعرف بعصر الترجمة ، ونبغ فى خلافة المأمون صاحب بيت الحكمة ، وعاصر كبار النقلة المشهورين مثل حنين بن اسحاق وابنه اسحاق ، وخاض غمار هذه الحركة ، وشارك فيها حتى قال صاعد الأندلسى نقلا عن أبى معشر فى كتاب المذكرات « ان حذاق الترجمة فى الاسلام أربعة : حنين بن اسحاق ويعقوب الكندى وثابت بن قرة الحرانى ، وعمر بن الفرخان الطبرى(٣٣٨) .

وكان الكندى فى الأغلب لا يترجم بنفسه ، بل يترجم له ترجمة حرفية ناقل آخر ، ثم يتناول هو هذه الترجمة بالصقل والتهذيب ، ويضعها فى قالب عربى رشيق

---

(٣٣٦) د. محمد مصطفى زيادة وآخرون : ( **تاريخ العالم العربى وحضارته** ) . ( مكتبة نهضة مصر بالفجالة — القاهرة — بدون ) ص ٣٦١ .

(٣٣٧) د. على عبد الله الدفاع : موجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى ص ٩٦ .

(٣٣٨) د. أحمد فؤاد الأهوانى : الكندى فيلسوف العرب ص ٥٩ .

بمقدار ما نسمح به الموضوعات الفلسفية العميقة . ومن المعروف أن الذى كان ينقل له هو « اسطاث » . وقد روى هذا الخبر صاحب الفهرست عند كلامه عن كتب أرسطو فقال عنه فى ترجمة كتاب الميتافيزيقيا : « انه يسمى كتاب الحروف ويعرف بالالهيات ، نقلها اسحاق ، ونقل حرف الميم أبو زكريا يحيى بن عدى . وهذه الحروف نقلها اسطاث للكندى[٣٣٩] وكان اسطاث من النقلة المتوسطين كما ذكر ابن ابى اصيبعة صفوة القول : لم يكن الكندى يعرف فى الاغلب اليونانية[٣٤٠] .

نستطيع أن نجزم انه كان ينقلها ولكنه ايضا لم يكن يترجم عنها بنفسه ، بل كان يعالج ترجمة النقلة ويصلحها . ولا يتسنى هذا الاصلاح بغير رجوع الى الأصل مع معرفة وثيقة للسان الذى ينقل عنه[٣٤١] .

كما كان يمارس نشاطه العلمى فى عهد الخليفة المأمون فيما بين سنتى ( ١٩٨ هـ/٢١٨ هـ ـ ٨١٣ م/٨٣٣ م ) واهتم الخليفة بالكندى ومؤلفاته وشجعه فى انتاجه العلمى وخاصة فى الفلسفة ويقول العالم الأوروبى « بيكون » : « ان الكندى والحكم ابن الهيثم هما فى الصف الاول مع بطليموس » . وأضاف البروفيسير برنارد لويس فى كتابه تاريخ العرب : « ان المسلمين فى عهد المأمون اهتموا بالترجمة ، فترجم الكندى فلسفة أرسطو طاليس » .

كما أن الخليفة المأمون انتخبه « الكندى » ليكون احد الذين يعهد اليه فى ترجمة مؤلفات أرسطو وغيره من حكماء اليونان[٣٤٢] . وجدير بالذكر ان الكندى هو المؤسس الأول للمدرسة التى تخصصت فى تعليم الفلسفة وخاصة فلسفة أرسطو وشارك الكندى فى شرح المجستى والتعليق عليه باللغة العربية . كما كان واسع الأفق فى علم المنطق وعلم الفلسفة .

يقول جيرارد ترمونه : « ان الكندى خصب القريحة وانه كان واحد عصره فى الالمام بالعلوم بأسرها ، وان احاطته بكل أنواع المعارف تدل على سعة مداركه

---

(٣٣٩) ابن النديم : الفهرست ص ٣٥٧ ، ٣٦٥ .

(٣٤٠) يقرر الدكتور ماكس مايرهوف : ان الكندى كان يعرف للغة اليونانية وينقل عنها . انظر التراث اليونانى والحضارة الاسلامية ص ٥٩ ترجمة عبد الرحمن بدوى .

(٣٤١) د. أحمد فؤاد الأهوانى : الكندى فيلسوف العرب ص ٦٣ .

(٣٤٢) قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ١٦٧ .

وقــوة عقله وعظم جهوده » . كما نال اعجاب ابن نباته الذى قال عنه : « وانتقــل الكندى الى بغــداد فاشتغل بعلم الأدب ، ثم بعلوم الفلسفة جميعها فأتقنها ، وحــل مشكلات كتب الأوائل وصنف الكتب الجــديدة ، وكانت دولة المعتصم تتجمل بالكندى ومصنفاته وهى كثيرة جــدا وافتخر العرب فى المــاضى والحاضر بالكندى وانتاجــه الفكـــــرى(٣٤٣) .

ويصف هـ. ج. ويلز هــذه الحركة العلمية بقوله : « كان مثلها كمثل نور فى مصباح يحجب النور دون العالم كافة ، وقــد يكون شعلة وهاجــة تخطف الأبصار ، ولكنها مــع ذلك مستورة لا تراها الأنظار »(٣٤٤) ومدح أبو العلاء المعرى بغــداد بكثرة ما فيها من علم اذ يقول فى احــدى رسائله : « وجــدت العلم ببغــداد اكثر من الحصى عند جمرة العقبة »(٣٤٥) .

---

(٣٤٣) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى ص ١٠١ .

(٣٤٤) هـ. ج. ويلز : ( **موجز تاريخ العالم** ) ترجمة عبد العزيز جاويد ( مكتبة النهضة المصرية – القاهرة ١٩٦٧ م ) ص ١١٩ .

(٣٤٥) د. شوقى ضيف : ( **الفن ومذاهبه فى النثر العربى** ) . ( دار المعارف بمصر ١٩٦٠ م ) ص ٢٦٦ .

## ثانيا ــ حركة النقــل والترجمة على أيدى الموالى :

شكل أهــل الذمة فى بغـــداد فى العصر العباسى الأول عنصرا هاما من عناصر المجتمع ، والواقع كانت معاملة الخلفاء ورجال الدولة لهم تنم عن عـــدل وتسامح وكرم ، واطلق الخلفاء لرؤسائهم الروحيين مباشرة أمور وشئون ابناء ملتهم ، وكان رئيس النصارى فى بغـــداد يسمى « الجاثليق » ويعينه الخليفة بعـــد استشارة كبار الأساقفة ويتم تعيينه بعـــد اصـــدار منشور يتضمن الحقوق والامتيازات التى تمنحها الدولة له ــ اى الجاثليق ــ وتمنحه الحـــق فى مراجعة حكومة بغـــداد فى الأمور التى تتعلق بالمسيحيين الرعايا(٣٤٦) .

كان الجاثليق الجـــديد اذا تم تعيينه ، يسير بحفاوة الى قصر الخلافة ، وهناك يمنحه الخليفة عهد توليته ، ويتضمن حقوقه فى مباشرة سلطانه ثم تلقى عليه الخلع الثمينة ــ وبعـــد ذلك يتوجه الى المدائن وتصحبه فرقة من الجنود وجمـــاعة من المطارنة والأساقفة وكبار رجال الدولة حيث يزور ضريح مارى فى ديره وفقا للتقاليـــد المتبعة فى ذلك ثم يعود الى بغداد ويقيم فى كنيسة دار الروم ــ مقره الرسمى ــ(٣٤٧) .

يقول د. حتى : « ساهم أهـــل الذمة فى بغـــداد فى ازدهار الحركة العلميـــة فى العصر العباسى الأول ونشر المعرفة فأسسوا المدارس وقاموا بالتدريس لأبنـــاء كبار رجال بغـــداد ، وترجموا الكتب من اللغات الأجنبية الى اللغة العربية ، ذلك ان الخلفاء العباسيين الأول عنوا بترجمة الكتب العلمية واستعانوا بأهـــل الذمة فى حركة الترجمة هـــذه ، وقـــدر الخلفاء جهودهم ومنحوهم الرواتب الجزيلة ، وكان الخلفاء يرسلون العلماء الموثوق بهم من أهـــل الذمة الى الدولة البيزنطية لابتياع طرائف الكتب وغرائب المصنفات فى الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب ويعهـــدون الى التراجمة من أهـــل الذمة بنقل هـــذه الكتب الى العربية »(٣٤٨) .

أما مراحل الترجمة فيقول د. أحمد فريد رفاعى(٣٤٩) : اتفقت كلمة الباحثين على

---

(٣٤٦) آدم متز : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٤٧ .

(٣٤٧) رفائيل بأبو اسحاق : ( تاريخ نصارى العراق ) . ( مطبعة المنصور - بغـداد - العراق ١٩٤٨ م ) ص ٦٧ .

(٣٤٨) HITTI : History of the Arabs, p. 327.

(٣٤٩) د. أحمد فريد رفاعى : عصر المأمون : ج ١ ص ٣٧٩ ، ٣٨١ .

أن الترجمة فى هـذا العصر مرت بثلاث مراحل متميزة ، تختلف كل منها عن الأخرى فى لغتها ومدى الاهتمام بها والاقبال عليها .

**المرحلة الأولى — وتبدأ من عصر المنصور سنة ١٣٦ هـ الى نهاية حـكم الرشيد سـنة ١٩٣ هـ :**

والترجمة فى هـذه الفترة كادت تكون حرفية لا تتجاوز العبارة الأعجمية وان بدت فى ثوب عربى . ولهـذا أعيد ترجمة بعضها فيما بعـد بلغـة افصح وتعبير أحكم وأوضح .. وأشهر النقلة فى هـذه المرحة يوحنـا بن البطريق الذى ترجم للمنصور كتاب المجستى لبطليموس . ومحمد الفزارى الذى ترجم عن الهندية كتاب « السند هند » فى الفـلك والتنجيم ، وعبد الله بن المقفـع الذى ترجم عن الفهلوية — كليلة ودمنة — كما ذكر ابن حيان عن صاعـد الأندلسى فى كتابه طبقات الأمم — أنه ترجم كتب ارسـطوطاليس المنطقية الثلاثة وهى : كتاب قاصاغوريوس ومعنـاه المقولات ويبحث فى الأجناس العالية ، وكتاب انالوطيقيا ومعناه تحليل القياس ويبحث فى أشكال القيـاس المنطقى[٣٥٠] . وكتاب بارى أرميناس وهـو كتاب العبـارة الذى يبحث فى القضـايا التصـديقية[٣٥١] ، كما ترجم كتاب المدخـل المعروف بايساغوجى لفرفوريوس الصورى الذى ألفـه ليكون مدخلا لكتب أرسـطو فى المنطق . ومن أشهرهم أيضا جورجيس بن جبرائيل ، ويوحنا بن ماسـويه الطبيبان النصرانيان وصالح بن بهلة صاحب الرشيد ، ومنكه طبيبه الهندى وابن دهنه مدير بيمارستان البرامكة ، وسلامة الأبرش وباسيل المطران . كما كان البرامكة — فضـلا عن الخلفـاء — يشجعون هـذه الحركة ويبذلون فى سبيلها المـال الوفير وكانوا كلما وقعت فى أيديهم مدينة رومية يأمرون بترجمة ما يعثرون عليه فيها من الكتب[٣٥٢] .

**المرحلة الثانية — وتبدأ من عهـد المـأمون سنة ١٩٨ هـ الى نهاية القرن الثالث الهجـرى :**

وفيها بلغت الترجمة أسمى درجات النمو والازدهار وأنها لمدينة من غير شك

---

(٣٥٠) د. محمد نبيه حجاب : ( **مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى** ) ( نهضـة مصر بالفجالة - القـاهرة ط ١ ، ١٣٨١ هـ/١٩٦١ م ) ص ٥١٧ .

(٣٥١) د. محمد البهى : ( **الجانب الالهى من التفكير الاسلامى** ) ( بيروت لبنان ط ٥ ، ١٣٨١ هـ/ ١٩٧٢ م ) جـ ١ ص ٢٧٦ .

(٣٥٢) د. محمد نبيه حجاب : **مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى** ) ص ٥١٨ .

للمـــأمون الذى نفخ فيها من روحـــه ووجه اليها عناية ليست بعـــدها عناية حتى اصبح عصره بحـــق العصر الذهبى(٣٥٣) .

**المرحلة الثالثة ــ وهى التى كانت بعـــد القرن الثالث الهجرى :**

واشهر المترجمين فيها أبو بشر متى بن يونس ، وسنان بن ثابت ، ويحيى بن عـــدى وابو زرعـــة وهلال الحمصى وعيسى بن صهرنجت . وكانت عنايته متجهة الى الكتب المنطقية الطبيعية لأرسطو ، وكذلك التفاسير التى نشأت حولها(٣٥٤) .

هـــذه هى المرحل الثلاث التى مرت بها الترجمة فى العصر العباسى والتى كان من نتائجها هـــذا التراث الضخم المنقول عن اليونانية والفارسية والهندية وغيرها . واستمرت حركة الترجمة فى العصر العباسى حيث ازدهرت ازدهارا كبيرا ، ولا سيما فى عهـــد المـــأمون واستمرت فى تقـــدم واطراد حتى أواسط القرن الثالث الهجرى ، وكان من مظاهر العناية بالترجمة تشجيع المترجمين واجزال العطاء لهم ، والبحث عن المخطوطات القـــديمة وبذل الكثير من المـــال فى سبيل الحصول عليها ، وارســـال الوفـــود والسفارات لجلبها من البـــلاد التى يعتقد وجـــودها فيها مثل بيزنطة . بل كان أحيانا ما يشترط الولادة فى معاهـــداتهم مع بلاد اجنبية أن يقـــدموا لهم كتبـــا معينة من المخطوطات(٣٥٥) . المحفوظة لديهم .

هكذا أخـــذ العالم الاســـلامى يترجم الى العربية كتبا فارســـية وسريانية وعبرية ويونانية ، وكانت السيادة للثقـــافة اليونانية فى مجال الترجمة فى الفلسفة والطب والرياضيات فى حين كان للثقافة الاسلامية والشرقية بعامة دور واضـــح فى مجال الآداب(٣٥٦) . ومن أشهر من ساهم فى حركة النقـــل والترجمة بنصيب موفـــور من المـــوالى هم :

**( أ ) عـــلان الشـــعوبى :**

هـــو علان أو غيلان ــ بن الحسن الوراق(٣٥٧) المعروف بالشعوبى لعصبيته الشديدة على العرب وبغضه لهم كل البغض ــ وتفضيل قـــومه الفرس عليهم .

---

(٣٥٣) د. محمد البهى : الجانب الالهى من التفكير الاسلامى جـ ١ ص ٢٧٦ .

(٣٥٤) د. محمد نبيه حجاب : مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى ص ٥٢٠ .

(٣٥٥) د. حسن الباشا : دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ٨٧ .

(٣٥٦) المرجع نفســه ص ٨٨ .

(٣٥٧) الجاحظ : البيان والتبيين جـ ٣ ص ٤٦٦ .

اتصل بالبرامكة(٣٥٨) ايام هارون الرشيد وهم اصحاب النفوذ فى البلاط اذ ذاك ، فأفسحوا لـه المجال وألحقوه « ببيت الحكمة » ومن ذلك الحين أخذ ينسخ للرشيد ثم للمأمون(٣٥٩) .

ذكر ياقوت : انه كان علامة بالانساب والمثالب(٣٦٠) والمنافرات « المفاخرات » . ولا شك انه كان لحرفة الوراقة التى كان يزاولها منذ حداثته اثر كبير فى نضج عقله وتفتق ذهنه ، وسعة معرفته وانطلاق لسانه ، ويبدو من اقوال الرواة أنه كان معتزا بعلمه تياها بصناعته كما يبدو أيضا انه كان شرس الأخلاق نابى الألفاظ مما جعله فاجرا فى خصومته للعرب . مجاهرا بعداوته لهم حتى قرن اسمه بالشعوبية كما أسلفنا ، يتجلى ذلك فى موقفه من أحمد(٣٦١) بن أبى خالد وزير المأمون الذى سمع بعلمه وفصاحته فاستقدمه ليكتب لـه . وذات يوم دخل عليه الوزير فقام اليه جميع الحاضرين سواه فقال : ما أسوا أدب هذا الوراق ، وسمعه علان فقال : كيف أنسب أنا الى سوء الأدب ، ومتى تتعلم الآداب وأنا معدنها ؟ ولماذا أردت منى القيام لك ولم آتك مستسمحا لك ولا راغبا ولا طالبا منك ، وانما رغبت الى أن آتيك فأكتب عندك فجئتك لحاجتى الى ما آخذه من الأجر ، وقد كنت بغير هذا منك أولى(٣٦٢) .

يقول الألوسى : « ثم نشأ غيلان الشعوبى وكان زنديقا ثنويا فعمل لطاهر ابن الحسين كتابا خارجا عن الاسلام ، بدأ فيه بمثالب بنى هاشم وذكر مناكحهم وأمهاتهم . ثم بطون قريش ثم سائر العرب ونسب اليهم كل زور ووضع عليهم كل افك وبهتان »(٣٦٣) هكذا كان الموالى فى هذا العصر ، عصر التأليف والتدوين يضعون على العرب ما يشاءون من القصص والسير والأخبار ، وينسبون اليهم

---

(٣٥٨) د. بديع شريف ( محمد ) : ( **الصراع بين العرب والموالى** ) ( طبعة القاهرة ١٩٥٤ م ) ص ٤٤ .

(٣٥٩) ابن النديم : الفهرست ص ١٠٥ .

(٣٦٠) ياقوت الحموى : معجم الأدباء جـ ٢ ص ١٩١ .

(٣٦١) ياقوت الحموى : معجم الأدباء جـ ١٢ ص ١٩٢ ، ١٩٣ .

(٣٦٢) د. محمد نبيه حجاب : مظاهر للشعوبية فى الأدب العربى ص ٥٦٣ ، ٥٦٤ .

(٣٦٣) الألوسى ، محمود شكرى البغدادى : ( **بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب** ) . شرح وتصحيح محمد بهجت الأثرى . ( المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٢٤ م ) جـ ١ ص ١٦١ .

ما ينسبون من المثالب والمعايب وقد ساعدهم على ذلك ان الدولة دولتهم وانهم أصحاب النفوذ فيها بيدهم مقاليد الأمور ، وبيدهم زمام العلم والأدب(٣٦٤) .

ونعود فنقول : أين ذهبت هذه الكتب ، كتب المثالب والمعايب التى أفردتها الشعوبية للنيل من العرب ؟ لقد اندثرت وبادت ولم يبق منها سوى أسمائها فى كتب الطبقات كمعجم الأدباء والفهرست ووفيات الأعيان . كما لم يبق منها الانتف قليلة مفرقة فى كتب الأدب كالبيان والتبيين ، والبخلاء ، والعقد الفريد ، وكتاب العرب لابن قتيبة .

**(ب) الفضل بن سهل :**

فيما يروى الجهشيارى عن الفضل بن سهل ما يدل على أنهم — الى حد ما — كانوا أكاسرة فى قلب الدولة العباسية استمع اليه يقول : « كان الفضل بن سهل ابن زاد انفروح — ذو الرياستين — يجلس على كرسى مجنح ، ويحمل فيه اذا أراد الدخول على المأمون ، فلا يزال يحمل حتى تقع عين المأمون عليه . فاذا وقعت وضع الكرسى ونزل عنه فمشى وحمل الكرسى حتى يوضع بين يدى المأمون . ثم يسلم ذو الرياستين ويعود فيقعد عليه . وانما ذهب ذو الرياستين فى ذلك مذهب الأكاسرة »(٣٦٥) . وما سمى الفضل بن سهل بذى الرياستين الا لجمعه بين رئاستى السيف والقلم(٣٦٦) . هكذا نال الفضل بن سهل منزلة عالية لدى المأمون وكان من المقربين لدى الخلفاء .

وكان من الذين قاموا بالترجمة من الفارسية الى العربية الفضل بن سهل صبغة البرامكة . وقد ترجم ليحيى كتابا من الفارسية لم يعرف عنه شىء غير أن يحيى أعجب بترجمته وجودة عبارته ، وأهل هذا الكتاب الفضل أن يكون من رجالهم المقربين ، وظل ملازما للفضل بن جعفر حتى نكبتهم ، ثم لزم المأمون فكان البرامكة يعلقون عليه آمالا كبيرة(٣٦٧) .

---

(٣٦٤) د. محمد نبيه حجاب : مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى ص ٥٦٩ .
(٣٦٥) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٣١٦ .
(٣٦٦) د. محمد نبيه حجاب : مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى ص ٣٦٨ .
(٣٦٧) د. محمد محمود الدش : ( **أبو العتاهية** ) . ( دار المعارف بمصر — القاهرة ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨ م )ص ٧١ .

ومن هــؤلاء التراجمة ــ صنائع البرامكة أبان بن عبد الحميد اللاحقى وقــد وثق به البرامكة الى درجــة أنهم وكلوا اليه امتحان الشعراء وقصائدهم التى كانوا يقصــدون عنايتهم بهــا وقــد ترجم ابان جملة ممتازة من كتب الفرس مثل تاريخ مزدك أردشير وكتابا عن بوذا وغير ذلك ، كما ترجم كتاب كليلة ودمنة ونظمه شــعرا ليسهل حفظه عى جعفر بن يحيى البرمكى . وعرف ابان بأنه كان ماجنــا زنديقــا مانويا[٣٦٨] . ويروى أنه أشير عليه بأن يؤلف كتابا فى العبادات ، وقــد فعل ووضعه نظمــا .

ويرتبط أول آثار الترجمة لعبد الله بن المقفــع ، أحــد الموالى الفرس وكان زرادشتيا فى الأصــل غير أنه أعلن اسلامه امام أحــد أخــوة محمد بن على والــد السفاح ، وأصبح كاتبا لــه ، ولقــد تجرأ عبد الله ، اثناء حماية مولاه لــه ــ على التفــوه بملاحظات هازئة وقحــة على الموظفين العرب الكبار خصوصا على ســفيان ابن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبى صفرة والى البصرة .

ويبــدو أن الرجال ذوى الأصول العربية كانوا يحتلون مراكز سياسية فى أوائل حكم العباسيين كما كانوا يتقبلون الاهانات التى تصــدر من الموظفين السابقين[٣٦٩] .

وفى خلافة المنصور وبنــاء على أوامره ، ترجمت كثير من الكتب اليــونانية والسريانية والفارسية الى العربية ، وكانت الكتب السريانية والفارسية مترجمــة بدورها عن اليونانية والسنسكريتية . وأشهر أثر لابن المقفع هــو ترجمة كليلة ودمنة أو خرافات بيــدبا من الفارسية القــديمة التى كانت مترجمة بدورها من السنسكريتية وترجمة ابن المقفع الى العربية تعتبر بشكل عام مثالا يحتذى فى النثر العربى . أما الأصــل الفارسى مفقود . غير أن ترجمة سريانية عنها للمبشر النسطورى بودح يعــود تاريخها حــوالى ســنة ٥٧٠ م ، لا تزال موجــودة وقــد نشرها BICKELAND BENFEY سنة ١٨٧٦ م . ثم عاش ابن المقفع فى عهــد المنصــور ، ويذكر أنه فى تلك الفترة[٣٧٠] تمت كثير من الترجمات العــديدة من كتب أرســطو

---

(٣٦٨) د. بديع شريف : الصراع بين العرب والموالى ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٣٦٩) أوليرى : ( **الفكر العربى ومكانه فى التاريخ** ) ترجمة د. تمام حسان ( دار الفكر العربى ـ القاهرة ١٩٦١ م ) ص ٩٣ ، ٩٤ .

(٣٧٠) المسعودى : مروج الذهب جـ ٨ ص ١٩١ ، ١٩٢ .

ولكتاب المجستى لبطليموس وكتاب أقليدس ومؤلفات أخرى عن اليونانية لجورجيس .

فقد ارسل ليرافق جعفر البرمكى سنة ١٧٥ م وكان أثيرا لدى هارون الرشيد وقد كتب مقدمة فى المنطق ورسالة للمأمون فى الأغذية والأشربة وكتابا فى الطب استند فيه على ديقورس وجالينوس وبولس الأجنبى ثم خلاصات طبية أخرى ، ورسالة فى العطور وكتب أخرى[٣٧١] .

**(جـ) سهل بن هارون :**

أبو عمرو سهل بن هارون بن رهبون فارسى الأصل[٣٧٢] شعوبى المذهب شديد العصبية على العرب . فهو الدستميسانى[٣٧٣] مولدا ، انتقل الى البصرة فى منتصف القرن الثانى للهجرة وهى اذ ذاك كعبة العلم والعلماء ، ومنتدى الأدب والأدباء تزخر بالثقافة كما تزخر بثقافة الفرس والهند والروم ... استقر به المقام أخيرا فى بغداد بعد أن طوف فى آفاق العراق والشام فى رحلاته العديدة التى عاد منها كامل العقل تام النضج واذ قد نشأ فى أزهى عصور الدولة وأخصب بقاع الأدب والثقافة ، فقد كان ثمرة ناضجة من ثمار هذه البيئة العلمية التى أحاطت به .. فضلا عما ورثه عن آبائه الفرس من حكمة وسياسة .

كان البرامكة يعتمدون على الفرس فى سياستهم أمور الدولة ، وقد جرهم ذلك الى احتضان الكتاب اللامعين منهم ، وكان من أبرزهم « أبو عمر سهل بن هارون » ومن هنا كان وثيق الصلة بهم شديد الميل اليهم فلما حلت بهم المأساة خشى على نفسه أن تضمه القافية — كما يقول الأستاذ كرد على —[٣٧٤] . الا أن الرشيد لحاجته اليه قد آمنه على نفسه وجعله على دواوين الخلافة بدل يحيى[٣٧٥] .

---

(٣٧١) أوليرى : الفكر العربى ومكانه فى التاريخ ص ٩٧ .

(٣٧٢) ابن نباته : سرح العيون ص ١٦٥ .

(٣٧٣) ياقوت الحموى : معجم الأدباء جـ ١١ ص ٢٦٦ .

(٣٧٤) محمد كرد على : ( **أمراء البيان** ) . ( مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ١٩٥٠ م ) جـ ١ ص ١٦٩ .

(٣٧٥) ابن عبد ربه : ( **العقد الفريد** ) تحقيق أحمد أمين وآخرون ، ( لجنة التأليف والترجمة والنشر ط ٢ القاهرة ١٩٤٨ م ) ص ١٧٠ .

واذا كان من صنائع البرامكة فطبيعى الا ترى له ذكرا فى ايام الأمين وطبيعى أيضا أن نراه نابه الذكر ساطع النجم فى عهد المأمون فكان من المختصين بخدمته فجعله أمينا على كتب الحكمة(٣٧٦) .

ولما كان مثل هذا العمل فى حاجة الى جهابذة العلماء والأدباء والمترجمين فقد حشد له القوى وجعل عليه سهل بن هارون(٣٧٧) ومن ثم فقد عاش هذا الكاتب فى هذا الجو العلمى الخالص الذى جعل منه عالما ضليعا وكاتبا بليغا ومؤلفا بارعا ، أطراه الجاحظ واشاد بعبقريته العلمية ومواهبه الادبية . جمع سهل بين الخطابة والكتابة والشعر الا أن بلاغة العلم عنده كانت أسمى من بلاغة اللسان وان أفصح كل منهما عن حصافة عقله ، وسداد رأيه وسلامة منطقه(٣٧٨) .

يقول الجاحظ(٣٧٩) : « ومن الخطباء الشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار والكتب الكبار المجلدة والسير الحسان المولدة والأخبار المدونة ، سهل بن هارون بن رهبون الكاتب صاحب كتاب « ثعلة وعفراء » فى معارضة كليلة ودمنة وكتاب الأخوان وكتاب الرسائل وغير ذلك من الكتب » . كما كان سهل بن هارون علوى المذهب ميالا الى الاعتزال كغيره من شيعة العراق فى عصره ، وكان أيضا فارسى النزعة متعصبا(٣٨٠) على العرب ، على الرغم من محاولة الأستاذ كرد على على تبرئته من هذه النزعة الشعوبية .

فابن النديم يقول عنه : « كان حكيما فارسى الأصل شعوبى المذهب شديد العصبية على العرب »(٣٨١) .

ويقول ياقوت الحموى فى معجمه عنه : « كان حكيما شعوبيا يتعصب للعجم على العرب شديدا فى ذلك »(٣٨٢) .

---

(٣٧٦) ابن النديم : الفهرست ص ٤١٧ .

(٣٧٧) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ج ١١ ص ٢٦٦ .

(٣٧٨) د. محمد نبيه حجاب : مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى ص ٤١٧ .

(٣٧٩) الجاحظ : البيان والتبيين ج ١ ص ٥٢ .

(٣٨٠) محمد فريد وجدى : ( دائرة معارف القرن العشرين ) ( بغداد مكتبة دار البيان ط ١٠٤ ، ١٩٦٧ م ) ج ١ ص ٥٠٥ .

(٣٨١) ابن النديم : الفهرست ص ١٢٠ .

(٣٨٢) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ج ١١ ص ٢٦٦ .

أما صاحب فوات الوفيات فيقول : « سهل بن هارون فارسى الأصل شعوبى المذهب شديد التعصب على العرب »(٣٨٣) .

على أن هذه العصبية قد تجلت فى أدبه شعرا ونثرا . فمن شعره فى الفخر بقومه والتطاول بهم على العرب :

| | |
|---|---|
| **يا أهل « ميسان » السلام عليـ** | **ـكم طيبون الفرع والجذم** |
| **أما الوجوه ففضة مزجت** | **ذهبا أيد سحه هضم** |
| **أتريد ( كلب ) أن أناسبها** | **قد قل من كليب العلم** |
| **أجهلت بيتا فوق رابية** | **فرع النجوم كأنه نجم** |
| **كم بيت شعر وسط مجهلة** | **بفنائه الجعلان والبهم(٣٨٤)** |

لكن دلائل كثيرة تدل على أنه كان مثقفا ثقافة ممتازة يجمع معارف عصره وأنه كان أحد النقلة من لسانه الفارسى الى العربية(٣٨٥) . فأهميته لا ترجع الى ما ترجم بل ترجع الى ما صنف وألف . ومن أجل ذلك كان يختلف عن ابن المقفع ، فابن المقفع أهميته الأولى فى تاريخ الفكر العربى ، انما ترجع الى أنه كان مترجما وأنه مرن أساليب اللغة العربية على حمل الثقافات الأجنبية ، أما سهل فكان أديبا تبدو شخصيته فيما يؤلف ويدبج ويحبر ، ومن بديع تشبيهه قوله : « القلم لسان الضمير اذا رعف أعلن أسراره وأبان آثاره » وقوله : « العقل رائد الروح ، والعلم رائد العقل والبيان ترجمان العلم »(٣٨٦) .

وهكذا فان من أسباب تقدم الحياة الثقافية فى بغداد جعل حركة النقل والترجمة على أيدى الموالى الذين حظوا برعاية الخلفاء العباسيين وقدروا ذوى المواهب منهم ، وبذلك أتيحت لهم الفرص لابراز مقدرتهم العلمية ، وكان لمعرفتهم باللغات الأجنبية خصوصا اليونانية والسريانية سببا فى اعتماد الخلفاء العباسيين عليهم فى حركة الترجمة الى اللغة العربية(٣٨٧) .

---

(٣٨٣) ابن شاكر الكتبى : فوات الوفيات ج ١ ص ٣٦٨ .

(٣٨٤) الحصرى : ( **زهر الآداب وثمر الألباب** ) تحقيق د. زكى مبارك ( المكتبة التجارية — القاهرة ١٩٢٥ م ) ج ٢ ص ٢٨٢ .

(٣٨٥) الجاحظ : البيان والتبيين ج ٣ ص ٢٩ .

(٣٨٦) المصدر نفسه ج ١ ص ٣٨ .

(٣٨٧) د. عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٤٠ .

### ثالثا — دور المترجمين فى تنشيط حركة التأليف والترجمة :

لم يكن الخلفاء وحـــدهم يباشرون حركة الترجمة والتأليف ، وينفقون عليهـــا بل جاراهم فى ذلك كبار رجال الدولة مثل البرامكة وبنـــو ســـهل ومن أبرز من عنى بالترجمـــة فى بغـــداد :

### ( أ ) أولاد شـــاكر « أحمـــد ومحمـــد والحسن » :

كانت لهم همم عالية فى تحصيل العلوم القـــديمة وكتب الأوائل ، وأفنوا أنفسهم فى شأنها وأنفـــذوا الى بلاد الروم من اشتراها لهم وأحضروا النقلة من الأصـــقاع الشاسعة والأماكن البعيدة بالبذل السنى فأظهروا عجائب الحكمة وأهم العلوم التى عنـــوا بترجمتها الهندسة والموسيقى والنجوم والفلسفة(٣٨٨) .

وكان فرع الطب أهم العلوم التى عنى المترجمون بترجمته ، وأكثر ما عنوا به بعـــد الطب الحكمة ، أى القصص الجميلة ذات المغزى الخلقى والنوادر أو الأقـــوال الحكيمة ، وكان يترجم هـــؤلاء العلماء ما يعجبنا نحن ، اذ كانوا يعجبون بهـــذه الأقـــوال ويجمعونها لمـــا تحـــويه من حكمة أو لجمال أسلوبها وحسن غرضها(٣٨٩) .

كما كان بنـــو موسى بن شاكر من أنشط العناصر التى كانت فى بيت الحكمة فلازموا التعلم بها ، فشبوا مولعين بعلوم الحكمة والهندسة والفلك ، والحيل والحركات الفلسفية ، ولمـــا علا شأنهم أثبتوا فى بيت الحكمة مـــع العلماء والمترجمين ، فكانوا يتولون دائرة العلوم الرياضية والهيئة والهندسة والنجوم والحيـــل والموسيقى ، واشتهر أكبرهم أبو جعفر محمد بن موسى المتوفى سنة ٢٥٩ هـ/٨٧٢ م فكان يشرف على ما يترجم من كتب الجبر والمقابلة لبيت الحكمة ، وله كتاب يعملون بين يديه وتراجمة يترجمون الكتب التى يختارها ، وممن يساعده فى عمله هذا يحيى بن أبى منصور الموصلى المنجم ، وكان أحد خزنة بيت الحكمة وأحد الرصاد(٣٩٠) وجدير بالذكر أن أبناء موسى

---

(٣٨٨) ابن خلكان : وفيـات الاعيـان جـ ٤ ص ٢٤٧ .

(٣٨٩) ديبـور : تاريخ الفلسفة فى الاسـلام ص ٣١ .

(٣٩٠) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٣٨٣ .

ابن شاكر الثلاثة كانوا يرزقون جماعة من النقلة منهم حنين بن اسحاق وحبيش بن الحسن وثابت بن قرة خمسمائة دينار للنقل والملازمة(٣٩١) .

ذكر ياقوت الحموى فى معجمه : « أنه كان لحنين بن اسحاق الطبيب المسيحى نساخ ذكر منهم محمد بن الحسن بن دينار قائلا أنه كان وراقا يورق لحنين المتطبب فى منقولاته لعلوم الأوائل »(٣٩٢) ويذكر ابن أبى أصيبعة(٣٩٣) : أنه كان لحنين كاتب يعرف بالأزرق ، واضاف ابن أبى أصيبعة قوله : وقد رأيت أشياء كثيرة من كتب جالينوس وغيره بخطه .

واشتهرت بعض المكتبات الخاصة بالحرص على النقل والترجمة ، ومن هذه مكتبة بنى شاكر وأولاده كان لهم مترجمون لا يفتأون ينقلون لهم ويلازمون العمل فى مكتبتهم ومنهم حبيش بن الحسن وثابت بن قرة(٣٩٤) .

وقد أولع أهل ذلك العصر بما أولع به الخلفاء ، فعمل ذلك على تنشيط حركة النقل والترجمة والتأليف ، وممن عنى باخراج الكتب محمد وأحمد والحسن بنو موسى بن شاكر ، وهؤلاء القوم ممن تناهى فى طلب العلوم القديمة ، وبذل فيها الرغائب وأتعبوا فيها نفوسهم ، وأنفذوا الى بلاد الروم من أخرجها اليهم ، فأحضروا المخطوطات الفلسفية والفلكية والرياضية والطبية القديمة . ولم يتوانوا عن دفع المبالغ الطائلة لشراء الآثار اليونانية وحملها الى بيوتهم قرب باب التاج . وفى الدار التى قدمها لهم المتوكل على مقربة من قصره فى سامراء كان يعمل دون وسطاء فريق كبير من المترجمين من أنحاء البلاد تماما . كما كان يفعل المأمون بالذات الذى كان يوفد الرسل أيضا بحثا عن المخطوطات القديمة للمترجمين والنقلة من كبار العلماء الذين ساهموا عند بنى موسى فى دفع عجلة الحكمة الى الأمام(٣٩٥) .

كذلك انقطع محمد بن موسى الخوارزمى الى خزانة الحكمة للمأمون وهو

---

(٣٩١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٨٧ .

(٣٩٢) ياقوت الحموى : معجم الأدباء جـ ٧ ص ٤٨٢ .

(٣٩٣) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٨٧ .

(٣٩٤) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٣٠ ، ٣١ .

(٣٩٥) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٦٤ .

من أصحاب علوم الهيئة(٣٩٦) . ووجه الواثق عناية كبيرة للمترجمين الدين نقلوا الذخائر الأجنبية للسان العربى وكان ابن ماسويه يده اليمنى فى ذلك ، فأغدق عليه الواثق نعما متوالية وخيرا وفيرا ، وفى احدى المرات أعطاه دراهم تساوى(٣٩٧) ٣٠٠,٠٠٠ روبية . وكان عطاء محمد بن عبد الملك الزيات للنقلة(٣٩٨) والنساخ فى كل شهر ٢٠٠٠ دينار .

توقف نشاط الترجمة بعد الواثق ولم يعد من السهل أن يجد الباحث ذكرا للمترجمين فى المكتبات العامة أو الخاصة ، ولعل السبب فى ذلك أن النشاط الكبير الذى حظيت به الترجمة من قبل قد نقل الى اللغة العربية أمهات الكتب فى الفنون الجميلة أو أن المسلمين بعد أن اطلعوا على ما ترجم فى بيت الحكمة وما عاصرها من مكتبات استطاعوا أن ينتجوا بلغتهم ثقافة وعلما وفلسفة كانت مجالا لنشاطهم العلمى فى العهود التالية(٣٩٩) .

ويبدو أن البعثة التى كانت تتكون من طوائف ثلاث بعثت الكتب الفلسفية يرأسها يوحنا بن البطريق ، وكان فيلسوفا أكثر منه طبيبا(٤٠٠) وقد تولى ترجمة كتب أرسطو خاصة . فأخرج ترجمة قصة طيماوس لأفلاطون وأنه ترجم أيضا كتاب الحيوان وأجزاء مأخوذة من كتاب النفس وترجم كتابه فى العالم(٤٠١) .

وهناك طائفة الكتب الفلكية والرياضية ويرأسها الحجاج بن مطر وكان مختصا فى هذا الفرع وهو الذى نقل المجستى وأقليدس ، وطائفة من الكتب الطبية برئاسة يوحنا بن ماسويه(٤٠٢) وبهذا عادت هذه البعثة محملة بكتب تشمل علوما مختلفة .

أما قسطا بن لوقا البعلبكى توفى حوالى ٣٠٠هـ/٩١٢ م ، مسيحى النحلة ، من أصل يونانى . ولذا يعد(٤٠٣) من فلاسفة اليونانيين المتأخرين ، وكان له ولع

---

(٣٩٦) ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٧ .

(٣٩٧) Khuda Bukhsh : Islamic Civilization, p. 269.

(٣٩٨) ابن ابى اصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٠٦ .

(٣٩٩) د. أحمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ١٦٣ .

(٤٠٠) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٧٩ .

(٤٠١) د. عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٣٧٦ .

(٤٠٢) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٣٨٠ .

(٤٠٣) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٣٠ .

بالعـــدد والهندسة والنجوم والمنطق والعلوم الطبيعية ، كما كان ماهرا فى الطب . وقـــد ذكر ابن العبرى أنه « دخـــل الى بلاد الروم ، وحصل من تصـــانيفهم الكثير وعاد الى الشـــام »[٤٠٤] .

كما ذكر ابن القفطى أنه : « استدعى الى العراق ليترجم كتبا ويستخرجها من لسان يونانى الى لسان العرب »[٤٠٥] . كما أسند اليه الاشراف على ترجمة المراجـــع الاغريقية فى بغـــداد[٤٠٦]، كان قسطا جيد النقل لأنه كان فصيحا باللغـــة اليونانية جيد العبارة العربية[٤٠٧] ويشير ماكس مايرهوف الى ما نقله فيقول : « انه ترجم كثيرا من المؤلفات الطبية والرياضية والفلكية ، كما ترجم الى جانبها مؤلفات فلسفية صحيحة أو منحـــولة »[٤٠٨] .

وقـــد أصلح قسطا نقولا كثيرة[٤٠٩] كما الف « رسالة قصـــيرة فى الفرق بين النفس والروح ترجمت الى اليونانية ؛ وبقيت الى أيامنا وقـــد ذكرها الباحثـــون وانتفعوا بها »[٤١٠] ولم تؤثر الثقافة اليـــونانية فى العرب الا عن طريق الرياضيات والطبيعيات والفلسفة وقـــد عرفوا شيئا عن أطـــوار الفلسفة اليونانية ، ولـــكن هـــذه المعرفة كانت مشوبة بأساطير كثيرة .

وكان لاقـــدام المـــأمون كخليفة على ترجمة كتب الفلسفة أثر فى نفوس الأثرياء من رعيته ، فاحتذى بعضهم حـــذوه فى طلب كتبها والاغـــداق على مترجميها ، ومن هـــذا البعض بنـــو موسى بن شـــاكر فى القرن الثالث الهجرى ويروى : « أن عيسى ابن يحيى قـــد ترجم لأحمد بن شاكر كتاب الأخلاق لأبو قراط »[٤١١] .

وهناك أيضا عمر بن الفرخان الطبرى[٤١٢] احـــد رؤساء الترجمة والمحققين

---

(٤٠٤) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٥٩ .

(٤٠٥) ابن القفطى : أخبـــار العلماء بأخبـــار الحكماء ص ١٧٣ .

(٤٠٦) د. ابراهيم العـــدوى : ( **الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم** ) ( القـــاهرة ١٩٥٨ م ) ص ١٧٠ .

(٤٠٧) ابن النـــديم : الفهرســـت ص ٤٢٤ .

(٤٠٨) ماكس مايرهـــوف : من الاسكندرية الى بغـــداد ص ٥٩ .

(٤٠٩) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقـــات الأطباء ج ١ ص ٢٤٤ .

(٤١٠) ديبـــور : تاريخ الفلسفة فى الاســـلام ص ٢٤ ، ٣١ .

(٤١١) قـــدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ١٩٧ .

بعلم حركات النجوم واحكامها استدعاه الفضل بن سهل — وزير المأمون — ووصله بالخليفة المأمون ، فترجم لـه كتبا كثيرة والف كتبا كثيرة فى النجوم وغيرها من فنون الفلسفة . ومن ذلك انه فسر كتب الأربعة لبطليموس ونقلها لـه البطريق أبو يحيى ابن البطريق وله من الكتب : كتاب المحاسن وكتاب اتفاق الفلاسفة واختلافهم خطوط الكواكب . فكان بيت الحكمة يحوى كل نادر وغريب ، يقصده المؤلفون ويجدون فيه خير معين لما يرغبون به من العلوم المختلفة .

كان حنين بن اسحاق العبادى من الذين خدموا فى بيت الحكمة فقد كان يعمل بين يديه عدة تراجمة ، تولاه فى زمن المتوكل فسعى فى توسيعه وترجم هو ومن يشتغل بين يديه كتبا عديدة فى الطب والفلسفة والمنطق ، وكانت دائرته التى يرأسها فى بيت الحكمة لا تقل أهمية عن دائرة بنى موسى بن شاكر السالف ذكرهم[٤١٣] والى جانب هؤلاء المترجمين تفتحت فى بيت بنى موسى عبقرية خلاقة احتلت فيما بعد مركزا مرموقا بين العلماء العرب ونعنى به الفتى ثابت بن قرة احد أتباع الصابئة وهو ممن اكتشفهم محمد وكان ذلك فى سفرة قام بها الى بلاد اليونان وآسيا الصغرى ، بحثا عن المخطوطات القديمة وفى أيامه مر « بحران » والتقى صدفة « كفرتوما » صبيا بارعا ذكيا ، وكان هذا الصبى بارعا فى علم الحساب متضلعا فى الترجمة ، فاصطحبه محمد معه الى بغداد وأدخله داره ليطلب العلم ، ثم تعرف الخليفة المعتضد على النابغة الصابئى فقربه منه وفضله على غيره من العلماء[٤١٤] .

وترجم ثابت بن قرة لبنى موسى عددا كبيرا من الأعمال الفلكية والرياضية لأبو لونيوس ( APOLLONIUS ) وأرخميدس ( ARCHIMEDES ) واقليدس EUKLIDS وتيود وسيوس ( HTEODOSIUS ) وارسطوطاليس ( ARISTOTELAS ) وافلاطون ( PLATON ) وجالينوس ( GALENO ) وأبو قراط ( HIPOKRATES ) وبطليموس POTALEMOUS ) ، كما انه صحح ترجمات حنين بن اسحاق وولده ثم شرع فى وضع مؤلفات ضخمة فوضع مائة وخمسين مؤلفا عربيا وعشرة مؤلفات باللغة السنسكريتية فى الفلك والرياضيات والطب فتبوأ المحل الأول بين العلماء المسلمين ليس فى زمانه بل فى مختلف الأزمان[٤١٥] .

---

(٤١٢) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٧٨ .

(٤١٣) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٤٧ ، ٥٧ ، ١٠٢ ، ١١٧ .

(٤١٤) زغريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ص ١٢٥ .

(٤١٥) المرجع نفسه ص ١٢٦ .

وقام ثابت بن قرة بترجمة المجستى لبطليموس الذى طـور الجبر وكان أول من ادرك انطباقه على الهندسة وكان حساب المثلثات هـو فرع من الرياضيات التى اهتم بها العرب اشـد الاهتمام(٤١٦) .

ومن هؤلاء ثابت بن قرة ولـد سنة ٢٢١ هـ بحران(٤١٧) وتوفى سنة ٢٨٨ هـ ، كان من الصابئين(٤١٨) من أهـل حران ، وقـد تناهت اليه زعامتهم ويقول كوير يونج انه كان « زعيم طائفة عبدة النجـوم التى ازدهرت فى حران »(٤١٩) . وقـد عمل فى مبدأ أمره صرافا بسوق حران ثم انتقل الى بغـداد للخلاف بينه وبين أبنـاء دينـه(٤٢٠) . ثم اشتغل بعلوم الأوائل فمهر فيها وبرع(٤٢١) ، وفى كفرتوما التقى بمحمد ابن موسى الخوارزمى لدى رجـوعه من بلاد الروم فأعجب هـذا بفصاحته وذكائه ، فاصطحبه معه الى بغداد ووصله بالخليفة المعتضد فأدخله فى جملة المنجمين(٤٢١) .

وقـد اشتغل ثابت بن قرة بعلوم الأوائل فمهر فيها ، وأعانته على ذلك خبرته بلغات ثلاث هى الاغريقية والسريانية والعربية ، وغلب عليه الاتجـاه الفلسفى والرياضى ، ولعل ذلك يرجع الى ما اشتهر به الصابئة عامة فى هذه العلوم .

يقول صاعد الأندلسى(٤٢٣) عنه : « أنه فيلسوف متوسع فى العـلم متفنن فى ضروب الحكم ، متقلـد لجوامع الفلسفة لـه تأليف حسنة فى المنطق والعـدد والهندسة والنجـوم وغير ذلك » .

---

(٤١٦) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٤١٧) حران : بلـده بالجزيرة بين دجـلة والفرات .

(٤١٨) البيهقى : **تاريخ حكماء الاسلام** ، مخطوطة بدار الكتب المصرية ص ١٩ رقم ٣٦٦ تاريخ . ومطبوع بعنوان تتمة صوان الحكمة ، تحقيق الأستاذ محمد شفيع ، طبعة لاهـور ١٣٥٠ هـ .

(٤١٩) د. محمد خلف الله : ( **أثر الاسلام الثقافى فى المسيحية** ) ، القاهرة من كتاب « الثقـافة الاسلامية والحياة المعاصرة » ص ٢٥٢ .

(٤٢٠) ماكس مايرهـوف : من الاسـكندرية الى بغـداد ص ٧٢ اقرأ ذلك يقـول القفطى : اصطحبه محمد بن موسى بن شاكر لمـا انصرف من بلاد الروم لانه رآه فصـيحا . بأخبـار العلمـاء بأخبـار الحكمـاء ص ٨١ .

(٤٢١) ابن خلكان : وفيـات الأعيـان ج ١ ص ١٠٠ .

(٤٢٢) ابن العبرى : مختصر تاريخ للدول ص ٢٦٥ .

(٤٢٣) صاعـد الأندلسى : طبقـات الأمم ص ٤١ .

وقـد بلغت تآليفـه مقـدار عشرين[٤٢٤] تاليفا ومن الكتب التى الفها بالسريانية كتابه فى السكون بين حركتى الشريان[٤٢٥] . وقـد نقله الى العربية عيسى بن اسيد واصـلح ثابت العربى .

كان المعتضد يقول : أنه كان يحترم العلماء واصحاب المواهب والكفاءات ويجلهم ويغـدق عليهم العطايا . فقـد روى أنه لمـا تقلـد الخلافة اقطع ثابتا وغـيره الضياع الجليلة ، وممـا يدل على تقـديره مواهب ثابت وفضله أنه كان يجلس بحضرته فى كل وقـت ويحـادثه ويضاحكه[٤٢٦] ، وكان الغالب عليه الرياضـيات والفلسفة وهـو الذى ادخـل رياسة الصابئة فى العراق .

كان ثابت من ألمع علماء عصره ، ومن الذين تركوا مآثر ترجمة فى بعض العـلوم وكان يحسن السريانية واليونانية والعربية ، جيد النقل للعربية[٤٢٧] ، كما كان من أعظم المترجمين واعظم من عرف فى مدرسة حران فى العالم العربى ، وقـد ترجم كتبا كثيرة من علوم الاقـدمين فى الرياضيات والمنطق والطب[٤٢٨] .

ويعـد البيهقى من تصانيفه كتاب الذخيرة[٤٢٩]، وهـو كتاب نادر فى الطب وهو عربى جيد . ويستدل ممـا أورده القفطى[٤٣٠] من كتب ثابت أنه كان على قـدر كبير من النشاط اذ أنه لم يترك ناحية من نواحى معارف عصره الا والف فيها كتبا أو أصلح فيها ترجمة أو نقـل فيها شيئا رآه جـديرا بالنقل .

لقـد ذكر ماكس مايرهوف[٤٣١] ان ثابت بن قرة قـد أصلح عـددا كبيرا من ترجمات اسحاق بن حنين الفلسفية والرياضـية ويوجـد حتى اليوم عـدد من المخطوطات العربية وعليها التعليقات الخاصة بها تصحيحا لهـا . ومن الترجمات التى اصلحها النسخة التى نقلها اسحاق بن حنين من المجستى بطليموس الى العربى

---

(٤٢٤) ابن خلكان : وفيـات الأعيـان جـ ١ ص ١٢٥ .

(٤٢٥) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقـات الأطباء جـ ١ ص ٢١٨ .

(٤٢٦) د. أحمد فؤاد الأهوانى : فيلسوف العرب الكندى ص ٦١ .

(٤٢٧) قـدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ١٦٧ .

(٤٢٨) المرجـع نفسـه ص ١٩٧ .

(٤٢٩) البيهقى : تاريخ حكماء الاسـلام ص ٢١ .

(٤٣٠) ابن القفطى : أخبـار العلماء بأخبـار الحكماء ص ٨١ ، ٨٤ .

(٤٣١) ماكس مايرهـوف : من الاسكندرية الى بغـداد ص ٥٩ .

ثم انه نقـــل هـــذا الكتاب نقـــلا جيدا . واصلحه واوضحه . كما أنه اختصر جزءا كبيرا منـــه .

وثمـــة ثلاثة كتب علمية لأبو لوقوس ( APPOLONIUS ) أنقـــذها ثابت بن قره الطبيب وعالم الرياضيات الكبير الذى عمل مـــع ولـــد حنين بن اسحاق وابنـــه وابنة أخيه المبرز النبيـــه فى مدارسة الأستاذين تلاميذه ولم يمت حنين الا وقـــد اتم ترجمة اغلب اعمال الكلاسيكيين([٤٣٢]) وبهـــذا حمل المترجمون العرب آثار القـــدماء من الضياع والزوال . فكثير من المخطوطات لولا العرب ما عرفنا اليوم عنها شيئا ككتاب جالينوس فى التشريح ومخطوطات HERON وفيـــلون PHILO وميثلاس فى الميكانيكا والرياضيات وبطليموس ( POTALEMOUS ) فى البصريات ومخطوطة لأقليـــدس فى علم التوازن ، ومخطوطة فى « ساعة المـــاء » وقانون العوم لأرخميدس([٤٣٣]) .

ودفعت ثمنا للكتب ـــ كل عام ـــ ملايين وملايين فلقـــد خصصت مكتبـــة النظامية وهى المدرسة العليا الشهيرة ببغداد سنويا ما يعادل مليونا ونصف مليون من الفرنكات لشراء الكتب والمخطوطات . وفتحت اللهفـــة على اقتناء الكتب الباب أمام مئات الألوف من البشر لكسب عيشهم ، فأصبح النساخ والخطاطـــون فنانين مهرة فى فنهم . ووظفت كل مكتبة أو متجر للكتب عـــددا من هـــؤلاء فكان أغلبهم من الطلبة ، وانصاف المتعلمين أرادوا عن هـــــذا الطريق كسب رزقهم . فالعلوم والآداب كانت هـــواياتهم ، كما يعشق الناس اليوم لعب الكرة ، وكان ينظر لمن يساهم فى تلك النهضة نظرة فيها الكثير من الازدراء([٤٣٤]) .

ان انتشار المعارف العلمية على نطاق واسع قـــد أدى الى وضع تعليقـــات ومؤلفات مهمة لكبار العلماء والنقلة فأصلح ثابت عـــددا كبيرا من ترجمات حنين بن اسحاق فى الفلسفة والرياضيات كما يوجـــد عـــدد من المخطوطات العربية عليهـــا تعليقـــاته وتصحيحـــاته([٤٣٥]) .

ومع هـــذا فان معظم من ذكرنا أسماءهم **نقـــلة ، كما** كان لهم فى الوقت نفســـه

---

(٤٣٢) زغريد هـونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٨٤ .

(٤٣٣) المرجع نفســه ص ٣٨٤ .

(٤٣٤) زيغريد هـونكة : شمس العرب تسطع على الغُرب ص ٣٨٩ ، ٣٩٢ .

(٤٣٥) د. عبد الرحمن بدوى : التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية ص ٤٣٧ ، ٤٣٨ .

تفكيرهم المستقل ورأيهم الخاص ، فلم يكن حنين أو ابنه اسحاق أو ثابت بن قرة(٤٣٦) أو قسطا بن لوقا مجرد مترجمين ، بل كانوا يلخصون أو يضيفون من عندهم تفسيرا جـــديدا ، او يخطون خطوة جـــديدة تضاف الى العلم ، وكذلك كان الكندى فهو ان عـــد فى جملة المترجمين ، فقـــد كان يصقل الترجمات ويلخصها ويبرزها فى ثوب جـــديد . فيصبح لهـــا بعـــد أن يتمثلها طابع كندى متميز(٤٣٧) .

نستطيع أن نقـــول ان عصر الترجمة هـــو تنشيط لحركة التأليف بل هـــو عصر انتاج وابتكار اثبت العرب فيه أنهم لم يكتفوا باقتباس تراث فارس القـــديم وتراث اليونان المدرسى وهضمه ، بل حـــولوا التراثين لحاجتهم الخاصة وطرق تفكيرهم ، واضافوا اليهما ما استطاعوا أن يستنبطوه . وقـــد ظهرت مآثرهم فى الطب والفلسفة لكنها تجلت بنوع خاص فى الكيمياء والفلك والرياضيات والجغرافيا . بل لقـــد تفردوا عربا ومسلمين بمذهب فى البحث والابتكار فى ميادين الشريعة وعلوم الدين وفقه اللغة وعلومها . فان حركة النقـــل فى تاريخ الثقافة لا تقـــل أهميـــــة عن حركة الابتكار نفسها . فلو أن ابحاث ارسطو وجالينوس وبطليموس فقـــدت لكان العالم فى افتقاره اليها بالوضـــع نفسه كما لو كانت غير موجودة(٤٣٨) .

---

(٤٣٦) انه الف بالعربية حـــوالى ١٥٠ بحثا فى المنطق والرياضيات والفـــلك والطب . وكتب بالسريانية ١٥ بحثا آخر : أوليرى ، مسالك الثقافة الاغريقية ص ٣٦٠ .

(٤٣٧) د. احمد فؤاد الأهوانى : الكندى فيلسوف العرب ص ٦٢ .

(٤٣٨) حسنى احمد حماد : الحضارة العربية نشأتها وتطورها وآثارها ص ٤٦ .

## رابعا — ترجمة التراث والفكر العالمى الى اللغة العربية :

فى وسعنا بعد هذا التتبع لأولئك الذين اضطلعوا بالنصيب الوافر على حركة الترجمة ان نتبين أن النقل كان يحدث أما من السريانية الى العربية مباشرة ، وأما من اليونانية الى السريانية ومنها الى العربية(٤٣٩) .

ومما يستحق الملاحظة أن ترجمات سريانية أحسن وأحدث كانت تعد فى الوقت الذى كانت تبدأ فيه الترجمات العربية . وقد دامت الترجمة الى السريانية طالما بقيت مدرسة جنديسابور(٤٤٠) . أى أن عمل الترجمة كان من شقين ، فقد كانت توضع الترجمات فى العربية وفى السريانية على السواء ، وهذه الترجمات السريانية كان الغرض من وضعها أن تغنى عن الترجمات السريانية المعيبة المتداولة بين الناس . ويذهب ماكس مايرهوف الى أن« الترجمة فى النصف الأول من القرن الثالث الهجرى ( التاسع الميلادى ) كانت غالبا الى السريانية وفى النصف الثانى ازدادت حركة الترجمة الى العربية شيئا فشيئا ، وقام المترجمون أيضا باصلاح التراجم القديمة(٤٤١) .

وقد كان معظم النقلة كما رأينا سريانا ، يقول ديبور(٤٤٢) : « والذين اشتغلوا بنقل كتب اليونان الى العربية فيما بين القرنين الثامن والعاشر الميلادى يكادون يكونون جميعا من السريان » .

يقول ماكس مايرهوف(٤٤٣) : « وكان هؤلاء جميعا من النصارى الذين يتكلمون باللغة السريانية » . ويقول فيليب حتى(٤٤٤) « كان معظم المترجمين ممن يتكلمون الآرامية » .

هكذا كان السريان هم حلقة الاتصال بين الفلسفة الاغريقية والعلوم الاغريقية والاسلام ، وبذلك تحتم على الثقافة اليونانية أن تعبر عقولهم ، وتمر بأقلامهم قبل

---

(٤٣٩) د. أحمد عيسى : ( التهذيب فى أصول التعريب ) . ( مطبعة مصر — القاهرة ١٩٢٣ م ) ص ٧٢ .

(٤٤٠) أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٢٤١ .

(٤٤١) ماكس مايرهوف : من الاسكندرية الى بغداد ص ٥٨ .

(٤٤٢) ديبور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ٢٨ .

(٤٤٣) ماكس مايرهوف : من الاسكندرية الى بغداد ص ٥٧ .

(٤٤٤) د. فيليب حتى : تاريخ العرب المطول ج ٢ ص ٨٦ .

ان تصل الى العقل العربى ، وقد نقلت الكتب الطبية أولا عن طريق الترجمات السريانية ، وكذلك كان الأمر فى بعض الكتب الرياضية والفلكية على الأقل ، ولكن الرجوع الى الأصول اليونانية رأسا كان أسبق فى هذين النوعين ، والسبب فى ذلك غير بعيد ، وهو ان الدقة الشديدة فى المصطلحات الرياضية على غاية من الأهمية(٤٤٥) .

وكان للتراجمة فى النقل طريقان أحدهما طريق يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمصى وغيرهما ، وهو أن ينظر الى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعنى ، فيأتى بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها فى الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها وينقل الى الأخرى كذلك حتى يأتى على ما يريد تعريبه . وهذه الطريقة رديئة لوجهين أحدهما أنه لا يوجد فى الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات اليونانية ، ولهذا وقع فى خلال هذا التعريب كثير من الألفاظ اليونانية على حالها . والثانى أن خواص التركيب والنسب الاسنادية لا تطابق نظيرها من لغة اخرى دائما . وايضا يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهى كثيرة فى جميع اللغات . الطريق الثانى فى التعريب طريق حنين بن اسحاق والجوهرى(٤٤٦) وغيرهما وهو أن يأتى الى الجملة فيحصل معناها فى ذهنه ، ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها ، سواء ساوت الألفاظ أم خالفتها وهذه الطريق أجود(٤٤٧) .

يقول فيليب حتى « لما كانت تعترض المترجمين قطع صعبة فى الأصل فانهم كانوا يعمدون الى الترجمة الحرفية ، فاذا لم يجدوا مرادفا عربيا كانوا يعمدون الى نقل اللفظ اليونانى بحروفه مع ادخال شيء من التحوير »(٤٤٨) . ومن ثم نجد كلمات مثل قاطيغورياس أى المقولات ، بارى أرمانياس أى العبارة ، أنالوطيقا أى تحليل القياس ، ريطوريقا أى الخطابة ، بوطيقا أى الشعر ، أرثماطيقى أى الحساب(٤٤٩) .

وكانت الترجمة الحرفية تغلب فى المصطلحات ذلك لأن اللغة العربية كانت

---

(٤٤٥) أوليرى : علوم اليونان وسبل نقلها الى العرب ص ٢٢٠ .

(٤٤٦) توفى حوالى سنة ٨٣٣ م — أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٢٣٨ .

(٤٤٧) د. أحمد عيسى : التهذيب فى أصول التعريب ص ١١٣ .

(٤٤٨) د. فيليب حتى : تاريخ العرب المطول ج ٢ ص ٣٨٦ .

(٤٤٩) ابن النديم : الفهرست ص ٣٦١ ، ٣٨٠ .

تفتقر الى المصطلحات الفنية التى يصطنعها علماء اليونان ، فكانت المصطلحات اليونانية تكتب احيانا كما هى بحروف عربية ، ولكن هــذه المصطلحات تدل فى أحيان كثيرة على انها مرت فى وسط آرامى « سريانى » فى طريقها الى العرب ، وهــذه الظاهرة أكثر وضوحا فى الكتب الطبية منها فى الكتب الرياضية الفلكية(٤٥٠) .

يقول براجستراسر « ان حنينا وحبيشا أفضل تلاميذه تجشما عناء كبيرا فى التعبير عن معنى أصول الكتب اليونانية بقــدر ما يستطاع من الوضــوح ، وكانا يترجمان ترجمة حرفية حتى ولو ضحيا فى ذلك بجمال اللغة وتنسيق ديباجتها . لكن تراجم حنين أفضل ودقتها أعظم ، ومع ذلك فان الانسان يخيل اليه انها ليست نتيجة مجهود صادق ، ولكن نتيجة تمكن وثيق من اللغــة ــ وحسن تصرف فى مذاهبها ــ ويتجلى هــذا فى سلاسة التوفيق بين اليونانية والعربية والدقــة المتناهية فى التعبير مــع الايجاز ، تلك هى مميزات فصاحة حنين التى اشتهر بها »(٤٥١) .

لقــد بذل السريان اقصى جهدهم فى الاحاطة بالتراث اليونانى ، فكانوا يجوبون الأقطار سعيا وراء استعمال الكتب التى وقعت تحت أيديهم . يقول حنين بن اسحاق عن كتاب « فى البرهان لجالينـــوس » الذى كان نادر الوجــود فى القرن الثالث الهجرى . « اننى بحثت عنه بحثا دقيقا ، وجبت فى طلبه أرجاء العراق وســوريا وفلسطين ومصر الى أن وصلت الى الاسكندرية لكنى لم أحظ الا بمــا يقرب من نصفه فى دمشــق »(٤٥٢) .

ولكن على الرغم من ذلك فلم يكن عمل السريان للثقافة اليونانية صحيحا كله ، كذلك لم يحل اتقان النقلة اليونانية والسريانية والعربية دون ظهور بعض المــآخذ على ما ترجموه ، ولا يخفى علينا أنه الى جانب اولئك المترجمين الذين أشرنا اليهم . كان هنالك فئات أخرى ممن ليست لديهم درجة من الكفاية تعينهم على القيام بالترجمــة الصحيحة المؤدية لحقائق الأصــل ومراميه .

يقول القفطى(٤٥٣) وهــو يتحــدث عن كتاب « الكون والفساد » لأرســطو :

---

(٤٥٠) أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقيه الى العرب ص ٢٢٠ .

(٤٥١) حنين بن اسحاق : العشر مقالات فى العين « المقــدمة » ص ٣٠ ترجمة ماكس مايرهوف .

(٤٥٢) المصــدر نفســه ص ٢٩ .

(٤٥٣) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٣٠ ، وليحيى النحوى فى الكون والفساد سرح تام والمعربى دون السريانى فى الجــودة ، الفهرســت ص ٣٦٥ .

وقال أهـل العلم بالسرياني أنه فوق العربي في الجـوده ، ولا شك في أن ناقله الى العربي قصر في الترجمـة .

وعندما تقـدمت حركة الترجمة أحس المترجمون بمـا كانوا قـد وقعوا فيـه من أخطاء ، فأخـذوا يعيدون النظر فيما نقـل ، ويتناولونه بالترجمة من جـديد او يصلحون ما لمسوه فيه من أخطاء .

يقول أوليري : « وقـد أدى الحرص على معلومات علمية دقيقة الى وضـع ترجمات اكثر دقـة أوالى تنقيح الترجمات الموجودة فعلا »(٤٥٤) لعل ذلك يتضح في قـول حنين بن اسحاق في رسالة لـه الى على بن يحيى عن كتاب في الفرق لجالينوس « ترجمته وأنا شاب من نسخة خطية يونانية مشوهة ، ثم لمـا بلغت الاربعين من عمرى طلب الى تلميذى حبيش أن أصلحها بعـد اذ كنت قـد جمعت قـدرا من المخطوطات اليونانية ، عند ذلك رتبت هـذه بحيث نسقت منها نسخة صـحيحة قارنتهـا بالنص السرياني ثم صـححتها ، وتلك عادتى التى اتبعتهـا في كل ما ترجمتـه(٤٥٥) .

كذلك يقول اسحاق « نقلت هـذا الكتاب » كتاب النفس لأرسـطو « الى العربي من نسخة رديئـة ، فلما كان بعـد ثلاثين سنة وجـدت نسخة في نهـاية الجـودة فقابلت بها النقل الأول وهـو شرح ثامسطيوس »(٤٥٦) .

وبديهى أن يكون هناك تفاوت بين النقلة مرده الى تفاوتهم في المعرفة باللغات المترجم منها واليها ، والى تمكنهم من المـادة العلمية التى تعالجها من موضـوعات الكتب التى يترجمـونها .

يقـول ابن أبى أصيبعة : « وجـدت بعض الكتب الست عشرة لجالينوس ، وقـد نقلها من الرومية الى السريانية سرجس المتطبب ،ونقلها من السريانية الى العربية موسى بن خالد الترجمـان ، فلمـا طابقتها وتأملت ألفاظها ، تبين لى بين نقلها وبين الستة عشرة التى هى نقـل حنين تباين كثير ، وتفاوت بين ، وأين الالكن من البليغ والثرى من الثريا ؟ !(٤٥٧) .

---

(٤٥٤) أوليرى : علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب ص ٢٢٠ .

(٤٥٥) حنين بن اسحاق : العشر مقالات في العين . المقدمة ص ٢٩ .

(٤٥٦) ابن النـديم : الفهرست ص ٣٦٦ .

(٤٥٧) ابن أبى أصيبعه : عيون الانباء في طبقات الاطباء جـ ١ ص ١٨٩ .

لقــد ترتب على تبــادل الكتاب الواحــد فى ايدى أكثر من مترجم أن ثارت الريبة حــول الكتب المنقولة ، ولم يعــد الناس يرتاحــون لهــا ويطمئنون اليها ، يقول الجاحظ : « ولا يزال الكتاب تداوله الأيدى الجانية والأغراض المفسدة ، حتى يصير غلطا صرفا ، وكذبا مصمتا فما ظنكم بكتاب تتعاقبه المترجمون بالافساد وتتعاوره الخطاب بشر من ذلك أو بمثله »[458] .

يقول براجستراسير : « ان لغــة كتاب العشر مقالات فى العين تشيع فيها بعض خــواص امتاز بها أسلوب حنين وحبيش ولكنه مكتوب بأسلوب عربى — وبربرى احيانا — ردىء بحيث لا يرجــع انحطاطه وسوقيته الى عبث الناسخين فحسب ، كذلك يظن أن الكتاب فى صورته التى هــو عليها الآن ليس من تأليف حنين ولكن يرجح أن حبيشا وسواه من تلاميذ حنين غيروه فأخرجوه عن أصله »[459] .

ولا غرابة فى أن يشك الجاحظ فى ما تضمنته الكتب المترجمة ، ويثور القلق فى نفسه فلا يدعــه يصــدق ما يقوم المترجمون بنقله ، أو دافعه الى ذلك أن « الترجمان لا يؤدى ما قال الحكيم على خصائص معانيه ، ودقائق اختصاراته وخفيات حدوده ، ولا يقــدر أن يوفيها حقوقها ، ويؤدى الأمانة فيها ، ويقوم بما يلزم »[460] . هكذا اوجــد الجاحظ ما يبرر وجهة نظره فى المترجمين ، فهم فى رأيه عاجزون عن التعبير عن المعانى الأصلية ، ولهــذا فهو يسلكهم فيمن لا يسلم بقولهم ، ولا يأخــذ بكلامهم « فكيف أسكن بعــد هــذا الى اخبار البحريين ، واحاديث السماكين ، والى ما فى كتاب رجــل لعله أن لو وجــد هــذا المترجم أن يقيمه على المصطبة ، ويبرأ الى الناس من كذبه عليه ، ومن افساد معانيه لسوء ترجمته »[461] .

ولم يكن هناك بعــد وقــد عاب الجاحظ على التراجمة عجزهم عن نقــل المعــانى بدقــة فى ترجماتهم بسبب قصور معرفتهم ، وما يطرأ على الكتب بأخــذ نفسه بهــذا العمــل .

وقــد رأى أن شرائط الترجمة الصحيحة[462] « تتلخص فى معرفة دقيقة أصيلة

---

(٤٥٨) الجاحظ : الحيــوان ج ١ ص ٧٩ .

(٤٥٩) حنين بن اسحاق : العشر مقالات فى العين . المقــدمة ص ٦٣ .

(٤٦٠) الجاحظ : الحيــوان ج ١ ص ٧٥ ، ٧٦ .

(٤٦١) المصــدر نفســه ج ٦ ص ١٩ .

(٤٦٢) د. طــه الحاجرى : ( **تخريج نصوص أرسطوطالية فى كتاب الحيوان** ) بحث فى مجلة كلية الآداب — جامعــة الاسكندرية ، مجلــد ٦ ( ١٩٥٢ م ) .

محيطة بالموضوع ، وعلم تام باللغة المنقولة والمنقول اليها وهـو يقول ان من الواجب على من يعمل بالترجمة أن يكون فى العلم بمعانيها واستعمال تصاريف الفـاظها ، وتأويلات مخارجها ، مثل مؤلف الكتاب وواضعه » .

لقـد استجابت اللغة العربية بسرعة لرغبات المترجمين ، واصبحت طيعة فى أيديهم ، فكانت الفاظها الكثيرة من الوسائل التى أعانت على أداء المعـانى وابرازها بكل دقـة . يقول ابن سنان الخفاجى : « كانت اللغـة العربية مـع السعة والكثرة أخصر اللغات فى ايصال المعانى وفى النقل اليها يبين ذلك ، فليس كلام ينقل الى لغـة العرب الا ويجيىء الثانى اقصر من الأول ، مـع سلامة المعانى ، وبقائها على حالها ، وهـذه بلا شـك فضيلة مشهورة ، وميزة كبيرة ، لأن الغرض فى الكلام ووضـع اللغات بيان المعارف وكشفها . . وقـد أخبرنى أبو داوود المطران ــ وهـو عارف باللغتين العربية والسريانية ــ أنه اذا نقل الألفاظ الحسنة الى السريانى قبحت وخست واذا نقـل الكلام المختار من السريانى الى العربى ازداد طـلاوة وحسنا ، وهـذا الذى ذكره صـحيح »(٤٦٣) .

يرى ديبـور أنه : « ينبغى الا نعـد هؤلاء النقلة من حملة الفلاسفة ذوى الشأن اذ كان ينـدر أن يقبـل أحـدهم على الترجمة من تلقاء نفسه بل كان فى كل الأحوال تقريبا يعمل طاعة لخليفة أو وزير أو رجل عظيم »(٤٦٤) . سهل العباسيون على الناس أن يقفـوا على الكتب العلمية البارزة التى ترجمت من اللغـات المختلفة الى اللغـة العربية ، وصرف فى سبيل الحصول عليها وعلى ترجمتها وتجليدها المبالغ الكبيرة فذلل الخلفاء للناس سبيل المطالعة والدرس فى بيت الحكمة الذى أنشىء لنشر العلوم والمعارف المنقـولة عن الأمم الأخرى والتى رغب الخلفاء بنشرها بين الناس ليقفوا على حقائق الأمور ، وتراث الأمم التى تقـدمتهم فى شتى النواحى الفكرية والعلمية(٤٦٥) .

ان المسلمين فى عصرهم الذهبى نقلوا الى لسانهم معظم ما كان شـائعا من العلم فى الفلسفة والطب والفلك والرياضيات والآداب ، واتخـذوا من كل أمة أحسن ما لديها ، ولكنهم اختاروا من اليونان فلسفتهم وتركوا آدابهم ، ولقـد كانت تلك المؤلفات

---

(٤٦٣) ابن سـنان الخفـاجى : ( **سر الفصاحة** ) . ( مطبعـة محمـد على صـبيح ــ القـاهرة ١٩٥٣ م ) ص ٤٨ .

(٤٦٤) ديبـور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ٣١ .

(٤٦٥) د. رمزيه الأطرقجى : ( **أهم المترجمين فى بيت الحكمة** ) . مجلة المؤرخ العربى ــ بغداد ــ العراق عـ ١٤ ( ١٩٨٠ م ) ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

التى نقلت الى اللغة العربية هى النواة التى نبتت ونمت ثم ازدهرت وأثمرت وآتت أطيب الفوائد للمسلمين وغيرهم ممن اندمجوا فى مدنيتهم[٤٦٦] .

بدأ العرب يمارسون الترجمة الضخمة للكتب اليونانية ، وحتى ذلك الوقت كانت الترجمات تتم بجهود فردية كيفما تيسر . وجمع المأمون المخطوطات للترجمة ، وشكل مجموعة من المترجمين فى ( بيت الحكمة ) ووضعها تحت قيادة حنين بن اسحاق وهو طبيب مسيحى وعالم متبحر فى العلوم . وقد ترجم حنين هنا مائة كتاب تقريبا لجالينوس ولمدرسته الى اللغة السريانية وتسعة وثلاثين مخطوطا آخر الى اللغة العربية ، منها مؤلفات لأبو قراط وأفلاطون ، كذلك المقولات ، والطبيعة ، وكتاب الأخلاق لارسطو ، وكانت هذه المخطوطات نقطة الانطلاق لكشوف فكرية . ولما كان « المترجمون » علماء مجربين ومزودين بوثائق غاية فى القوة فقد أسهموا فى اضافة معرفتهم الخاصة وعلمهم الشامل الى مؤلفاتهم . وقد بلغوا من نجاحهم ما جعلهم يدفعون ثمن المؤلفات الجديدة لهؤلاء العلماء ما يساوى وزنها ذهبا[٤٦٧] .

أما اسحاق بن حنين فقد كان يسير على نهج أبيه فى صحة النقل من اليونانية والسريانية الى العربية ، وقد خلفه[٤٦٨] على الترجمة بارعا ومقدما فى العلوم الرياضية ، كما تميز فى صناعة الطب[٤٦٩] وقد نقل اسحاق من الكتب اليونانية الى اللغة العربية كتبا كثيرة الا أن جل عنايته[٤٧٠] كانت مصروفة الى نقل الكتب الحكمية . ويشير ابن خلكان الى ذلك بقوله : « ان الذى يوجد من تعريبه فى كتب الحكمة من كلام أرسطوطاليس وغيره أكثر مما يوجد من تعريبه لكتب الطب[٤٧١] . ويعلل ابن العبرى[٤٧٢] ذلك بقوله ان نفس اسحاق كانت الى الفلسفة أميل .

ومن المؤلفات التى نقلها الى العربية أصول الهندسة لبطليموس وأصلحه فيما بعد ثابت بن قرة ، وكتاب المعطيات لأقليدس أيضا ثم كتاب المجستى لبطليموس .

---

(٤٦٦) محمد لطفى جمعة : تاريخ فلاسفة الاسلام ، المقدمة .

(٤٦٧) جاك س. ريسلر : الحضارة العربية ص ١٧١ ، ١٧٢ .

(٤٦٨) صاعد الاندلسى : طبقات الأمم ص ٤١ .

(٤٦٩) ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ ١ ص ٨٢ .

(٤٧٠) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٨٨ .

(٤٧١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ص ٨٢ .

(٤٧٢) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥٢ .

يقول البيهقى[٤٧٣] : « ان اسحاق بن حنين قد أسلم وكان من جلة المسلمين . وقد حسن اسلامه واشركه المكتفى فى بيعة ابنه مع وزيره العباس » .

وهناك حبيش بن الحسن الدمشقى وهو ابن أخت حنين بن اسحاق ، وأحد تلاميذه ومنه تعلم صناعة الطب — يقول البيهقى[٤٧٤] « وحبيش كان من الاطباء المتقدمين والمهندسين وله تصانيف كثيرة فى الطب وكان مصيبا فى المعالجات » . وقد استطاع حبيش بفضل حدب حنين عليه أن يصبح أحد مشاهير المترجمين[٤٧٥] ، فاشتغل بالنقل من اليونانى الى العربى ، وكان يسلك مسلك حنين فى نقله الا أنه كان يقصر عنه[٤٧٦] .

وبالرغم من ذلك فقد كان حنين يقدمه[٤٧٧] ويعظمه ويرضى نقله وقد نسب اكثر مما نقله حبيش الى حنين . يقول القفطى : « كثيرا ما يرى جهاله شيئا من الكتب القديمة مترجما بنقل حبيش فيظن الغر منهم أن الناسخ أخطأ فى الاسم ويغلب على ظنه أنه حنين وقد صحف فيكشطه ويجعله لحنين[٤٧٨] .

ويرى مايرهوف أن هذا الخلط مرده الى « تشابه اسم حنين وحبيش فى الكتابة أيام أن كانت الحروف لا تنقط ، فكانا يرسمان هكذا « حسن ، وحبيش »[٤٧٩] . يقول دييور : « نظرا لأنهم كانوا يشتغلون معا ، فان كتبا كثيرة تنسب للواحد منهم تارة وللآخر تارة أخرى ، ولابد أن كثيرا من الكتب كان يترجمه تلاميذهم ومساعدوهم بارشاد[٤٨٠] منهم » .

أما سعيد بن أبى يعقوب بن عثمان الدمشقى فانه كان من النقلة المجيدين ، نقل الى العربية بعض أقسام من كتاب الأصول لأقليدس كان منقطعا الى ( على بن عيسى ) وجاء فى كتاب طبقات الأطباء : « .. ونقل كتبا كثيرة الى العربية من كتب الطب »

---

(٤٧٣) البيهقى : تاريخ حكماء الاسلام ص ١٩ .
(٤٧٤) المصدر نفسه .
(٤٧٥) حنين بن اسحاق : العشر مقالات فى العين ، المقدمة ص ١٧ .
(٤٧٦) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٠٢ .
(٤٧٧) ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٨ .
(٤٧٨) ابن القفطى : أخبار العلماء باخبار الحكماء ص ١٢٢ .
(٤٧٩) حنين بن اسحاق : كتاب العشر مقالات فى العين ص ٣٢ .
(٤٨٠) دييور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ٣٠ .

ومن كلامه : الصبر قــوة من قــوى العقل ، وبحسب قــوة الصبر تكون قــوه العقـــل »[٤٨١] .

ومن الذين نشأوا فى خــلافة الراضى فى بغــداد متى بن يونس الذى كان حكيما نصرانيا[٤٨٢] . قام يشرح كتب أرسطو ، وكان أكثر اهتمامه بالمنطق ولعــل من أهم الكتب التى ترجمها كتاب ســوفسطيقا لأرســطو[٤٨٣] ومعناه الحكمة الموهة ، وقــد نقله الى السريانى كما ترجم ايضا كتاب الشعر لأرسطو ، ويذكر ابن النــديم فى حــديثه عن كتب أرسطو فيقول : « الكلام على أبو طيقيا معناه الشعر نقله أبو بشر ابن متى بن يونس من السريانى الى العربى »[٤٨٤] . وقــد نشر د. عبد الرحمن بدوى هــذه الترجمة كاملة فى كتابه فن الشعر لأرسطوطاليس وهــو يرى أنها ترجمــة رديئـــة[٤٨٥] .

كما كان سنان بن ثابت « ت ٣٣١ هـ » طبيبا مقــدما كأبيه ، وقــد وكل اليــه المقتدر امتحان الأطباء فى بغــداد سنة ٣١٩ هـ ، عالمــا بالعــدد والهندسة[٤٨٦] ، وقــد نقل الى العربى نواميس هرمس والورد والصــلوات التى يصلى بهــا الصابئون[٤٨٧] ، وأصلح سنان كثيرا من الترجمات التى كانت تترجم من السريان الى العربى[٤٨٨] . ومن ذلك اصلاحه كتاب أفلاطــون فى الأصــول الهندسية وقــد زاد فى هــذا الكتاب[٤٨٩] شيئا كثيرا . وقــد توفى سنان بن ثابت مسلما ببغــداد[٤٩٠] .

ونرى أبا على عيسى بن زرعة[٤٩١] : ولد فى سنة ٣٣١ هـ وتوفى ٣٩٨ هـ كان

---

(٤٨١) ابن جلجل : طبقـات الأطبـاء ص ٦٩ .

(٤٨٢) البيهقى : تاريخ حكماء الاسـلام ص ٢٨ .

(٤٨٣) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٨ .

(٤٨٤) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٣٦٣ .

(٤٨٥) يقـول د. عبد الرحمن بدوى : يغلب على ظننا فى تلخيصه وعرضـه لكتاب الشعر انمـا استعان بترجمة يحيى بن عـدى على افتراض أنها كانت أصلح لأنه لم يكن فى وسـعه الاعتماد على ترجمة أبى بشر فى تصوراتها التى وصلت الينا – فن الشعر لأرسطوطاليس : التصـدير ص ٥٠ .

(٤٨٦) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٣٦٤ .

(٤٨٧) صاعـد الأندلسى : طبقـات الأمم ص ٤١ .

(٤٨٨) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٣٣ .

(٤٨٩) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقـات الأطباء ص جـ ١ ص ٢٢٤ .

(٤٩٠) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٣٣ .

(٤٩١) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٣١٥ .

نصرانيا يعقوبيا اشتغل بالمنطـــق فى بغـداد ، وكان متقـدما فيه ، كما برع فى الفلسفة ، ذكره ابن النـديم فقال : « كان ينقــل من السريانى الى العربى واكثر ما نقله يدخــل فى دائرة الفلسفيات[492] ، وكان جيد النقل وممـــا نقله كتاب الحيوان لأرسطوطاليس » . والقفطى يشير الى ذلك بقوله : « ونقـله كتاب الحيوان — ابو على بن زرعة الى العربى وصححه ، وملكت منه نسخة »[493] .

لم يكن الخلفاء وحـدهم هم الذين عنـوا بتزويد اللغة العربية بهـذا الزاد العقلى الرفيع ، بل ان من أفراد الشعب من أولى الترجمة عناية كبيرة ، وبذل من أجلها مالا كثيرا ومن هـؤلاء بنـو شاكر محمد وأحمد والحسن ، وقـد كان لهم مترجمون لا يفتأون ينقلون لهم ويلازمون العمل فى مكتبتهم ومن هـؤلاء المترجمين حبيش ابن الحسن وثابت بن قرة[494] . وكان أبناء موسى بن شاكر يعهدون لأهــل المعرفة باللغات ان يترجموا لهم ما يطلبون من كتب الرياضيات والطبيعيات والفلسفة وغيرها . وهم الذين قاسوا محيط الأرض قياسا دقيقا لا يختلف عن قياس المعاصرين الا قليلا مـــع دقة الآلات فى هـــذا العصر[495] .

كما برع ايضـا يعقوب بن اسحاق الكندى فى مختلف العلوم كالطب والفلســـفة والرياضيات والمنطق ولـــه تآليف كثيرة فى هـــذه العلوم تربو على الثلاثمائة وترجم كثيرا من كتب الاقــدمين ولا سيما كتب الفلسفة واوضح فيها المشــــكل ولخص المستصعب وبسط العــويص[496] .

واشتغل بترجمة الكتب اليونانية الى العربية وتهـذيب ما ترجمـــه غيره وكان لـــه تلاميذ يترجمون تحت اشرافه واشـتغل فى قصر الخلافـــة منجما[497] . كما عاش الكندى فى صميم عصر الترجمة فى الاسلام فشهد الكتب تنقـــل برمتها عن اليونانية او السريانية نقـــلا أول ، ونقـــلا ثانيا ، واطلع على الترجمة الحرفية والترجمـــة

---

(٤٩٢) ابن النـديم : الفهرست ص ٣٨٣ .

(٤٩٣) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٣١ .

(٤٩٤) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقـات الأطباء ج ١ ص ١٨٧ .

(٤٩٥) عبـد الله بن العبـاس الجرارى : تقـدم العرب فى العـلوم والصـناعات واسـتاذيتهم لأوروبا ص ١٧ .

(٤٩٦) المرجـع نفسـه ص ١٨ .

(٤٩٧) د. عصام الدين عبد الرؤوف . الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ .

بالمعنى . وشـــارك الى حـــد ما فى هـــذه الحركة أما باصطناع المترجمين بالاجر أو بتصحيح الترجمات وتهـــذيبها .

وكان من نتائج الترجمة المهمة نشوء الوراقـــة والوراقين ببغـــداد وانتـــاج الكتب المترجمة المزايا التى اتصفت بها الترجمة العباسية . ويقـــول ابن خلكان : « لولا ذلك التعريب لمـــا انتفع أحـــد بتلك الكتب لعـــدم المعرفة بلسان اليونان ... لا جرم كل كتاب لم يعربوه ، باق على حـــــاله ولا ينتفـــع به الا من عرف تلك(٤٩٩) اللغـــــــة » .

يقـــول جوستاف لوبون(٥٠٠) : « وقـــد وجـــد العرب فى بلاد فارس وســـوريا حينما استولوا عليها ، خزائن من العلوم اليونانية ، فأمروا بنقـــل ما فى اللغة السريانية منها الى اللغة العربية ثم امروا بأن ينقـــل اليها من اللغة اليونانية ما لم يكن قـــد نقـــل الى اللغة السريانية فأخـــذت لذلك دراسات العلوم والآداب تسير قـــدما نحـــو الرقى . ولم يكتف العرب بما نقل الى لغتهم فقـــد تعلم عـــدد غير قليل منهم اللغـــة اليونانية ليستقوا منها علوم اليونان ، وقـــد كانت معارف اليونان واللاتين القـــديمة أساسا لثقافة متعلمى العرب . ولكن العرب المفطورين على قـــوة الابداع لم يكتفوا بحال الطلب ، ولم يلبثوا أن تحرروا ، بمـــا عرف عنهم من النشاط ، حتى عاد الاغريق وهم ليسوا أساتذة العرب » .

يقـــــول PHILIP HITTI : « أن العهـــد العباسى الأول ليزهـــو باليقظة الفكرية التى تمت فيه . وقـــد كانت هـــذه اليقظة ذات أثر بعيد فى الحركات الفكرية والثقافية فى العالم ، وكانت تعتمد الى حـــد بعيد على الثقافة الأجنبية ، وبخاصـــة الفارسية والهندية واليونانية . وكان المسلم العربى حاذقا ذكيا مشغوفا بالاطلاع ، راغبا فى الاستفادة والتزود من هـــذا الزاد الفكرى الرفيع ، ومن أجـــل هـــذا كانت الاستفادة شاملة ، وانتفاعـــه واضـــحا ، وسرعان ما سيطر على ثقـــافة هـــؤلاء الأقـــوام ، وأصبح يضع يده على أهم المؤلفات الفلسفية لأرسطو ، وأحسن شروح الأفلاطونية الحـــديثة . وأكثر ما كتب جالينوس فى الطب بالاضافة الى النتاج الهندى ، وينبغى ألا نبالغ فى فضل اليونان على المسلمين ، اذ أن الثقافة اليونانية استمدت قبل عناصرها ومقـــوماتها من معارف مصر القـــديمة ، وبابل وفينيقيا ، ثم عادت هـــذه

---

(٤٩٨) د. أحمد فـؤاد الأهوانى : الكندى فيلسوف العرب ص ٦٧ .
(٤٩٩) ابن خلكان : وفيـات الأعيـان ج ١ ص ٢١٧ .
(٥٠٠) جوستاف لوبون : حضـارة العرب ص ٤٦٠ .

المعارف الى العالم الاسلامى وهى فى ثوب يونانى وعن طريق اسبانيا وصقلية وعبرت هـذه العلوم الى أوروبا مرة أخرى من الشرق الاسلامى فى ابان العصور الوسطى »(٥٠١) فكان من أهم نتائج الترجمة أيضا اشتغال كثير من المسلمين بدراسة الكتب التى ترجمت الى العربية ، اذ لم يكتف العرب بحال الطلب الذى اكتفت به أوروبا فى القرون الوسطى(٥٠٢) ، بل عملوا على تفسير تلك الكتب المترجمة والتعليق عليها واصلاح أخطائها كما فعل الكندى وغيره .

ومن أهم الدوافع التى ساعدت على ازدهار حركة الترجمة نمو العلاقات الدولية فى العصر العباسى الأول والجهود التى بذلها العباسيون فى فرض السلام والمبادلات التى وصلت الذروة فى عهدهم والتى حملت التجار الى كل سوق ، ودفعت السفن العربية الى كل بحر . وقد كانت الدولة العباسية تعقد صفقات لشراء الكتب وتدفع فى سبيلها أغلى الأثمان(٥٠٣) .

ثم تتابعت جهود الخلفاء فى طريق هذا التبادل الثقافى . ويشير أبو الفرج الأصبهانى الى قدوم امبراطور الدولة البيزنطية الى بلاط الرشيد فسألوا عن الشاعر ابى العتاهية وأنشدوا أشعارا له ، وكان الرسول يحسن العربية فلما نقل الرسول الى الامبراطور خبر ما رأى وما سمع كتب الى الرشيد يسأله أن يوفد اليه أبا العتاهية وأن يأخذ فيه من الرهائن من يريد واعتذر أبو العتاهية(٥٠٤) .

وثمة عامل آخر كان من أهم حوافز حركة الترجمة وهو أنه مع مطلع العصر العباسى لم تعد الترجمة حركة فردية ، وانما أصبحت حركة تظفر بعناية الدولة وتشجيعها تساعدها وتنفق عليها الأموال الطائلة ، فاستجاب كثيرون لذلك ودفعهم التشجيع الأدبى والمادى للاجادة(٥٠٥) .

وثمة أمور أخرى كان لها أثرها فى الاقبال على المعرفة القديمة وورود مواردها وتقبل ملايين المسلمين من غير العرب للثقافة العربية ، فنشأت العقليات

---

(٥٠١) Philip Hitti, History of the Arabs, PP. 306-307.

(٥٠٢) جوستاف لوبون : حضارة العرب ص ٤٣٤ .

(٥٠٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٠١ .

(٥٠٤) أبو الفرج الأصبهانى : الأغانى جـ ١٣ ص ١٧٩ .

(٥٠٥) د. حسن محمود : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص ٢٧١ .

التى لا تقنع بالثقافة التقليدية الموروثة انمـــا ترنو الى المزيد ارواء لتعطشها الى المعرفة ، فكان المورد الاغريقى الذى عبوا منه عبا(٥٠٦) .

ويمكننا أن نضيف الى ذلك كله حقيقة اخرى هامة ، وهى ان أهـــل الذمة هم الذين تزعموا حركة الترجمة وبرعوا فيها واخلصوا لها كل الاخلاص ولم يكن من المعقول أن يأتى ذلك عفـــوا انما يأتى بعـــد أن ألف أهـــل الذمة الحياة العربية ،وشـــاركوا فى الحياة السياسية ، ولم يفقـــدوا حرياتهم الدينية ونعمـــوا بحسن المعاملة وطيب المعاشرة ووجـــدوا أن الدين لم يحـــل بينهم وبين تطلعاتهم المتنوعة . كما أنه لابد أن يمضى وقت طـــويل ليستعرب أهـــل الذمة على نطـــــاق واســـع الا فى العصر العبـــــاسى(٥٠٧) .

ويتحـــدث ابن النـــديم(٥٠٨) عن أهـــل الذمة الذين اسهموا فى حركة الترجمة ونقـــل التراث والفكر العالمى الى اللغـــة العربية وهم يوحنا بن ماسويه ، وحنين ابن اسحاق ، وابنه اسحاق وقسط ابن لوقا وابن البطريق وابن ناعمة وغيرهم كثير . تلك اهم الدوافـــع التى شدت من ازر حركة الترجمة واتاحت للعرب هـــذه المناهل الغزيرة من العلم والمعرفة واننا لنقف مطأطئى الرءوس أمام أولئـــك الخلفاء العباسيين الذين رعـــوا أولئـــك المترجمين .

---

(٥٠٦) المرجـع نفسـه ص ٢٧٢ .

(٥٠٧) المرجـع نفسـه ص ٢٧٣ .

(٥٠٨) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٣٤٠ ، ٣٤١ .

## أهم المترجمين فى بيت الحكمة

١ ـ يوحنا بن ماسويه .

٢ ـ حنين بن اسحاق العبادى .

٣ ـ يعقوب بن اسحاق الكندى .

٤ ـ اسحاق بن حنين .

٥ ـ الفضل بن سهل .

٦ ـ سهل بن هارون .

٧ ـ حبيش بن الأعسم .

٨ ـ قسطا بن لوقا .

٩ ـ يوحنا بن البطريق .

١٠ ـ الحجاج بن يوسف بن مطر .

١١ ـ عيسى بن اسحاق بن زرعة .

١٢ ـ ابن ناعمة الحمصى .

١٣ ـ سعيد بن يعقوب الدمشقى .

١٤ ـ ثابت بن قسرة الحرانى .

١٥ ـ أبو بشر متى بن يونس .

١٦ ـ موسى بن خالد الترجمان .

١٧ ـ عمر بن الفرخان الطبرى .

١٨ ـ يحيى بن عدى .

# الفصل الثالث : العلاقة بين مؤسسة بيت الحكمة والحكومة والعلماء الذين عملوا فيها



١ ـ تشجيع الخلفاء والوزراء للذين عملوا فى بيت الحكمة .

٢ ـ دور الخلفاء والوزراء فى المحافظة على نشاط مؤسسة بيت الحكمة .

٣ ـ حرص الخلفاء والوزراء على تقوية أواصر المحبة والتعاون بين من عملوا داخـل بيت الحكمة .

## اولا ـ تشجيع الخلفاء والوزراء الذين عملوا فى بيت الحكمة :

ففى بغـــداد عاصمة الخلفاء وتحت رعايتهم قامت حركة علمية مباركة للترجمة والتأليف والتوزيع لا نظير لهـــا فى تاريخ العصور الوسطى قاطبة ، فقـــد أضـــاءت هـــذه الشعلة ليس فى أنحاء العراق وبلدان شرقى الخلافة فحسب بل فى طـــول وعرض الامبراطورية العربية من بغـــداد ومرو وبخارى والرى وغزنه الى دمشـــق والقاهرة والقيروان وفارس وقرطبة ، وفى دار السلام قامت حركة الترجمـــة حيث تقاطر العلماء والأدباء والحكماء عليها وعلى رأسهم الفيلسوف العربى يعقـــوب بن اســـحاق الكندى العالم الكبير فى شتى الفنون وكان من أساطين هـــذه النهضـــة خاصة فى الترجمة وعلوم الطب(٥٠٩) وان استتباب الأمر للدولة العباسية وبلوغها من الاستقرار مبلغا عظيما وتعريبها للادارة وســـائر مصالح الدولة ، واحراز الفتـــح اللغـــوى فى النصر على سائر اللغات السائدة يومئذ أدرك الخلفاء العباسيون بثاقب بصرهم ان الثقافة من اهم العوامل التى ترتكز عليها النهضة الصحيحة فبالغ خلفاؤهم فى تكريم هؤلاء المترجمين الذين عملوا فى بيت الحكمة فقربوهم وآكلوهم وشـــاربوهم وجالسوهم واعتمدوا فى المشاكل على آرائهم ، واغـــدقوا عليهم أموالا طائلة ، وقـــد أثبت المؤرخون أنهم كانوا يعطون لهم وزن ما يترجمون ذهبا ، ولذلك كان حنين بن اسحاق يكتب الترجمة بحروف غليظة وأسطر متفرقة على ورق غليظ جـــدا لتعظيم حجم الكتاب وتكبير(٥١٠) وزنه .

ان القرن الثالث الهجرى قـــد شهد رعاة حركة الترجمة(٥١١) هـــذه على مختلف المستويات ســـواء كان ذلك من الخلفاء كالمـــأمون والمتوكل أو من بعض الشخصيات البارزة فى الدولة ممن عضـــدوا هـــذه الحركة وآزروها بكل السبل ومن أشهرهم بنـــو موسى بن شـــاكر .

ومن جهة ثانية فان القرن الثالث الهجرى قـــد شهد نشاطا غير محـــدود فى حركة الترجمة التى أسفرت عن قيام حركة ثقافية فى التدوين والتأليف ، كانت أقـــل اتساعا من حركة الترجمة ذاتها ، فى حين نرى أن العكس من ذلك ، هـــو الذى حدث

---

(٥٠٩) د. صالح الحمارنة : ( مراسلات البيرونى وابن سينا ) مجلة المؤرخ العربى ـ بغـــداد العراق عـ ٤ ( ١٩٧٧ م ) ص ٤٤ .

(٥١٠) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ص ٣٠٣ .

(٥١١) رشيد حميد حسن الجميلى : حركة الترجمة فى المشرق الاسلامى فى القرنين الثالث والرابع للهجـــرة ص ١١٣ .

فى القرن الرابع الهجرى حيث انبثقت حركة واسعة فى التدوين والتاليف على حساب حركة الترجمة المباشرة لهـا ـ وفى هـذا المضمار يقول د. محمد جمال الدين سرور : شغل علماء بغـداد وغيرها من الحواضر الاسلامية فى القرنين الثانى والثالث للهجرة بنقل وترجمـة العلوم الأجنبية الى العربية ، ولكنهم فى القرن الرابع انصرفوا الى الانتاج الشخصى ، وكانوا يعنون بالعلوم الدينية واللغـوية أكثر من عنايتهم بالعلوم الرياضية والفلسفية ، ويرجـع السبب فى ذلك الى ما كان للعـامل الدينى من أثر فى حملهم على الاشتغال بالعلوم الدينية وحرصهم على دراسـة العلوم اللغوية لأنهـا خير اداة لفهم الدين(٥١٢) .

وفى هـذا المجال أيضا يذكر الأستاذ كمال اليازجى : فما استهل القرن الرابع الهجرى ( العاشر الميلادى ) حتى أخـذت الحركة العلمية فى النضج ، وغدت الترجمات مرادفة بالتعليقات والشروح ، وبدأت المؤلفات فى هـذه المواضيع تظهر أولا بصورة دراسات قصيرة فى موضوعات محـدودة ، ثم بشكل مؤلفات جامعة ، فيها اقتبـاس واجتهاد وتحليل وتنظيم وتبويب واستنباط ووضع(٥١٣) .

فالتاريخ يحـدثنا أن خلفاء الدولة العباسية شجعوا العلم على اختلاف الوانه فأمروا بنقـل الفلسفات اليونانية والهندية والفارسية فضلا عن عنايتهم بالعـلوم الاسلامية ، وقـد اقتفى أثرهم وسار على منوالهم أمراء الدويلات الناشئة فى العصر الثانى ، وجعلوا من العلم ميدانا للمناقشة وجمعوا العلماء حـولهم وقربوهم اليهم ، حتى ان الباحث ليلمس أن العلوم الكلامية والفلسفية كلها قـد سارت جنبا الى جنب فى طريق التقـدم والنضـوج(٥١٤) .

وبالاضافة الى ما ألمحنا اليه رغبة بعض الخلفـاء الذاتية فى العلوم ، وميلهم الى الاشتغال بالأعمال الفكرية كالمنصور والرشيد والمـأمون ، ولعـل الجـو الحضارى الذى تهيأ للعرب بقيام الدولة العباسية مستندة الى أكتاف الفرس ذوى الثقافات القـديمة كان لـه أثره فى دفعهم الى هـذا الاتجاه ممـا جعلهم يقتربون

---

(٥١٢) د. محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى المشرق ص ٢٠٣ .

(٥١٣) د. كمال اليازجى : ( **معالم الفكر العربى فى العصر الوسيط** ) . ( دار العلم للمـلايين ـ بيروت ـ لبنان ١٩٦٦ م ) ص ٦٧ ، ٦٨ .

(٥١٤) د. فوقية حسين محمود : ( **الجـوينى امام الحرمين** ) . ( الهيئة المصرية العـامة ـ القـاهرة ١٩٧٠ م ) أعـلام العرب ، ص ٤٨ .

العلماء ويتصلون بأصحاب الثقافة بعامة ، يرسلون البعثات لجمع الكتب ويصرفون المترجمين لنقلها ويحيطونهم بعوامل التشجيع كإعلاء المكانة واغـداق العطاء(٥١٥) .

ويعـد ابن النـديم(٥١٦) : عبد الله بن المقفع من أعـلام المترجمين من اللغـة الفهلوية الى اللغـة العربية ، ويضـعـه فى الصـدارة بالنسبة لمترجمى العصر العبـاسى .

وكانت حركة النقـل والترجمة والنسخ هى القناة الكبرى التى جرت جميع العلوم القـديمة الى الدولة العباسية ، كما كانت المطبعة الحية هى التى نشرت تلك العلوم فى جميع البلاد وجعلتها فى متناول الجميع . وقـد ساعد الخلفـاء أولى الأمر تلك الحركة المباركة فأتت بأطيب الثمار ، واذا بأرسـطو وأفلاطـون وجالينـوس وغيرهم ينطقـون بلغـة العرب . واذا كتاباتهم فى أيدى الكثير توقـد فى العقـول نار نهضة مثمرة . وقـد اشتهر من النقـلة آل بختيشوع وآل حنين وآل ماسرجويه ، وآل نوبخت وغيرهم ممن كان لهم فضـل كبير على العلم وأهله(٥١٧) .

ولم يقتصر الخلفاء على اجراء الحكم العادل البسيط بل أصبح كثير منهم نصيرا للعلوم والمعارف ، فاستدعوا العلماء البارزين الى قصورهم وعضدوهم فى أبحاثهم .. فترجمت الى اللغة العربية طائفة من أعمال الهنود والاغريق فى العلوم ، وهى الأعمال التى أعاد الأوروبيون ترجمتها من مصادرها العربية الى اللاتينية فكانت بيت الحكمة فى بغـداد مركزا للعلوم والمعارف فى ظـل الخلافة الاسلامية(٥١٨) .

فكان هارون الرشيد يشجع على ازدهار العلوم والمعارف .. مما ساعد على تقـوية النهضة العلمية بكل ما فى قـواه من جهـد وعزيمة فقرب اليه العلماء . وكان يصطحب معـه كلما سافر مائة عالم ـــ واتخـذ الاطباء تراجمة لـه من السريانيين ـــ كآل بختيشوع وآل ماسـويه ، وبما جعل هارون الرشيد ينشىء فى بغـداد بيت الحكمة التى كانت تحـوى نفائس الكتب من شتى اللغات والعـلوم ، كما حظيت بتشجيع الخلفاء والوزراء ، وذوى البيوتات العلمية(٥١٩) ... فترجمت كتب الطب

---

(٥١٥) د. السحات السيد زغلول : الاتجاهات الفكرية فى التفسير ص ٢٣٦ .

(٥١٦) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٢٤٤ .

(٥١٧) حنـا فاخـورى : الجاحظ ـ نوابغ الفكر العربى ص ١٤ .

(٥١٨) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى ص ١٦ .

(٥١٩) د. محمد عبد المنعم خفاجى : ( **عصور من الفكر العربى** ) ( مكتبة النجاح ـ القـاهرة ١٣٧٧ هـ/١٩٥٨ م ) ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

والفلك والرياضيات والفلسفة والمنطق على أيدى علماء من العرب والفرس والسريان والهنود[٥٢٠] ومن الأسباب التى ساعدت على الترجمة ودعت العرب الى نقـــل علوم وآداب الأمم الأخرى :

١ ــ رغبة بعض الخلفاء العباسيين فى العلوم كالمنصور والرشيد والمـــأمون ، فقـــد أظهر الأول عناية بالترجمة فنقلت لـــه بعض كتب جالينوس وأبو قراط فى الطب ، وممن نقـــل لـــه جورجيس الذى يعتبر أول من ابتـــــدأ فى نقـــل الكتب الطبية[٥٢١] ؛ ولقـــد زادت ترجمة الكتب فى عهد الرشيد بعـــد أن وقـــع فى حوزته بعض المدن الرومية حيث أمر بترجمة ما عثر عليه المسلمون من كتب اليونان[٥٢٢] . كذلك شجع على الاشتغال بالترجمة ميل أفراد الخلفاء فى العصر العباسى الى العلوم الفلسفية . والخلفاء عادة أقـــدر على الترغيب فيما أحبوه ، والناس أسرع ما يكون الى تحقيق أغراضهم والولوع بمـــا أولعـــوا به[٥٢٣] .ولقـــد لعبت الترجمة دورا كبيرا فى هـــذه النهضة العلمية العارمة فى تلك العصور الاسلامية الزاهرة ، وقـــد كانت النهضة أول الأمر مقصورة على الدراسات الدينية واللغوية ثم كان المترجمون حلقة الاتصال بين العرب وهـــذه العلوم . فهم نقلة علوم اليونان والسريان والأقباط والفرس والهنود فى اللغة العربية . وقـــد بلغ عهد الترجمة أوجـــه فى بيت الحكمة ، ومن مشاهر المترجمين فى عهد الرشيد أبو سهل الفضل بن نوبخت[٥٢٤] رئيس مكتبة هارون الرشيد ، ويوحنا بن ماسويه وحنين بن اسحاق وابنه اسحاق وثابت بن قرة وابن البطريق وعمر بن الفرخان وكثير من أسرة بختيشوع[٥٢٥] .

وللبرامكة فضـــل عظيم فى اذكاء الترجمة حينئذ فقـــد شجعوا بكل ما استطاعوا على نقـــل الذخائر النفيسة الى العربية من الرومية واليونانية والفارسية والهندية ، وكان ممـــا عنوا به ترجمة بعض الكتب الى اليونانية بحيث تكون أكثر دقـــة واتقانا على نحـــو ما صنع يحيى بن خالـــد بكتاب المجستى لبطليموس ، فقـــد ندب لـــه أبا حسان وسلما صاحب بيت الحكمة فأتقناه ، واجتهد فى تصحيحه بعـــد أن أحضر

---

(٥٢٠) د. نافع توفيق العبود : ( **من تاريخ الترجمة عند العرب** ) مجلة المؤرخ العربى ــ بغداد ــ العراق عـ ١٠ ( ١٩٧٩ م ) ص ١٤٨ .

(٥٢١) ابن أبى أصيبعة : عيون الانباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ٢٦٠ ، ٢٧٩ .

(٥٢٢) د. نافع توفيق عبود : من تاريخ الترجمة عند العرب ص ١٤٩ .

(٥٢٣) أحمد أمين : ضحى الاسلام جـ ٢ ص ٢٦٦ .

(٥٢٤) أبو الريحان البيرونى : استخراج الأوتار فى الدائرة بخواص الخط المنحنى منها ص ١٠ .

(٥٢٥) د. عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم ودور العلماء فى تقدمه ص ٥٨ .

النقلة المجـودين فاختبر نقلهم واخـذ بأفصحه وأوضحه(٥١٦) . وكان رئيس وزراء يحيى بن خالـد البرمكى قـد انتدب السفراء الى الهند لدعوته الأساتذة المرموقين ، ومشاهير الأطباء والفلاسفة واستقدمهم للعمل فى بلاط هارون الرشيد . وبذلك أصبحت مدينة بغـداد منارا للعلم والمعرفة ، ومن الجـدير بالذكر أن الخليفة لم يكن ليميز فى تعيين المترجمين من مختلف اصحاب العقائد وصنوف اللون والجنس والدين وكمثال على ذلك فان السلطة الحاكمة عينت « عـلان الشعوبى » موظفا فى مكتبته رغـم معاداته للعرب والعروبة(٥٢٧) .

ونرى جيلا كبيرا ينهض فى عصرهم والعصر الذى تلاهم بهـذه الترجمة نذكر من بينهم آل نوبخت وعلى رأسهم الفضل بن نوبخت الذى اكثر من ترجمة كتب الفلك(٥٢٨) . وآل سهل وعلى راسهم الفضل وكان يترجم للمـأمون فى حـداثته بعض الكتب الفارسية ويعجب بترجمته(٥٢٩) وجـدير بالذكر أن حياة الرشيد والمـأمون تمثـل العهـد الذهبى للنقـل من سائر اللغات الى اللغة العربية ، ذلك أن النقل أصبح فى زمانهما عملا رسميا تتولاه الدولة وتنفق عليه من موازنتها وتحشد لـه اعظم النقلة والعلماء والمفكرين . وهذا ما دعا هارون الرشيد الى تأسيس مؤسسة كبرى للقيام بهـذا العمل الجليل وهى مؤسسة كان عملها أول الأمر مركزا للنقل والملازمة كما يقول صاحب الفهرست ثم تطورت زمن المـأمون وأصبحت مؤسسة علمية من الطراز الممتاز همها ترقية البحث والتجرد للدراسات العليا(٥٣٠) .

ويمكننا أن نقـول أن هـذه المؤسسة العلمية المسماة بيت الحكمة قـد أصبحت اكاديمية بالمعنى العلمى الدقيق للكلمة فى زمن المـأمون تحـوى أماكن للدرس وأماكن لخزن الكتب وأماكن للنقـل ، وأماكن للتأليف الى جانب المرصـد الفلكى والنشاط الفلكى الذى مارسته . فكان تشجيع المـأمون للفنون والعلوم والآداب والفلسـفة اكثر تنوعا منها فى عهد الرشيد . وكان لهـذا التشجيع من الأثر أعظم مما كان فى عهد أبيه نظرا لأنه يجرى الأرزاق على طائفة كبيرة من المترجمين لنقـل العلوم والمعارف باللغـة العربية فى بيت الحكمة(٥٣١) . وقـد شجع المـأمون علماء بيت الحكمة فى

(٥٢٦) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٣٧٤ .

(٥٢٧) ألفرد هسل : ( **تاريخ المكتبات** ) ترجمة شعبان عبد العزيز خليفـة ( دار الثقـافة القاهرة ١٩٧٣ م ) ص ٣٠ .

(٥٢٨) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٣٨٤ .

(٥٢٩) الجهشيارى : كتاب الوزراء والكتاب ص ٢١١ .

(٥٣٠) د. محمد ماهر حماده : المكتبات فى الاسلام نشأتها وتطورها ومصائرها ص ٥٣ .

(٥٣١) ول ديورانت : قصـة الحضارة المجلد الرابع ص ٩٦ .

بغـــداد على البحث ، ومن أهم النتائج التى توصل اليها علماء المسلمين فى عهـــد المـأمون قياس محيط الكرة(٥٣٢) الأرضية . فاضطلع علماء العرب والمسلمين بجهود جبارة فى ميادين العلم وترجموا علوم اليونان الواسعة ، وعلوم الهند وغيرهم الى اللغـــة العربية فحافظوا بذلك على التراث الانسانى ممــا اغنى الفكر الاســلامى وحفزه على العناية بالبحث والتعمق ، وقـــد يكون لاهتمام الخليفة نفسه وعنايتـــه أهمية فى توجيه الحياة الفكرية هـــذه الوجهة . وهى وجهة خـــدمت سياسة الخلافة كما هـــو معلوم(٥٣٣) وظهر محمد بن موسى الخوارزمى فى عصر المـــأمون ، وكان ذا مقام كبير عنده فأحاطه بضروب من الرعاية والعناية . وولاه منصب بيت الحكمة كما جعله على رأس بعثة علمية ( الى الأفغان ) بقصـــد البحث والتنقيب . فكانت اقامته فى بغـــداد قـــد منحته شهرة بين الناس فبرز فى الرياضيات والفلك وكان لـــه أكبر الأثر فى تقـــدمهما وارتقائهما(٥٣٤) .

فلم تضعف همـــة المترجمين بوفاة المـــأمون اذ سلك بعض الخلفاء الذين أتوا بعـــده مسلكه فى تشجيع النهضة العلمية فى بيت الحكمة واستمر ذلك الى منتصف القرن الرابع الهجرى تقريبا . ففى عصر المعتصم فترت حركة الترجمة اذ لم يكن للخليفة تحصيل فى العلم أو رغبة فى المشاركة فيه(٥٣٥) . وعلينا أن نتريث حتى عهد الواثق بالله الذى كان ذكيا واسع الاطلاع كبير الثقافة يشجع العلم والعلماء فنشطت حركة الترجمة فى عهده(٥٣٦) .

واستعادت بعض ما لهـــا من نشاط وان كان أكثر ما يترجم فى عصره هـــو الأسحار والخرافات . لكن عهـــد الواثق شهد استئناف النشاط الأدبى مرة اخرى فاهتم بترجمة الكتب الأجنبية وأصبح يوحنا بن ماسويه الذى سبق لنـــا الحـــديث عنه يد الواثق اليمنى وأغـــدق عليه الواثق صلاته أغـــداقا لا حـــد له(٥٣٧) .

---

(٥٣٢) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى ص ٧٦ .

(٥٣٣) د. وديعة طـه نجم : ( **الشعر فى الحاضرة فى القرنين الثانى والثالث للهجرة** ) . ( شركة كاظمة للنشر والتوزيع – الكويت ١٩٧٧ م ) ص ٣٦ .

(٥٣٤) قـدرى حافظ طوقان : العلوم عند العرب ص ١٠٤ .

(٥٣٥) د. محمد عبد المنعم خفاجى : صور من الفكر العربى ص ١٠٩ .

(٥٣٦) خـودابخش : حضـارة الاسـلام ص ١٣٣ .

(٥٣٧) خـودابخش : حضـارة الاسـلام ص ١٣٣ .

اما المتوكل فكان آخر الخلفاء الذين آزروا حركة الترجمة واعانوا على نقل علوم الأمم العربية الى لغة القرآن الكريم(٥٣٨) . وظهر أثر هذا الاختلاط الشديد فى العقول والأفكار فاتسعت الثقافة ونضج التفكير . فكان الذى أذكى الترجمة والنقل حينئذ الأموال التى أغدقها المتوكل وغيره من الخلفاء على المترجمين . ويكفى أن نذكر ما أهداه المتوكل الى حنين بن اسحاق المتوفى سنة ٢٦٤ هـ فانه أهداه ثلاث دور من دوره وحمل اليها كل ما يحتاج اليه من الأثاث والفرش والآلات والكتب وأنواع الستائر الأنيقة واقطعه بعض الاقطاعات وحصل له راتبا شهريا خمسة عشر الف درهم غير ثلاثة خدم من الروم وغير ما أسبغه على أهله من الأموال والخلع والاقطاعات(٥٣٩) .

وهكذا كان الخلفاء العباسيون يغدقون رواتب شهرية على جماعة من المترجمين بينهم حنين بن اسحاق وحبيش ابن أخته وثابت بن قرة ، ويقال أنهاكانت تبلغ فى الشهر خمسمائة دينار(٥٤٠) ، وكل هذا الاهتمام والتشجيع للترجمة والانفاق عليها والتنافس فيها أحدث ازدهارا عظيما لها فى العصر العباسى الثانى فقد اكب المترجمون على المأثورات الاغريقية فى كل فروع العلم والفلسفة بترجمتها ، ويخيل الى الانسان انهم لم يتركوا حينئذ كتابا يونانيا فى أصله اليونانى أو فى ترجمته السريانية الا ترجموه الى العربية(٥٤١) . ومن يرجع الى ابن أبى أصيبعة والقفطى تهوله الكثرة الغامرة مما ترجموه ، اذ يبلغ أحيانا عند المترجم الواحد مئات الكتب والرسائل سوى ما ألفوه وصنفوه .

يقول الدوميللى : « ان النص العربى يصلح النص الاغريقى فى مواضع مختلفة ، وترجم كتاب أرسطو فى النبات تفسير نيوقولاس ، وله كتاب قرسطون فى نظرية الميزان واعتدال الأجسام الميكانيكية وكان له أثر كبير فى لاتينية العصور الوسطى . ومن مصنفات ثابت بن قرة كتاب الذخيرة فى الطب ألفه لابنه سنان »(٥٤٢) .

ومن انبه المترجمين حينئذ قسطا بن لوقا(٥٤٣) البعلبكى ومن ترجماته شرح

---

(٥٣٨) د. محمد عبد المنعم خفاجى : صور من الفكر العربى ص ١١٩ .

(٥٣٩) د. شوقى ضيف : العصر العباسى الأول ص ٢٣١ .

(٥٤٠) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ٤١٤ .

(٥٤١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٧٠ .

(٥٤٢) الدوميللى : ( **العلوم عند العرب ومكانتها فى التطور العلمى العالمى** ) ( ليدن . هولنده ١٩٦٦ م ) ص ١٤٢ ، ١٥٥ .

(٥٤٣) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ٣١٧ .

الاسكندر الأفروديسى وشرح جسون فيلوبون على السماع الطبيعى وكتاب اراء الفلاسفة المنسوب الى فلوطـوخس وكتاب الحيل لهيروح المنشور فى ليبزج سـنة ١٩٠٠ م وكان قـد ترجمه للخليفة المستعين . وله رسالة صغيرة فى الفرق بين النفس والروح ترجمت الى اللاتينية . كما كان من هـؤلاء المترجمين النابهين أبو بشر متى ابن يونس(٥٤٤) من أصـل يونانى وقـد عنى بترجمة جميع آثار ارسـطو فى المنطق وغيره ، وترجم لـه كتاب الشعر ترجمة مضطربة لأنه يدور كما هـو معروف ، حول المأساة اليونانية . وبمتى بن يونس ينتهى عصر الترجمة العظيم .

وكان الوزراء بدورهم يغـدقون على المترجمين أموالا كثيرة سواء اهـدوا اليهم بعض ترجماتهم أو بعض ما ألفـوه على هـدى ما قرءوه فى اللغتين اليونانية والسريانية . وفى أخبار قسطنا بن لوقا أنه اهـدى ابراهيم بن المـدبر كما اهـدى الحسن بن مخلـد وزير المعتمد كتابا . وفى اخبار اسحاق بن حنين انه كان منقطعـا الى القاسم بن عبد الله وزير المعتضد(٥٤٥) .

وجـدير بالذكر أن ثابت بن قرة كان لا ينقطع عن اسماعيل بن بلبـل وزير المعتمد ولـه ألف مقالة فى الهندسة(٥٤٦) . وكان كثير من الأطباء يكلفـون المترجمين نقـل كتب طبية أو كتب تتصل بالطب . يقول ابن أبى أصيبعة : « كان ممـا نقلت اليه الكتب اليونانية وترجمت باسمه جماعة من أكابر الأطباء مثل يوحنا بن ماسـويه وجبريل بن بختيشوع وابنه بختيشوع وداوود بن سرابيون وسـلمون بن بنان(٥٤٧) واليسع واسرائيل بن زكريا بن الطيفورى وحبيش بن الحسن »(٥٤٨) . كما أن هناك أسرا وأفراد كثيرين يعـدون أنفسهم حماة للترجمة والمترجمين ، وكانوا يتنافسون فى هـذه الحماية مع أنفسـهم ومع الخلفاء ، ذكر منهم ابن أبى أصيبعة(٥٤٩) طائفـة منهم على بن المنجم (٥٥٠) صاحب خزانة الحكمة التى سبق أن تحـدثنا عنها واحمد بن المدبر. وممن نوه بهم القـدماء طـويلا فى هـذا الجانب بنـو موسى بن شاكر محمد وأحمد

(٥٤٤) المصـدر نفسـه ص ٣٣٠ .

(٥٤٥) المصـدر نفسـه ص ٢٧٤ .

(٥٤٦) المصـدر نفسـه ص ٣٠٠ .

(٥٤٧) هـو سلمون بن بنان كان فاضلا متقدما ، خدم المعتصم وخص به حتى أن المعتصم قال لما مات ساموية : سالحق به لانه كان يمسك حياتى ويدبر جسمى . الفهرست ص ١٤٢ .

(٥٤٨) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقـات الأطباء جـ ١ ص ٢٨٤ .

(٥٤٩) المصـدر نفسـه ص ٢٨٣ .

(٥٥٠) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٣٢ .

والحسن وكان الأول والثانى يشغفان بالهندسة فى حين شغف الثالث بالحيل ( الميكانيكا ) وكان لهم مرصدا أسسوه على دجلة .

ان هذه القصور هي امتداد لشجرة كبيرة هى شجرة الحضارة الاسلامية وكل ما حدث فيها من تغييرات أو نكسات لم تجرف جدول هذه الحضارة عن السير المرسوم لها ، وانما لونتها وأعطتها مظهرا مغايرا بعض المغايرة لها فى عصور سابقة ولاحقة ، هذا مع العلم أن التغييرات السياسية كانت واضحة كل الوضوح وأثرت تأثيرا قويا فى حياة الشعب وفى قوة الدولة وعظمتها أو ضعفها وانحطاطها وتجزئتها(٥٥١) .

فرغبة الخلفاء والوزراء فى نقل المعرفة من العامة الى الخاصة وارساء قواعد راسخة للتمدن الاسلامى توفر لدينا عددا من العوامل دفع فى مجموعه الى الافادة من التراث الانسانى بعامة والتراث الفارسى بخاصة(٥٥٢) ، وغيره أيضا . والواقع أن المسلمين أكبوا على تراث الأمم المختلفة ، فأخذوا منه كل ما تطلبته حياتهم المتطورة يدفعهم فى ذلك حب العلم والمعرفة وكذلك تشجيع الخلفاء والوزراء لهم .

---

(٥٥١) د. محمد ماهر حمادة : الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصور العباسية المتتابعة ص ٨ .

(٥٥٢) د. السحات السيد زغلول : الاتجاهات الفكرية فى التفسير ص ١٢٥ .

**ثانيا — دور الخلفاء والوزراء فى المحافظة على نشاط مؤسسة بيت الحكمة :**

ان تشييد العباسيين لبيت الحكمة فى بغــداد وتعيينهم له جلة العلماء للترجمة والنسخ والاشراف واعطاءهم المرتبات والأجــور السخية كل ذلك جعل للخلفاء كامل الحــق فى السيطرة على بيت الحكمة وتوجيه مسارها على وفق ما يريدون(٥٥٣) ، ويؤكد خودابخش(٥٥٤) ما كان من عناية الخلفاءبالعلماء فيقول : « ان هــذا الصنف من العلماء والباحثين عاشوا فى بحبوحة من العيش ونعموا بمستوى مالى مرموق ، اذ اضفى عليهم الخلفاء والأمراء والعظماء كثيرا من عنايتهم وأمدوهم بهبات متجددة ، وانفضال لا تنقطع ، فقــد حكى عن المــأمون أن منحه لحنين كانت متصلة وهباته اليه لا تتــوقف » .

وارتفعت ثقافة بعض العلماء وتنوعت ، فسجلت أسماؤهم مــع الفقهاء ومع العلماء ومع النــدماء ، وكان البعض يأخــذ رزقا فى هــذه الطوائف كلها كالزجاج فقــد كان لــه رزق فى النــدماء وفى الفقهاء وفى العلمــاء ومبلغ ذلك ٣٠٠ دينار فى الشــــهر(٥٥٥) .

كما أجرى الخليفة المقتــدر على ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ هـ خمسين دينارا فى كل شهر حينما قــدم بغــداد فقيرا(٥٥٦) . وقــد كان الخلفاء والأمراء يشجعون العلم والعلماء ويجمعونهم من الأقطار ويغــدقون عليهم العطايا والهبات ، ممــا كان لــه الأثر المحمود فى اقبال العلماء على الدرس والتحصيل وتشجيعهم على التاليف والابتكار . وكان حنين بن اسحاق النسطورى فى بغــداد ممن جعل فى داره مكتبة عامة يفــد اليها طلاب العلوم العقلية والرياضية ، وكان يتبرع بمذاكرتهم فيما يريدون مذاكرته(٥٥٧) . فكان هارون الرشيد يدعــو الى بلاطــه المتعلمين ومتقنى اللغــات ويعهد اليهم تحت اشراف يوحنا بن ماسويه بترجمة كثير من الكتب العلمية المفيدة ، وقد تبعه فى ذلك ابنه المــأمون وغيره من الخلفاء فى العصر العباسى(٥٥٨) .

---

(٥٥٣) د. احمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ٢١٤ .

(٥٥٤) KHUDA BUKHSH : Islamic Civilization, p. 277.

(٥٥٥) ابن النديم : الفهرست ص ٩٠ .

(٥٥٦) آدم متز : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٣٠٦ .

(٥٥٧) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ص ٢٧٢ .

(٥٥٨) زغريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٧٩ .

وخير من اشتهر من رجال بيت الحكمة علمان هما : حنين بن اسحاق وأصله من العباد من نساطرة العرب ، أحب العلم فى صباه فدخل بغداد ، وحضر مجلس يوحنا بن ماسويه ودخل فى خدمة جبريل بن بختيشوع ، وما زال قدمه يرسخ فى العلم حتى قلده المأمون رياسة بيت الحكمة وكذلك ثابت بن قرة(٥٥٩) .

فهذا بيت الحكمة أول مؤسسة ثقافية عند المسلمين يدين للمأمون بما منحه من عناية وما أضفى عليه من قسوة وما أنفق من مال ، وعن طريق هذه المؤسسة كسبت اللغة العربية كثيرا من الزاد بما اجرى فيها من ترجمة اللغات الأجنبية وبواسطة بيت الحكمة حفظ للانسانية كثيرا من تراث الاغريق الذى ضاعت أصوله ، ولم يجد العالم غير الترجمات العربية وسيلة للوصول الى هذا التراث(٥٦٠) .

فلم يكن نشاط مؤسسة بيت الحكمة متوقفا على سخاء الخلفاء والامراء بل أراد المأمون ان يجعل نشاطه قويا متصلا سواء أكان الخليفة كريما أم شحيحا ، نهيأ لعلماء رزقا سخيا يتقاضونه من وقف ثابت يفيض ريعه عن التكاليف المطلوبة لهذه المؤسسة الثقافية(٥٦١) . أما من الناحية العقلية فهو ( المأمون ) فيلسوف الخلفاء وراعى بيت الحكمة وصاحب حركة الترجمة لنقل الرياضيات والفلسفة عن اليونان(٥٦٢) .

ففضل المأمون على النهضة الفكرية وأثره فى شد أزرها ، ورفع قواعدها ، ففى عهده ازدهرت العلوم ونشطت الترجمة وأقبل الناس على المعرفة يلتمسونها فى آثار السريان واليونان وسواهم من الأوائل . ويبدو أن من أسباب ذلك الانتعاش الذى أصاب الحياة الفكرية أن المأمون نفسه كان يسهم فيه بحظ غير قليل وفى أخبار مجالسه ما يدل على أنه كان يمارس اكتساب المعرفة بطرق علمية تجريبية غير مكتف بما يقرأ أو ما يسمع وغير قانع بما يحصل عليه من تلك الطرق(٥٦٣) .

واقتدى بالخلفاء غيرهم من الأمراء والوزراء وأهل اليسار من العقلاء

---

(٥٥٩) د. حسن أحمد محمود : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .

(٥٦٠) KHUDA BUKHSH : Islamic Civilization, p. 276.

(٥٦١) SAYED AMEER ALI : A Short Hist. of the Saracens, P. 274.

(٥٦٢) ابن النديم : الفهرست ص ١٦٨ .

(٥٦٣) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

فاغدقوا على المترجمين العطاء لنقل ما يرغبون فيه من كتب الأوائل العربية فنفقت أسواق هذه العلوم وزخرت بها بغداد . ولكثرة ما كان يلقاه الحكماء فى بغداد من الاكرام والاحترام فى قصور الخلفاء والأمراء والوزراء والقادة وأهل اليسار أقبلوا ينسلون اليها من كل حدب ويتخذونها دار اقامة لهم فقصدوها من الشام وفارس والهند . وفيهم النساطرة والهنود والفرس . فتضافرت الهمم على ترجمة كتب الأقدمين والتأليف فى مختلف علوم الكون على اختلاف فروعها فأصبحت بغداد بذلك ينبوعا فياضا لهذه العلوم ، يغترف منه الناس فى سائر الحواضر الاسلامية ومن أشهر الأسر التى جعلت بغداد موطنها آل بختيشوع ، وجرجيس ابن جبريل وجبرائيل بن بختيشوع وآل اسحاق(٥٦٣) .

وطبيعى أن هذا النشاط والازدهار العظيم المترجمين وجماع العلوم كانت تساعده وتشد من أزره حماية الخلفاء الرسمية ولكن كل أسرة كبيرة من أسر حماة الآداب والعلوم كانت تتنافس أيضا فى هذا المضمار مع أمير المؤمنين ، وخير من مثل هذا النشاط بنو موسى بن شاكر الذين كانوا حماة للعلوم والمترجمين الذين جعلوهم فى خدمتهم وقد اشتهر من هؤلاء المترجمين اثنان هما أيضا من العلماء حنين بن اسحاق وثابت بن قرة(٥٦٤) .

واذا كان خلفاء بنى العباس فى عصورهم المختلفة كانوا يختارون وزراءهم من بين الكتاب والأدباء ويأبون اسناد منصب الوزارة الى العلماء واصحاب الطيالس . وقد اشير مرة على الخليفة المقتدر بتعيين محمد بن يوسف القاضى فقال : « لعمرى انه عالم ثقة الا اننى لو فعلت ذلك لافتضحت عند ملوك الاسلام والكفر ، لأننى اكون بين امرين اما أن تتصور مملكتى بأنها خالية من كاتب يصلح للوزارة فيصغر الأمر فى نفوسهم او انى عدلت عن الوزارة الى اصحاب الطيالس فأنسب الى سوء الاختيار »(٥٦٥) .

وكان وزراء العصر العباسى الأول من ذوى الكفاية فى الكتابة والادارة وتميزوا بثقافة واسعة(٥٦٦) . وقد اسهم الوزراء والأمراء ورجالات الخلافة الاسلامية

---

(٥٦٣) عبد الله بن العباس الجرارى : تقدم العرب فى العلوم والصناعات واستاذيتهم لأوروبا ص ١٧ .

(٥٦٤) زغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

(٥٦٥) جاك س. ريسلر : الحضارة العربية ص ٧٣ .

(٥٦٦) د. توفيق سلطان اليوزبكى : ( **الوزارة نشأتها وتطورها فى الدول العباسية** ) ( مطبعة الارشاد - بغداد - العراق . ١٣٩٠ هـ/١٩٧٠ م ) ص ٥٠ .

فى هـــذا القرن تشجيع حركة ترجمة الثقافة الاغريقية الى العربية ، وممن ابلى فى ذلك بلاء حسنا أمراء البيت العباسى وأسرة البرامكة ووزراء الخلافة وموسى بن شاكر وأبناؤه الثلاثة الذين احتضنوا حنين بن اسحاق شيخ المترجمين وابنه اسحاق وأوفـــد حنينا على نفقتهم الى آسيا الصغرى ليجيد اللغة اليونانية وليحصل على نفـــائس من المخطوطات القـــديمة ، وكانوا يجزلون العطاء لحنين وربمـــا بلغ مرتبه خمســـة الاف دينـــار فى الشهر(٥٦٧) .

وكان البرامكة يشجعون الترجمة تشجيعا كبيرا ويسخون سخاء نادرا على كل مجهود يتصـــل بالعلم والثقافة فكان لتشجيعهم أبلغ الآثار فى ازدهار العلوم وتقـــدم المعارف ونمـــو حركة الترجمة وتطورها . وفى هـــذا الدور الخطير ترجمت كتب كثيرة ومن أهمها كتاب كليلة ودمنة من الفارسية ، وكتاب **السند هند من الهندية** ، وترجمت بعض كتب أرسطوطاليس فى المنطق وغيره ، وترجم كتاب المجستى فى الفلك وأخـــذ المعتزلة هـــذه الترجمات ، واتخـــذوا منها مادة للجـــدل والمناظرة(٥٦٨) .

كما نشطت الترجمة بفضل تشجيع البرامكة الذين اهتموا بعلوم الاغريق اهتماما كبيرا ، وبذلوا مساعى كبيرة لأن يدخلوا الى العرب المعـــارف المستقاة من المصـــادر الاغريقية التى كانوا على صلة وثيقة بها مذ كانوا سابقا فى مرو ونيسابور(٥٦٩) .

فكان أبو سلمة الخلال فصيحا عالمـــا بالأخبار والأشعار والسير والجـــدل . كما اهتم البرامكة بالعلوم والآداب وقال المورياني : « ليس من شيء الا وقـــد نظرت فيه الا الفضة وقد نظرت فى الكيمياء والطب والنجوم والحساب وحتى السحر »(٥٧٠) .

**يقول الدكتور** بديع شريف(٥٧١) : شغل البرامكة مراتب الدولة بالرؤســـاء من ولدهم وصنائعهم واختاروهم عن سواهم من وزارة وكتابة وقيادة وحجابة » . يقال : أنه كان بدار الرشيد من ولـــد يحيى خمسة وعشرون رئيسا بين صاحب قلم وصاحب ســـيف وكبـــح العرب عن التطـــاول للولايات فصارت الوزارة للعجم والصـــنائع من البرامكة : بنـــو سهل ، بنـــو نوبخت ، وبنـــو طاهر .

---

(٥٦٧) د. محمد عبد المنعم خفاجى : صور من الفكر العربى وتاريخ الاسلام ص ٧٧ .

(٥٦٨) المرجـع نفسـه ص ١٠٨ .

(٥٦٩) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقـات الأطباء ص ج ١ ص ٢٨١ .

(٥٧٠) توفيق سلطان اليوزبكى : الوزارة نشأتها وتطـورها ص ٢٨٠ .

(٥٧١) د. محمد بديع شريف : الصراع بين العرب والموالى ص ٤٠ .

ومن الممكن أن نقر بادىء ذى بدء أن دولة المأمون منحة قدمها له الفضل ابن سهل وأنه لولا الفضل لما كانت دولة المأمون ، ولغلب هذا على أمره وقد كان الفضل بن سهل منذ عهد الرشيد يكتب للمأمون ويتولى أمره كله . ومنذ ذلك الحين أخذ الفضل يرى ويدبر ليضمن للمأمون حقه وليحميه من أن يطغى عليه سلطان أو يستبد به مستبد . وأول لبنة وضعها الفضل ليشيد عليها دولة المأمون كانت فى حياة الرشيد(٥٧٢) .

وكان الفضل بن جعفر مشهورا عند الخاصة والعامة ، بالفضل والعلم والكتابة ، وفى عهده شغب الجند الديلم عليه ، وهاجموا داره ورموها بالسهام . وتوسط احمد بن خاقان . بين الوزير وبينهم فهدأت الأمور(٥٧٣) . ويقول عنه ياقوت أيضا : « كان خبيرا بالعلوم الالهية العقلية كالهندسة والطب والتنجيم والموسيقى والمنطق(٥٧٤) . وعباد أبوه كان وزيرا لركن الدولة ، وكان من أهل العلم يكرم العلماء ويحسن اليهم . فكان يبعث فى كل سنة الى بغداد بخمسة آلاف دينار لتصرف على أهل العلم »(٥٧٥) .

ويقول ابن الاثير عنه « كان واحد زمانه علما وفضلا وتدبيرا عالما بأنواع العلوم عارفا بالكتابة ورسائله مشهورة مدونة ، جمع من الكتب ما لم يجمعه غيره حتى انه كان يحتاج فى نقلها الى اربعمائة بعير(٥٧٦) واستوزر المأمون من بعده القاضى يحيى بن اكثم . وكان من جملة العلماء والفقهاء ، فكان اليه تدبير المملكة والقضاء(٥٧٧) . ويرى براون : « ان حكم البرامكة أدى الى ازدهار حضارة بنى العباس وأن سبب نكبتهم ملل وحسد الحاشية »(٥٧٨) .

ويمتدح نيكلسون البرامكة لكرمهم واهتمامهم بالأدب والشعر بينما يذم الرشيد بتعديه عليهم(٥٧٩) . وقد كان الخلفاء والأمراء يشجعون العلم والعلماء ، ويجمعونهم

---

(٥٧٢) د. احمد شلبى : التاريخ والحضارة الاسلامية جـ ٣ ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٥٧٣) غريب بن سعد : ( **صلة تاريخ الطبرى** ) . ( ليدن ١٨٩٧ م ) جـ ١٢ ص ٨٩ .

(٥٧٤) ياقوت الحموى : معجم الأدباء جـ ٢ ص ٢٧٦ ، ٣١٥ .

(٥٧٥) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١١ ص ٣١٤ .

(٥٧٦) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ جـ ٩ ص ٣٨ .

(٥٧٧) د. توفيق سلطان اليوزبكى : الوزارة نشأتها وتطورها فى الدولة العباسية ص ٦٦ .

(٥٧٨) BROWN : History of Persia Litrature, p. 257.

(٥٧٩) NICHILSON : A Literary Hist. of the Arabs, p. 261.

من الأقطار ويغـــدقون عليهم العطايا والهبات ، ممـــا كان له الأثر المحمود فى اقبال العلماء على الدرس والتحصيل وتشجيعهم على التأليف والابتكار(٥٨٠) ، وبذلوا المـــال فى سخاء اذ كانت دولتهم قـــد بلغت درجة عظيمة من الثراء والتقـــدم .

وكذلك اشتهر أحمد بن محمد المعروف بابن المدبر الكاتب الذى كان يصـــل الى النقلة من ماله وأفضاله شىء كثير جـــدا(٥٨١) . وكان هنـــاك أيضا ابراهيم بن محمد ابن موسى الكاتب حريصا على نقـــل كتب اليونانيين مشتملا على أهـــل العـــلم والفضل وعلى النقلة خاصة(٥٨٢) . وكان الأمير عضد الدولة يخرج بنفسه لاستقبال الصاحب بن عباد اذا اقـــدم كما فعل سنة ٣٧٠ هـ/ ٩٨٠ م حينما خرج على رأس كبار رجال دولته الى خارج مدينة بغـــداد لتلقى الصاحب بن عباد واكرامه(٥٨٣) . كذلك كان هـــذا الوزير على جانب عظيم من العـــلم والأدب والفضـــيلة ومكارم الأخـــلاق(٥٨٤) . ويصـــفه الفـــارقى بقوله : كان الصـــابى(٥٨٥) وابن عبـــاد قلائد الدهر وفرائد العصر ، وكان الله سبحانه أدبهما وخصهما بالفضـــل والأدب والشعر والرسائل . استفاد الصاحب بن عباد كثيرا من مخالطته العلماء ورجال الأدب وكان كثير الاحسان اليهم(٥٨٦) . حتى أنه كان يصرف فى كل عام ما يزيد على مائة الف دينار فى أعمال الخير والصدقات(٥٨٧) . وكان يبعث فى كل سنة الى بغـــداد خمسة آلاف دينار تفرق على الفقهاء والأدباء(٥٨٨) ودأب هـــذا الوزير على عقـــد مجالس لأهـــل العلم والأدب ، وكان يحسن معاملة جلسائه ويتبسط معهم ، ويقول لهم : « نحن بالنهار سلطان وبالليل اخـــوان » فكان ذلك ممـــا حببه الى قلوب النـــاس ، وبلغ من حـــب الصاحب لرجال العلم أنه أنفق عليهم كل أمواله(٥٨٩) . توفى الصاحب بن عبـــاد سنة

---

(٥٨٠) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٣٦٧ .

(٥٨١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٨٤ .

(٥٨٢) المصـــدر نفسـه ص ٢٨٤ .

(٥٨٣) أبو شجاع ، محمد الروذراورى : ( ذيل تجارب الأمم ) . تحقيق أمدوروز ( شركة التمدن الصـناعية - القـاهرة ١٩١٦ م ) ص ١٠ .

(٥٨٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج ٨ ص ١٠٠ .

(٥٨٥) أبو اسحاق ابراهيم بن هلال ، شاعر بليغ عالم بالهندسة : الفهرست ص ١٩٣ .

(٥٨٦) ابن تغرى بردى : النجـوم الزاهرة ج ٤ ص ١٧٠ .

(٥٨٧) ياقـوت الحموى : معجم الأدباء ج ٦ ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

(٥٨٨) ابن الجـوزى :المنتظم ج ٧ ص ١٨٠ .

(٥٨٩) ياقـوت الحموى : معجم الأدباء ج ٦ ص ١٨٦ .

٣٨٥ هـ/٩٩٥ م بعد ان تولى الوزاره لمده عشرين عاما تقريبا دعلقت مدينة الرى لموته(٥٩٠) .

وهكذا فقد رعى الصاحب النهضة العلمية والادبيه رعاية صادقه فكان يرسل الاموال جمة الى الكثير من المحتاجين من الفقهاء والزهاد والكتاب ببغداد والحرمين كل سنة مع ركب الحج على مقاورهم ومنازلهم(٥٩١) .

أما الشخصية الأخرى فى عصر المقتدر فهو على بن عيسى بن الجراح ويصفه الصابى بقوله : « فكان رجلا عالما متدينا . عارفا بالاعمال حافظا للاموال كثير الوقار والجد بعيدا عن التبذل والهزل . شحيح غالب فى طباعه . ونجهم ظاهر فى اخلاقه . وما كان يخل بصلاة الجماعة فى كل يوم جمعة . ولا يدع المنادمه فى تلك بين المساجد الجامعة(٥٩٢) .

وكان الوزير بن الجراح عالما بالسياسة وسير الخلفاء الى جانب تدينه واجادته بعض العلوم(٥٩٣) . ويقول فيه الصابى : « ورتب على بن عيسى الامور والدواوين ، على ما رأى الصلاح والسداد متعففا عارفا بالأعمال ... »(٥٩٤) . ويقول ابن كثير عنه ايضا : « وكان من خيار الوزراء ، واقصدهم للعدل والاحسان واتباع الحق »(٥٩٥) . ويصفه الخطيب البغدادى انه : « كان صدوقا عفيفا محمودا فى وزارته كثير البر ، صحب أهل العلم ورجالهم »(٥٩٦) .

وهناك الفتح بن خاقان الذى انفق أموالا كبيرة على الترجمة والتأليف واقتناء الكتب ، كما كان محمد بن عبد الملك الزيات لا يقل عنه فى هذا فانه كان يصرف على التراجمة والكتبة ما يقارب الفى دينار فى الشهر . وترجمت له عدة كتب باسمه

---

(٥٩٠) د. محمد مسفر الزهرانى : **(نظام الوزارة فى الدولة العباسية فى العهدين البويهى والسلجوقى )** ( مطبعة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م ) ص ١١٠ .

(٥٩١) الثعالبى : يتيمة الدهر : ج ٦ ص ٣٠٠ .

(٥٩٢) هلال الصابى : تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء ص ٢٨٢ .

(٥٩٣) اسماعيل باشا البغدادى : ( **هدية العارفين فى أسماء المؤلفين وآثار المصنفين** ) . ( طبع فى اسطنبول ١٩٥١ م ) ج ١ ص ٦٧٨ .

(٥٩٤) هلال الصابى : تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء ص ٣٠٦ .

(٥٩٥) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١١ ص ١٢٠ .

(٥٩٦) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ج ١٢ ص ١٤ .

منها : كتاب الصوت الذى نقله حنين ، واحمد بن المدبر كان ينفق على النقلة والنساخين والمؤلفين من ماله الشىء الكثير ، فكان غيرهم ينقلون لــه الكتب وينفــق عليهم من ماله . وبيــع شرح الاسكندر الأفردوسى للسماع الطبيعى ولكتاب البرهان بثــلاثة آلاف دينــار[٥٩٧] .

وان مؤلفات : ابن النــديم وابن القفطى وابن جلجل وصاعــد الأندلسى ، وابن أبى أصيبعة وحاجى خليفة ، تطلع المرء على الجهود الكثيرة التى بذلهــا الخلفــاء والوزراء فى ترجمة الكتب المختلفة واقبالهم الشديد على دراستها وتدبرها ، والتأليف بهــــا .

كان هــذا بزمن لم تبلغه أمة غيرها فى عــدة قرون . فاجتمع فى خزائنهم ثقافة الشرق والغرب بأقــل من قرنين ، فكانت بغــداد مركز العلم والأدب والفن وكانت تزينها جامعة بيت الحكمة الاسلامية العظيمة .

---

(٥٩٧) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٠٦ .

**ثالثا ـ حرص الخلفاء والوزراء على تقوية اواصر المحبة والتعاون بين من عملوا داخل بيت الحكمة :**

وصار فى بيت الحكمة دوائر علمية منوعة ، لكل منها علماؤها وتراجمتها ، ومشرفون يتولون امورها المختلفة . وانتدب العلماء والتراجمة من بغداد لاختيار الكتب القيمة منها ، والتى يندر وجودها عند غيرهم من الأمم ، فاختاروا الكتب النفيسة فى الطب والفلسفة والفلك ونقلوها الى بغداد حينما احتل الرشيد مدينتى عمورية وأنقرة بغزوه لهما . وولى هارون الرشيد أمر هذه الكتب يوحنا بن ماسويه أكبر أطباء عصره وجعل له من يساعده بترجمتها(٥٩٨) ، كما جعله أمينا على الترجمة .

وممن كان يشتغل فى بيت الحكمة للرشيد ، فيترجم من الفارسية الى العربية أبو سهل الفضل بن نوبخت الفارسى الذى كان متضلعا باللغتين الفارسية والعربية وله عدة مؤلفات بعلوم مختلفة ، عهد اليه بترجمة كتب الحكمة من الفارسية الى العربية(٥٩٩) .

وبلغ ولوع الرشيد بأهل العلم انه كان يصطحبهم معه أيان يذهب وقد توفى على بن حمزة الكسائى النحوى الكوفى وامام القراء المشهور ومحمد بن الحسن الشيبانى القاضى صاحب أبى حنيفة وهما فى معية الرشيد بالرى سنة تسع وثمانمائة(٦٠٠) . ومر الرشيد مرة بحلقة محمد بن الحسن فقام الناس كلهم الا محمد بن الحسن فخرج الآذن ، ونادى محمد ، فذهب هذا لمقابلة الرشيد فلما عاد سأله أصحابه عما كان فقال : سألنى الرشيد : مالك لم تقم مع الناس ؟ فقلت : كرهت أن أخرج عن طبقة العلماء الى طبقة العامة : فسر باجابتى(٦٠١) .

ويحكى بالمر(٦٠٢) : « ان أبا معاوية العالم الأعمى كان يتغذى مرة مع الرشيد فلما انتهى الغذاء ، وأراد العالم أن يغسل يديه على عادة المسلمين ، قدم له شخص ما الطشت والأبريق وصب عليه ، ولما انتهى العالم الأعمى من غسل يديه شكر ذلك الذى أولاه هذه العناية وصب عليه الماء ، ولكنه اكتشف أن

---

(٥٩٨) حاجى خليفة : كشف الظنون جـ ٢ ص ٦٨١ .

(٥٩٩) ابن النديم : الفهرست ص ٣٨٢ .

(٦٠٠) المسعودى : مروج الذهب جـ ٣ ص ٣٦٣ .

(٦٠١) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ ٣ ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٦٠٢) PALMER : Harun Rashid, p. 33.

الذى فعــل ذلك هـــو الرشيد على كثرة خـــدمه . فقال العالم : يا أمير المؤمنين انى أعتقـــد أنك فعلت هـــذا تكريما للعلم فأجاب الرشيد هـــو كذلك » .

وكان المـــأمون شغوفا بعلوم الحكمة ، وجـــه همه الى توسيع دوائرها المختلفة فارسل فى طلب كتبها من مختلف الأقطار واجتمع لديه عـــدد كبير منها واختـــار لهـــا المترجمين من اللغات المختلفة : اليونانية والسريانية والفارسية والعربية والقبطية والهنـــدية والحبشية ، فتوسع بيت الحكمة وازداد عـــدد كتبه بمـــا يضاف اليه من الكتب المختلفـــة . وتنافس أولو النباهـــة فى العلوم لمـــا يرون من احتضانه لمنتحليها واختصاصه لمقلـــديها ، فكان يخـــلو بهم ويأنس بمناظرتهم ويلتذ بمذاكراتهم فينالون عنده المنزلة الرفيعة ، والمراتب السنية ، كذلك كانت سيرته مع سائر العلمـــــاء والفقهاء والمحـــدثين والمتكلمين وأهـــل اللغـــة والاخبار حتى كانت الدولة العباسية تضاهى الدولة الرومية أيام اكتمالها ، وزمان اجتماع شملها(٦٠٣) .

فاجتمع فى بيت الحكمة نخبة مختارة من العلماء والأطباء والفلكيين وأصـــحاب الصناعات والحيل ، وترجموا مختلف الكتب التى تبحث فى شتى العلوم والفنـــون والمعارف والصناعات ، وبلغ بيت الحكمة منتهى التقـــدم على عهد المـــأمون ، وكان فى بيت الحكمة(٦٠٤) ما الفه العلماء والأدباء فى اللغـــة والتاريخ والفقه وعلم الـــكلام والملل والنحل . وبعض هـــذه الكتب الفت بطلب من الخلفاء أنفسهم لكى توضـــع فى بيت الحكمة . فقـــد أمر المـــأمون الفراء أن يؤلف ما يجمع به أصـــول النحو وما سمع من العرب ، فأمر بأن تفرد له حجرة من حجر الدار . ووكل به جوارى وخـــدم للقيام بمـــا يحتاج اليه ، حتى لا يتعلق قلبه ، ولا تتشوف نفسه الى شىء . . . وصير لـــه الوراقين ، وألزمه الأمناء والمنفقين ، فكان الوراقـــون يكتبون ، حتى صـــنف الحـــدود ، وأمر المـــأمون بكتبه فى الخزانة ، فبعـــد أن فرغ من ذلك خرج الى النـــــــاس(٦٠٥) .

وممـــا يجـــدر ذكره أن المـــأمون كان يحرص على الاحتفاظ بكل أثر نفيس يعثر عليه ، فيستدعى العلماء لفحصه وترجمته ودراسته . ومن ذلك : كان المـــأمون فى مصر ، وعثر فى مدينة أخميم على رسالة السر فى الكيمياء لهرمس « كانت تحت لوح مرمر فى قيـــد قبـــة » فى قبـــة فيها « امرأة ميته تامة الخلق ، ضفائرها ممـــدودة الى

---

(٦٠٣) صاعـد الأندلسى : طبقـات الأمم ص ٧٥ ، ٧٦ .

(٦٠٤) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٣٤١ .

(٦٠٥) أحمد أمين : ضـحى الاسـلام ج ٢ ص ٦٥ .

رجليها ، وعليها سبع حلل مذهبة ولهـا كلها زر واحـد ـ اى قميص من ذهب ـ وحولها أسرة صغار ، عليها أموات فى هيئة الصبيان ، وهـذه الرسالة تحت رأسها ، فى لوح من ذهب شبيهة بالكتف العظيمة بسواد بخط غريب ، ولما علم بها الخليفة المـأمون ، استدعى العلماء لقراءتها وترجمتها فقراها رجـل من حمير ، كان عالمـا بالمسانيد ، وفسرت له مع المزامير التى فسرت(٦٠٦) .

ان العرب ترجموا الى لغتهم اكثر كتب العلوم التى سعوا بالحصول عليها من : طب وفلسفة ونجوم ورياضيات ومنطق وفلك(٦٠٧) وغيرها . فأخـذوا من كل أمة أحسن ما عندها من علوم وفنون . فكان التراجمة من ملل ونحل مختلفة فى بيت الحكمة تجمع بينهم أواصر المحبة والتعاون . ففيهم المسلمون وفيهم النصـارى من السريان واليعاقبة ، وفيهم الصـابئة عبدة الكواكب ، وفيهم الأنبـاط والبراهمة والمجـوس واليهود(٦٠٨) وغيرهم . فمجلس الخليفة المـأمون كان يتكون من ممثلين لجميع الطوائف التى تدين بملكه .

فقـد كانت حرية الفكر فى ذلك العصر اى عصر ازدهار الحضارة الاسـلامية التى يروى فيها كيف أنه كان يحضر فى بغـداد دروسا كثيرة فى الفلسفة ويشترك فيها يهـود وزنادقـة ومجـوس ومسلمون ونصارى ، وكيف أن الحضور كانوا يستمعون الى كـل منهم باحترام عظيم ، وانه لم يكن ينبغى لأى منهم أن يستند الا الى الدولة الصادرة عن العقل لا الى الدولة المستقاة من أى كتاب مقـدس(٦٠٩) .

هـذا التسامح الاسلامى كان ولا شك ذا أثر فعال هائل فى حركة الاحيـاء والبناء الحضارى التى تولاها العرب بعـد الفتح . ذلك أن علمـاء النساطرة كانوا قـد لجـأوا الى فارس التى حمتهم من اضـطهاد الروم ، وسرعان ما ازدهرت تعاليمهم فى المدرسة الفارسية فى جنديسابور ، وكانوا يستعينون بشىء من الفلسـفة اليونانية بسبب تعاليمهم . وعندما وقعت جنديسابور فى قبضة العرب فى القرن الرابع

---

(٦٠٦) حاجى خليفة : كشف الظنـون : جـ ١ ص ٨٧١ ، ٨٧٢ .

(٦٠٧) المصـدر نفسـه جـ ٢ ص ٦٧٦ ، ٦٨٢ .

(٦٠٨) سـعيد الديوه جى : بيت الحكمـة ص ٣٦ .

(٦٠٩) جـلال مظهر : ( **علوم المسلمين أساس التقـدم العلمى الحـديث** ) ( الهيئة المصرية العامة ـ القـاهرة ١٩٧٠ م ) ص ١١ .

الهجرى ، لقى هؤلاء العلماء المسيحيون تسامحا كبيرا وتشجيعا عظيما من الحكام المسلمين الذين استعانوا بهم فى تشييد صرح الدولة العلمى والثقافى فظهر منهم كثير من الأطباء والعلماء والتراجمة[610] .

وكان الخلفاء ومحبو العلم يقبلون عليهم ويجزلون لهم العطاء ، ويرغبونهم بشتى الطرق لكى يستفيدوا منهم فى الترجمة ، وشرح الكتب العلمية التى يترجمونها ، ووضع الاصطلاحات لها . فكانوا يعقدون المجالس العلمية ويشاركون فيما يدور بها من العلوم والآداب والمعارف وخاصة الخليفة المأمون عالم بنى العباس وحكيمها ، فانه كان يشارك فى علوم كثيرة ، وله مجالس يعقدها فى قصره ويشارك فيها أجل العلماء ، ويحضرها الخليفة ويشارك فيما يدور بها من مباحث مختلفة ، يجلس مع الجالسين كأحدهم بغير تمييز أو عناية ، فيتكلم العلماء بكل حرية وصراحة فيما يبدو لهم . روى طرفور عن يحيى بن أكثم قال : « لما دخل المأمون بغداد وقر بها قراره ، أمر بأن يدخل عليه من الفقهاء والمتكلمين وأهل العلم جماعة يختارهم لمجالسته ومحادثته ، وكان يقعد فى صدر نهاره على لبود فى الشتاء وعلى حصير فى الصيف ، وليس معهما شىء من سائر الفرش ، فكان يجلس مجلس الفقهاء الذين اختارهم يحيى بن أكثم للمناظرة فى حضرة المأمون يقعد كل يوم ثلاثاء من كل أسبوع »[611] .

هذا هو بيت الحكمة المؤسسة العظيمة التى سهل الخلفاء فيها سبل الدرس والمطالعة والتأليف والترجمة لمن يرغب بذلك ، فقد كان يتعذر على الناس أن يقفوا على الكتب العلمية النادرة ، والتى ترجمت من اللغات المختلفة الى اللغة العربية وصرف فى سبيل الحصول عليها ، وعلى ترجمتها وتنقيحها المبالغ الكبيرة ، ففتحوا أبواب الدار لكل قاصد وشوقوا الناس الى التعلم والاقبال عليه ليقفوا على حقائق الأمور وتراث الأمم التى تقدمتهم فى شتى النواحى الفكرية والعلمية . كما كان الناس يحضرون المناظرات العلمية التى تجرى بين العلماء فى هذه الدار ، فى مختلف العلوم والفنون وابداء الآراء[612] وغير ذلك .

---

(٦١٠) المرجع نفسه ص ١٢ ، ١٣ .

(٦١١) طيفور ، أبو الفضل احمد بن أبى طاهر : ( **تاريخ بغداد** ) ( طبعة كلر ، لايبسك ١٩٠٨ م ) ج ٦ ص ٣٦ .

(٦١٢) سعيد الديوه جى : بيت الحكمة ص ٣٧ ، ٣٨ .

كانت الحرية التامة تسود بيت الحكمة فلا تجـد فيه اثرا للتعصب الذميم ؛ بل تجـد فيه أصحاب العلم والفلسفة يتناظرون بكل حرية وصراحة ؛ ويتكلم أهـل الملل والنحل بمـا يبدو لهم وبمـا يعتقدونه ويرونه أقرب الى العقل والمنطق .

وممـا يؤيد هـذا : انه كان بين الذين تولوا أمر بيت الحكمة واشرفوا على حركة الترجمة فيه ، هم من السريان واليهود والمجـوس وغيرهم ، ولهم منزلة رفيعة عند الخلفاء ، يعمل برأيهم ، ويأخـذ عنهم علماء المسلمين ، ويرجعون الى اقـوالهم وآرائهـم .

كما كانوا يؤدون شـعائرهم الدينية بمنتهى الحرية ويدافعون عن معتقداتهم بكل صراحة ، ويناظرون المسلمين فى الأمور الدينية . ولربمـا كان هـذا أمام الخليفة نفسه . كان ثيودورس ابو قرة المتوفى سنة ٨٢٠ م تلميذ يوحنا الدمشقى وأسـقف حران ، يجادل علماء الذين المسلمين فى الأمور الدينية بحضور الخليفة المـأمون(٦١٣) . هـذا التسامح كان يسود بيت الحكمة فى عهد الخلفاء والوزراء أنفسهم ، حبا بنشر الروح العلمية الخالصة بين كافـة الطبقات كما صارت الكتب التى تبحث فى شتى النواحى الفكرية متيسرة فى دكاكين الوراقين ، بعاصمة الرشيد والمـأمون فى الوقت الذى كانت فيه أوروبا تتخبط فى دياجير الظلام .

ولعل ذلك راجـع الى أن الخلفـاء العباسيين لم يقيدوا الأفكار ولم يفرضـوا مذهبهم على الناس بل لكل دينه ومذهبه ورأيه ، وكان الخلفاء يشاركون فى المناظرات العلمية والدينية ويبذون آراءهم ، كأحد الحاضرين ، وتكون عرضة للنقد والرد عليها .

أما الفاطميون فانهم كانوا بالضـد من هـذا فالحرية الفكرية مقيدة واهتمامهم بكتب الفقه ومجالس الدعوة أكثر من غيرها ، فكانت كتب فقه دار الحكمة فى مصر ممـا يؤيد مذهبهم ، ويعزز خلافتهم ، والدار نفسها مركز دعـوة واسـعة للمذهب الاسماعيلى ، ولا نجـد فى الدار الكتب التى تعارض مذهبهم أو تطعن بدعـوتهم . وان المجالس التى كانت تلقى فيها مقيدة غاية التقييد فكان ينظمها فقهاء الدولة مـع فقهاء دار الحكمة ، ويكون هـذا تحت اشراف الداعى . ثم الخليفة نفسه . ثم بعـد هذا التحفظ كانت تذاع على السامعين . فالدار دار دعوة منظمة للمذهب الاسماعيلى ، تحت ستار من العلم ومناهج الدار تتبع السياسة العليا للدولة ، فهى دار دعـوة ثم هى دار علم أو حكمة . وعلى هـذا فان الدار مرت بأدوار مختلفة تتبع بذلك سياسة

---

(٦١٣) فيليب دى طرازى : خزائن الكتب العربية فى الخافقين ج ١ ص ٥٤ .

الخليفة التى يرمى الى تحقيقها . وكذلك اشتد عسف الخليفة الحاكم بأمر الله(٦١٤) على أهــل السنة وأهــل الذمة . من أمثال ابن باديس وأبو بكر الانطاكى .

وهكذا نجــد ان الصبغة السياسية فى دار الحكمة ( فى القاهرة ) فــوق كل اعتبار ، فهى مركز سياسى تدعــو الى تثبيت دعائم المذهب الاسماعيلى — المستعلية منهم — ولكنها تسير تحت ستار من العلم والحكمة(٦١٥) .

هــذه الصبغة السياسية لا نجــدها فى بيت الحكمة ببغــداد ، فهى مؤسسة ثقافية عالية تهــدف الى نشر الحكمة والعلم والأدب ، نجــد فيها الشعوبى يجادل العربى ، ويؤلف الكتب فى ثلب العرب وتفضيل العجم عليهم ، والعرب هم الذين منهم الخليفة مؤسس الدار وحامى العلم والدين . ونجــد فيــه النصــارى بجانب المسلمين يتولون امور الدار ، ويقومون بالاشراف على الترجمة والتأليف فيه ، يشاركهم بهــذا الصابئة والمجــوس واليهود وغيرهم ، ومنزلتهم العلمية الخالصة — الخالية من كل تعصب دينى أو مذهبى أو عنصرى — فالروح العلمية هى السائدة فى الدار ، وحرية الكلام والمعتقدات مطلقة ، وتحكيم العقل والمنطق فوق كل اعتبار(٦١٦) .

وهكذا كان حرص الخلفاء والوزراء شــديدا قــويا على جعل أواصر المحبــة والتعاون بين من عملوا داخل بيت الحكمة دون تمييز بين احــد منهم جميعا دون النظر الى اللون أو الجنس أو العقيدة .

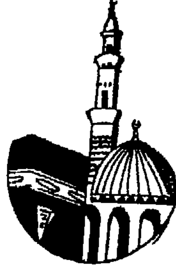
---

(٦١٤) سـعيد الديوه جى : بيت الحكمة ص ٥٠ ، ٥١ .

(٦١٥) سـعيد الديوه جى : بيت الحكمة ص ٥٢ .

(٦١٦) المرجع نفسـه ص ٥٣ .

# الباب الخامس



الفصل الأول : مكانة بيت الحكمة بين مدارس وجامعات العالم ·

الفصل الثانى : ازدهار العلوم الاسلامية فى بيت الحكمة ·

الفصل الثالث : مميزات بيت الحكمة بين الجامعات الحديثة ·

# الفصل الأول : مكانة بيت الحكمة بين مدارس وجامعات العالم



١ ــ أثر بيت الحكمة فى المدارس الاسلامية والجامعات الاسلامية فى العالم ·

٢ ــ بعث روح اليقظة الاسلامية الكبرى لمثيلاتها فى العصور الوسطى ·

٣ ــ انقاذ التراث العالمى من الفناء بجلب كنوز المعرفة من أنحاء العالم ·

**أولا ـ أثر بيت الحكمة فى المدارس الاسلامية والجامعات الاسلامية فى العالم :**

كان الجاحظ زعيما للبيان العربى ، وهو كذلك أحد زعماء المكتبة العربية ، التى كانت الصدر المقدم من مكتبات الدنيا فيما اسدت للانسانية والفكر العربى واللسان العربى من خير وما بسطته على ظلام المدنيات المتهافتة من نور . كان الجاحظ فى العصر الذهبى للأمة العربية ، عصر هارون الرشيد ، والعلوم والآداب والفنون يومئذ تزخر بها معاهد البصرة والكوفة وبغداد وسائر عواصم الاسلام(١) .

وكان المعين فياضا مترعا ، والعقول فى نشاط وثورة ، والتأليف والترجمة نهما دوى النحل فى كل صقع ، والدين الاسلامى يدعو الى العلم والنور ، والمال تلمع وجوهه فى عيون أهل الفضل ، فيذكى العزائم ، ويبرم العقد ، والعلم ولود ، وصاحبه كلما ارتوى منه عاد به فى سبيل الظمأ ، وحيثما شبع منه رجع به فى سبيل الجوع(٢) .

كما شهد به العلامة جوستاف لوبون : « ولذلك نال العرب درجة رفيعة من الثقافة بعد أن اتموا فتوحهم بزمن قصير ، وكانت لهم مبتكرات فيما ورثوه من علوم الأولين . والواقع أن حب العرب للعلم كان عظيما . وأن الخلفاء لم يتركوا طريقا لاجتذاب العلماء ورجال الفن الا سلكوها ، وان احد خلفاء بنى العباس شهر الحرب على قيصر الروم ليأذن لأحد الرياضيين المشهورين للتدريس فى بغداد ، وان كان العلماء ورجال الفن والأدباء من جميع الملل والنحل أخذوا يتقاطرون الى بغداد التى كانت مركز الثقافة العالمية كما أخذوا يتقاطرون الى عاصمة الأندلس قرطبة التى كانت مركزا للعلوم والفنون والصناعة »(٣) .

وكانت بغداد اثناء هذه النهضة كعبة العلم ، ومقصد العلماء ، ولما اضطربت أحوال الخلافة بعد زمن المأمون ، ونشأت الدولة الجديدة فى مصر والأندلس ، تفرق العلماء وأصبح للعلم مراكز جديدة ، وهكذا أثمرت بذور العلم التى القاها خلفاء النهضة العباسية فى جميع العالم الاسلامى . خراسان والرى وأصبهان وأذربيجان وما وراء النهر ومصر والشام والأندلس وغيرها(٤) . واقتدى

---

(١) الجاحظ : الحيوان ج ١ ص ٣٠ .

(٢) المصدر نفسه ص ٤ .

(٣) جوستاف لوبون : حضارة العرب ص ١٧ .

(٤) محمد عبد الجواد الأصمعى : أبو الفرج الأصبهانى ص ٥٧ .

حكام هـــذه البلاد بخلفاء النهضة العباسية فى ترغيب اهـــل العلم واستقدامهم الى عواصمهم كالقاهرة وغيرها(٥) . فكانت بغـــداد يومئذ اجمل مدن الأرض وفيها كل شىء جـــديد سواء كان ذلك فى خططها ومرافقها أم فى عقول أبنائها ونبوغ علمائهـــا يحمل اليها من الآفاق بدائع ما صنع البشر وانتجت عقولم وناهيك بعاصمة مملـــكة بنى العباس ، فكانت سيدة المـــالك ، ودرة البلدان ، وبها عرش أعظم خلفـــاء العباسيين هارون الرشيد وعبد الله المـــأمون . وكانت أعظم مدينة اسلامية حافلة بالعلماء والأدباء والمؤرخين واللغـــويين ، وازدهرت فيها المعارف والعلوم والآداب . وانبعثت ثمراتها فى عهده ، وها هى ذى بقايا آثارهم العلمية والأدبية تحـــدثنا بمـــا بلغوه من المكانة العليا فى تحصيل المعارف والاجادة فى كل انواع العلوم والآداب(٦) .

ولا يزال أهـــل البحثوالتنقير عن المخطوطات فى مكتبات العالم يكشفون لنـــا فى كل يوم بمـــا ينقلونه بالتصوير الشمسى من خفـــايا مؤلفاتهم ما يقضى منه العجب العجـــاب ، ويشهد بالأسبقية والرجحان . ولا غرو فقـــد كانت بغـــداد هى مهـــد الحضارة الاسلامية ، تلك الحضارة التى لا يزال أهـــل كل الأمم الراقيـــة يذكرونها مقرونة بالاعجاب والاحترام(٧) . ومنها انتشرت المعارف والعلوم والآداب التى كان لهـــا الأثر فى ترقية المدارك وانارة البصائر وتشهد بمـــا كان لعلمائها من مجـــد عظيم ومقام كريم . وكانت بغـــداد منبع العلوم ومنتدى الآدب فى ذلك العصر الذهبى الذى كان زاهيا بالعلوم والفنون ، زاهرا بالأدب والمعارف(٨) .

كما نافس أمويو الأندلس العباسيين فى بغـــداد والفاطميين فى المغرب . ومصر نافست قرطبة وبغـــداد والقاهرة وبخارى وغزنه وأصبهان وغيرها من أمهات المدن الاسلامية . وقـــد أصبحت قرطبة مركزا هاما للثقافة الأوروبية ، حتى أن الطلبـــة كانوا يفـــدون اليها من جميع أنحاء أوروبا ليتلقوا العلم على أساتذتها الاعلام ولم يكن تشجيع العلم والعلماء مقصورا على الخلفاء والأمراء وذوى اليسار ، بل كان للوزراء أثر كبير فى ذلك . فقـــد كان ابن أبى عامر الذى تولى الحجابة فى عهد هشام المؤيد بن الحكم المستنصر محبا للعلوم والآداب ، مكرما للمشتغلين بهـــا ، وكان يعقد

---

(٥) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى ج ٣ ص ١٦٧ ، ١٦٨ .

(٦) خطاب عطية على : ( **التعليم فى مصر فى العصر الفاطمى الأول** ) . ( القـــاهرة ١٩٤٧ م ) ص ١٠٥ .

(٧) محمد عبد الجواد الأصمعى : أبو الفرج الأصفهانى ص ١٠٦ .

(٨) المرجـــع نفســـه .

فى كل أسبوع مجلسا بقرطبة يجتمع فيه العلمـــاء والادباء للمناظرة بحضرته(٩) . فأصبحت حاضرة الاندلس ســوقا نافقة للعلم وكعبة لرجال الادب حتى جـذبت مساجدها الأوروبيين الذين وفـدوا اليها لارتشاف العلم من مناهـــله والتزود من الثقافة الاسلامية ، ومن ثم ظهرت فيها طائفة من العلماء والشعراء والأدباء والفلاسفة والمترجمين والفقهاء وغيرهم ــ كانت قرطبة ــ كما يقول المقرى ــ الغاية ومركز الراية وأم القرى وقرارة ( مستقر أو مركز ) أولى الفضل والتقى ، ووطن أولى العلم والنهى . وقلب الاقليم ، وينبوع متفجر العلوم ، وقبـــة الاسلام وحضرة الامام ودار صــوب العقـــول(١٠) .

فالاندلس وبغـــداد مركزان مهمان من مراكز الحضارة الانسانية امتازا بالتطور والازدهار فى جميع ميادين العلم والمعرفة والفن والعمران كما امتازا بالمعاصرة ــ وتبادلا معظم وسائل الثقافة فتلاحمت الأفكار والخبرات والمعارف ، كان حصيلة ذلك كله التراث العظيم لبغـــداد والاندلس الذى يتغنى به القريب والبعيد ، وينهل من معانيه السامية كل طلاب العلم والمعرفة(١١) .

وقـــد سادت بين الأندلس وبغـــداد علاقات نابعة من أصالة الروابط الاجتماعية والدينية والسياسية ، وكانت لتلك العلاقات نتائج ذات أثر واضح فى تطور مختلف مظاهر الحياة الاسلامية بوجـــه خاص والتقـــدم الانسانى بوجـــه عام . ولعل أبرز تلك الصلات هى العلاقات الثقافية ، وفى عهد ازدهار بغـــداد والأندلس والتطـــور الكبير الذى رافق مسيرة كل منهما انتقلت الكثير من عـــــوامل الحضارة فى ميادينها المختلفة ، وقام العـــديد من الرواد العلماء والأدباء والفنانين بزيارة المشرق والمغرب والأندلس وتمت عملية الامتزاج وانتقال التأثيرات الحضارية والتى كان لهـــا دورها الايجابى فى ربط وتعميق العلاقات بين الاخـــوة فى المشرق والمغرب والأندلس ، وكان لذلك فعله الواضح فى تعريف التراث بشكله الشامل لجميع العرب والمسلمين والعمل على حفظه من الضياع . وانتقلت كتب بغـــداد الى الأندلس فى شتى مواضيـــع العلم والمعرفة وأقبل على تناولها روادها وانكبوا عليها درسا ونقـــدا وتعليقا وانتقلت تلك

---

(٩) المراكشى ، محى الدين : ( **المعجب فى تلخيص أخبار المغرب** ) . ( مطبعه السعادة ــ القــاهرة ١٣٢٤ هـ ) ص ١٩ ، ٢٤ .

(١٠) المقرى ، محمد بن محمد المقرى التلمسانى : ( **نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب** ) حققه د. احسان عباس ( دار صادر ــ بيروت ، لبنان ١٣٨٨ هـ/١٩٦٨ م ) جـ ١ ص ٢١٨ .

(١١) د. حسين أمين ( **العلاقات الثقافية بين الأندلس وبغـداد فى العصر العباسى** ) مجـلة المؤرخ العربى ــ تغـداد العراق عـ ٢٤ ( ١٩٨٤ م ) ص ١١ .

التأليف من الأندلس العربية الاسلامية الى الامارات المسيحية فى الشمال ومنهـــا الى أروبا[١٢] .

وهكذا أصبحت الأندلس معبر الحضارة الانسانية والطريق الصالح لنقل تراث العرب والمسلمين الى أوروبا . وتعرفت أوروبا عن طريق العـــلاقات الثقافية بين الأندلس وبغـــداد على الكثير من المعارف والتجارب والمكتشفات العلمية ممـــا سهل على الأوروبيين الكثير من الجهـــد والوقت وصارت آراء جابر بن حيان والرازى فى جلب معارف وأعمال رجال العلم فى اوروبا كما أصبحت كتب العرب والمسلمين هى الاولى للتدريس فى جامعاتها .

كما وصـــل علماء رواد من المشرق الى المغرب والأندلس فكان هناك نخبة من العلماء الاجلاء ، قاموا بزيارة بغـــداد فكانت وقتذاك ، كعبة القصاد ومنارة العلم ومتعـــة الدنيا ، تستقطب الناس على مختلف الوانهم وأحـــوالهم لمـــا وصلت اليه من التقـــدم والازدهار فى كافـــة ميادين الثقافة والحضارة . ومن أبرز من زار حاضرة العباسيين الأديب الحافظ محمـــد بن الوليد بن محمد الأندلسى المعروف بأبى بكر الطرطوشى المتوفى سنة ٥٢٠ هـ/١١٢٦ م ، دخـــل بغـــداد والبصرة وتفقه على أبى بكر محمد بن أحمد الشاشى مدرس المدرسة النظامية . والمدرسة النظامية هى أم المدارس العراقية شيدها نظام الملك لتدريس فقه الشافعى والتى تعتبر من أشهر المدارس الاسلامية فى العصر العباسى . وممن زار بغـــداد من الأندلسيين سليمان بن خلف التجيبى الأندلسى البادى وهـــو من شرق الأندلس ورحـــل الى بغـــداد وأقام بهـــا ثلاثة أعوام يدرس الفقه ويقرأ الحـــديث ، ولقى بها سادة العلماء كأبى الطيب الطبرى الفقيه الشافعى والشيخ أبى اسحاق الشيرازى صاحب المهـــذب ، وأول مدرسى المدرسة النظامية . ومن الذين دخلوا بغـــداد من أهل الأندلس أبو محمد عبد العزيز ابن أحمد القيسى الأندلسى من أهـــل العلم باللغة العربية فاتصل بعلماء بغـــداد[١٣] فاستفاد وأفاد ، وتوفى هـــذا العالم سنة ٤٢٧ هـ/١٠٣٦ م .

كما زار بغـــداد رجل لـــه شهرته الواسعة وهـــو معروف عند جميع المثقفين العرب والمسلمين صاحب الرحلة المشهور محمد بن أحمد بن جبير الكنانى الأندلسى فأخـــذ بطريقة التدريس المسبقة فى المدرسة النظامية ووقف على حسن النظـــام

---

(١٢) المرجـع نفسـه ص ١١ ، ١٣ .

(١٣) المرجـع نفسـه ص ١٤ .

والتقــدم التدريسى فى تلك المدرسة العظيمة التى أدت دورها الكبير فى خــدمة التراث والحضــارة الانســانية[١٤] .

كما أنشأ الحاكم بأمر الله جمعية علمية ( أكاديمية ) على مثال ( الأكاديميات ) الموجودة ببغــداد وغيرها من البلاد وأطلق عليها دار الحكمة . فالتحــق بها عــدد من القراء والفقهاء والمنجمين والنحاة واللغويين والأطباء ، وألحــق بدار الحكمــة مكتبة أطلق عليها دار العلم ، حــوت ما لم يجتمع مثله فى مكتبة من المكاتب . وأجرى هــذا الخليفــة ومن جاء بعــده من الخلفاء على خــدامها ومن بها من الفقهاء الأرزاق السنية وجعل فيها ما يحتاج اليه المطالعون والنساخ من الحبر والأقــلام والمحــابر والــــورق[١٥] .

ذلك لأن دار الحكمة كانت جامعة حقة تضم عــدة حلقات وكليات دينية وعلمية وأدبية ، وأفردت للجامعة الجــديدة دار كبيرة ملاصقة للقصر الصغير بجوار باب التبابين تعرف بدار مختار الصقلبى ، وقسمت الى عــدة أقسام ومجالس للقــرآن والعلوم الدينية والفلك والطب والنحو وعلم اللغــة ، وعين لهــا أقطاب الأســاتذة فى كل علم وفن ، فكان التعليم فيها حرا على نفقة الدولة ، فهرع اليها الطلاب من كل صــوب ، ويصف المسبحى وهــو معاصر وشاهد عيان ، ما اتخــذ لانشاء دار الحكمة من عظيم الأهبة والعناية ، ما اجتمع فى مكتباتها العظيمة من نفائس المراجــع والكتب « ممــا لم يجتمع مثله لأحــد قط من الملوك »[١٦] .

كانت دار الحكمة فى ظاهرها جامعة حرة علنية يلتحق بها من يشاء ويدرس ما شاء من مختلف العلوم والفنون ، ولكن هــذا المظهر العلمى لم يكن فى الواقع الا ستارا للغــاية الأصلية التى أنشئت دار الحكمة لتحقيقها وهى بث الدعــوة الفاطميــة السرية بطريقة علمية منظمة[١٧] .

هــذه الصبغة السياسية والمذهبية لا نجــدها فى بيت الحكمة ببغــداد فهى

---

(١٤) المرجع نفسه ص ١٤ .

(١٥) المقريزى : الخطط ج ١ ص ٤٥٨ ، ج ٢ ص ٣٤٢ .

(١٦) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، **المخطوط لوحة** ٥٩ ب ، مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة .. مكتبة سراى أحمد باشا ، اسطنبول تحت رقم ٣٠١٣ .

(١٧) محمد عبد الله عنان : ( **الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية** ) ( مؤسسة الخانجى ـ القاهرة ١٣٧٩ هـ/١٩٥٩ م ) ص ٢٦٤ .

مؤسسة ثقافية عالية بل أكاديمية من أعظم الأكاديميات فى عصرها ، تهـدف الى نشر الحكمة والعلم والأدب ، كما أن الروح العلمية هى السائدة فى الدار ، وحرية الكلام والمعتقدات مطلقة ، وتحكيم العقل والمنطق فـوق كل اعتبار . بل انها اول جامعة اسلامية اجتمع فيها العلماء والباحثون ، ولجـأ اليها طلاب العلم والمعرفـة ليحققوا أكبر زاد علمى حتى يخرجوا بثقافة مختلفة الاتجاه تشكل علوم الطب والفلسفة والحكمـة(١٨) ، وغـيرها .

فكانت بيت الحكمة حجر الأساس لمدرسة بغـداد التى ظـل تأثيرها حتى النصف الثانى من القرن الخامس عشر . ويرجع الفضل الى هذه المدرسة الزاهرة فى الحفاظ على استمرارية الحضارة واصلاح سلسلة المعارف الانسانية التى حطمهـا بقسوة فى القرن السادس ، واضمحلال روما وسقوطها . ولو اقتصرت حضـارة الاسـلام على مجرد انقاذ الحضارة القـديمة والحفاظ عليها بعنـاية ثم نقلها للأجيـال التالية لكانت هـذه خـدمة تجل عن الوصف ، ولكن لم يكن الامر كذلك فان علماء وفلاسفة مدرسة بغـداد أضافوا وأثروا الحضارة القـديمة باضـافات مبتكرة فى كل فروع العلم ، باكتشافات بلا عـدد فى الفنون التطبيقية وفـوق كل ذلك باكتشاف طرق جـديدة للبحث والاستكشاف(١٩) .

ويشهد التاريخ لأمتنا بأنها حرصت منذ قامت دولتها الاسـلامية الكبرى ، على أن تكون المكتبات العامة حارسة للمخطوطات ، ومدارس مفتوحة الأبواب لطـلاب العلم ، ورصـد لهـا من الجهود والأموال ما جعلها مقصـد العلماء والطلاب فى زمن لم يكن يعرف سـوى الكتاب وسيلة لنشر المعرفة . وكان انشاء دور الكتب العامة من أقـوى الشواهد على تقـدير الدولة للتراث العلمى والأدبى ، ووعيها بقيمـة الكتـاب وخطر رسـالته(٢٠) .

وبدأت الدولة الاسلامية تأخـذ دورها القيادى للبشرية فى الحضارة المـادية والمعنوية فكانت نهضتها الفكرية والعلمية من دعائم هـذه الحضارة . فكانت عنايتها باحياء تراثها وتشييد دور الكتب تساير هـذه النهضة مؤثرة فيها ومتأثرة بها(٢١) .

---

(١٨) د. أحمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ١٨٤ .

(١٩) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ٨٠ .

(٢٠) د. عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماض وحاضر ص ١٧ .

(٢١) المرجع نفسـه ص ١٨ .

وظل بيت الحكمة ببغـــداد ، وكان يدعى أيضا دار العلم مزارا للعلماء من انحاء الدولة الاسلامية الكبرى ومقصـــدا لطلاب العلم والمعرفة ، لمـــدى قرون خمســـة تقريبا ، وكان علماء العربية والاسلام خارج العراق ، يجعلون رحلتهم الى بغـــداد واجبا علميا فيحجون الى بيت الحكمة ويطلعون على ما فيـــه من نفائس المخطوطات والافادة منها حتى لقيت مصيرها الفاجع مـــع سقوط بغـــداد[٢٢] على يد التتـــار ســـنة ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م .

وقـــد نهضت بغـــداد بهـــذا العبء على خير وجـــه فلم تترك لقرطبة مجـــالا فيه ، فكان الاتجاه لنشر الثقافة العربية التى بلغت عز نضجها واوج يهضتها[٢٣] .

فكانت النهضة العلمية تساير عصور القـــوة للدول الثلاث ، فكانت بيت الحكمة فى بغـــداد ومكتبة العزيز فى القاهرة ، ومكتبة الزهراء فى قرطبة عنوان هـــذه النهضة ورمزا معبرا عنها وآية من آيات عزها . كما كانت دور الكتب العامرة فى المشرق ، ومن أشهرها مكتبة المدرسة النظامية وخزائن كتب النجف الأشرف وخزانة سيف الدولة فى حلب والمدرسة النورية ومكتبة أبى الفـــدا فى حماة والظاهرية فى دمشق وبنى عمار فى طرابلس[٢٤] .

وفى المغرب الجامع الأعظم فى القيروان ، وجامع الزيتونة فى تونس ، وجامع القرويين فى فاس ، والحكمة فى مراكش ، والجامع الأعظم فى مكناس . وكانت هـــذه الدور الثقافية وأمثالها مما لا يتسع المجال لاستيعابه ، تعطى تفسيرا تاريخيا لهـــذه النهضـــة التى حملت أمتنا لواءها فى العصر الوسيط[٢٥] فقـــد أنتجت الضرورة أو الحاجـــة للاختصاص ، ومن ثم وجـــدنا جامعات تمتاز دون غيرها بدراسات تجيدها وتختص بهـــا فيقصـــدها الطلاب للاستفادة منها كمسجد الكوفة والبصرة ، حيث ازدهرت العلوم اللغوية ونما النحو العربى وتكونت المدرستان المشهورتان فى النحو : نحاة الكوفة ، وكان يغلب عليهم القياس ، ونحاة البصرة ويغلب عليهم السماع . وأثمر الاختلاف والتنافس بين المدرستين أطيب الثمرات فى رقى النحو وتقـــدمه وتحـــديد أهـــدافه ومقاصـــده[٢٦] .

---

(٢٢) المرجـــع نفســـه ص ٢١ .
(٢٣) المرجـــع نفســـه ص ٢٦ ، ٢٧ .
(٢٤) المرجـــع نفســـه ص ٢٨ .
(٢٥) فيليب دى طرازى : خزائن الكتب العربية فى الخافقين جـ ١ ص ١٥ .
(٢٦) د. عمر التومى الشيبانى : فلسفة التربية الاسلامية ص ٣٤٩ .

ان العالم لم يشهد قبل المسلمين أمة مثلهم ، أخلصت فى طلب العلم وجـدت فيه وبذلت الجهـد والوقت والمـال — وبلغت فيه الغايات التى بلغوها ، وكشفت الحقائق التى كشفوها[٢٧] . وكان نتيجة المنهج الواسع والعلوم الكثيرة التى كان يمكن لطالب العلم فى الوطن الاسلامى ان يدرسها ويجـد من يوجهه فيها من العلمـاء والمتخصصين فازدهرت الحركة العلمية ، واتسعت العلوم وكثر العلماء المبرزون فى كل فرع من فروع المعرفة وفى جميع العلوم والفنون بل فى جميع العلوم الأخرى بمـا فى ذلك العلوم الرياضية والطبيعية[٢٨] .

وفى القرن الثالث الهجرى اشتهرت مدينة بغـداد بالدراسات الفلسفية نتيجة لتشجيع الخلفاء لهـذا النوع من الدراسات ورعايتهم للترجمة والمشتغلين بها كالرشيد والمـأمون . بينما اشتهرت جامعة الفسطاط فى ذلك العهد بالدراسات الفقهية الشافعية لاقامة الامام الشافعى بها ووجود تلاميذ فيها حتى اصبحت مقصـدا للطلاب الراغبين فى الفقه الشافعى[٢٩] . كما اشتهرت جامعات المغرب بالعناية بالحـديث وانفقـه وتقصيرها فى العلوم النظرية من الفلسفة وفروعها[٣٠] .

وهكذا لو تتبعنا بقية الجامعات الاسلامية القـديمة لوجـدنا أن درجة تركيزها فى مختلف العلوم تختلف من قطر الى قطر ، وأحيانا من جامعة الى أخرى حتى فى القطر الواحـد . ولكن الذى لا مرية فيه أن جميع العلوم النافعة كان لهـا وجـود فى الجامعات الاسلامية اذا أخـذت كـكل[٣١] .

وممـا كان يساعد على الرحلات والأسفار العلمية وحـدة الوطن الاسلامى ، وانفتاح أجزائها بعضها على بعض وعـدم وجـود الحـدود المصطنعة بين أجزائه والرعاية الكريمة التى كان يلقاها طلاب العلم وسهولة الالتحاق بالجامعات الاسلامية وبساطة الطريقة التى يتلقى العلم بها ، فحسب الطالب فى العصور الوسطى أن توجد لديه الرغبة الحافزة والأستاذ المطلوب فيقصـد مجلسه ، وسرعان ما يصبح ضمن طلابه واصحابه ثم يظـل هكذا معه حتى اذا قضى وطره رحل عنه الى غيره ، سواء كان الأستاذ الجـديد فى بلده أم فى البـلاد الأخرى[٣٢] .

---

(٢٧) د. عبد الوهاب عزام : الاسلام والعلم فى الاسلام ، اليوم وغـدا ص ١٢٩ ، ١٥٩ .

(٢٨) د. عمر التومى الشيبانى : فلسفة التربية الاسلامية ص ٣٩٦ .

(٢٩) د. عمر التومى الشيبانى : فلسفة التربية الاسلامية ص ٣٩٤ .

(٣٠) محمد عبد الرحيم غنيمة : تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى ص ١٦١ ، ١٧٥ .

(٣١) المرجـع نفسـه ص ١٧٥ .

(٣٢) المرجـع نفسـه ص ٢٠٨ .

لقـد تركت الرحلة فى العالم الاسلامى آثارا طيبة كثيرة ، وكانت منبعا غنيـا بالخير والنشاط الدائم ، وسبيلا نافعا الى تحقيق التبادل الثقافى والتعاون الفكرى بين جامعات الاسلام وبلدانه(٣٣) وقـد بين العلامة ابن خلـدون مزاياها وفضـلها على العلم والتعليم بقوله : « ان الرحلة فى طلب العلم ولقـاء المشيخة مزيد كمال فى التعليم . والسبب فى ذلك أن البشر يأخـذون معارفهم وأخـلاقهم وما ينتحلون من المذاهب والفضائل ، تارة علما وتعليما والقـاء ، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة ، الا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين اشـد استحكاما وأقوى رسـوخا . فعلى قـدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها ـ . ( الى أن قال ) : فالرحلة لابد منها فى طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال ، والله يهـدى من يشاء الى صراط مستقيم »(٣٤) .

فالاغالبة يرجع اليهم الفضل فى نمو مدرسة القيروان وازدهارها . والمؤرخـون يذكرون كيف أنشأوا بمساجد القيروان حلقات التدريس كما أنشاوا مدارس جامعـة أطلقوا عليها اسم « دور الحكمة » وجلبوا لهـا الأساتذة من الشرق ، فكانت هـذه المدارس وما اقترن به انشـاؤها من انصراف القـائمين عليهـا للدرس والبحـث عاملا هاما فى رفع شأن لغـة العرب وثقافتهم(٣٥) .

وتاريخ المساجد الجامعة يرتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ التفكير الاسلامى ، ولا يمكن لمؤرخ الفكر ان ينسى ذلك الدور العظيم الذى أدته المساجد الجامعة فى نشر العـلوم والثقافة وفى المساهمة فى تكوين الحضارة الاسلامية(٣٦) .

ذلك أن المسجد الجامع كان فى نفس الوقت هـو الجامعة الاسلامية . وقـد بدأت المساجد الجامعة فى مختلف حواضر العـالم الاسلامى فى تأدية هـذه المهمـة العلمية الجليلة فى عصر مبكر ، وكان اضطلاعها بها فى البداية من الأمور الطبيعية التى تتفق مـع روح الثقافة الاسلامية الأولى ، وهى ثقافة كان يغلب عليها الطابع الدينى الاسـلامى(٣٧) .

---

(٣٣) المرجع نفسه ص ٢١٧ .

(٣٤) ابن خلدون : المقدمة جـ ٤ ص ١٢٦٥ .

(٣٥) د. حسن أحمد محمود : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(٣٦) د. عز الدين فراج : ( **فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوروبية** ) ( دار الفكر العربى ـ القاهرة ) ص ١٢٢ .

(٣٧) المرجع نفسه .

واستحالت المساجد الجامعة فى أنحـــاء العواصم الاسلامية الكبرى الى نوع من الجامعات الدينية والمدنية معـــا ، تدرس فيها الى جانب علوم القرآن والسنة ، علوم اللغـــة والأدب وما اليها . وهكذا رسخت صفة المساجد الجامعية بمضى الزمن ، ولم يكن مكانا للصـــلاة فقط ولكنه غـــدا فى نفس الوقت مدرسة أو جامعـــة يجتمع فيها مختلف العلماء أو يقصـــدها الطلاب فى غير أوقات الصلاة للدرس والقراءة على أيدى أولئـــك الأساتذة وقـــد كانوا على الأغلب أقطاب عصرهم فى العلم والدين(٣٨) .

وقـــد قام الجامع الأزهر بمهمته الجامعية منذ أواخر القرن الرابع الهجرى ، وما زال الى يومنا ، بعد ألف عام ، قائما بها ، ينشر من العلوم الاسلامية ما هو كثير وعظيم ، والجامع الأزهر لبث مدى قرون طويلة كأعظم الجامعات الاسلامية ، فقد تخرجت فيه أجيال متعاقبة من أقطاب العلماء من سائر أنحاء العالم الاسلامى . وقد ترك فى تاريخ الآداب العربية والعلوم الاسلامية أعظم الآثار فضلا عن أنه مسجد من أعظم المساجـــد الاســـلامية(٣٩) .

أما فى الأندلس فقـــد كانت المساجد الجامعة ، منذ قيامها ، على ما كانت عليه فى المشرق ، مراكز لدراسة العلوم الدينية واللغوية ، بيد أنها ما لبثت أن استحالت بسرعة الى جامعات علمية حقة ، يغلب عليها الطابع المدنى المتحرر ، ومنذ أوائل القرن الرابع الهجرى نرى جـــوامع الأندلس تبـــدو فى صفتها الجامعية الواضحة وتجـــذب اليها الطلاب ، ليس فقط فى سائر أنحاء شبه الجزيرة الأسبانية والمغرب ، بل ومن سائر أنحـــاء الأمم الأوروبية ، ومنهم كثير من الطلاب المسيحيين الذين كانوا يرون مثلهم الأعلى فى الدراســـات الأندلسية(٤٠) ، والتى كانت يومئـــذ تتفوق فى مناهجها **ومودادها** عى دراسات الأديرة ، وهى يومئذ مركز العلوم والدراسات الأدبية . **وقـــد** كان من هـــؤلاء الطلاب أعلام مثل الراهب « جـــوبير » الذى درس فى معاهـــد قرطبة وأشبيلية أيام المنصور بن أبى عامر وتولى البـــابوية فيما بعـــد باسم ســـلفستر الثـــانى(٤١) .

وكان جامع قرطبـــــة حاضرة الأندلس يومئذ تدرس فيه سائر العلوم الدينية والمدنية ، التى كانت معروفة وقتئذ ، ومنها طائفة من العلوم المحضة ، كالطب والرياضة

---

(٣٨) المرجع نفسه ص ١٢٣ .
(٣٩) المرجع نفسه ص ١٢٣ .
(٤٠) المرجع نفسه ص ١٢٣ ، ١٢٤ .
(٤١) المرجع نفسه ص ١٢٤ .

والطبيعة والفلك ، وهى علوم بلغت يومئذ بالأندلس ذروة التقـدم . وكانت تجـذب أنظـار الهيئات العلمية الأوروبية بازدهارها وتفوقها[42] .

وبجانب جامع قرطبة طائفة أخرى من المساجد الجامعة فى أشبيلية وطليطلة وبلنسية وسرقسطة وغيرها من قواعـد الأندلس ، تؤدى نفس المهمة الجامعيـة والثقافية الجليلة ، وكلها تزدحم بالطلاب من سائر أنحـاء شبه الجزيرة وأنحـاء البلـدان الأوروبية المختلفة[43] ولا أحسب التاريخ يعى تعاون الأمم على العـلم والتعليم ، والتمحيص والتحقيق كما تعاونت الأمم التى جمعتها أخـوة الاسـلام ، وألفت بينها عقائده وشرائعه وعـدالته ومرحمته ودعـوته الى العلم والعمل .

وهكذا ظلت بيت الحكمة قائمـة تشيع الحكمة والمعرفة مشرقا يتلألا ومعلـما من معالم الحضارة الباقية تؤثر وتتأثر فى المدارس الاسلامية والجامعات الاسلامية فى العـالم[44] .

فالتاريخ هـو رقيب الحياة يسجل الأحـداث ، ويحفظها لمن يطلع عليهـا ، ليقرأ فى ضوئها المـاضى ، ويستمد منها العظة للحاضر ويخطط فى هديها المستقبل .

---

(٤٢) المرجع نفسه ص ١٢٤ .

(٤٣) المرجع نفسه ص ١٢٤ .

(٤٤) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ص ٢٧٤ .

## ثانيا — بعث روح اليقظة الاسلامية الكبرى لمثيلاتها فى العصور الوسطى :

ازدانت بغـداد ببيت الحكمة التى اكسبتها مجـدا وعزا ، وجـذبت اليهـا العلمـاء والطلاب من مختلف أقطار العالم الاسـلامى الكبير ، وقـد كان الأمراء والخلفـاء يشجعون العلم والعلماء ، ويجمعونهم من الأقطار ويغـدقون عليهم العطايا والهبات مما كان لـه الأثر فى اقبال العلماء على الدرس والتحصيل وتشجيعهم على التأليف والابتكار[٤٥] .

ويتحـدث المؤرخون فى اعجاب واكبار عن الخليفة المـأمون الذى جمع حوله جمهرة كبيرة من العـلماء ارتفع بهم بلاطـه وزين ملكه ، والذى بلغ بيت الحكمة فى عهده الذروة . كما يتحـدثون عن الحاكم بأمر الله الذى كان يحضر مجالس العلم والذى أنشأ دار الحكمة بالقاهرة ونقـل اليها من قصره من الكتب ما لم ير مجتمع قط لأحـد من الملوك والأمراء والذى أوقف أوقافا سخية على الأزهر ودار الحكمة ودور العلم[٤٦] . وهكذا حرص الفاطميون على أن تزدان القاهرة بمكتبة تضـارع بيت الحكمة عظمة وشهرة .

وظـل المـأمون ينهض بأمته ويعمل على رفعة شأنها ، وينشر العلم فى أنحائها . حتى وصـل بها الى أسمى الغايات وأحلها أعلى مكان[٤٧] كما كان مثالا فى سـائر اسباب النهضة العلمية ، فاقتدى به بنو أمية فى الأندلس وتشبه به الحكم بن الناصر الذى تولى الخلافة ( ٣٥٠ هـ وتوفى ٣٣٦ هـ ) اذ كان معجبا بالعلوم مكرما لأهلهـا جماعا للكتب بأنواعها ، فانشأ فى قرطبة مكتبة جمع اليها الكتب من أنحـاء العـالم فكان يبعث فى شرائها رجالا من التجار ومعهم الأموال ويحرضهم على البذل فى سبيلها لينافس بنى العباس فى اقتناء الكتب وتعريبها[٤٨] .

فاجتمع لـه من الكتب ما لم يسبق لـه مثيل فى الاسلام فجعلوها فى قاعات خاصة من قصر قرطبة ، واقاموا عليها مديرا ومشرفا ووضعوا لهـا الفهارس لـكل موضوع على حـدة واقتدى بالحكم بن الناصر رجال دولته وعظماء مملكته وأنشـأ المكاتب فى سائر بلاد الأندلس حتى قالوا ان غرناطة وحـدها كان فيها سـبعون

---

(٤٥) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٢٦٧ .

(٤٦) المرجع نفسه ص ٢٧٣ .

(٤٧) د. عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ٤٧ .

(٤٨) المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ١٨٦ .

مكتبة من المكتبات العامة وأصبح صاحب الكتب فى الأندلس صفة فى أهلها ، وأصبح اقتناؤها من شارات الوجاهة والرقى عندهم(٤٩) .

وفى عهد الحكم الثالث وهو ابن عبد الرحمن الثالث الذى كان مثل أبيه عظيم الشغف بجمع العلوم ونشرها ، وصل عدد الكتب الموجودة فى مكتبة قرطبة نحو نصف مليون كتاب ووضع لها فهرسا مكونا من أربعة واربعين كتابا بكل منها خمسون صفحة وأرسل مثل أبيه فى طلب العلماء والكتب من جميع مراكز العلوم فى اليونان وبيزنطة ومراكز الحضارات الثقافية فى البلاد العربية بشراء أحدث المؤلفات(٥٠) . وكان لا يبخل فى دفع ثمنها مهما كان باهظا حتى قيل ان النسخ الأصلية من المؤلفات كانت تظهر فى مكتبة قرطبة قبل أن تظهر النسخ الأخرى منها فى بلاد الشرق العربى . وكانت هذه المكتبة تفوق فى عظمتها مكتبات القاهرة وبغداد والاسكندرية لما كانت تحويه من الكتب النادرة وبلغ من حرص الحكم فى اقتنائه للكتاب انه كان يعمل جهده فى أن يظهر الكتاب الحديث فى مكتبة قرطبة قبل أن يظهر فى موطن مؤلفه ، لقد ترامى الى مسامعه أن أبا الفرج الأصفهانى — عالم العراق — الف كتابا يسمى الأغانى فبعث لهذا الكتاب ، فيبهر المؤلف ، ويؤخذ لكرم الخليفة القرطبى وسخائه فى عطيته ، ثم يسرع فيرسل اليه الكتاب مصحوبا بقصيدة يطرى فيها الخليفة الأموى والبيت الأموى(٥١) وهكذا نافست قرطبة فى عظمتها القيروان وبغداد والقاهرة وبخارى ودمشق وأصبحت قبلة الشعراء والكتاب والفنانين والعلماء حتى أن قرطبة لم تكن فى عهد من عهودها أغنى واكثر ازدهارا فى أى وقت كانت عليه فى عهد الناصر(٥٢) .

واللافت للنظر حقا أن تأسيس مكتبة الزهراء بقرطبة ، يكاد يعاصر مكتبة العزيز بالله فى القاهرة فقد ولى المنتصر بالله الخلافة الأموية بالأندلس من سنة ٣٥٠ هـ/٣٦٦ هـ وهو العام التالى لخلافة العزيز الفاطمى بمصر . وكما عد المؤرخون عهد الرشيد وابنه المأمون عصر القوة فى الدولة العباسية ، عدوا كذلك عهد المعز لدين الله وابنه العزيز بالله عصر الازدهار للدولة الفاطمية ، وعهد الناصر وولده المنتصر ، العصر الذهبى لدولة العرب والاسلام بالأندلس . وهنا وهناك كانت النهضة العلمية تساير عصر القوة للدول الثلاث : الدولة العباسية

---

(٤٩) المصدر نفسه ص ١٨٧ .

(٥٠) المقرى : نفح الطيب ج ١ ص ٣١٨ .

(٥١) المصدر نفسه ج ١ ص ١٨٠ .

(٥٢) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ٣٦٤ .

والفاطمية والأموية . فكان بيت الحكمة فى بغــداد ومكتبة العزيز فى القاهرة ومكتبة الزهراء فى قرطبة عنوان هــذه النهضة ورمزا معبرا عنها وآية من آيات عزها(٥٣) .

وكانت جامعة قرطبة ومكتبتها مراكز للعلوم والترجمة من اليونانية والهندية وغيرهما من الكتب القــديمة الى اللغــة العربية ، ومن تلك الذخائر الثمينة مؤلفات ديستوريدس التى كان قــد ترجمها من قبل حنين بن اسحاق فى عصر بنى العباس فى بغــداد وترجمها « نيلولا » اليونانى من اليونانية الى اللاتينية ، فكانت هــذه الترجمة تقارن بترجمة جنين بن اسحاق وان جاءت شروح نيلولا اضبط لأنواع النبات ووصفها ، والبلاد التى تزرع فيها وفــوائدها الطبية(٥٤) .

ونشطت حركة الترجمة فى عهد المنتصر بالله كما نشطت فى عصر الرشـــيد والمــأمون بالمشرق ، مــع فرق واضح قضت به طبيعة الظروف وتفاوت الأوضاع : ففى بغــداد اتجهت الترجمة الى النقــل عن اللغــات القــديمة غير العربية ، أما فى قرطبة فكان النقــل عن اللغــة العربية الى اللغــات الأجنبية وبخاصة اللغتين الأسبانية واللاتينية . وكما كان المتعربون فى المشرق يجيدون لغاتهم الأولى وكثرتهــا شرقية ، كان كثير من أهــل الأندلس يتقنون الأسبانية واللاتينية . ونضيف الى هــذا الفارق بين البيئتين ، أن المكتبة العربية الأولى فى بغــداد ، اهتمت بالانتفاع بتراث الفكر القــديم ، لتغــذى الفكر الاســلامى ، بروافــد ســخية من ماضى المعرفة ، أما فى الأندلس ، وقــد نهضت بغــداد بهــذا العبء على خير وجه فلم تترك لقرطبة مجالا فيه ، فكان الاتجاه الى نشر الثقافة العربية التى بلغت عــز نضجها وأوج نهضتها(٥٥) .

والذى يعرف التاريخ يجــد فيه فضل المــأمون على النهضة الفكرية فى شــد أزرها ورفع قواعــدها ، ففى عهده ازدهرت العلوم ونشطت الترجمة ، وأقبــل الناس على المعرفة يلتمسونها فى آثار السريان واليونان وســـواهم من الأوائل ، ويبدو من أسباب ذلك الانتعاش الذى أصاب الحياة الفكرية أن المــأمون نفسه كان يسهم فيه بحظ غير قليل فيمارس اكتساب المعرفة بطرق علمية تجريبية غير مكتف بما يقرأ وما يسمع وغير قانع بمــا يحصل عليه من تلك الطرق(٥٦) .

---

(٥٣) د. عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماض وحاضر ص ٢٨ .

(٥٤) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٢٦٨ .

(٥٥) د. عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماض وحاضر ص ٢٦ ، ٢٧ .

(٥٦) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٢٧٢ ٣٧٢ .

وعاش العلماء العرب عصرا ذهبيا انعكس على آلاف الكتب التى وضعوها فى مختلف العلوم وشتى الموضوعات ، تضمنت نظريات جديدة وآراء مبتكرة وأبحاثا قيمة ، وأفكارا فريدة ، ولقى العلماء كل تكريم من الخلفاء والحكام ففتحوا لهم الأبواب واغدقوا عليهم العطاء وذللوا لهم الصعاب ، وكانوا يجلسون اليهم دائما ، وضرب المأمون العباسى مثلا أعلى فى ذلك فكان يخلو بالحكماء ويأنس بمناظرتهم ويلتذ بمذاكرتهم ويعتبرهم صفوة الله فى أرضه ونخبة عباده مما جعل للعلماء مركزهم ومنزلتهم الرفيعة فى الدولة الاسلامية فى أوج مجدها وعظمتها ، وبالتالى مما شجعهم على العمل والدرس والكتابة فتعدد انتاجهم وازدهرت الحضارة بفضلهم(٥٧) .

فالمأمون كما يصفه HUGHES (٥٨) أزهر فترة فى تاريخ النهضة بالعالم الاسلامى ، اذ كان الخليفة نفسه عالما من أساطين العلماء ، واختار أصحابه ورجال دولته من الصفوة الأفذاذ فى الشرق والغرب ، هذا الى جانب الاساتذة والمستشارين والمترجمين والمفكرين الذين حلى بهم بلاطه وزين ملكه . ومن هنا تعددت مراكز البحث فى العواصم العربية حتى أصبحت بغداد والبصرة والكوفة ودمشق والقاهرة وقرطبة بمثابة مشاعل متوهجة ترسل أنوارها للعالم كله ومقصدا للعلماء والباحثين يجتذبهم نورها من كل صوب .

ولا شك أن انتشار المكتبات العامة فى أرجاء العالم الاسلامى فى العصور الوسطى قد بعث روح اليقظة الاسلامية الكبرى لمثيلاتها فى العصور الوسطى باتباعها هذه الأنظمة ، وفتح أبوابها لكل قارىء ، وتسخير كل هذه الامكانيات لخدمته ، دليل ناطق على تقدم العرب الفكرى والعلمى ، ومدعاة للفخر ، ويسجل لهم ولتاريخهم بمداد من نور(٥٩) .

---

(٥٧) محمد ابراهيم الصيحى : العلوم عند العرب ص ٨ .

(٥٨) HUGHES : Dictionary of Islam, p. 295, 196, London, 1885.

(٥٩) محمد ابراهيم الصيحى : العلوم عند العرب ص ٨١ .

**ثالثا ـــ انقاذ التراث العالمى من الفناء بجلب كنوز المعرفة من انحاء العالم :**

أما فى العصر العباسى فأصبحت الدبلوماسية وسيلة لتبادل العلاقات الودية بين الدول وغيرها ، وتقـدم فن الدبلوماسية ، فأصبح التمثيل السياسى بين الخلفاء واباطرة الروم ذا طابع يجعل نطاق العلاقات الدولية متعـددة الأغراض بين السفارات حتى تعـدت السفارات بين الدول الاسلامية والقسطنطينية ودولة الفرنجة والهند والصـــين[٦٠] .

كان السفراء العرب يختارون على أسس غاية فى الدقـة لا تختلف كثيرا عن النظم التى تتبع الآن . كان الخلفاء يقومون بأنفسهم باختيار المرشحين للسفارة بعـد أن ينتهى رجال الدولة من بحـوثهم ودراساتهم عن أولئك المرشحين . وكان رئيس ديوان الرسائل يتولى التمهيد لاختيارهم واعـداد الكتب التى يحملونها . واهتمت مصر ولا سيما فى العهد الفاطمى بهـذا الذى عرف باسم « ديوان الانشاء »[٦١] وصار يقوم بالمهام التى تقوم بها وزارة الخارجية فى العصر الحديث . وحرص الخلفاء بالرغم من هـذه الادارات الدقيقة على أن يتولوا هم أنفسهم اختيار السفراء ، فكان يتصف من يقـع عليه الاختيار بالذكاء ونفاذ الرأى وحصافة العقل وسعة الثقافة ، تجعله يستنبط غوامض الأمور ، ويستكشف سرائر القلوب ، ويجب أن يكون فصـيحا ليعجب السامع بحـديثه ويسحره بحلاوة لسانه ، ثم ليكون كلامه ممتعـا أنيقـا يوصـل الى الهـدف المطلوب[٦٢] .

وقـد اختير كثير من القضاة والفقهاء والمتصوفين لأعمال السفارات كما انتخب من موظفى الدولة كالوزراء والكتاب والأطباء من يصلح لمهام الوفادة[٦٣] . وقـد امتد نشاط السفراء العرب الى غربى أوروبا حين ولى شارلمـان شئون دولة الفرنجـة وبعث بسفارة الى الخليفة هارون الرشيد لعقد تحالف معه[٦٤] .

واستدعى هارون الرشيد أحـد خاصته وعهد اليه . وقال له : اتانا من ملك

---

(٦٠) المقرى : نفح الطيب ج ١ ص ١٦٣ .

(٦١) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ١٠٧ .

(٦٢) د. عز الدين فراج : فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ١٤٩ .

(٦٣) المرجع نفسه ص ١٥٠ .

(٦٤) د. ابراهيم العدوى : ( **السفراء العرب الى أوروبا فى العصور الوسطى** ) . ( دار المعارف بمصر ـ القاهرة ١٩٥٧ م ) ص ٧٥ .

الفرنجة رسول يقرئنا منه السلام ، ويلتمس جميع رعايتنا بمن يحج الى بيت المقدس ، فرأينا أن نوجهك بهدايا تطلب اليه أن يتقبلها فى سبيل المودة . وكان الخلفاء وأباطرة الروم يتبادلون السفارات الخاصة لدراسة الكتب النادرة واستقدام كبار العلماء للاسهام فى الحركة العلمية أو لتسهيل مهمة بعض الطلاب لتلقى العلم فى الجامعات الكبرى فى عواصم دول العرب والروم ، ولا سيما اذا كانت تتعلق بأمور تفيد الناحية الحربية(٦٥) ولم تقتصد السفارات الثقافية الى طلب الكتب النادرة وغيرها فحسب وانما امتدت الى دراسة الأماكن التاريخية التى تتعلق بأحداث العرب أو بما ورد ذكره فى القرآن الكريم — ومن أشباه هذه الاتصالات العلمية — تلك السفارة التى أرسلها الخليفة الواثق الى افسوس بآسيا الصغرى . وكانت تابعة لدولة الروم لتزور الكهف الذى آوى اليه من فروا بدينهم فى عهد الامبراطور دقلديانوس ، ومنح امبراطور الروم ميخائيل الثالث تلك السفارة العربية اذنا بهذه الزيارة(٦٦) .

وكان عندما يتم تجهيز بعثة السفير وتتهيأ لمغادرة البلاد الاسلامية يزود السفير وهو رئيس البعثة بخطاب اعتماد يحرره ديوان الرسائل باسم الدولة الاسلامية مخاطبا رئيس الدولة الموفد اليها السفير مبينا اسم السفير وأعضاء البعثة مع بيان ألقابهم(٦٧) .

وقد أدرك الخلفاء العباسيون بثاقب بصيرتهم أن الثقافة من أهم العوامل التى ترتكز عليها النهضة الصحيحة ، ومن أمتن الأسس التى تشيد عليها صروح المجد والسؤدد ، ومن أقوى مقومات الشخصية الدولية أن الاسلام قد جعل العلم فريضة على كل مسلم وأوصاهم بطلبه من المهد الى اللحد وحثهم على السعى وراءه أينما كان ومن أى وعاء خرج(٦٨) . لذلك فقد خرج الخلفاء من الاطار الدينى المحدود ، وراحوا يولون العلوم الدخيلة كل عنايتهم ، مستمدين اياها من أربعة مصادر رئيسية : الهندية ، الفارسية ، اليونانية ، السريانية ، وذلك عن طريق نقل ثقافات هذه الأقوام الى لسانهم(٦٩) .

---

(٦٥) د. عز الدين فراج : فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ١٥٠ .
(٦٦) المرجع نفسه ص ١٥٠ .
(٦٧) المرجع نفسه ا ص ١٥٠ .
(٦٨) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٢٩٩ .
(٦٩) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ص ٣٠٠ .

لكن تنظيم هـذه الصفات الثقافية تم على أكمل وجـه فى عهد المـأمون حكيم بنى العباس الذى سـخر كل الامكانيات وطرق كل السبل ليعثر على الكنوز الفكرية الحبيسة فى مكتبات القسطنطينية أو قبرص . ولما احتل هارون الرشيد مدينتى عمورية وأنقرة أمر بالمحافظة على مكاتبها وانتدب العلماء والتراجمة من بغداد لاختيار الكتب القيمة منها ، والتى ينـدر وجودها عنـد غيرهم من الأمم ، فاختاروا الكتب النفيسة النادرة فى الطب والفلسفة والفلك ، ونقـلوها الى بغـداد ، وولى هارون الرشيد أمر هـذه الكتب الى يوحنا بن ماسويه اكبر أطباء عصره وجعل لـه من يساعده بترجمتها[٧٠] .

كما كان المـأمون شغوفا بعلوم الحكمة ، وجـه همـه الى توسيع دوائرها المختلفة ، فأرسل فى طلب كتبها من مختلف الأقطار ، واجتمع لديه عـدد كبير منها . واختار لهـا المترجمين من اللغات المختلفة : اليونانية ، السريانية ، الفارسية والهندية والحبشية ، فتوسع بيت الحكمة وازداد عـدد كتبه بمـا يضاف اليه من الكتب المختلفة التى يؤتى بها من آسيا الصغرى والقسطنطينية وجزيرة قبرص ، وما كان يجمعه السريان من كنائسهم وأديرتهم فى الشام وبلاد الجزيرة فعهد بأمر هـذه الكتب الى اجـل العلماء وأفصحهم[٧١] .

روى ابن النـديم ان المـأمون كان على اتصال بالامبراطور ليو الارمنى وقـد استظهر عليه المـأمون فكتب الى ملك الروم يسأله الاذن فى انفاذ ما يختار من العلوم القـديمة المخزونة المدخرة ببلـد الروم فأجاب الى ذلك ، فأخرج المـأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلم صاحب بيت الحكمة ، فأخـذوا ممـا وجـدوا ما اختاروا ، فلما حملوه اليه أوصاهم بنقله فنقل . وقـد قيـل أن يوحنا بن ماسويه ممن نفـذ الى بلـد الروم . قال محمد بن اسحاق : ممن عنى باخراج الكتب من بلـد الروم أبناء موسى بن شاكر المنجم الذين ارسلوا فى طلب المخطوطات وأجزلوا العطاء لمن يقوم بترجمتها من أمثال حنين بن اسحاق وثابت بن قرة فجاءوا بطرائف الكتب وغرائب المصنفات فى الفلسفة والهندسة والطب ، وكان قسطا بن لوقا قـد حمل معه شيئا فنقله[٧٢] .

---

(٧٠) ابن القفطى . اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٤٩ .

(٧١) المسعودى : مروج الذهب ج ١ ص ٤٨ .

(٧٢) ابن النـديم : الفهرست ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

ويبدو ان بعثات الكشف عن كنوز الكتب لم تترك مكانا اينعت فيه الثقافة الهيلينية الا وذهبت اليه . وكانت هذه الصفقات يذكيها شغف المأمون الغريب بالفكر الاغريقى هذا الشغف الذى كان يشغله حتى فى نومه فأخذ يسعى بشتى الطرق للحصول على كتب الحكمة المختلفة ، فكان يرسل العلماء وأهل الرأى الى بلاد الروم وغيرها لكى يفتشوا عن الكتب النادرة ، ويرغبوا أصحابها ببيعها ، فجمعوا منها كل نفيس ونادر(٧٣) . وممن دخل بلاد الروم لتحصيل الكتب فى الفلك والنجوم للخليفة المأمون هو يحيى بن أبى منصور المنجم المأمونى ، وهذا أحد علماء بيت الحكمة ، فتوغل فى بلاد الروم ، وجمع نفائس الكتب التى تبحث فى ذلك(٧٤) .

وسافر قسطا بن لوقا البعلبكى الى بلاد الروم ، وحصل الكثير من تصانيفهم ، وعاد الى الشام ثم استدعى الى بغداد ، ليترجم الكتب من اليونانية الى العربية ، ويذكر ابن النديم : انه كان يقدم على حنين لفضله ونبله ، وتقدمه فى صناعة الطب ، وكان بارعا فى علوم كثيرة منها : الطب والفلسفة والاعداد والموسيقى فصيحا باللغة اليونانية جيد العبارة بالعربية ، لذا عهد اليه بترجمة كتب عديدة ، فكان من التراجمة المعدودين الذين يعول عليهم(٧٥) .

ودخل بلاد الروم حنين بن اسحاق العبادى وجد فى تحصيل كتب الحكمة ، وبذل غاية امكانه فى ذلك ، كما انه اغتنم فرصة وجوده فى بلادهم فتعلم اليونانية وأحكمها ، وعاد الى بغداد ومعه تحف نادرة من كتب الحكمة ولازم بنى موسى بن شاكر ورغبوه فى نقل الكتب الى العربية ، وكان حنين أحد أعاظم العلماء الذين خدموا بيت الحكمة بما نقله اليها والفه فيها(٧٦) .

وصارت بغداد قبلة العالم الاسلامى فى العلوم والمعارف اجتمع فيها علماء أعلام خدموا التراث الانسانى أجل خدمة بما ترجموه من الكتب النفيسة . وما الفوه من العلوم المختلفة ، وما أبدوه من آراء ونظريات .

ان حركة الترجمة التى قام بها العرب ، بعد اتصالهم بغيرهم من الأمم

(٧٣) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٦٧ .
(٧٤) ابن النديم : الفهرست ص ٣٨٠ ، ٣٨٤ .
(٧٥) المصدر نفسه ص ٤١٠ ، ٤١١ .
(٧٦) ابن القفطى : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٧٣ ، ٢٤٠ .

اطلعتهم على علوم ومعارف لم تكن معـــلومة عندهم ، ومما وجـــدوه من المؤسسات الثقافية فى البلاد التى فتحوها أو التى اتصلوا بها هى « دور الحكمة » أو « دور العلم » فوجـــدوا فى الاسكندرية « دار علم »(٧٧) ، استعان العرب بعلمائها فى ترجمة وشرح كتب الحكمة ، وكان فى أخمين(٧٨) من بلاد مصر ــ دار حكمة ــ لا تقـــل أهمية عن علم الاسكندرية ، وفى الأندلس « بيت الحكمة » حـــوت نفـــائس الكتب والمصورات ، وكان فى بلاد الروم وقبرص دور حكمة(٧٩) .

فاجتمع فى بيت الحكمة ببغـــداد نخبة ممتازة من العلماء والاطبـــاء والفلكيين واصحاب الصناعات والحيل ، وترجموا مختلف الكتب التى تبحث فى شتى العـــلوم والفنون والمعارف والصناعات ، وبلغ بيت الحكمة منتهى التقدم فى عهد المـــامون(٨٠) .

وهكذا كانت أهم وجوه النشاط العلمى فى العالم تجرى فى بيت الحكمة فى بغداد من اجـــل انقاذ التراث العالمى من الفناء بجلب كنوز المعرفة من أنحاء العالم(٨١) . وممـــا ساعد على ذلك ان انتقل الى لغـــة العرب تراث الأمم القـــديمة المتحضرة من مصرية ويونانية وهندية وفارسية ، وانصبت هـــذه الروافـــد كلها فى التراث العربى وتفاعلت معـــه فى ضـــوء خبرات العرب الحسية ، وتأملاتهم العقلية ، وكان منهـــا ذلك التراث العلمى الذى يحفل بمظاهر الاصـــالة والابتكار . وكان يقوم بالترجمة فى العادة مجموعة من المترجمين يشرف على كل منها رئيس يراجـــع أعمالهم ويصـــحح أخطاءهم ويقف وراء حركتهم الخلفاء والأمراء من محبى العلم يمـــدونهم بالمـــال ، ويتعهدون أهلهـــا بالتشجيع(٨٢) .

ويرجع هـــذا الى حرص الخلفاء والأمراء على اجتذاب العلماء من كل الملـــل الى بلاطهم وأجزلوا لهم العطاء وتولوهم بالرعاية والتقـــدير وتكريما للعلم وأهله احتـــل المسلمون وغير المسلمين منهم مكانا مرموقا فى الدولة العربية الاسلامية(٨٣) .

---

(٧٧) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٥٢ .

(٧٨) المصـــدر نفســـه ص ١٢٧ .

(٧٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ١٣٦ ، ١٣٨ .

(٨٠) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١١٧ .

(٨١) د. على عبد الله الدفاع : موجز فى التراث العربى الاسلامى ص ٦٣ .

(٨٢) د. عز الدين فراج : فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ٢١٢ .

(٨٣) المرجع نفسه ص ٢١٤ .

وليس هــذا غريبا على خلفاء الدولة العباسية حتى أن هــدد احــد خلفاء بنى العباس بالحرب قيصر الروم اذا لم يأذن لعــالم رياضى معروف بالتدريس فى جامعــه بيت الحكمة ببغــداد .

ولم تفتر هــذه الحركة انمــا بقيت على شــدتها زمن المعتصم والواثق وأغلب الظن أن صفقات مماثلة عقــدت مع الهنود والزرادشت وأباطرة الصين . ويقــول سيديو : « ان العباسيين شغفوا بالعلوم الأدبية ، فأحضروا من القسطنطينية الكتب اليونانية وترجموها الى العربية ، وفتحوا ببغــداد مدرسة ألسن لتربية المترجمين ، ورتبــوا خمسة عشر الف دينار لمدرســة يتعلم بها مجانا ستة آلاف تلميذ من الفقراء والأغنياء وانشأوا كتبخانات رخصوا الدخول فيها لمن أراد فانتشرت اللغة العربية(٨٤) فى سائر جهات آسيا حتى تكلموا بها بدلا من لغتهم » .

والحق أن الذى سهل على بعض العقليات العربية المبتكرة عملية الاضــافة والابتكار والخلق هــو فضيلة الصبر والدأب التى هى عــون على البحث والوصول الى النتائج ذات الجــدوى(٨٥) .

وليس هــذا غريبا أيضا على أمة العرب والمسلمين الذين حملوا هــذه الحضارة وعمــلوا على اشاعتها لأن دينهم يدعــو الى الحضارة والتقــدم . ويدعــو الى طلب العلم من المهــد الى اللحــد ، والتماسه من اى مكان مهما بعــد ــ وقــد أقبلوا على الثقافات المختلفة يغترفون منها ويحيلونها الى ثقافة حية نامية تخــدم الحياة ، وترفع مستوى المجتمع ، فهم لم يكتفوا بالنقــل بل اتحفوا عناصر المدنية التى اقتبسوها من جيرانهم من الشعوب التى استولوا عليها بالشىء الكثير من ابداعهم وتشيد بفضلهم وتنــوه بجهــودهم(٨٦) .

يقول ديبــور : « اما أن تكون رقعة الأرض فى عهدهم حينئذ ــ كانت أقــل من مساحتها الحالية أو أن الأرض كانت تطــوى من تحت أرجلهم » . وهــو على يقين من أن شيئا من ذلك لم يكن ولكنهم بعلمهم وبصــدق صلتهم بربهم ونصرتهم لدينهم وعقيدتهم ووحــدة صفوفهم حققوا ما يشبه المعجزات(٨٧) .

---

(٨٤) سيديو : خلاصة تاريخ العرب العام ص ١١٣ ، ١١٤ .

(٨٥) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ص ٣٦٩ .

(٨٦) المرجع نفسه ص ٣٧٥ .

(٨٧) د. عبد الحليم محمود : ( أسس الاسلام فى بناء المجتمع ) محاضرات الموسم الثقافى ــ أبو ظبى ( ١٣٩٤ هـ/١٩٧٤ م ) ص ١٠ .

# الفصل الثانى : ازدهار العلوم الاسلامية فى بيت الحكمة



١ ـــ تأثير بيت الحكمة فى العلوم الاســلامية .

٢ ـــ نشر التعليم والمعرفة بين المسلمين وحثهم على طلب العلم والمعرفة .

٣ ـــ ادخال نظام جــديد للمكتبات على العالم الاســلامى .

## اولا ـ تأثير بيت الحكمة فى العلوم الاسـلامية :

### عـلم الـكلام :

ان الثقافة بلغت أوجها وانتهت الى غايتها ، وان مجالس الخلفاء أنفسهم كانت مدارس علم ـ ومواطن معرفة وملتقى أفكار ـ ومنارات اشعاع حيث تحتك العقول وتتصارع الآراء ، بين أقطاب الثقافة وفحول العلم والمعرفة(٨٨) .

لقـد نصبت المعتزلة نفسها للدفاع عن الاسلام ومجادلة اعـدائه من اليهود والنصارى والمجوس هؤلاءالذين تسلحوا ـ فى أساليبهم ـ بالمنطق اليونانى ، وما كان يتسنى لهم أن يثبتوا أمام خصومهم الا اذا تسلحوا بسلاحهم واطلعوا على آرائهم وما قام عليها من حجج وبراهين وكان من أثر ذلك أن صبغت مسائل الدين بصبغة علمية فلسفية كما تسرب اليها الكثير من هـذه الآراء الأجنبية(٨٩) .

فكان المـأمون يرى رأى المعتزلة ولكنه لم يفرض مذهبه على الناس بل انه عزز مذهب المعتزلة ـ أهـل الرأى ـ بترجمـة كتب الفلسفة والمنطق وهى التى تؤيد مذهبهم ، وكان من هـذه الحركة « علم الكلام » الذى مهـد المعتزلة قواعده ، وبرعـوا فيه وصار خير مساعد لهم على نشر مذهبهم(٩٠) .

وذلك لأنه كان على رأس الحكومة العباسية فى ذلك الوقت ، عبد الله بن المأمون ابن الرشيد ، وقـد كان يعـد نفسه من المعتزلة وعالمـا من علمائهم ، وكان يعقـد المناظرات لتأييد مذهب الاعتزال ويثير المناقشات حـول كون القرآن مخلوقا أم غير مخلوق . وفى آخر حياته وجـدت فكرة اكراه العلماء من فقهاء ومحـدثين على ذلك القـول ، ومن هنا نزلت المحنة بالامام أحمد بن حنبل فى دار السلام(٩١) . وحمـلوا الناس بالقـوة على اعتناقه وأطلقوا لهم العنان فأصبحوا دولة داخـل الدولة لهم الاشراف التام على تنفيذ تعاليم الدين طبقا لمبدئهم القـويم الأمر بالمعروف والنهى عن

---

(٨٨) د. ابراهيم أبو خشب : تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الأول ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

(٨٩) محمد نبيه حجاب : مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى ص ٤٩٨ ، ٤٩٩ .

(٩٠) سعيد الديوه جى : بيت الحكمة ص ٥١ .

(٩١) الشيخ محمد أبو زهرة : ( محاضرات فى المذاهب الفقهية ) ( مطبعة مخيمر ـ القـاهرة ١٩٦٢ م ) ص ٢٩٦ .

المنكر[٩٢] . وفى هـذه الفترة تزايد عـددهم حتى بلغ الثلاثين الفا ، وانتشر دعاتهم فى أقاصى البلاد حتى بلغوا الصين مشرقا وبلاد الغرب غربا ، أشار الى ذلك شاعرهم صفوان الأنصارى[٩٣] فى احدى قصائده عن مؤسسها واصل بن عطاء فيها يقول :

**لـه خلف شعب الصين فى كل ثغرة الى سوسها الأقصى وخلف البرابر**
**رجال دعـاة لا يفـل عزيمهم تهـكم جبـار ولا كيـد ماكر**

ومن هنا كانت مقـدرتهم الكلامية ( المعتزلة ) حيث تصـدوا للدفاع عن الاسلام ومحاربة أهـل الديانات الأخرى ، وقـد دفعهم ذلك الى الاطلاع على هـذه الديانات المختلفة ، والالمـام بدقائقها والاحاطة بكتبها الدينية ، وشروحها المختلفة ليدافعوا عن علم ويجادلوا عن بينة ، كما دفعهم أيضا الى الاتصال بالثقافة اليونانية ، والتمرس بأساليبها المنطقية التى تعين أرباب الكلام على البحث والمناظرة[٩٤] .

وبهـذا تسلح المعتزلة ـــ وخاضوا المعارك العلمية التى دلت على قـدرتهم الخطابية ، ومقـدرتهم الكلامية ، ولم يقف بهم الأمر عند حـد الممارسة لهـذه وتلك بل وضعوا للخطابة أصـولا وللبلاغة قواعـد وللكلام شروطا ـــ حتى قيل أنهم هم الذين خلقوا « علم الكلام »[٩٥] ، وان الكلام لهم دون سـواهم لأنهم واضعو أسسه الأولى التى بنى عليها المتكلمون فيما بعـد .

فالقول بحرية المرء فى خلق أفعاله من تلقاء نفسه ، وقـدرته التامة على ذلك ، مأخـوذ عن الكنيسة اليونانية ، كما يقول « فـون كريمر » : فقـد ذكر ان يوحنـا الدمشقى وتلميذه تيودور أبو قره كانا من كتاب هـذه الكنيسة ، وكانا يعيشان قبل الفتح الاسلامى ، فلما فتحت الشام شاعت عنهما هـذه الآراء بين المسلمين[٩٦] .

وممـا يدل على أن هـذا القـول منقـول عن المسيحية ، ما ذكر عن اعشى

---

(٩٢) د. محمد نبيه حجاب : مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى ص ٥٣٥ .
(٩٣) الجاحظ : البيان التبيين ج ١ ص ٣٧ .
(٩٤) د. محمد نبيه حجاب : مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى ص ٥٣٦ .
(٩٥) ابن الخياط : ( الانتصار ) . ( دار الكتب المصرية ١٩٢٥ م ) ص ٧٢ .
(٩٦) فـون كريمر : الحضارة الاسلامية ص ٧٠ .

قيس(٩٧) الشاعر المخضرم ، فقد قيل عنه : أنه كان قدريا قبل ان توجد القدرية كفرقة ، وانه أخذ هذه النظرية عن العباد أو مسيحيى الحيرة .

وقد تطور مذهب المعتزلة فى العصر العباسى الثانى فاتخذ شكلا جديدا وانتشر تحت تأثير فلسفة أرسطو كما انقسم الى أقسام تتفق جميعا فى نقط معينة ، فقد أجمع المعتزلة على اختلاف فرقهم على نفس الصفات الالهية ، وعارضوا كل فكرة تتنافى مع وحدة الله وقرروا أن ادراك وسائل الخلاص وطرق النجاة ، انما يرجع الى سلطان العقل(٩٨) .

وقد تأثر المعتزلة تأثرا شديدا بالفلسفة الاغريقية ، فاقتبسوا منها واجهدوا انفسهم فى أن يضيفوا الى المعانى الاسلامية التى جاء بها القرآن الكريم ، جميع ما احتوته الثقافة اليونانية من أفكار علمية وفلسفية وأن يلائموا بينها . ويخرجوا منها مزيجا جديدا يتفق مع تعاليم الاسلام وأصوله(٩٩) .

وقد نشأ الخلاف بين الاعتزال والفلسفة من ناحية ، وبين الدين من ناحية اخرى ، وافنى المعتزلة قواهم فى المناقشات المستمرة التى أثارتها مدرستا البصرة وبغداد وظل المعتزلة أقوياء حتى ثار عليهم أبو الحسن الأشعرى وصرعهم الغزالى(١٠٠) الذى قال : « طلبنا العلم لغير الله ، فأبى الا أن يكون لله » .

وللمعتزلة احساس خاص بقيمة العلم وفضله وأثره فى حياة الناس لأنهم قد بنوا كيانهم على أساس من العلم ، ودافعوا عن دينهم ومبادئهم بسلاحهم ، ولم يتح لهم فى كفاحهم ما أتيح من نصر وتفوق الا لأنهم كانوا علماء يؤيدون قضاياهم الدينية ومذاهبهم الكلامية بالدليل والمنطق .

فلعل الحرية التامة التى كانت تسود بيت الحكمة فنجد فيه أصحاب العلم والفلسفة يتناظرون بكل حرية وصراحة ويتكلم أهل الملل والنحل بما يبدو لهم

---

(٩٧) المصدر نفسه ص ٧٢ .

(٩٨) د. عبد النعيم محمد حسنين : ( **سلاجقة ايران والعراق** ) ( مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٧٠ م ) ص ١٧٠ .

(٩٩) BROWN : A Literary Hist. of Persia, Vol. 1, P. 288.

(١٠٠) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٥٢ .

وبمـــا يعتقدونه ويرونه اقرب الى العقل والمنطق فلا نجــد اثرا للتعصب الذميم فيه . وممـــا يؤيد ذلك أنه كان بين الذين تولوا أمر بيت الحكمة وأشرفوا على حركة الترجمة فيه هم من السريان واليهود والمجوس وغيرهم ، فكانوا يجادلون علماء المسلمين فى الأمور الدينية بحضور الخليفة نفسه ( المـــأمون )(١٠١) .

هـــذا التسامح الذى كان يسود بيت الحكمة فى ظـــل رعاية الخلفاء أنفسهم أدى الى ازدهار العلوم الاسلامية فيها ، وكذلك نشر الروح العلمية الخاصـــة بين كافـــة الطبقات ، كما صارت الكتب التى تبحث فى شتى النواحى الفكرية متيسرة فى دكاكين الوراقين بعاصمة الرشيد والمـــأمون فى الوقت الذى كانت فيه أوروبا تتخبط فى دياجير الظلام(١٠٢) . وهكذا فان اعلام الاعتزال الذين أثروا الحركة العلمية فى هـــذا العصر كبشر بن المعتمر ، وثمامة بن الأشرس وأحمد بن أبى دؤاد وغيرهم .

**عـــلم الفلســـفة :**

ان العرب ابتداء من القرن الثالث الهجرى ، بعـــد تقـــدمهم فى الحضارة ، وتنوع الوانها ، شرعوا يسمون كل فرد بالصناعة التى اشتهر بها ، ومهر فيها ، والفن الذى يجيده ، ويعرف به ، كالفقيه أو المفسر أو المحـــدث أو الحاسب أو المهندس أو المنجم أو الطبيب أو الفيلسوف ، وهـــذا يدل على أن الفلسفة ، أصبحت لونا متميزا اذا اشتغل به صاحب فكر سموه فيلسوفا ، والفلسفة صناعة نظر ، وثمرة تأمل وفكر ، وليس كل ناظر فيلسوفا ولا كل مفكر مؤثرا بالحكمة ، بل ذلك الذى يؤثر الحـــق ويسعى الى طلبه ، ويجـــد فى ادراكه ، ويتخـــذ له سيرة خاصة تليق به وتطبعـــه بطابعـــه(١٠٣) .

وقـــد وضع الكندى فى رسالة « الحـــدود والرسوم » للفلسفة تعريفات ستة بحسب اعتبارات مختلفة من النظر وهى :

١ ـــ من جهة الاشتقاق ، اسمها : حب الحكمة .

٢ ـــ من جهة فعلها : التشبه بأفعال الله تعالى بقـــدر طاقة الانسان ، أرادوا أن يكون الانسان كامل الفضيلة .

---

(١٠١) فيليب دى طرازى : خزائن الكتب العربية ج ١ ص ٥٤ .

(١٠٢) سعيد الديوه جى : بيت الحكمة ص ٣٩ .

٣ — من جهة فعلها ايضا : العناية بالموت ... يريدون اماتة الشهوات ، لأن امانة الشهوات هى السبيل الى الفضيلة .

٤ — من جهة العلة : صناعة الصناعات وحكمة الحكمة .

٥ — من جهة النفس : الفلسفة معرفة الانسان نفسه .

٦ — من جهة حقيقتها فى ذاتها : الفلسفة علم الأشياء الابدية الكلية ، انباتها ومائيتها وعللها ، بقدر طاقة الانسان .

وهذه كلها تعريفات مشهورة مأثورة عن الفلاسفة اليونانيين عن فيثاغورس وسقراط وأفلاطون وأرسطو(١٠٤) .

وفى القرن الثالث الهجرى تأسست المدرسة الفلسفية الاسلامية بزعامة « الكندى » وهى شديدة الارتباط بالفلسفة الهيلينية ، كما تظهر فيها الاتجاهات الأفلاطونية الحديثة ، وشرع عدد من كتاب هذه المدرسة فى محاولة التوفيق بين أفلاطون وأرسطو ، وبين الديانة الموحى بها ، وأشهر هؤلاء الفلاسفة الفارابى وابن سينا(١٠٥) . فلم يكن العرب بمعزل عن الثقافات الأجنبية فى هذا العصر ، وبين ظهرانيهم المدارس السريانية التى كانت تقوم بدور الوسيط بين الشرق والغرب وعنها عرف العرب منطق أرسطو ، واستعانوا به فى مجادلة اليهود والنصارى ، كما اصطنعه « المتكلمون » فى محاوراتهم المذهبية ليظهروا على خصومهم بلغة العقل ، ويفندوا آراءهم بالحجة والدليل ، ولكن ذلك كان فى أبسط صوره وأقل مراتبه من حيث انه كان فى أولى مراحله . وثمة فرع آخر من فروع الفلسفة قد مست الحاجة اليه ، ونعنى به « علم الطب » وما يتبعه من كيمياء وصيدلة(١٠٦) .

وقد تأخر نضج الفلسفة عند المسلمين بالقياس الى العلوم الأخرى لأن الفلسفة اليونانية التى استندوا اليها فى فلسفتهم لم تنقل كتبها الى اللغة العربية الا فى عصر المأمون على وجه العموم ، وحرص فلاسفة المسلمين على التوفيق عموما بين

---

(١٠٣) د. أحمد فؤاد الأهوانى : الكندى فيلسوف العرب ص ٢٧٣ .

(١٠٤) المرجع نفسه ص ٢٧٤ .

(١٠٥) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الاسلامية ص ١١٦ .

(١٠٦) د. محمد نبيه حجاب : مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى ص ٤٨١ .

الفلسفه والدين دون الانتصار لأحدهما على الآخر . وأشهر فلاسفة الاسلام فى المشرق الكندى والفارابى وابن سينا[١٠٧] .

ان ميل افراد من الخلفاء فى العصر العباسى الى العلوم الفلسفية وخاصة المأمون الذى شجع الفلسفة وامر بارسال من يطلب كتب الحكمة من بلاد الروم كما شجع على الترجمة فى الحكمة الى اللسان العربى . والخلفاء عادة اقدر على الترغيب واقناع الناس فيما أحبوا ، والناس أسرع ما يكون الى تحقيق أغراضهم والولوع بما اولعوا به ، وأكثر الخلفاء العباسيين ميلا الى ذلك المنصور والرشيد والمأمون[١٠٨] .

فازدهرت بيت الحكمة فى عهد الخليفة المأمون لميله الى الفلسفة والعلوم العقلية ، وأنفق اموالا طائلة فى نقل الكتب الى بيت الحكمة من الدولة البيزنطية وغيرها ، وكان يعمل فى بيت الحكمة علماء تنوعت ثقافتهم ومعارفهم مثل سهل بن هارون صاحب خزانة بيت الحكمة للمأمون[١٠٩] . وازداد عدد الكتب فى عهد الخليفة المأمون ، ولم تكن الكتب اليونانية هى التى حرص المأمون على نقلها الى بيت الحكمة ، بل نجد المأمون يطلب من يحيى بن البطريق احضار كتب لاتينية الى بغداد فقد كان يحيى يعرف اللغة اللاتينية ، وضمت هذه الكتب الى بيت الحكمة وبذلك ضم بيت الحكمة كتبا فى مختلف اللغات ومختلف العلوم[١١٠] .

وقد عرف المأمون منذ حداثته بالجد والحرص على طلب العلم والتفقه فيه حتى أصبح حجة فى المسائل العلمية والفلسفية[١١١] . وعاش الكندى فى الزمن الذى يعرف بعصر الترجمة فنبغ فى خلافة المأمون صاحب بيت الحكمة وعاصر كبار النقلة المشهورين مثل : حنين بن اسحاق ، وخاض غمار هذه الحركة وشارك فيها[١١٢] . على أن الكندى وان كان قد تعلم الكلام وحصل علوم الفلسفة فانما كان يسلك فى سبيل الملوك أنفسهم حتى يرتفع لمجالستهم ويسمو الى مقامهم ،

---

(١٠٧) د. ابراهيم أحمد العدوى : ( **تاريخ العالم العربى وحضارته فى العصر الاسلامى** ) ( القاهرة ١٩٧٥ م ) ص ٣٤٧ .

(١٠٨) احمد امين : ضحى الاسلام جـ ١ ص ٢٦٦ .

(١٠٩) ابن النديم : الفهرست ص ١٧٤ .

(١١٠) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٨٠ .

(١١١) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٠٥ .

(١١٢) د. أحمد فؤاد الأهوانى : الكندى فيلسوف العرب ص ٥٩ .

ويساير تيار العصر الذى كان يعيش فيه وكثير من الأمراء كانوا يفعلون ذلك . ويحذون حذو الخلفاء باقتناء الكتب وتشجيع العلماء ، وقد مالت نفس الكندى عن علم الكلام وآثر أن يتجه الى الفلسفة وعلومها فأحاط بجميع فروعها[113] على أن الكندى قد نبغ فى المرتبة الأولى فى الرياضيات والفلسفة الطبيعية ، ويرى أن الانسان لا يكون فيلسوفا الا اذا درس الرياضيات المركبة ، وللكندى نظريات فلسفية تتعلق بالله والنفس والعقل والعلم ، فيرى أن كل ما يقع يرتبط بعضه ببعض ، ارتباط علة بمعلول والى العقل مرد كل شىء والمادة تتخذ الصورة التى يشاء العقل افاضتها[114] عليها .

واشتغل الكندى بالفلسفة ، وله فيها تصانيف ومؤلفات جليلة جعلته من المقدمين ، ويعتبرها المؤرخون نقطة تحول فى تاريخ العرب العلمى والفلسفى اذ كان فى عهده وقفا على غير المسلمين العرب . فهو « الكندى » واسع الاطلاع اشتهر بالتبحر فى فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية ،وهو لم يقف عند الاطلاع والتبحر بل أنتج وكان منتجا الى أبعد الحدود ، تدلنا على ذلك مصنفاته التى وردت فى الفهرست وقد جعلها ابن النديم على سبعة عشر نوعا فى مختلف العلوم[115] .

فالكندى امام أول مذهب فلسفى اسلامى فى بغداد كما يقول « ماسينون » وقد أثرت الفلسفة فى اتجاهات تفكيره فكان ينهج نهجا فلسفيا يقوم على العناية بسلامة المعنى من الوجهة المنطقية واستقامته فى نظر العقل. ومن هنا يتجلى خصب قريحته ، وعلى أنه واحد عصره فى معرفة العلوم بأسرها ، وهى تدل على احاطته بكل أنواع المعارف التى كانت لعهده على اختلافها احاطة تدل على سعة مداركه وقوة عقله وعظم جهوده[116] .

أما الفارابى[117] فهو محمد بن محمد بن طرخان أبو نصر الفارابى من فاراب ،

---

(١١٣) المرجع نفسه ص ٣٢ .

(١١٤) ديبور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ١٤٣ .

(١١٥) قدرى حافظ طوقان : العلوم عند العرب ص ١١٤ ، ١١٥ .

(١١٦) المرجع نفسه ص ١١٨ .

(١١٧) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٨٢ .

احـــدى مدن الترك فى ما وراء النهر ، وهـــو فيلسوف المسلمين غير مدافع ، دخـــل العراق واستوطن بغـــداد ، وقرأ بها علوم الحكمة على يوحنا بن جيلان(١١٨) .

وقـــــد أفاد كل الافادة ، ففلق أقرانه واربى عليهم فى التحقيق وشرح الكتب المنطقية ، وتوضيح غامضها وكشف سرها . وفى دائرة المعارف البريطانية : ان أبا نصر أعظم فلاسفة الاسلام ، قبل ابن سينا . وهـــو تركى النسب ولـــد فى ( ديبـــج ) وهى محلة صغيرة فى اقليم فاراب فيما وراء النهر ، وتتفق دائرة المعارف الاسلامية مـــع القفطى فى أن الفارابى أخـــذ علوم الحكمة عن الطبيب النصرانى « يوحنا بن جيلان » . وتقول بعض المراجع انه كان يختلف الى بغـــداد حيث أخـــذ المنطق عن بشر متى بن يونس الحكيم المشهور .. ثم عاد الى بغـــداد وقرأ بها علوم الفلسفة وأكثر المراجع العربية تعـــد الفارابى أكبر العلماء والفلاسفة بعـــد أرسطو(١١٩) .

ويقـــول ( ديتريص ) فى مقـــدمته لرسائل الفارابى ( ط ليـــدن ١٨٩ ج ٣ ) : « ان الفارابى قـــدس الفلسفة العربية والذى يقرأ الفارابى يجـــد فى تفكيره طرافـــة ونضوجا وفهما عميقا يدل على طـــول تأمل فى الفلسفة . وقـــد اعتبر الفارابى من جملة الأطباء ، ويظهر انه لم يباشر مهنة التطبيب بالفعل(١٢٠) . عرف الفارابى منذ أول اتصاله بالحياة الفكرية بأنه كان ميالا الى التأمل والنظر وانه كان يؤثر العزلة والبعـــد عن الناس ، فكان فى شبابه متأثرا بعلوم المنطق والفلسفة ، فهـــو فى كهولته كان يميل الى الفن ، ثم ختم حياته بالتعلق بالتصوف . وقـــد الف كتبا كثيرة ضاع أكثرها واشتهر بين العرب بشروحه الدقيقة لفلسفة أرسطو ، ولكنه لم يقف عند الشرح ، فقـــد ألف طائفة من الرسائل والمقالات والكتب التى تشرح فلسفته الخاصة وهى التى كان يحاول فيها الجمع بين آراء الحكيمين : أفلاطـــون وأرســـطو وقـــد بلغت مؤلفاته ٢٨ كتابا(١٢١) .

ويرى الفارابى أن العقل يستطيع أن يحكم على الشىء بأنه خير أو شر وهـــو بذلك يجارى المعتزلة فيما قرروه من قاعـــدة التحسين والتقبيح العقليين اذ يقولون : أن الانسان يجب عليه أن يفعل الخير ويعرفه بعقله ، قبل أن يجىء الوحى به ، ولا شك أنه يخالف أهـــل السنة الذين يقولون : ان الخير ما أمر الله به والشر هـــو

---

(١١٨) يوحنا بن جيلان : كان حكيما نصرانيا واستاذا للفارابى .

(١١٩) فيليب حتى : تاريخ العرب ج ٢ ص ٤٥٣ .

(١٢٠) ديبـــور : تاريخ الفلسفة فى الاســـلام ص ١٥٠ ، ١٥٣ .

(١٢١) محمد عطيه الأبراشى : نوابغ الفكر الاسلامى ص ٦٧ .

ما نهى عنه[١٢٢] . وهكذا فان الحركة الفكرية فى بغـداد فى العصر العباسى الاول يمكن أن نعتبرها بحـق خلاصة الثقافة العالمية فى ذلك العصر ، فأضافت الى أصالتها العربية ثقافات مختلفة المعارف والثقافات الأخرى[١٢٣] .

## عـلم المنطـق :

حين جاء العصر العباسى كانت دعائم الاسلام قـد ثبتت وأصبحت عقـائد الناس لا يخشى عليها من أن تنال منها آراء غريبة على بيئتهم فتغيرت المكانة التى كان يصنع فيها المسلمون الفلسفة ، بل علوم الأوائل كلها . لقـد وجـدوا أنهم فى حاجـة الى البحث فيها ودراستها ، والتزود بمـا تتجه من وسـائل فى الجـدل والمناقشة ليتمكنوا من رد الشبهات ، ومقارعة الخصوم والدفاع عن الاسلام[١٢٤] .

يقول حمودة غرابة : « حين وجـد المعتزلة النساطرة وغيرهم من الفرق المسيحية مسلحين بالثقافة الاغريقية التى عرفـوا عنها كثيرا من المناقشات الشفوية عنـوا هم أيضا فى أن يتسلحوا بها فاستعانوا بالمنصور فى ترجمة المنطق الارسطى . وهكذا كان المنطق أول علم من علوم الفلسفة بمعناه الضيق ، حصل به الاشتباك بعلم الـكلام الاسـلامى »[١٢٥] .

وقـد تنبه القـدماء الى هـذا الاتجاه فيقول المقريزى : « احتلت المعتزلة والقرامطة والجهمية وغيرهم كتب الفلاسفة وأكثروا من النظر فيهـا والتصـفح لهـا[١٢٦] . ويقول صاعـد الأندلسى : « ان أول علم اعتنى به من علـوم الفلسفة علم المنطـق والنجـوم »[١٢٧] . ويذكر ( هنيرش بيكر ) : « ان الاسلام تعرض فى هـذا العهد الى هجمات الغنوص ، وفى هـذا النضال استعان الاسلام اليونانية ، وعنى بايجاد علم من العلوم الدينية والعقلية يشبه عالم العصر المدرسى فى أوروبا فى العصور الوسطى ، فكان الاسلام الرسمى قـد تحالف اذن مـع التفكير اليونانى

---

(١٢٢) المرجـع نفسـه ص ٧٥ .

(١٢٣) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٣٠٣ .

(١٢٤) د. الشحات السيد زغلول : السريان والحضارة الاسلامية ص ١٧٢ .

(١٢٥) حموده غرابة : ( ابن سـينا بين الدين والفلسفة ) . ( من مطبـوعات مجمـع البحـوث الاسلامية بالقاهرة ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م ) ص ٢٦ .

(١٢٦) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٣٥٧ .

(١٢٧) صاعـد الأندلسى : طبقـات الأمم ص ٥٦ .

والفلسفة اليونانية ضد الغنوص الذى كان خليطا من المذاهب القائمة على النظر والمنطق وعلى مذاهب الخلاص »(١٢٨) .

ومن هذا يتبين ان الاشتغال بالفلسفة كان وسيلة استعان بها المسلمون بعامة والمعتزلة بخاصة فى نصرة الاسلام ، ويزيد ذلك تأكيدا ما يذكره الخياط فى قوله : « ولقد أخبرنى عدد من أصحابنا ان ابراهيم النظام رحمه الله ، قال وهو يجود بنفسه : اللهم ان كنت تعلم أنى لا أقصر فى نصرة توحيدك ، ولم أعتقد مذهبا من المذاهب اللطيفة الا لأشد به التوحيد ، فما كان منها مخالفا فأنا منه برىء : اللهم ان كنت تعلم أنى كما وصفت فاغفر لى ذنوبى ، وسهل على سكرة الموت »(١٢٩) . وان محاولة تطبيق المبادىء الفلسفية فى المجالات الدينية لم تكن وليدة العصر العباسى .

ولقد نجم عن اعتناق الأمم الأجنبية للاسلام وانضوائها تحت لوائه أن صارت تلك الأمم تدون علومها وآدابها باللغة العربية التى تعلمتها بسبب الدين أو تقربا من العرب للفاتحين للاستفادة من الوظائف والمناصب(١٣٠) .

أما الثقافة اليونانية فكان لها اثر كبير فى المسلمين ، ومما زاد فى أثرها أن اتصال المسلمين بها صاحب عمر تدوين العلوم العربية فتسربت الثقافة اليونانية اليها ، وصبغتها صبغة خاصة ، كان لها تأثير كبير فى الشكل وفى الموضوع . أما الشكل فيرجع الى تأثير المنطق اليونانى ، وقد صبغ العلوم العربية صبغة جديدة صبت فى قالبه ، ووضعت على منهاجه ، اذ كان المنطق كما قال ابن سينا « خادم العلوم » عنى به المسلمون من أول عهدهم بالفلسفة(١٣١) .

وقد رأينا أن ابن المقفع ترجم كتب المنطق لأرسطو ، وتتابع المترجمون بعده يترجمون الكتب المنطقية وكان المنطق الذى وصل الى العرب هو منطق أرسطو معدلا ومضافا اليه ومشروحا بمنطق الرواقيين والاسكندريين ولم يزد العرب عليه شيئا يذكر(١٣٢) . وظل المنطق الذى بين أيدينا هو منطق اليونان ، لم يزد عليه

---

(١٢٨) هنيرش بيكر : ( تراث الأوائل فى الشرق والغرب ) ترجمة د. عبد الرحمن بدوى ( بدون ) ص ١١ .

(١٢٩) ابن الخياط : الانتصار ص ٤١ .

(١٣٠) د. ناجى معروف : أصالة الحضارة العربية ص ٤٣١ .

(١٣١) احمد أمين : ضحى الاسلام ج ١ ص ٢٧٤ .

(١٣٢) المرجع نفسه ج ١ ص ٢٧٥ .

الا بعض الشروح ، وقـــد نقل نقلا صحيحا ولم يدخله نقص أو تهويش كالذى كان فى الالهيات اليونانية .

على كل حال ، كان للمنطق سلطان كبير على العقول فى العصر العباسى ، وكان من جراء ذلك أن اصطبغت طريقة الجـدل والبحث والتعبير والتبديل صبغة غير التى كانت تعرف من قبـل ، فاهتم الفارابى بالمنطق اهتماما عظيما ، وكان لذلك الاهتمام أثر فى تفكير العرب ، فقـد عـدوه آلـة الفلسفة ، والأداة التى يمكن الوصول بهـا الى التفكير الصحيح ، وقـد تأثرت الثقافة العربية فى كل لـون من ألوانهـا بالتفكير المنطقى ، وقـد ظهر ذلك بوضوح فى علم الكلام ، وفى الفقه الاسلامى ، وفى النحـو العربى(١٣٣) .

ثم يعرف الفارابى المنطق بأنه العلم الذى نعلم به الطرق التى توصلنا الى تصور الأشياء والى تصـديق تصورها على حقيقتها وهـو لا ينسى أن يوضح لنـا صـلة المنطق بالعقل الانسانى فيقول : « ان المنطق قانون للتعبير بلغـة العقل وصـناعة المنطق بالنسبة للعقل وجميع المعقولات كصناعة النحو بالنسبة للسان والألفاظ » ويفهم من قوله : أن المنطق ضرورى للتفكير الصحيح ضرورة علم النحـو للتعبير الصحيح الخالى من الخطـأ(١٣٤) .

وكان الخليفة المـأمون يميل الى المعتزلة لأن آراءهم تتفق مـع العقل والمنطق ويرتبط بظهور الحركة العلمية ونشاطها فى بغـداد الحاجة الى المحافظة على المصنفات والكتب المؤلفة فى مختلف العلوم الفلسفية والعقلية التى انفقت فى سـبيلها أموالا طائلة(١٣٥) . ومن هنا اقيم بيت الحكمة الذى يحتوى على كثير من المصنفات فى مختلف مجالات الفكر والثقافة وبلغات مختلفة أيضا .

**عـلم الرياضـيات :**

كانت الرياضيات مثلها مثل الفلك من أحب العلوم عند العرب فكثير من القواعد الأساسية للحساب والهندسة والجبر قـد اكتشفها العلماء المسلمون . ففى الحساب لأننا نستخدم الاعـداد وطريقة الحساب التى اخترعها العرب ، كما أن اختراع الجبر ، ينسب الفضل فيه الى العرب وهـو حق على الأرجح .

---

(١٣٣) محمد عطية الأبراشى والتوانسى : نوابغ الفكر العربى ص ٧٣ .

(١٣٤) المرجـع نفسـه ص ٧٣ .

(١٣٥) عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

فلما نهض العباسيون نهضتهم العلمية اقتبسوا من الهنود الارقام الهندية . وقد قدروا النظام الترقيمى عند الهنود ، ففضلوه على حساب الجمل الذى كانوا يستعملونه من قبل ، ومن الغريب أن فى بلاد الهند أشكالا متنوعة ومختلفة الأرقام . ولكن العرب بعد أن اطلعوا على أكثر هذه الأشكال كونوا منها سلسلتين عرفت احداهما باسم الأرقام الهندية وعرفت الثانية : باسم « الأرقام الغبارية » ففى بغداد الجانب الشرقى من العالم الاسلامى عم استعمال الأرقام الهندية وهى لا تزال شائعة ومستعملة فى بلادنا(١٣٦) .

وأول من وضع من المسلمين كتابا فى الحساب محمد بن موسى الخوارزمى كذلك كان أول من الف فى الجبر وفتح أبواب عصر جديد فى الرياضيات على مصراعيه ؛ كتب فى الجبر والمقابلة تحقيقا لرغبة الخليفة المأمون ، وكان الخوارزمى أول من استعمل علم الجبر بشكل مستقل عن الحساب وبصورة منطقية ، وأول من استعمل كلمة جبر التى دخلت اللغات الأوروبية ينطقها الغربى AL GEBRA . ولقد عرف العرب حل المعادلات من الدرجة الثانية وهى نفس الطريقة المستعملة الآن فى كتب الجبر فى المدارس الثانوية(١٣٧) كما يقول الأستاذ قدرى طوقان فى كتابه العلوم عند العرب .

ولم يجهلوا أن لهذه المعادلات جذرين واستخرجوهما اذا كانا موجبين وهذا من الأعمال التى توصل اليها المسلمون ، وفاقوا بها غيرهم من الأمم التى سبقتهم ، وكذلك ابتكروا طرقا هندسية لحل بعض المعادلات . وفى باب المساحة فى كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمى عمليات هندسية حلها بطرق جبرية ويقول د. على مصطفى مشرفه : أنه يجب الا يعزب عن بالنا انه رغم البحوث المستفيضة فى الرياضيات عند الاغريق والهنود ، فاننا لا نعثر على كتاب واحد عندهم يشبه كتاب الخوارزمى ، ولذلك عمل الدكتور مشرفة الى القول بأنه لم يكن قبل الخوارزمى علم يسمى بعلم الجبر(١٣٨) . كانت النتيجة المباشرة اذن توفيق علماء المسلمين بين حساب الهنود وهندسة الاغريق ، أن نشأ علم الجبر الذى لولا الأرقام الهندية واستعمالها لما نما هذا النمو العظيم فى أيدى المسلمين . ذلك انه عندما انتقلت الأرقام الهندية الى المسلمين وامتزج الحساب الجديد عندهم بالهندسة الاغريقية أصبح

---

(١٣٦) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ١٠٤ .

(١٣٧) قدرى حافظ طوقان : العلوم عند العرب ص ١٠٩ .

(١٣٨) جلال مظهر : علوم المسلمين اساس التقدم العلمى الحديث ص ٤٥ .

من الممكن لعبقرى من نوع الخوارزمى أن يضع علم الجبر الذى بناه على الجمع بين الفكرة الهندسية والفكرة الفردية لكميات(١٣٩) .

وكان ظهور الخوارزمى فى عصر المـأمون الذى عينه رئيسا لبيت الحكمـة ذا مقام كبير عنده فأحاطه بضروب من الرعاية والعناية وأقام فى بغـداد حيث اشتهر وذاع صيته وانتشر اسمه بين الناس(١٤٠) .

برز فى الرياضيات والفلك ، وكان له أكبر الأثر فى تقـدمهما وارتقائهما فهو أول من استعمل علم الجبر بشكل مستقل عن الحساب وفى قالب منطقى علمى ، وكفاه فخرا أنه أول من الف كتابا فى الجبر فى علم يعـد من اعظم اوضاع العقل البشرى لمـا يتطلبه من دقـة واحكام فى القياس . ولهـذا الكتـاب قيمة تاريخية فعليـه اعتمد علماء العرب فى دراساتهم عن الجبر ، ومنه عرف الغربيون هذا العلم(١٤١) . قال عنه فيليب حتى : « كان الخوارزمى من افضل العقول العلمية من المسلمين وهـو بلا شك الرجل الذى أثر أبلغ التأثير فى الفكر الرياضى طيلة العصور الوسطى »(١٤٢) .

ويعتبر الخوارزمى احـد العلمـاء الرياضـيين الذين خـدموا بيت الحكمـة بمـا ألفـوه من الكتب فى الرياضيات والهيئة . فمن أشـهر هـذه الكتب : الجبر والمقابلة ، وكتاب العمل الأسطرلابى(١٤٣) . وتعتبر كتب الخوارزمى هى من خيرة ما أنتجه الفكر وهو الذى مهد للجبر والحساب فى كثير من المسائل التى لا تزال تدرس فى هـذه الأيام ، وكان قـد جمع هـذا بكتاب ألفـه للخليفة المـأمون بناء على طلبـه(١٤٤) .

وهـو ككل علماء الرياضة عالم فلكى قبل كل شىء . وقـد ألف فى الحساب . وكان المظنون أن كتابه فيه قـد فقـد ، ولكن فى سنة ١٨٥٧ م ظهرت لـه ترجمة لاتينية من عمل ( Atheord of Bath ) وقـد وجـدت هـذه الترجمة فى مكتبة جامعة كمبردج . ويبدأ كتابه هـذا فى الحساب بهـذه العبارة : « يقـول

---

(١٣٩) المرجع نفسه ص ٤٦ .
(١٤٠) قدرى حافظ طوقان : العلوم عند العرب ص ١٠٤ .
(١٤١) المرجع نفسه ص ١٠٤ .
(١٤٢) فيليب حتى : تاريخ العرب ج ٢ ص ٤٦٣ .
(١٤٣) ابن النديم : الفهرست ص ٣٨٣ .
(١٤٤) قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٨٠ .

الخوارزمى بعـــد حمد الله هادينا وحامينا ، وقـــد قال أحـــد الكتاب المســـلمين ان حساب الخوارزمى يفـــوق كل كتاب اليسار الى اليمين ، ولكن من المدهش أنه فى الطرح أخطـــأ فى تفسير الحالة التى يكون فيها الرقم المطروح أكبر من الرقم المطروح منه أما فى الضرب فقـــد أخـــذ عنه الهنود طريقتهم بعـــد تعـــديلها لكى تكون ملائمة لاتباعها كتابه ، حيث كان يضع كل حاصل ضرب جزئى فوق الرقم المقابل فى المضروب ولم يكن يطمس الأرقام كما يعمل الهنـــــود بل كان يكتفى بشطبها . أما فى القسمة فالعملية هى هى . فالمقسوم عليه يوضع تحت المقسوم ، ويكتب الخارج فـــوقه ، أما التغييرات الحادثة فى المقسوم من طرح الحواصل الجزئية فتكتب(١٤٥) فوق الخارج .

وقـــد شرح الخوارزمى طريقته هـــذه شرحا مستفيضا فى كتـــابه ، واتبعهـــا الأوروبيون الأوائل . الذين اقتفـــــوا أثر العرب وأخـــذوا عنهم نماذج طرائقهم على ان العرب الذين جاءوا بعـــده ادخلوا تعـــديلا على طريقة الخوارزمى هـــذه فاقتربوا كثيرا من طرائق اليـــوم الشائعة(١٤٦) .

وجاء بعـــد ذلك ثابت بن قرة ليتم ما بدأه الخوارزمى وترجم الى العربية أهم الكتب الرياضية التى وضعها أقليدس وأرشميدس وبطليموس ، ووضع عـــداذلك كتبا مبتكرة ، ولم يعثر الباحثون الا على قسم من كتاب فى الجبر ، يشتمل على فصل واحـــد من المعاذلات التكعيبية ومعادلات الدرجة الثالثة . وقـــد استخدم فى حلهـــا علم الهندسة كما فعل الخوارزمى(١٤٧) .

وقـــد أخـــذ العالم الرياضى الايطالى ( GIROLAMA CARDAN ) الذى عـــاش فى القرن السادس عشر عن ثابت بن قرة طريقته الهندسية فى حل معادلات الدرجـــة الثالثـــة وصـــار علم الجبر يتقـــدم بسرعة بعـــد زمن ثابت بن قرة . أما الأجـــزاء التى اختص بها العرب فهى حل المعادلات والمسائل التى تئـــول فى حلها الى معادلات وخـــواص الاعـــداد(١٤٨) .

ويمتاز ثابت بناحيتين ، الأولى : نقله كثيرا من التآليف الى العربية فقـــد نقل من علوم الأقـــدمين مؤلفات عـــديدة فى الطب والمنطق والرياضيات والفلك ، وأصلح

---

(١٤٥) د. عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ٧٣ .
(١٤٦) المرجـــع نفســـه ص ٧٣ .
(١٤٧) المرجـــع نفســـه ص ٧٥ .
(١٤٨) المرجـــع نفســـه ص ٧٥ .

الترجمة العربية للمجستى وجعل متنه سهل التناول ، واختصره اختصارا لم يوفق الى غيره ، وقد قصد من هذا المختصر تعميم المجستى وتسهيل قراءته ، ولا يخفى ما أحدث تعميمه من أثر فى نشر المعرفة ، وترغيب العلماء فى الرياضيات والفلك(١٤٩) . أما الناحية الثانية : فهى اضافاته الى الرياضيات واشتغل فى الهندسة التحليلية وأجاد فيها اجادة عظيمة . وله ابتكارات سبق فيها ديكارت وقد وضع كتابين فيه : علاقة الجبر بالهندسة ، والهندسة بالجبر ، وكيفية الجمع بينهما وطرق هندسية استعان بها بعض علماء الغرب فى بحوثهم الرياضية(١٥٠) .

ولثابت مقالة فى الاعداد المتحابة ، وهو استنباط عربى يدل على قوة الابتكار التى امتاز بها ثابت ، ونفهم من هذه المقالة أن ثابتا كان مطلعا على نظرية فيثاغورس فى الاعداد وأنه استطاع أن يجد قاعدة عامة لايجاد الاعداد المتحابة . وثابت اول شرقى بعد الصيرفيين بحث فى المربعات(١٥١) السحرية وخصائصها .

ومن المؤسف حقا ألا يصادف الباحث الا القليل من كتبه ورسائله وأن يكون القسم الأعظم قد ضاع اثناء الحروب والانقلابات . ومن هذه ما هو فى غاية الخطورة من الوجهتين الرياضية والطبية . ولو عثرنا على بعض منها ، لانجلت بعض النقاط الغامضة فى تاريخ الرياضيات فلقد كان من رسالته فى النسبة المؤلفة أن استعمل « الجيب » والخاصة الموجودة فى المثلثات والمسماة بدعوى الجيوب ، وكذلك لولا بعض القطع التى وصلت الينا من كتاب له فى الجبر ، لما عرفنا أنه بحث فى المعادلات التكعيبية(١٥٢) .

هذا هو مجمل من مآثر ثابت بن قرة فى الرياضيات تبين منه الأثر الكبير الذى خلفه فى ميدان العلم ، كما تتجلى فيه العبقرية المنتجة التى تقدمت بالعلوم خطوات واسعة ، مهدت لايجاد فروع هامة من الرياضيات لولاها لما تقدم الاختراع والاكتشاف تقدمهما المشهور(١٥٣) .

---

(١٤٩) قدرى حافظ طوقان : العلوم عند العرب ص ١٢٧ .
(١٥٠) المرجع نفسه ص ١٢٨ .
(١٥١) المرجع نفسه ص ١٢٩ .
(١٥٢) المرجع نفسه ص ١٢٨ .
(١٥٣) المرجع نفسه ص ١٢٩ .

**ثانيا ــ نشر التعليم والمعرفة بين المسلمين وحثهم على طلب العلم والمعرفة :**

ان مجالس الخلفاء العباسيين أنفسهم كانت مدارس علم ، ومواطن معرفة وملتقى أفكار ، ومنارات اشعاع ، حيث تحتك العقول ، وتتصارع الآراء بين أقطاب الثقافة وفحول العلم والمعرفة(١٥٤) . فكان بيت الحكمة الذى وضع أساسه الرشيد وعمل المأمون من بعده على امداده بمختلف الكتب فى العلوم التى اشتغل بها العرب من اكبر خزائن الكتب فى العصر العباسى ، فكانت تحوى كل الكتب فى العلوم التى اشتغل بها العرب ، كما كان للعلماء والأدباء الذين يختلفون اليها اكبر الأثر فى تقدم الحركة العلمية فى عهد العباسيين ونشر الثقافة بين جمهور المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى . ولم يقتصر تشجيع العلم على الخلفاء بل تعداهم الى الوزراء وسائر كبار رجال الدولة(١٥٥) .

فلقد ذكر المسعودى : « أن يحيى بن خالد البرمكى كان يميل الى البحث والمناظرة ، وكان له مجلس يجتمع فيه أهل الكلام من أهل الاسلام وغيرهم من أهل النحل ، أما أصحاب كتاب « التوحيد الأدبى » فانهم يقولون : اتسعت رقعة المملكة الاسلامية ودخل كثير من الأمم المختلفة فى الاسلام وعظمت الحضارة فى الدولة العباسية ، واحتاجت هذه الحضارة العظيمة الى علم واسع عميق ترتكز عليه ، وتنتفع به فأخذت الدولة تشجع كل ذى ثقافة أن يعنوا بثقافتهم يهضمونها ويترجمونها ويؤلفون فيها باللغة العربية ، وظهرت فى الدولة العباسية خلاصة ثقافات الأمم ، وتمازجت وائتلفت ، وعرضت على أنظار الناس يأخذون ما يشتهون ويستمدون منها ما يفقهون : كل على حسب ميله واستعداده وذوقه ووجهته ، وهذا يعنى بالفلسفة وفروعها ورابع بالتاريخ وسياسة الأمم(١٥٦) وهكذا .

يقول الأستاذ نيكلسون(١٥٧) : « وكان لانبساط رقعة الدولة العباسية ، ووفرة ثروتها ، ورواج تجارتها ، أثر كبير فى خلق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل ، حتى لقد بدا ان الناس جميعا من الخليفة الى أقل أفراد العامة شأنا غدوا فجأة طلابا للعلم ، أو على الأقل أنصارا للأدب . وفى عهد الدولة العباسية كان الناس يجوبون ثلاث قارات سعيا الى موارد العلم والعرفان ليعودوا الى بلادهم كالنحل يحملون الشهد الى جموع التلاميذ المتلهفين ، ثم يصنفون بفضل

(١٥٤) د. عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماض وحاضر ص ٣٢٢ .

(١٥٥) د. ابراهيم أبو خشب : تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الأول ص ١٤١ .

(١٥٦) المسعودى : مروج الذهب جـ ١ ص ٤٨ .

(١٥٧) NICHOLSON : Literary History of the Arabs, p. 281.

ما بذلوه من جهد متصل هـــذه المصنفات التى هى اشبه بدوائر معارف ، والتى كان لهـــا اكبر الفضل فى ايصال العلوم الحـــديثة اليئا بصورة لم تكن متوقعة من قبل » .

هـــذا فى الشرق الاسلامى فى العصر العباسى الأول ، أما فى الغرب فقـــد نافست قرطبة بغـــداد والبصرة والكـــوفة ودمشق والفسطاط فأصبحت حاضرة الاندلس سوقا نافقة للعلم وكعبة لرجال الآدب ، حتى جـــذبت مساجدها الأوروبيين الذين وفـــدوا اليها لارتشاف العلم من مناهله والتزود من الثقافة الاسلامية ومن ثم ظهرت فيها طائفة من العلماء والشعراء والأدباء والفلاسفة والمترجمين والفقهـــاء وغـــــيرهم(١٥٨) .

وفى هـــذا العصر ( العصر العباسى الأول ) ظهر نوعان من العلماء : **الأول** : هم الذين يغلب على ثقافتهم النقل والاستيعاب ويسمون أهـــل العلم . **والثانى** : هم الذين يغلب على ثقافتهم الابتداع والاستنباط ويسمون أهـــل عقل . وقـــد ذكر ابن خلكان(١٥٩) . : « ان الخليل بن احمد اجتمع بابن المقفع وتحـــدثا فى شتى المسائل فلمـــا افترق قيل للخليل : كيف رأيت ابن المقفع ؟ فقال : رأيت رجلا علمـــه اكثر من عقـــله ، وقيل لابن المقفع : كيف رأيت الخليل ؟ قال : رأيت رجـــلا عقـــله اكثر من علمـــــه » .

كما كان للعلماء والأدباء الذين يختلفون اليها ( بيت الحكمة ) أكبر الأثر فى تقدم الحركة العلمية فى عهد العباسيين ونشر الثقافة بين جمهور المسلمين وغيرهم من اصحاب الديانات الأخرى(١٦٠) والواقع أن هـــدف بيت الحكمة لم يقتصر على جمـــع الكتب وحفظها وانشاء قسم للترجمة فيها ، فقـــد اخـــذ المـــأمون يحث الناس على مطالعة الأسفار والاهتمام بصناعتى النساخة والتقميش(١٦١) . فهـــذا بيت الحكمة أول مؤسسة ثقافية عند المسلمين يدين للخليفة المـــأمون بما منحه لـــه من عنـــاية وكما أضفى عليه من قـــوة ، وما أنفـــق من مال ، فكسبت اللغـــة العربية كثيرا من الزاد والمعرفة بما أجرى فى بيت الحكمة من ترجمة اليها من اللغات الأجنبية وبواسطة بيت الحكمة حفظ للانسانية كثير من تراث الاغريق الذى ضاعت أصوله ولم يجـــد العالم غير الترجمات العربية وسيلة للوصول الى هـــذا التراث(١٦٢) .

---

(١٥٨) د. حسن ابراهيم حسن : التاريخ السياسى والاجتماعى والثقافى جـ ٢ ص ٣٢٢ .

(١٥٩) ابن خلكان : وفيـــات الاعيـــان جـ ١ ص ١٧٣ .

(١٦٠) حسن ابراهيم حسن : التاريخ السياسى والاجتماعى والثقافى جـ ٢ ص ٣٤٨ .

(١٦١) ابن النـــديم : الفهرســـت ص ٢٤٨ .

(١٦٢) د. أحمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ٣٥٣ ، ٣٥٦ .

ان بيت الحكمة الذى اسسه العباسيون يسر للناس سبل الدرس والمطالعة والتأليف والترجمة لمن يرغب ، كما شوق الخلفاء الناس الى التعليم والاقبال عليه فيحضرون معهم المناظرات العلمية التى تجرى بين العلماء فى هذه الدار فى مختلف العلوم والفنون وابداء الآراء وغير ذلك(١٦٣) .

فقد ساهمت مؤسسة بيت الحكمة فى نشر التعليم والمعرفة بين المسلمين وغيرهم وحثهم على طلب العلم والمعرفة باعتبارها مؤسسة ثقافية عالية تهدف الى نشر الحكمة والعلم والأدب بين المسلمين وغيرهم ، وهم جميعا يتولون أمور الدار ويشرفون عليه ، ولذا نجد الروح العلمية هى السائدة فى الدار وحرية الكلام والمعتقدات مطلقة ، وتحكيم العقل والمنطق فوق كل اعتبار(١٦٤) .

---

(١٦٣) سعيد الديوه جى : بيت الحكمة ص ٣٨ .

(١٦٤) المرجع نفسه ص ٥٣ .

## ثالثا ـ ادخال نظام جـديد للمكتبات على العالم الاسلامى :

ان المكتبات كانت طريقة للقـدماء فى نشر العلم ، ولمـا كان يتعـذر على غير الاغنياء اقتناء الكتب نظرا لأنهـا كانت مخطوطات غالية الثمن ، لجـأ من أحب التعليم الناس الى انشاء مكتبة يجمع فيها الكتب ويفتح ابوابها للناس كما فعل العباسيون فى بيت الحكمة(١٦٥) .

ثم كانت المكتبات نواة الجامعات الاسلامية الكبرى ، كبيت الحكمة فى بغـداد ودار الحكمة فى القاهرة ، ثم اصبحت هـذه نماذج لهـذا النوع من المنشآت سواء شيدتها الدولة أو أسسها الأفراد ، وعلى هـذا أصبحت المكتبات فى العالم الاسلامى فى تلك العصور تقـوم مقام مهمة المعاهـد العلمية فى العصر الحـديث بالاضافة الى ما تؤديه دور الكتب فى الوقت الحاضر(١٦٦) .

ونعرض بعض نماذج قليلة لمكتبات انشأها الأفراد وكانت بدور العلم الحـديثة أشبه . حـدث ياقـوت(١٦٧) قال : كان بكركر من نواحى القفص ( قرية قريبة من بغـداد ) ضيعة نفيسة لعلى بن يحيى المنجم وقصر جليل فيه خزانة كتب عظيمة يسميها خزانة الحكمة يقصـدها الناس من كل بلد فيقيمون فيها ، ويتعلمون فيها صنوف العلم ، والكتب مبذولة فى ذلك لهم ، والنفقة فى ذلك من مال على بن يحيى فهـذه مكتبة فيها مساكن لطلاب العلم وفيها طعام لهم ونفقة ، أليست اذن بالمدرسة أشبه ؟ انها لا ينقصها الا المعلم لتكون مدرسة بها مكتبة ، بل ان المعلم ايضا ، وجد فى بعض المكتبات ، ولكنها ظلت تعـد مكتبة لسبب من الأسباب كأن يكون المعلم لا ينتظم جلوسه للطلاب لأنه لا يتخـذ التدريس وظيفته الأولى أو تكون المؤسسة غنية بالكتب فى موضوعات متعـددة فتستهوى الكتب الناس أكثر ممـا يستهويهم الاستماع للدرس وهكذا .

فالمكتبات كانت مدارس للتعليم ومؤسسـات ينفق عليها الأمراء والأثرياء والعلماء لتنشر العلم بينهم وخصوصا فى ذلك الزمن الذى لم تكن فيه الطبـاعة موجودة فكانت الكتب تنسخ على أيدى النساخ المتخصصين لهـذا العمل فكان يبلغ بذلك ثمن الكتاب حـدا قـد يتعـذر على طالب العلم أو العالم الفقير شراؤه ، فكيف اذا أراد أن تكون

---

(١٦٥) جرجى زيدان :التمدن الاسـلامى ج ٣ ص ٢١٠ .

(١٦٦) د. احمد شلبى : تاريخ التربية الاسـلامية ص ١٣٩ .

(١٦٧) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ج ٥ ص ٤٦٧ .

لــه مجموعة من الكتب فى الفن أو العلم الذى يتخصص فيه ؟ ومن هنا كان قيـام المكتبات فى مجتمعنا المـاضى منبعثا من عاطفة انسانية وعن نزعـة علمية فى وقت واحـد(١٦٨) .

بهـذه الروح العلمية شغف علماؤنا واغنياؤنا وأمراؤنا بالكتب وجمعها حتى كانـوا يرون نكبتهم فى أموالهم وبيـوتهم أيسر عليهم من نكبتهم فى كتبهم(١٦٩) . وبهـذه الروح العلمية كانوا يتنافسون فى شراء المؤلفات العلمية من مؤلفيها بعـد الانتهاء من تاليفها ، وقـد نشأ عن هـذه الروح العلميـة انتشار المكتبات فى شتى أنحـاء العالم الاسلامى ، فقلما كانت مدرسة ليس بجانبها مكتبة ، وقـل أن تجـد قرية صـغيرة ليس فيها مكتبة أما العواصم والمـدن فقـد كانت تغص بدور الكتب بشكل لا مثيل لـه فى تاريخ العصور الوسطى(١٧٠) .

وساعدت صناعة الورق على اذكاء حماس العرب حين تضخم انتاجهم العلمى بل لقـد ساعدت هـذه الصناعة على حـدوث انقلاب فكرى هائل اذ سـهل تداول الكتب العـديدة المترجمة أوالمؤلفة على السواء ، وكان من الطبيعى أن تظهر نواة مكتبات عربية .. ما لبثت أن نمت لتصبح بمرور الوقت مكتبات كبيرة .. ثم بدأت تتعـدد وتنتشر فى أرجاء العالم الاسلامى(١٧١) .

أما فى قصور الخلفاء والأمراء فكانت كمكتبات عامة تفتح أبوابها لكل راغب فى القراءة والاطلاع ولم يضن الخلفاء عليها بمـال أو جهـد بل زودوها بمختلف المؤلفات الثمينة ، ويسروا أسباب الراحـة لروادها(١٧٢) .

وقـد كرس الخليفة المـأمون شطرا كبيرا من وقته وماله لدعم المكتبات وظهر ذلك واضحا فى اهتمامه بالدار التى بدأ الرشيد بانشائها فى بغـداد والتى تبنـاها المـأمون فى حماس واخلاص منقطع النظير . ونعنى بها « بيت الحكمة » أو دار العلم فقـد أمر المـأمون بتزويدها بكل ما وصـل اليه من مخطوطات أجنبية مترجمة ،

---

(١٦٨) د. الشيخ مصطفى حسنى السباعى : من روائع حضارتنا ص ١٥٣ .
(١٦٩) المرجع نفسه ص ١٥٤ .
(١٧٠) المرجع نفسه ص ١٥٥ .
(١٧١) محمد ابراهيم الصيحى : العلوم عند العرب ص ٧٦ .
(١٧٢) المرجع نفسه ص ٧٧ .

وشـــجع المـــأمون طلاب العلم على التردد عليها للقراءة ودبر لهم سبل الاقـــامة واسباب الراحـــة ؛ فذهب الى حـــد اقامة جنـــاح ملحق بالدار يضم عـــــددا من الحجرات الصغيرة ، خصصت لينال فيها من يشاء من رواد الدار قسطا من الراحة . كما يقـــدم لهم الطعام والشراب دون مقابل(١٧٣) .

ولم تأل الدولة العباسية جهـــدا فى تزويد قاعات المكتبات والخزائن والمقاعد ، كما وفرت للقراء : المحابر والأقـــلام والاوراق . ولا شـــك أن انتشار المكتبات العامة فى ارجاء العالم الاسلامى فى العصور الوسطى واتباعها هـــذه الأنظمة وفتح ابوابها لكل قارىء وتسخير كل هـــذه الامكانيات لخـــدمته دليل ناطـــق على تقـــدم العرب الفكرى والعلمى ومدعاة للفخر ويسجل لهم ولتاريخهم بمـــداد من نور(١٧٤) .

كانت المكتبات نوعين رئيسيين : عامة وخاصة . اما العامة فقـــد ينشـــئها الخلفاء والأمراء والأغنياء . كانت تشيد لهـــا أبنية خاصة فهناك دار الحكمة التى انشأها الفاطميون فى مصر ودار الحكمة فى قرطبة . كما عرف نظام المكتبات الملحقـــة بالجامعات أو المدارس على غرار ما هـــو حادث اليوم .

وقـــد تبارى الأثرياء فى اقامة المكتبات فى قصورهم فكانوا يرون فى ذلك مدعاة للفخر دليلا على اعتزازهم بالعلم والثقافة وكانوا يفتحون أبوابها للعلماء والدراسين وقـــد قـــدر عـــدد المكتبات العامة فى أسبانيا وحـــدها بنحو سبعين مكتبة عامة ادت واجبها على الوجـــه الأكمل بفضل النظام الدقيق الذى وضع لهـــا(١٧٥) .

وان المتتبع للوائح هـــذه المكتبات ونظام الاستعارة الداخلى والخارجى الذى عرفه وطبقه العرب فى مكتباتهم . ليدهش حقـــا لمدى الدقـــة التى اتسمت بهـــــا أعمالهم . فكانت الاستعارة الداخلية سهلة ميسورة ، اذ وضعت الكتب فى متناول القارىء على الأرفف دون أن يحجزها عن القراءة حاجز ، كما هـــو متبع الآن فى أحـــدث المكتبات العامة . أما نظام الاستعارة الخارجية فقـــد عرفه العرب ايضا ، ولكنه كان قاصرا على طلاب العلم الموثوق بهم . وكان يطلب عادة بعـــد تقـــديم ضمان مالى كاف كما كان نظام الاستعارة الخارجى يقضى بالتجـــديد فترة لا تتجـــاوز

---

(١٧٣) محمد ابراهيم الصيحى : العلوم عند العرب ص ٧٧ .

(١٧٤) المرجـع نفسـه ص ٨١ .

(١٧٥) المرجـع نفسـه ص ٧٩ .

شهرين لمستعير الكتاب خلالها ، ومن الطريف أنه وجد فى مكتبة قرطبة نسخة خطية من كتاب : « العبر والمبتدأ والخبر »(١٧٦) . وقد كتب مؤلفه ابن خلدون على غلافه بخط يده هذه العبارة « لا يجوز اعارة هذا الكتاب اعارة خارجية الا اذا كان المستعير شخصا موثوقا به وأمينا على أن يدفع ضمانا ماليا » . وكان يشرف على هذه المكتبة ويقوم على ادارتها وخدمة الرواد والقراء جهاز فنى وادارى مهمته تقديم كل عون ممكن للقارىء . ويقوم على رأس هذا الجهاز أمين المكتبة ويسمى « الخازن » ويعاونه عدد من النساخ وبعض المناولين ، فكان أمين المكتبة يقوم بعمل فنى خالص بسبب ما فى المكتبة من كتب وأسماء مؤلفيها ومحتويات كل منها . أما مهمة المناولين فى ارشاد القارىء الى موضع الكتاب الذى يريده أو احضاره اليه حينما يجلس ، فكانت بعض المكتبات تستعين بعدد من الجوارى لنقل الكتب النادرة الى طلاب القراءة ويروى أن احدى مكتبات قرطبة كانت تستعين بمائة وسبعين جارية لهذا الغرض(١٧٧) .

وقد عرف العرب نظام تصنيف الكتب فقسموها الى أقسام حسب العلوم والفنون وسجلوا على غلاف كل كتاب اسمه واسم مؤلفه ليسهل على القارىء التقاط الكتاب الذى يريده دون عناء ، وهو نفس النظام المتبع فى أرقى مكتباتنا الآن .

وبعد ، فلئن كانت النشوة تملأ نفوسنا حين نتحدث عن انتشار المكتبات فى العالم الاسلامى فى عصور حضارتها الزاهرة ، فان الأسى ليملأ قلوبنا حين نتذكر مصائر هذه المكتبات ، وما تعرضت له من بوادر وحرائق لا يمكن أن تقدر خسارة العلم فيها أبدا . لقد أصيبت مكتباتنا بما قضى على ملايين الكتب منها بحيث فقدها العالم الى الابد وهى من أثمن ما خلفه الفكر الانسانى فى التاريخ(١٧٨) .

---

(١٧٦) المرجع نفسه ص ٧٩ . ٨٠ .

(١٧٧) المرجع السابق نفسه ص ٨٠ .

(١٧٨) د. الشيخ مصطفى حسنى السباعى : من روائع حضارتنا ص ١٥٩ ، ١٦٠ .

# الفصل الثالث : مميزات بيت الحكمة بين الجامعات الحديثة



١ ـ مكانة جامعة بيت الحكمة بين الجامعات الحـديثة وأثرها فيها ٠

٢ ـ بيت الحكمة كجامعة ذات أثر فكرى وفلكى فى الجامعات الحـديثة ٠

٣ ـ تأثير جامعة بيت الحكمة فى الجامعات الحـديثة فى شتى فروع العـلم والمعـرفة ٠

**أولا ـ مكانة جامعة بيت الحكمة بين الجامعات الحـديثة وأثرها فيها :**

ومن القرن الثانى الهجرى بدأت الحضارة الاسلامية تأخـذ دورها القيادى لتضىء للبشرية ظلمات عصورها الوسطى ، وتحـدد مسراها الى فجر النهضة ، وعلم العصر الحـديث . حضارة عربية اللسان والقلم اسلامية الجـوهر والروح والفكر والمنهج . شاركت فيه شعوب الأمة من أقصى الشرق الآسيوى الى أقصى المغرب الأفريقى . وتألق ضياء مناراتها من نيسابور والرها وأصبهان وخوارزم وبخـارى وسمرقند وبغـداد والبصرة والكوفة والاستانة وبيروت ودمشق وحلب والقـدس ومكة والمدينة الى القـاهرة والاسكندرية ودميـاط وطرابلس والقيروان وتلمسان وقسطنطينية ووهران وفاس ومراكش وطنجة وسبتة وطليطلة وقرطبـة واشـبيلية ومرسـيه(١٧٩) .

وكانت فترة نهـوض الحضارة الاسلامية العظيمة من أهم فترات التاريخ فكانت أوروبا خلالها سادرة فى عصورها المظلمة ، فمنذ القرن الأول حتى القرن السادس الهجرى الموافق للقرن السابع وحتى القرن الثانى عشر الميلادى سيطرت الحضارة الاسلامية على المعارف الشرقية والغربية ، وبلغت هـذه السيطرة أقصاها فى القرن الرابع الهجرى الموافق للحادى عشر الميلادى .

وهكذا فان العرب بدافع من مبادىء الاسلام السامية تحولوا الى امة فتحت العالم فى أقصر مدة فكانت بغـداد وقرطبة مركز الخلافة والبحث العلمى ـ ويمكن اعتبار القرنين الثالث والرابع الهجريين الموافقين للتاسع والعاشر الميلاديين القرنين الذهبيين لعلماء العرب والمسلمين الذين يدين لهم العالم بالكثير لحفظهم القـديم وتنمية لمـا ابتدعـوه من فتوحات علمية جـديدة(١٨٠) .

فقـد صحح المسلمون علوم الأقـدمين بالقـدر الذى سمح به علم عصرهم وأضافوا علوما جـديدة مثل الكيمياء والجبر فى صورته الجـديدة ـ وعلم البصريات الهام ـ وحساب المثلثات المسطح ، والحساب الجـديد الذى نقلوه عن الهنـود وطـوروه وجعلوه علما ، هـذا فضلا عن كثير من الاضافات الأخرى . لذلك كون المسلمون تراثا علميا جـديدا مميز الطابع نستطيع بحق أن نصفه بالتراث العلمى

---

(١٧٩) د. عائشة عبد الرحمن : ( **القرآن وقضايا الانسان** ) ( دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ط ٢ ١٩٧٥ م ) ص ٣٦٥ .

(١٨٠) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العربى الاسلامى ص ١٧ ، ١٨ .

الاسلامى الذى أصبح فيما بعـــد الأسـاس الذى ارتكزت عليه الحضارة الحديثة[181] .
يقول حيدر بامات : « لم تسهم مدرسة بغــداد اسهاما قويا فى ايقاظ أوروبا فحسب ، كما كتب دى سيموندى بل أشرقت بالضياء على كل آسيا »[182] .

ويقول جـــلال مظهر : لقـــد أسس هارون الرشيد بيت الحكمة ومدرسة الترجمة التى أخـــذت فى عصر الخليفة المـــأمون صـــورة أكاديمية فقامت المدرسة بأكبر مجهود فى ترجمة العلوم والفلسفة والمعارف القـــديمة حتى أصبح تحت يد العرب مختلف علوم الأسبقين ومعارفهم[183] .

لقـــد كان تأسيس بيت الحكمة فى بغـــداد حـــدثا هاما من أحـــداث العصور الوسطى وليس من المغالاة فى شىء أن نقـــول أن هـــذه المؤسسة قـــد لعبت دورا هاما وكانت تجمع بين الاكاديمية والمكتبة ومركز الترجمة فى نقـــل تراث الحضارات القـــديمة الى العالم الغربى ، فقـــد قامت هـــذه المؤسسة الرائعة التى ضمت أسماء من المسيحيين واليهود والعرب على الاهتمام بالمعـــارف الأجنبية ، من علوم وفلسفة اليونان ومؤلفات جالينوس وأفلاطـــون وأرســـطو والشارحين من أمثـــال الاسكندر ... الخ[184] .

ويرجع الفضل لمدرسة بغـــداد الذى كان بيت الحكمة حجر الأساس لهـــا حيث كان تأثيرها حتى النصف الثانى من القرن الخامس عشر ، فى الحفـــاظ على استمرارية الحضارة واصلاح سلسلة المعارف الانسانية التى حطمت بقسوة فى القرن السادس واضمحلال روما وسقوطها . ولو اقتصرت حضارة الاســـلام على مجرد انقـــاذ الحضارة القـــديمة بالحفاظ عليها بعناية ثم نقلها للأجيال التالية لكانت هـــذه خـــدمة تجـــل عن الوصـــف[185] .

يقول سيديو : « وهـــو حجة فى هـــذا الموضوع » : ان ما تمتاز به مدرســـة بغـــداد هـــو الروح العلمية الصادقة التى وجهت كل أعمالها فكانت تتقـــدم من المعلوم الى المجهول ، تراقب الظواهر بكل دقـــة لتستنتج الأسباب من النتـــائج ،

---

(181) جلال مظهر : علوم المسلمين أساس التقدم العلمى الحديث ص 17 .
(182) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص 81 .
(183) جلال مظهر . علوم المسلمين أساس التقدم العلمى الحديث ص 15 ، 16 .
(184) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص 78 ، 79 .
(185) المرجع نفســه ص 80 .

ولا تقبل حقيقة الا متى اثبتتها التجربة . كانت هـذه هى توجيهات أساتذتها ، لقد امتلك العرب فى القرن التاسع الوسائل العلمية الفنية ، التى استطاع العلماء فى العصر الحديث أن يستخدموها فى اكتشافاتهم العظمى »(١٨٦) .

سارت الحياة الثقافية والعلمية فى القرون الوسطى فى رعاية الاسلام وكيف شجع الخلفاء العلماء فى ظل الحرية للفكر والعقيدة ، فى ظل التشجيع الأدبى والمادى ازدهرت العلوم والفنون الاسلامية ازدهارا كبيرا ، بينما كانت أوروبا فى القرون الوسطى فى ظلام دامس وصراع مستمر . فكان الجهل سائدا وكان العقل والفكر فى نوم عميق(١٨٧) .

كان خلفاء المسلمين يشجعون العلم ويخدمون العلماء ويجزلون لهم العطاء لهذا انتعشت فروع العلم والمعرفة فى الأرجاء الاسلامية وقامت حضارة كانت موضع تقدير جيرانها(١٨٨) . ولهذا عندما صحت أوروبا من نومها لم تجد غير علماء الحضارة الاسلامية فاسرعت نحوها تنهل من علمها وثقافتها وفنها . وكان الخلفاء واباطرة الروم يتبادلون السفارات الخاصة لدراسة الكتب النادرة واستقدام كبار العلماء للاسهام فى الحركة العلمية أو لتسهيل مهمة بعض الطلاب لتلقى العلم فى الجامعات الكبرى فى عواصم العرب والروم ولا سيما اذا كانت تتعلق بأمور تفيد الناحية الحربية(١٨٩) .

قال سيديو : ان علماء المسلمين هم فى الواقع أساتذة أوروبا فى جميع فروع المعرفة ، وقد ايده رينان الفيلسوف الفرنسى عندما قال : « ان العلوم والحضارة مدينة بازدهارها وانتشارها للمسلمين وحدهم طوال ستة قرون ، وفى معرض آخر يقول جوستاف لوبون : « لقد عاشت جامعات الغرب خمسمائة سنة تنقل عن العرب وتتعلم منهم »(١٩٠) .

وكما عد المؤرخون عهد هارون الرشيد وابنه المأمون عصر القوة فى الدولة العباسية عدوا كذلك عهد المعز وابنه العزيز عصر الازدهار للدولة الفاطمية ،

---

(١٨٦) سيديو : خلاصة تاريخ العرب ص ٢٢١ ، ٢٢٣ .
(١٨٧) د. عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ١٣١ .
(١٨٨) المرجع نفسه ص ١٥٣ .
(١٨٩) المرجع نفسه ص ١٥٠ .
(١٩٠) قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٢٥٠ .

وعهد الناصر وولده المستنصر العصر الذهبى لدولة العرب والاسلام بالأندلس . وهنا وهناك كانت النهضة العلمية تساير عصر القوة للدول الثلاث فكانت جامعة بيت الحكمة فى بغداد وجامعة دار الحكمة فى القاهرة وجامعة قرطبة فى الاندلس عنوان هذه النهضة رمزا معبرا عنها وآية من آيات عزها(١٩١) .

انتقل تراثنا مع ثمار حضارتنا عبر الدردنيل والبحر الأسود وقزوين وصقلية وأسبانيا ، فأخذوا هناك فى حركة الاحياء ( الرينسانس ) التى بدأ بها تاريخ النهضة الحديثة فى أوروبا . ويمكن تقدير مدى اثر جامعة بيت الحكمة فى الجامعات الحديثة اذا عرفنا أن جامعة بولونيا بايطاليا أسست ١١١٩ م وأن جامعة أكسفورد اسست ١٢٢٩ م وجامعة السوربون بعد ذلك ؛ فهى بذلك أقدم جامعة فى العالم كله(١٩٢) .

ولعل ظهور جامعات اسلامية دينية عريقة فى الشرق الاسلامى من أهمها الأزهر الذى قام فى أول الأمر على أنه جامع لنشر الدعوة الفاطمية ولكن سرعان ما تحول الى جامعة علمية تعليمية والى جانب الأزهر قامت جامعة بيت الحكمة فى بغداد وجامعة القرويين فى المغرب وجامعة قرطبة فى الأندلس(١٩٣) .

وكانت كلها تقوم على أساس المزج بين الدين والفكر الانسانى . واذا كانت الجامعات الاسلامية قد بدأت بالمسجد الجامع ، واستمرت عصورا مستقرة فيه فانها مع ذلك لم تقف عند المنهج الدينى الذى بدأت به ، بل تطورت مع العصور ؛ حتى أضحت تجمع بين العلوم الدينية والدنيوية . ونستطيع أن نقول ان الجامعات الأوروبية بدأت تسير على نفس النمط الذى كانت تسير عليه الجامعات الاسلامية . فقد بدأت يغلب عليها الطابع الدينى وان كانت تحررت منه بعد ذلك(١٩٤) .

وللعرب فى الأندلس علاقة بتأسيس جامعة مونبلييه التاريخية فقد ألقى البروفسور دالمناس عميد كلية الطب محاضرة فى قاعة البلدية عن انشاء جامعة مونبلييه عامة وكلية الطب خاصة قال فيها : « عندما أراد أهل مونبلييه فى أوائل القرن الثانى عشر ، انشاء جامعتهم ، وجدوا أنه ليس فى مدينتهم الأساتذة والعلماء والكفاءة اللازمة لانشاء الجامعة والقاء المحاضرات العلمية العالية ففكروا بالاستعانة

---

(١٩١) د. عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماض وحاضر ص ٢٨ .

(١٩٢) أنور الجندى : ( **الفكر والثقافة المعاصرة فى شمال افريقيا** ) . ( الدار القومية للطباعة والنشر — القاهرة ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥ م ) ص ١٣٨ .

(١٩٣) د. سعيد ابراهيم الجيار : دراسات فى تاريخ الفكر التربوى ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

(١٩٤) د. عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ١٢٢ .

بجامعات اخرى لهـذه الغاية فنظروا اولا الى باريس فرأوا أنها ليست أحسن حالا منهم ثم فكروا فى روما فوجدوا أنهم أحسن حالا منهم ، أما انكلترا والمانيا فكانتا لا تزالان فى الأشواط الأولى من التعلم والثقافة . وبعد بحث قرروا أن لا مناص لهم من طلب تلك المساعدة الفنية من البلد الوحيد الذى يستطيع ان يمدهم بالأساتذة والخبراء الأكفاء . هو الدولة العربية الاسلامية فى الأندلس ، فاتصلوا بها وعرضوا عليها وضعهم فلبت الحكومة العربية طلبهم وأرسلت الى مونبلييه ثلاثة من كبار الأساتذة المشهورين بالطب والعلوم والفلسفة . وعكف هؤلاء على مهمتهم ، وأخذوا ينظمون الجامعة لا سيما كلية الطب مع الأساتذة الفرنسيين ، كما ألقوا المحاضرات العلمية فيها ، خلال ثلاث سنوات ، وبعد مدة كافية وجدوا أن فى امكان الأساتذة الفرنسيين الاستمرار فى عملهم دون الحاجة اليهم ، فاستأذنوا فى العودة الى أعمالهم فى جامعاتهم فى أسبانيا العربية »(١٩٥) .

ويشهد مؤرخو الحضارة الغربية من أمثال ديبور واوليرى وتوينبى وكراتشكوفسكى .. بأن الفكر الاسلامى هو الذى قدم الى الغرب شعاع النور الذى أضاء مسراه الى عصر النهضة الحديثة(١٩٦) . فقد قام الأمير فردريك بتأسيس جامعة نابولى عام ١٢٢٤ م وجعلها مدرسة لنقل العلم العربى الى العالم الغربى ، وأن جامعة بولونيا وبادوقا قامتا على الثقافة العربية ، وبخاصة فلسفة ابن رشد وطب ابن سينا . وفى صقلية اعتمدت جامعة باليرمو أقدم جامعة غربية على الثقافة العربية التى حرص الأمير « ريجار » و « روجيرو » على استعارتها منا ، واستقدم لها الاعلام من علماء العرب وكان منهم « الادريسى » الذى ألف لامير صقلية كتاب « نزهة المشتاق فى اختراق الافاق » وصنع كرة أرضية من الفضة كتبت عليها بالذهب أسماء الأقاليم والمدن الكبرى(١٩٧) .

ليست أوروبا أرض حضارة ، ولا أرقى تقدما ولا أعلى ذوقا ، ولا اجمل مظهرا عما كانت عليه الحضارة الاسلامية فى بغداد والأندلس يوم أن كانت أوروبا غارقة فى جهلها وظلامها كانت شوارع المسلمين فى أيام حضارتهم الزاهية مضاءة مبلطة بالأحجار ، كانت لهم جوامع كثيرة ومكتبات مرتبة ومستشفيات منظمة .. غير ما كانوا عليه من حرية وحب وأخاء وتراحم(١٩٨) . وهكذا ، ظلت جامعة بيت الحكمة منارة للجامعات الأوروبية الحديثة وذات تأثير قوى فى جميع فروع العلم والمعرفة فيها .

---

(١٩٥) المرجع نفسه ص ١٢٥ .

(١٩٦) د. عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماض وحاضر ص ٤٣ .

(١٩٧) د. عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ٤٣ ، ٤٤ .

(١٩٨) المرجع نفسه ص ٤ .

## ثانيا ــ بيت الحكمة كجامعة ذات أثر فكرى وفلكى فى الجامعات الحــديثة :

كانت أهم وجــوه النشاط العلمى فى العالم تجرى فى بيت الحكمة الذى رعــاه المــأمون فى بغــداد .. وفى بيت الحكمة هــذا كان تأثير الخوارزمى على الفــكر الرياضى أكبر من تأثير أى رياضى آخر فى العصور الوسطى(١٩٩) .

قامت مدرستا بغــداد ودمشق الفلكيتان فى عهــد هارون الرشيد والمــأمون بأعمــال جليلة فى علوم الهيئة والتنجيم ( علم النجــوم ) وقــد وضع حينذاك أفــق الاستواء بثلاث وعشرين درجــة وثلاثة وثلاثين دقيقة وخمسين ثانية وهــو نفس ما اهتدى اليه علمــاء الفلك على عهدنا بآلاتهم الكثيرة وأدواتهم الحــديثة . فكانوا يعرفون جيدا مدار السنة برصــد الاعتدالين وجعلوا عــدتهم فى ذلك قياس قوس خط الزوال وهــو ما لم يقم بمثله غيرهم الا بعــد مضى ألف سنة من استنباطهم اياه وعملهم به ، فضلا عن الكثير من المزاول والساعات الرملية والمــائية التى اخترعوها لتحــديد ضبط الوقت(٢٠٠) .

وقــد صــدر عن مدرسة بغــداد فى عهد هارون الرشيد والمــأمون بعض المؤلفات الهامة ، فروجعت النظريات القــديمة ، وصوب العــديد من أخطــاء بطليموس وصححت جــداول اليونان ، والى مدرسة بغــداد يرجع الفضــل فى اكتشاف حركة نقطــة الأوج فى مدار الشمس وتقــدير انحراف المدار البيضــاوى ونقصانه المتوالى والدراسة التفصيلية لتقــدير مدة السنة ، وقــد لاحظ علمــاء بغــداد عــدم انتظام أقصى ارتفاع للقمر واكتشفوا التباين القمرى الثالث ويعرف باسم « التغيير » وراقبــوا الكلف ( البقــع ) الشمسية ودرسوا الكسوف والخسوف وظهور المذنبات وغيرها من الظواهر الفلكية وشكوا فى ثبــات الأرض ، فكانوا السابقين الأوائل لكوبر نيكوس وليكر(٢٠١) .

وقــد سجلت نتائج هــذه المراقبات التى قامت بها مدرسة بغــداد فى الجداول المنحققة ويعتبر يحيى بن أبى منصور المؤلف الرئيسى لهــذه الجــداول ، ومن أشهر

---

(١٩٩) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى ص ٦٣ .

(٢٠٠) السيد محمود أبو الفيض المنوفى : ( أصالة العلم وانحراف العلماء ) ( دار نهضة مصر ـ القاهرة ـ بدون ) ص ٦ .

(٢٠١) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانيه ص ٩٩ .

علماء هــذه المدرسة نذكر البتانى الذى يعتبره « لالاند » أشـــهر عشرين فلكيا فى العالم ، وأبو الوفا الذى يرتبط اسمه بأحـــد أساسيات علم الفلك ، وهـــو التباين القمرى الثالث ، وقـــد سبق هـــذا الفلكى المسلم الدنماركى نيكوبراهى الذى ينسب اليه خطأ هـــذا الاكتشاف سبقه بعشرة قرون(٢٠٢) .

ولعل اهتمام المـــأمون فى بغـــداد بالاكاديمية العلمية الا وهى بيت الحكمـــة حيث الحق بها مكتبة ضخمة ومرصـــدا تم بناؤه تحت اشراف سند بن على رئيس الفلكيين فى ذلك الوقت . وبالاضافة الى ذلك أقيم مرصـــد آخر فى سهل تدمر وقـــد عززت هـــذه المراصـــد بأجهزة فلكية تشبه الآلات الأجنبية ولكنها تفوقها فى الدقة ، وهـــذه الأجهزة من صنع نخبة من العلماء على رأسهم على بن عيسى الأسطرلابى الذى اشتهر بذلك الاسم ، لبراعته فى صناعة هـــذا الجهاز الفلكى وشرح تفصيله وطرق استعماله فى كتاب يعتبر الأول من نوعه ، وأبو على يحيى بن أبى منصور الذى زاد فى دقـــة أجهزة الأرصاد بتقسيم درجاتها الى ستة أجزاء ، حتى تعطى القيمة المطلوبة أقرب ما يمكن الى الحقيقة ، وعلى أساس ارصاده وارصاد زملائه ، ثم عمـــل الحسابات اللازمة لنشر الزيج المـــأمونى وبعض الكتب الأخرى فى علوم الفـــلك(٢٠٢) .

كما شـــجع المـــأمون علماء جامعة بيت الحكمة على البحث فى هـــذا المضمار ومن اهم النتائج التى توصل اليها علماء المسلمين فى عهده قياس محيط الكرة الارضية ، فقـــدروه بـــ ١٢٤٨ كم ، وهـــو قريب من النتائج التى توصلنا اليها فى هـــذا العصر بالحسابات الالكترونية كما قلبوا الشمس والقمر والنجـــوم بطرق هندسية دقيقـــة قريبة من الصـــواب(٢٠٤) .

وباقامة مرصـــد بغـــداد ، بدأ سير العرب فى الطريق الايجابى نحـــو نهضة علم الفلك ، فاجتمع فى ذلك المرصـــد حشد من كبار العلماء دأبوا على تسجيل ارصاد لمختلف الظواهر الفلكية بصفة مستمرة ، وذلك لأول مرة فى تاريخ علم الفلك ، فكانت تلك الأرصاد تؤخـــذ بطريقة جماعية حتى أصبح من أشق الأمور المقارنة بين هـــذا وذاك الا بالمؤلفات الخاصة لكل منهم أو بالمنصب الذى كان يتولاه(٢٠٥) .

---

(٢٠٢) المرجـع نفســه ص ١٠٠ .

(٢٠٣) د. امام ابراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ص ٢٦ ، ٢٧ .

(٢٠٤) السيد محمود أبو الفيض المنوفى : أصالة العلم وانحراف العلماء ص ١٧ .

(٢٠٥) د. امام ابراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ص ٢٨ .

ولا يفوتنا أن نشير الى انتقال عدوى حب العلم ورعايته من الخليفة المأمون الى الكثيرين من رعاياه ومن بينهم الثلاثى الشهير ( بنو موسى وهم أحمد ومحمد والحسن ) أبناء موسى بن شاكر الذين سبقت الاشارة اليهم فقد تفردوا فى وقتهم بالوقوف على دقائق علم الفلك والاستكشافات الفلكية المهمة كتحديد حركة المبادرة السنوية أى تقهقر نقطتى الاعتدالين ورسم مواقع النجوم على مدار السنة وقياس عرض مدينة بغداد بأنه ٢٣ درجة و ٢٠ دقيقة وهو العرض الصحيح الذى استخرجه العلماء فى عصرنا(٢٠٦) .

ونهض المسلمون بعلم الفلك ، وعرفوا الكواكب والمجموعات النجمية ، ولا تزال فى اللغات الأجنبية الفاظ عربية لبعض النجوم مثل : السماك والرامح والواقع والطائرة والمرأة والسلسلة ذات الكرسى والذئب وفم الحوت .. ومن آلات الرصد التى استعملها علماء المسلمين آلات ذوات أوتار تسمى ذوات الشعبتين ، ذات الجيب وذات السمت والارتفاع والأسطرلاب واللبنة ذات الحلقة والحلقة الاعتزالية .. كما اهتم علماء المسلمين بعلم الازياج ، وهى جداول فلكية تستند الى قوانين رياضية .. ومن اشهر الازياج التى اولاها المسلمون عنايتهم التامة ، زيج البتانى ، وزيج البلخى وزيج الفزارى وزيج العلائى ، وزيج الخوارزمى(٢٠٧) .

وجماع القول ان للعرب افضالا كبيرة على الفلك منها أولا : نقلوا العلوم الفلكية عند اليونان والفرس والكلدان والسريان وصححوا بعض اغلاطها وتوسعوا فيها ، وهذا عمل جليل جدا ، اذا عرفنا ان اصول تلك الكتب ضاعت ولم يبق منها غير ترجماتها فى العربية ، وهذا طبعا ما جعل الأوروبيين يأخذون هذا العلم عن العرب فكانوا — اى العرب — أساتذة العالم فيه . ثانيا : فى اضافاتهم الهامة واكتشافاتهم الجليلة التى تقدمت بالفلك شوطا بعيدا . ثالثا : فى جعلهم علم الفلك استقرائيا وفى عدم وقوفهم فيه عند حد النظريات كما فعل اليونان . رابعا : فى تطهير علم الفلك من أدران التنجيم(٢٠٨) .

لا شك ان العرب لم يصلوا بعلم الفلك الى ما وصلوا اليه الا بفضل المراصد ، وقد كانت هذه نادرة جدا قبل النهضة العلمية العباسية ونذكر من علماء العرب

---

(٢٠٦) السيد محمود أبو الفيض المنوفى : أصالة العلم وانحراف العلماء ص ١٧ .

(٢٠٧) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العربى العلمى الاسلامى ص ٧٦ .

(٢٠٨) قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الفلك والرياضيات ص ١٣٨ .

المبرزين فى علم الهيئة ابو عبد الله بن محمد بن جابر بن سنان الحرانى المعروف بالبتانى فقد كانت منزلته فى قومه كمنزلة بطليموس فى اليونان فكانت مصنفاته حاوية شتات الحقائق الفلكية التى لم يحصلها العقل البشرى الى عهده ، ومن آثاره القيمة الزيج المنسوب اليه وقد ضمنه مواقع الكواكب سنة ٢٩٩ هـ وفى مكتبة الفاتيكان نسخة خطية من هذا الزيج النفيس ، وقد طبعه منذ عهد غير بعيد العلامة ( نالنيو ) عن نسخة خطية اخرى موجودة فى مكتبة ( الأسكوريال ) وترجمه الى اللاتينية(٢٠٩) .

ولكن مهما كانت الظروف والاحوال فقد كانت بيت الحكمة جامعة واسعة تثرى الفكر العربى والاسلامى والانسانى بعلومها المختلفة ، فيدرس فيها أشهر العلماء والحكماء والفلاسفة والمنجمين والفلكيين وبقيت ذات أثر فكرى وفلكى فى الجامعات الحديثة .

(٢٠٩) السيد محمود أبو الفيض المنوفى : أصالة العلم وانحراف العلماء ص ١٦ .

**ثالثا — تأثير جامعة بيت الحكمة فى الجامعات الحديثة فى شتى فروع العلوم والمعرفة :**

كانت بغــداد مركزا للعلوم والمعارف فى ظــل الخلافة الاسلامية فكانت جامعة بيت الحكمة تضم مكتبة ومجمعا علميا ادبيا ودارا للترجمة ، وقــد أمر الخليفــة المــأمون بترجمة جميع مؤلفات الاغريق الى العربية ، كما ان مؤلفات بطليمــوس وأقليدس وارسطو وغيرهم انتقلت آخر الأمر من بغــداد الى الجامعات الاسلامية فى البلاد النائية مثل صقلية والأندلس وانتقلت المعارف العلميه الى أوروبا فى العصور الوسطى من خلال الجامعات الأندلسية التى اسسها المسلمون(٢١٠) .

وفى العصر العباسى بدات الحركة العلمية فى جميع المجالات وازدهر الطب ضمن جميع فروع المعرفة ، فقــد فتح خلفاء بنى العباس مدارس وجامعات تدرس علم الطب فى كل من بغــداد والبصرة والكوفة ودمشق(٢١١) . فقــد ظهر طبيب عربى اسلامى ، ونظريات علمية مبتكرة ولمع ابو بكر الرازى الذى وضــع دائرة معارف طبية تقــع فى ٢٥ جزءا وترجمت جميعها الى اللاتينية ، وظلت تدرس فى جامعــات أوروبا حتى نهاية القرن الخامس عشر(٢١٢) .

وللرازى من كتب الطب والفلسفة وغيرهما شىء كثير ، وما زال الناس يعولون على كتابه حتى ظهر كتاب القانون لابن سينا وهــو معروف حتى اليوم . وابو بكر الرازى الذى نعتــوه بجالينوس العرب كان مديرا لأطباء مستشفى الرى ، ثم مدير البيمارستان فى بغــداد لبراعته فى الطب وتنسب اليه خياطة الجروح الباطنيــة بأوتار العــود ، وقــد الف كتبا عــديدة كانت المعول فى دراسة الطب بالمعاهــد والجامعات الأوروبية فترة طويلة من الزمان واهمها كتاب الحاوى(٢١٣) . ويعتبر من أوســع دوائر المعارف فى الطب والجراحة ويفــوق فى الحجم قانون ابن سينا ويشتمل على جميع ما يحتاج اليه طالب الطب من مداواة الأمراض والعلل .

تقول د. شوارتزهت : وزير صحة جمهورية المــانيا الاتحادية فى افتتاح المؤتمر الدولى بالقاهرة حيث شهدت بذلك فى قولها : « ان الغرب لن ينسى ابدا انه مدين

---

(٢١٠) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى ص ١٩ .

(٢١١) المرجــع نفســه ص ٢٧ .

(٢١٢) د. عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ٢٠٨ .

(٢١٣) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٤١١ ، ٤١٢ .

للعرب بدراسة الطب ، وان مؤلفات ابن سينا والرازى كانت هى الكتب الوحيدة التى تدرس فى جامعة بالرمو التى تضم اشهر مدرسة للطب فى العالم الغربى ، وكانت هـذه الكتب قـد ترجمت الى اللغـة اللاتينية » . ويشهد بذلك أيضا مدير جامعة برلين ورئيس فرع الطب بها حيث قال فى حفـل أقيم بالكلية : « أيها الطلاب العرب ، والآن اسمحوا بأن نعلمكم ونعيد على أسماعكم ما أخـذناه من أسلافكم وتعلمنـاه عن آبائكم »(٢١٤) .

وكان الرازى موضع تقـدير الجامعات الحـديثة ، فقـد خصصت جامعـة برستون الأمريكية اكبر جناح فى أجمل بناء لهـا لعرض مآثر هـذا الطبيب المسلم الذى يعـد أول واضع لعلم الطب التجريبى ، اذ كان يجرى تجاربه على الحيوانات ليختبر تأثير الأدوية فيها ، ثم يسجل جميع ملاحظاته .. وهذا ما يفعله الأطباء الآن .

وفى باريس تعلق كلية الطب على جـدرانها صورة « الرازى » ضمن صـور أكبر الأطبـاء الذين خـدموا الانسانية ولهـذه الأعمال الجليلة والانتاج العلمى الوافر سمى هـذا العالم المسلم « أبو الطب العربى » و « جالينوس العرب »(٢١٥) .

وظلت كليات الطب فى أوروبا تعتمد على كتب الرازى زمنا طويلا ، كما كان قانون ابن سينا فى الطب موضع اهتمام الغرب ودراستهم منذ القرن الثالث عشر الى السادس عشر ، ولا يزال أهـل فارس يتداولونه بمـا وصفه ابن سـينا الى أيامنا هـذه لذلك فان كتب الرازى وابن سينا كانت أساسا للتدريس فى جامعـة لوفان فى القرن السابع عشر من الميلاد(٢١٦) .

وقـد عـد لكلرك فى تاريخ الطب العربى ثلاثمائة كتاب نقلها الغرب من العربية الى اللاتينية وطبعت مرارا وخاصة فى سنة ١٥٠٩ م فى فينيسيا وفى سنة ١٥٢٨ م وفى سنة ١٥٧٨ م فى باريس وآخر مرة أعيد فيها نشر مؤلفه عن الجـدرى(٢١٧) كان فى سنة ١٧٤٥ م . وكان الطب العربى أساس علم الطب عند الفرنسيين ، أخـذوه مـع كثير من الألفاظ العربية . ودرس بعض الغربيين العلوم المختلفة على علمـاء

---

(٢١٤) المرجع نفسه ص ٤٤٤ .

(٢١٥) د. عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ٢٣٢ .

(٢١٦) جوستاف لوبون : حضارة العرب ص ٥١٧ .

(٢١٧) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ١١١ .

عرب[٢١٨] ، كما سبق العرب الأفرنج الى وصف الجـــذام وشرح مرض الجـــدرى والحصـــبة وعـــلاج أمراض العـــين[٢١٩] .

والحقيقة ان الطب الأوروبى الحـــديث مستنبط من بدايته من الطب العربى الاسلامى ، اذ يقول « رام لاندو » فى كتابه « الاسلام والعرب » لم يوسـسـع المسلمون فى دراستهم وبحوثهم الطبية آفاق الطب فحسب بل وسـعوا المفاهيم الانسانية على وجـــه العموم ، واذا كان من واجبنا أن نعتبر فلق الذرة والقنبلة الذرية رمزا لأروع المنجزات العلمية فى منتصف القرن العشرين ، فلن يبـــدو من مجرد المصادفة أيضـــا ان تكون جهود المسلمين الطبية المبتكرة قـــد قادتهم الى اكتشاف لا يقـــل عن هـــذا الكشف الذرى ثورية ، وان يكون فى أغلب الظن أكثر منه نفعا »[٢٢٠] .

وهكذا انتقـــل الطب العربى الى أوروبا فأنشئت مدارس الطب فى « مونبلييـــه وبولونيا وبادوا واورليان ونابولى واكسفورد وكمبردج وانجيه » وكلها تستخدم الكتب العربية المترجمة الى اللاتينية اساسا لتدريس الطب فى جامعاتها[٢٢١] .

ولو احصينا عـــدد الأطباء المسلمين الذين نبغـــوا فى الطب بعـــد عصر ترجمة الكتب الطبية حتى انقضاء النهضة العباسية وابتـــداء عصر التقهقر لزاد عـــــدد المؤلفين فيهم على بضع مئات ، واكثرهم اشتغلوا بسائر العلوم والفوا الكتب العديدة وترى ذلك مفصلا فى طبقـــات الأطبـــاء لابن أصيبعة وتراجم الحكماء لابن القفطى . أما عـــدد الأطباء على الاطلاق فمما لا يمكن حصره لضياع ذلك مـــع الزمان وانمـــا يستدل من بعض القرائن انه كثير جـــدا . اذن كانت جامعـــة بيت الحكمة ذات تأثير عظيم فى الجامعات الحـــديثة فى مجال الطب .

اما فى مجـــال الكيمياء فقـــد اشتهر العرب شهرة واســـعة ، يقول الفيلسوف الانكليزى « باكون » ان جابر بن حيان الكوفى يعـــد معلم العالم فى الكيمياء .. ولجابر ابن حيان قـــول مأثور : ان واجب المشتغل فى الطبيعيات والكيمياء ، هـــو العمـــل

---

(٢١٨) محمد كرد على : الحضارة الاسلامية حـ ١ ص ١٩٨ .

(٢١٩) عباس العقاد : اثر العرب فى الحضـــارة الأوروبية ص ٣٩ .

(٢٢٠) د. على عبد الدفاع . الموجز فى التراث العلمى العربى ص ٢٦ .

(٢٢١) د. عبد الرحمن بدوى : ( **دور العرب فى تكوين الفكر الأوروبى** ) ( دار العلم للملايين – بيروت – ابريل ١٩٧٩ م ) ص ٢١ ، ٢٢ .

(٢٢٢) د. عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ٢٠٨ .

واجراء التجارب ، فان المعرفة الحقيقية لا تحصل الا بها . وفى عهده عرف التقطير والتصعيد والترشيح ، وكلها عمليات فيزيائية ، كما عرف حمض الكبريت ، وحمض الأزوت ، والصودا الكاوية وكثير من المواد الكيماوية الأخرى[٢٢٢] .

كما قام العرب باكتشافات هائلة من بينها الماء الملكى وحمض الكبريتيك وحمض الأفرونيك ، ونترات الفضة ، والعرب فى العمليات الكيماوية التى قاموا بها استطاعوا تحضير حمض الزرنيخ وأكسيد الزئبق وأكسيد الحديد واكسيد النحاس وكبريتات النحاس وكبريتات الزئبق . وكلورود الزئبق الذى حضره جابر بن حيان بغلى الزئبق مع الملح العادى ونترات الألومن ، وأشهر الكيميائيين العرب الذين عرفتهم أوروبا فى جامعاتها من غير شك جابر بن حيان[٢٢٣] . الذى كان يعيش فى سنة ٧٧٦ م . وفى خلال القرون الوسطى ترجمت عدة مقالات عن جابر بن حيان الى اللاتينية وكان له أثر كبير فى تكوين مدرسة كيمياوية ذات أثر بالغ فى بلاد المغرب[٢٢٤] . وقد نقل كتابه المعروف بكتاب « الاستتمام » الى اللغة الفرنسية فى سنة ١٦٧٢ م مما يدل على دوام نفوذه العلمى فى أوروبا مدة طويلة[٢٢٥] .

وكان لنقل كتب جابر بن حيان وأبى بكر الرازى وغيرهم الى اللغات الأوروبية أن تلقى الأوروبيون عن العرب تقسيم المواد الكيماوية الى نباتية وحيوانية ومعدنية[٢٢٦] . ويدين الطب لعلم الكيمياء العربى بسلسلة من أشكال العقاقير كالشراب الحلو المستخرج من نبات الكرنب مع السكر الذى مثل دورا هاما فى تاريخ الطب[٢٢٧] . وهذا ما دفع العالم ليبرى الى أن يقول : « أحذفوا العرب من التاريخ ، يتأخر عصر النهضة فى أوروبا عدة قرون » أما الكيمياء الحديثة فيقول العارفون من علماء أوروبا أن العرب هم الذين وضعوا أساسها بما كانوا يقومون به من تجارب ، وبما كانوا يهيئون من مستحضرات كيماوية استعملت فى صناعات شتى كصناعة الورق والصابون والأصبغة والمفرقعات والأدوية ، وقد نقل الغربيون عنهم بعض الصناعات ولا سيما صناعة الورق ، كما نقلوا الى لغاتهم أكثر من خمسين اسما من الأسماء الكيمياوية التى وضعها العرب حيث لم يتركوا بابا الا طرقوه[٢٢٨] .

---

(٢٢٣) د. عبد الرحمن بدوى : دور العرب فى تكوين الفكر الاوروبى ص ٢١ .

(٢٢٤) اسماعيل مظهر : تاريخ الفكر العربى ص ٦٩ .

(٢٢٥) جوستاف لوبون : حضارة العرب ص ٥٠٣ .

(٢٢٦) عباس العقاد : أثر العرب فى الحضارة الأوروبية ص ٤٣ ، ٤٤ .

(٢٢٧) زغريد هونكه : اثر الحضارة العربية فى اوروبا ص ٣٣٦ ، ٣٢٨ .

(٢٢٨) د. عز الدين فراج : فضل العلماء المسلمين على الحضارة الاوروبية ص ١٦٣ .

وأبرز دور للعرب فى تكوين الفكر الأوروبى هــو فى العلم بمختلف فروعه الطب والكيمياء والفلك والرياضيات . أما الرياضيات فقــد كان للعرب الفضل الأكبر لأنهم هم الذين أدخلوا النظام العشرى فى العــدد ، اذ كان اليونانيون انما يستعملون فى العــدد حروف الأبجـدية من ( ١ ) الى ( ٩٩٩ ) ثم يستعملون الشرطة والشـــولة والنقطة للعــدد فيما بعــد ذلك حتى آلاف الآلاف . وكان الرومان يستعملون سبعة احرف من الابجـــدية هى I,V,X,L,C,D,M وتدل على التوالى على ١ ، ٥ ، ١٠ ، ٥٠ ، ١٠٠ ، ٥٠٠ ، ١٠٠٠ ، ثم يضعون فوقها شرطة افقية تدل على أن العــدد مضروب فى ١٠٠٠ ، وجاء الهنود فاخترعوا نظام العــد العشرى وفيه تتوقف قيمة العــدد على موضعه . فالعــدد على يمين الواحــد غيره على شماله ، وهكذا ، واستعملوا الصفر للدلالة على الخلو من الوحـــدة . وجاء العرب فاخترعوا طريقة لكتابة الآعــداد هى طريقة « الغبار » وهى التى انتشرت فى المغرب ومنه انتقلت الى أوروبا ولا تزال اليوم فيما نسميه نحن بالأرقام الهندوستانية وهى التى لا تزال تكتب بهــا الأرقام فى المشرق العربى حتى اليوم ، وقــد دخلت الرياضيات العربية أوروبا على يد Leonardo de pissa فى القرن الثالث عشر[229] .

اما جبر الخوارزمى فله فى تاريخ العلوم الرياضية مكانة سامية لأن كل ما ألفه العرب فيما بعــد عن الجبر وكل كتب الجبر التى ظهرت فى القرون الوسطى مبنيــة كلها عليه ، ومنه انتقلت طريقة العــددية العشرية أو الهندية الى الغرب ، وكتابه الجبر هــو المعروف باسم « الجبر والمقابلة »[230] . وجاء بعــد ذلك ثابت بن قرة ليتم ما بداه الخوارزمى وترجم الى العربية أهم الكتب الرياضية التى وضعها أقليــدس وأرشميدس وبطليموس ووضع عــدا ذلك كتبا مبتكرة لم يعثر الباحثون الا على قسم من كتابه الجبر ، ويشمل على فصل واحــد من المعادلات التكعيبية ، ومعادلات الدرجة الثالثة ، وقد استخدم فى حلها علم الهندسة كما فعل الخوارزمى . ان مؤلفات العلماء المسلمين فى الحساب والجبر وحساب المثلثات قــد بلغت شأنا كبيرا . ولولاهم لمـــا عرف ما وضعه الاغريق من مبادىء فى هــذا المجال ولولاهم لمــا جاءت هذه الاضافات الكثيرة والتصحيحات العــديدة فى هــذه الميادين ولولاهم لتخبط أهــل أوروبا فى هــذه المجالات ولعجزوا عن معرفة معالم الطريق .. وحتى لو بداوا من أول الطريق لاحتاجـــوا الى عشرات القرون ليصلوا الى نقطة النهاية التى تركها لهم علماء المسلمين

---

(٢٢٩) د. عبد الرحمن بدوى : دور العرب فى تكوين الفكر الاوروبى ص ١٧٠ .

(٢٣٠) د. عز الدين فراج : فضل العلماء المسلمين على اوروبا ص ٧٣ ، ٧٤ .

ليستكملوا المسيرة(٢٣١) . وهـــذا الدور الاسلامى كان من ناحيته أساسا لنهضة القرن الثامن الهجرى فى أوروبا .

فاذا انتقلنا من الرياضيات الى الفلك والتنجيم وجـــدنا العرب قـــد أثروا تأثيرا بالغـــا فيما يتعلق بالأرصاد الفلكية ومن العرب الذين عرفتهم أوروبا فى هـــذا الباب محمد بن موسى الخوارزمى الذى ذكرناه آنفا ، فان الألواح الفلكية التى وضعها وفقـــا لأرصاد بعضها قام هـــو بها وبعضها تأثر فيها بالهنود ، فقـــد ترجمها الى اللاتينية سنة ١١٢٦ م كذلك ذكر ابو العباس أحمد بن محمد بن كثير الفرغانى ولـــه فى الفلك كتاب كان ذا أهمية بالغـــة فترجمه الى اللاتينية خـــوان الأشبيلى وجيراردو الكرمونى كما ترجمه الى العبرية يعقوب الاناضولى ونشرت الترجمة اللاتينية مع النص العربى فى أمستردام سنة ١٦٦٩ م . وهـــو الذى قاس قطر الأرض بمقـــدار ٦٥٠٠ ميل . ولا يفـــوتنا ان نذكر أبا معشر جعفر البلخى وترجم لـــه الى اللاتينية كتاب بعنوان : (Introdurtoriun in Astronmiam Albumasoris) وترجمه لـــه خـــوان الأشبيلى وطبع سنة ١٤٨٩ م ، وسيورج سنة ١٤٥٩ م فى فينيسيا وفيه وضع نظرية عن المـــد والجزر(٢٣٢) .

فالبتانى الذى عمـــل فى المرصـــد بدار الحكمة ببغـــداد اكتشف تغـــير أوج الشمس ، وحسب السنة بمقـــدار ٣٦٥ يوما وخمس ساعات و ٤٦ دقيقة و ٢٤ ثانية ، والفلكيون اليوم يحسبونها بمقـــدار ٣٦٥ يوما وخمس ساعات و ٤٨ دقيقة و ٤٧ ثانية ، كما تنبأ الفلكيون العرب بكسوف الشمس وخسوف القمر بدرجة من الدقـــة المتناهية اذهلت الناس ، وأولوا القمر اهتماما خاصا ، لأن السنة العربية قمـــرية(٢٣٣) .

ولا نعجب أن يحلق البتانى وكتابه « الزيج الصابى » وشهرتهما الى الآفـــاق حتى أن « الفونس العاشر » ملك قشتالة أمر بأن يترجم — الزيج الصـــابى — الى اللغة الأسبانية ... حيث طبع مـــع شروح وهوامش مرفقة به عـــدة مرات اعتبارا من العام ١٩٤٦ م فمـــا الذى أتى به البتانى ؟ وامتاز به عن بقية علماء الفـــلك وهم كثيرون ؟ لقـــد باشر البتانى أرصـــاده فى مرصـــد بنـــاه لنفسه فى أنطاكية وهـــو

---

(٢٣١) المرجـع نفســه ص ٧٦ .

(٢٣٢) د. عبد الرحمن بدوى : دور العرب فى تكوين الفكر الأوروبى ص ١٩٠ .

(٢٣٣) المرجـع نفســه ص ١٩ ، ٢٠ .

المعروف بمرصـد البتانى وذلك فى تمـام عام ٢٦٤ هـ ، واستطاع أن يصـل الى جمـلة حقـائق(٢٣٤) :

( أ ) رصـد الزاوية المحصورة ما بين المستوى المـار بخط الاستواء الأرضى والمستوى المـار بمدار الأرض حـول الشمس وهى ما تدعى ( بزاوية الميـل الأعظم ) .

(ب) حسب البتانى طـول السنة الشمسية وحسابه لا يختلف عمـا هـو معروف اليـوم الا بمقـدار دقيقتين .

(جـ) أثبت البتانى امكانية حـدوث الكسوف الحلقى للشمس .. بينما نفى العلمـاء ممن اتى قبله امكانية حـدوث مثل هـذا الكسوف(٢٣٥) يقـول المؤرخ سكوت لم يتعـد الحقيقة بقوله : من مآذن المساجد ببلرم كان الفلكى العربى يرقب حركات النجوم ، ويعين مواقيت الخسوف والكسوف ومواقع النجوم مستعينا على ذلك بآلات اخترعت فى حـوض الوادى الكبير ، وعند نهر دجلة ومستعينا أيضا بزيجات ثبتت فى سهول بابل قبل المسيح بقرون .

والعرب كانوا اول من بنى مراصـد فلكية فى أوروبا ، وأول من عمم فكرة كروية الأرض وجعلها مفهوما عاما ، بينما كان الرأى السائد فى أوروبا يؤكـد أن الأرض مسطحة بكل ما يحمل هـذا التأكيد من استحالة وكان العرب يدرسون الجغرافيا فى مدارسهم على كرات جغرافية قبل أن تدرك أوروبا أن الأرض كروية بعـد قرون طـوال(٢٣٦) .

وهـذا الابداع والابتكار الذى قـدمه المسلمون فى شتى مجالات العلم دفـع كبار العلماء والمفكرين فى أوروبا ان يعترفوا بالحقيقة وان ينسبوا الفضل الى أهله وذويه فقال جوستاف لوبون : « كلما تعمق المرء فى دراسة المدنية الاسلامية تجلت لـه امور جـديدة واتسعت امامه الآفاق وثبت لـه أن القرون الوسطى لم تعرف الأمم القـديمة الا بواسطة علماء المسلمين . وأن جامعات الغرب عاشت خمسمائة

---

(٢٣٤) محمد رجب السامرائى : علم الفلك عند العرب ص ٩٣ .

(٢٣٥) المرجع نفسه ص ٩٤ .

(٢٣٦) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٤٧٩ .

سنة تكتب للعرب وخاصة ان المسلمين هم الذين قدموا أوروبا فى المادة والعقل والخلق »[٢٣٧] . وقد اعترف العلامة سيديو وأوجز عندما قال « ان علماء المسلمين هم فى الواقع أساتذة أوروبا فى جميع فروع المعرفة »[٢٣٨] . وقد أيده الفيلسوف الفرنسى رينان عندما قال : « ان العلوم والحضارة مدينة بازدهارها وانتشارها للمسلمين وحدهم طوال ستة قرون » . وفى معرض آخر يقول جوستاف لوبون : « لقد عاشت جامعات الغرب خمسمائة سنة تنقل عن العرب وتتعلم منهم » .

ويصف سارتون الحركة العلمية الاسلامية بأنها أعظم حركة علمية تتصف بالاصالة من مطالع العصور الوسطى حتى نهاية القرن الثالث عشر .. وقد أخذ سارتون يعدد نعم العرب وأفضالهم على العلم فى ميادين علم الجبر وحساب المثلثات والهندسة والفلك والطب والكيمياء وعلم الظواهر الجوية ... ثم يقول لنا : اننا اذا نظرنا الى تراثهم بمنظار بيئتهم ، وقارنا بين جهودهم وجهود غيرهم من معاصريهم بدا تفوقهم الكاسح واضحا جليا ، ومن منتصف القرن الثامن حتى نهاية القرن الحادى عشر كانت الشعوب الناطقة بالعربية تتقدم موكب الحضارة فى الدنيا كلها ، وفى الوقت الذى أوقد فيه العرب هذه النهضة الوضاءة المشرقة كانت أوروبا أثناءه بل قبله وبعده فى حال مزرية من البداوة والتخلف . فحينما ارتدت الى تراث العرب وراحت تنهل من معينه ثم نهضت فى صقلية منذ النصف الثانى من القرن الحادى عشر وفى أسبانيا منذ النصف الأول من القرن الثانى عشر ، نهضت أوروبا بحركة ترجمة واسعة النطاق ، ترجمت فيها كنوز الفكر العربى الى اللاتينية لغة المثقفين من أهل العالم الأوروبى[٢٣٩] .

أما فى الفلسفة فان الفيلسوف الكندى العربى يعتبر نتاج هذا العصر وكتبه فى الفلسفة والمنطق والهندسة والنجوم والموسيقى وغيرها رائعة حقا[٢٤٠] .

وقد خلصت الفلسفة اليونانية فى هذا العصر من شوائب الأوهام والأباطيل والخيالات بفضل عقول المسلمين المتفتحة الفاحصة التى درست القضايا والمشكلات الفلسفية فى ضوء من فهمهم الواعى للاسلام وأصوله وينبغى الا نغفل فضل المعتزلة

---

(٢٣٧) جوستاف لوبون حضارة العرب ص ٥١٩ ، ٤٨١ .

(٢٣٨) سيديو : خلاصة تاريخ العرب العام ص ٢٢١ ، ٢٢٣ .

(٢٣٩) د. عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٢٤٠) ابن النديم : الفهرست ص ٣٧١ ، ٣٧٩ .

وجهودهم فى هـذا المقام فى المحاماة عن الدين الاسلامى ضـد أعـدائه ودفـع البدع والشوائب الدخيلة عن أن تعـلق به حينمـا حاربوا الثنـوية والمشبهة والجـبرية(٢٤١) . ولمع من زعمائهم فى هـذا العصر أبو الهـذيل العلاف .

وجـدير بالذكر ان الكندى يعتبر اول مفكر مسلم يخرج عن نطاق تفكير اليونانيين التقليدى ، اذ وضع منهجا عاما وقسم العلوم الى أسسها الفكرية المنطقية ، فهناك أولا : العلوم الفلسفية وهى تشمل الرياضيات والمنطـق والطبيعيات والفـيزياء والسياسة وعلم الاجتماع .. وهناك العلوم الدينية وتشمل أصول الدين والعقائد والتوحيد والرد على المبتدعة والمخالفين .. وبقى هـذا المنهج متبعا خلال العصور كلها . ومن هنا يتعين القـول بأن فلسفة الكندى تجمع بين فلسفة أفلاطون وفلسفة ارسـطو ، وهى تعتمد بلا ريب على طريقة الاستنباط المنطقى التى عاناها كثير من الفلاسفة وعرفت فلسفة الكندى آنذاك بالفلسفة الحـديثة(٢٤٢) .

لقـد كتب الفارابى أعظم فلاسفة المسلمين قبل ابن سينا ، كتابا ذا روحانية سامية ومشاعر وجـدانية نبيلة أسماه « المدينة الفاضلة »وبدأ من المبدأ الأفلاطونى القائل بأن الانسان خلق ليعيش فى مجتمع . وصل الفارابى الى النتيجة القائلة : ان الدولة جيدة التنظيم يجب ان تغطى كل المسكون وأن تضم كل البشرية . وفكرة الدولة العالمية تثير فى الفكر الأوروبى مفهوم الامبراطورية الرومانية والصراع بين البـابوية والامبراطورية خلال العصور الوسطى ونظريات بعض أصحاب « اليوتوبيا » المدينة الفاضلة فى العصور الحـديثة . لم تكن هـذه الفكرة جـديدة على الفكر السياسى بل انها متضمنة فى المفهوم الثيوقراطى ( حكم رجال الدين الاسـلامى ) . والمدنية الشاملة ولحكامها أهـداف سامية(٢٤٣) .

وكان الفارابى يؤمن بأن واجب هـذه الدولة ان تضمن للمواطنين حكومة كاملة على الأرض والسعادة بعـد الموت . والمدينة الفاضلة يجب أن يديرها حاكم واحـد على أن تتوافر فيـه الصفات الآتية : ذكاء عظيم(٢٤٤) . وأثنى روجـر باكـون على

---

(٢٤١) ديبور : تاريخ الفلسفة الاسلاميه ص ٩١ .

(٢٤٢) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى ص ٩٧ ، ٩٨ .

(٢٤٣) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ١٣٥ .

(٢٤٤) المرجع نفسه ص ١٥٣ .

الفارابى وعلى بعض مؤلفاته وذكره بين المقدمين فى تاريخ تقدم الفكر كأقليدس وبطليموس وسانت أوغسطين .

وقد كان للفارابى أكبر الأثر فى التفكير الأوروبى ولا يزال رجال الفلسفة والعلم فى أوروبا يهتمون به الى اليوم واشتهر بالمنطق واهتم بشرح آراء المعلم الأول أرسطو طالبا بيان فلسفته وتقريب فهمه الى معاصريه مما جعل له عند العرب مكانة لا تدانى حتى انه لقبوه بالمعلم الثانى(٢٤٥) .

واطلع المستشرقون والمؤرخون فى أوروبا وأمريكا على فلسفة الفارابى ودرسوها وتأثروا بها وخرجوا بالقول : ان الفارابى مؤسس الفلسفة العربية الاسلامية ومنهم من يرى أنه زعيم أكبر فرقة فلسفية فى عصره والمقدم فيها وهو المرجع وعليه الاعتماد(٢٤٦) .

أما بريفولت Briffault فيقول : « العلم هو أجل خدمة أسدتها الحضارة العربية الى العلم الحديث ، فالاغريق قد نظموا وعمموا ووضعوا النظريات ، ولكن روح البحث وتركيم المعرفة التقنية وطرائق العلم الدقيقة والملاحظة الدائبة المتطاولة كانت غريبة عن المزاج الاغريقى وانما كان العرب هم أصحاب الفضل فى تعريف أوروبا بهذا كله ، وبكلمة ، فان العلم الأوروبى مدين بوجوده للعرب ، وهذه الروح وتلك المناهج العلمية ادخلها العرب الى العالم الأوروبى »(٢٤٧) .

ان وعى أوروبا المسيحية الذى بدأ يستيقظ خلال القرن العاشر الميلادى استمد قوته وأسسه العلمية والفلسفية من التراث الاسلامى الذى كان فى أوجه ، هذه القوة التى تكونت كما أوضحنا من خلال رد الفعل وهو الذى أعطى امكانية للفكر الأوروبى أن يؤسس قواعد المعرفة الفلسفية سواء عن طريق ما تم نقله من الفلسفة الاسلامية الى اللغة اللاتينية وعن طريق الصراع الدينى الذى تحول الى هجوم مكثف على الاسلام . وهذا الهجوم بدوره تحول الى مرآة من خلالها يريد الأوروبى أن ينظر الى ذاته ، وتحقيق الذات يفرض معرفة الأخير ، معرفة أدواته وأساليب تفكيره والهوية المكونة لذاته ، وهذا ما كان يدعو اليه ريمون لول

---

(٢٤٥) قدرى حافظ طوقان : العلوم عند العرب ص ١٤١ .

(٢٤٦) المرجع نفسه ص ١٤٠ .

(٢٤٧)
Dr. Robert Briffault (The Making of Humanity). (England 1919). P. 190 — 651.

Ravmond Lull الذى قضى حياته باكملها متجولا فى الامارات والبلدان العــربية عندما كان يدعـــو الى ضرورة وأهمية التعمق فى الدراسات الشرقية لا فى مجـــال الدين فحسب بل وفى ميدان العلوم الفلسفية العربية لأن ذلك كان بالنسبة له هـــو السلاح العلمى للرد على الاسلام ونشر الدعوة المسيحية(٢٤٨) .

وهـــذا لن يتأتى الا بتكوين مكتبة علمية عالمية تهتم بمـــــا يكتب عن العرب والاســـلام وهـــذا ما ينبغى الاهتمام بهوالتركيز عليه فهـــل هناك آذان صاغية ؟ ! وفى الوقت الذى احرزت فيه الدولة العباسية هـــذا التقـــدم العلمى فى مختلف فروع المعرفة كالطب والفلك والرياضيات والفلسفة والمنطق .. كانت أوروبا تتخبط فى ظلام الجهل ، كان أقصى ما يطمح اليه رجال الدولة فيها أن يتعلموا مجرد كتابة أسمائهم كما كان الحال فى عهد شارلمـــان الذى يعتبر عهده من أزهى عصور اوروبا فى العصور الوسطى(٢٤٩) وحين تعرف الأوروبيون على هـــذا الانتاج العلمى العربى اقبلوا على اقتباسه وكان لـــه الفضل الأول فيما بعـــد فى انارة الطريق أمامهم وانتشالهم من وهـــدة الجهـــل(٢٥٠) .

يقول جوستاف لوبون : « انه كان للحضارة الاسلامية تأثير عظيم فى العـــالم وان كان هـــذا التأثير خاصا بالعرب وحـــدهم تشاركهم فيه الشعوب الكثيرة التى اعتنقت دينهم ، وان العرب هـــذبوا البرابرة الذين قضوا على دولة الرومان بتأثيرهم الخلقى وان العرب هم الذين فتحوا لأوروبا ، ما كانت تجهله من عالم المعارف العلمية والأدبية والفلسفية بتأثيرهم الثقافى »(٢٥١) .

وكانت قرطبة فى القرن العاشر نســـــيج وحـــدها فى أوروبا ، اذ كانت المركز العلمى الوحيد ، وجامعاتها فريدة فى أوروبا كلها ، تطـــل برأسها من نور اســـبانيا الاسلامية على دياجى الجهـــل والعماية السائدة فى أوروبا أرض الظـــــلام فى ذلك العصر . وهكذا يعيد التاريخ نفسه ويستمر التبادل الثقافى بين الشرق والغرب .

---

(٢٤٨) د. عبد الغنى أبو العزم : ( مصادر الدراسات الاسلامية فى أوروبا ) مجلة المؤرخ العربى ـ بغـداد ـ العراق ص ٢٣١ .

(٢٤٩) د. سعيد عبد الفتاح عاشور : أوروبا فى العصور الوسطى ص ١٧٦ .

(٢٥٠) د. حسن الباشا : دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ٩٠ ، ٩١ .

(٢٥١) جوستاف لوبون : حضـارة العرب ص ٥٧٩ ، ترجمة اكرم زعيتر .

**ملحق بأسماء خلفاء العصر العباسي ومدة حكم كل منهم بالتاريخين الهجرى والميلادى . ( ١٣٢ هـ/٧٥٠ م — ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م ) .**

## ( أ ) العصر العباسي الذهبى

## ( ١٣٢ هـ/٧٥٠ م — ٢٣٢ هـ/٨٤٧ م )

| | |
|---|---|
| ابو العباس عبد الله السفاح | ( ١٣٢ هـ/٧٥٠ م — ١٣٦ هـ/٧٥٤ م ) |
| ابو جعفر المنصــور | ( ١٣٦ هـ/٧٥٤ م — ١٥٨ هـ/٧٧٥ م ) |
| محمد المهــدى بن المنصور | ( ١٥٨ هـ/٧٧٥ م — ١٦٩ هـ/٧٨٥ م ) |
| الهــادى بن المهــدى | ( ١٦٩ هـ/٧٨٥ م — ١٧٠ هـ/٧٨٦ م ) |
| هــارون الرشـــيد | ( ١٧٠ هـ/٧٨٦ م — ١٩٣ هـ/٨٠٩ م ) |
| محمــد الأمين | ( ١٩٣ هـ/٨٠٩ م — ١٩٨ هـ/٨١٣ م ) |
| عبــد الله المــأمون | ( ١٩٨ هـ/٨١٣ م — ٢١٨ هـ/٨٣٣ م ) |
| ابو اســحاق محمد المعتصم | ( ٢١٨ هـ/٨٣٣ م — ٢٢٧ هـ/٨٤٢ م ) |
| الواثق بالله بن المعتصم | ( ٢٢٧ هـ/٨٤٢ م — ٢٣٢ هـ/٨٤٧ م ) |

## ( ب ) العصر العباسي الثانى ( الاضمحلال )

## ( ٢٣٢ هـ/٨٤٧ م — ٣٣٤ هـ/٩٤٥ م )

| | |
|---|---|
| المتوكل على الله بن المعتصم | ( ٢٣٢ هـ/٨٤٧ م — ٢٤٧ هـ/٨٦١ م ) |
| المنتصر بن المتوكل | ( ٢٤٧ هـ/٨٦١ م — ٢٤٨ هـ/٨٦٢ م ) |
| المستعين بالله بن المعتصم | ( ٢٤٨ هـ/٨٦٢ م — ٢٥٢ هـ/٨٦٦ م ) |
| المعــتز بن المتوكل | ( ٢٥٢ هـ/٨٦٦ م — ٢٥٥ هـ/٨٦٩ م ) |
| المهتدى بالله بن الواثق | ( ٢٥٥ هـ/٨٦٩ م — ٢٥٦ هـ/٨٧٠ م ) |
| المعتمــد على الله بن المتوكل | ( ٢٥٦ هـ/٨٧٠ م — ٢٧٩ هـ/٨٩٢ م ) |

| | |
|---|---|
| محمــد المعتضــد بالله | ( ٢٧٩ هـ/٨٩٢ م — ٢٨٩ هـ/٩٠٢ م ) |
| المكتفى بالله بن المعتضــد | ( ٢٨٩ هـ/٩٠٢ م — ٢٩٥ هـ/٩٠٨ م ) |
| المقتــدر بالله بن المعتضــد | ( ٢٩٥ هـ/٩٠٨ م — ٣٢٠ هـ/٩٣٢ م ) |
| القــاهر بن المعتضــد | ( ٣٢٠ هـ/٩٣٢ م — ٣٢٢ هـ/٩٣٤ م ) |
| الراضى بالله بن المقتــدر | ( ٣٢٢ هـ/٩٣٤ م — ٣٢٩ هـ/٩٤٠ م ) |
| المتقى لله بن المقتــدر | ( ٣٢٩ هـ/٩٤٠ م — ٣٣٣ هـ/٩٤٤ م ) |
| المستكفى بالله بن المكتفى | ( ٣٣٣ هـ/٩٤٤ م — ٣٣٤ هـ/٩٤٥ م ) |

## ( جـ ) العصر العباسى الثالث ( السقوط )

## ( ٣٣٤ هـ/٩٤٥ م — ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م )

| | |
|---|---|
| المطيــع لله بن المقتــدر | ( ٣٣٤ هـ/٩٤٥ م — ٣٦٣ هـ/٩٧٣ م ) |
| الطــائع لله بن المطيــع | ( ٣٦٣ هـ/٩٧٣ م — ٣٨١ هـ/٩٩١ م ) |
| القــادر بالله بن اســحاق | ( ٣٨١ هـ/٩٩١ م — ٤٢٢ هـ/١٠٣١ م ) |
| القــائم بأمر الله بن القــادر | ( ٤٢٢ هـ/١٠٣١ م — ٤٦٧ هـ/١٠٧٤ م ) |
| المقتــدر بأمر الله | ( ٤٦٧ هـ/١٠٧٤ م — ٤٨٧ هـ/١٠٩٤ م ) |
| المستظهر بالله بن المقتــدر | ( ٤٨٧ هـ/١٠٩٤ م — ٥١٢ هـ/١١١٨ م ) |
| المسترشــد بالله | ( ٥١٢ هـ/١١١٨ م — ٥٢٩ هـ/١١٣٤ م ) |
| الراشــد بالله بن المسترشــد | ( ٥٢٩ هـ/١١٣٤ م — ٥٣٠ هـ/١١٣٥ م ) |
| المقتفى لأمر الله | ( ٥٣٠ هـ/١١٣٥ م — ٥٥٥ هـ/١١٦٠ م ) |
| المستنجد بالله بن المقتفى | ( ٥٥٥ هـ/١١٦٠ م — ٥٦٦ هـ/١١٧٠ م ) |
| المستضىء بأمر الله | ( ٥٦٦ هـ/١١٧٠ م — ٥٧٥ هـ/١١٧٩ م ) |
| الناصر لدين الله | ( ٥٧٥ هـ/١١٧٩ م — ٦٢٢ هـ/١٢٢٥ م ) |

# خاتمة البحث

واختم بحثى بالقــول بأننى توخيت من دراسة بيت الحكمة فى عصر العباسيين منذ تأسيسها حتى اصبحت مؤسسة ثقافية فأكاديمية للبحث العلمى والدراســـات العليا . فكانت بغـــداد فى عصر الازدهار العباسى كعبة العلماء والأطباء من كل الملل . فكان بيت الحكمة أول دار للدراسة العالية فى الاسلام فهو علاوة على كونه دار ترجمة كان معهدا للعلم ودار كتب عامة ولـــه مرصـــد ملحق به . فبيت الحكمة من أقـــدم الكليات والجامعات التى اسست فى التاريخ فكان لـــه السبق على الأزهر ، رغم أنه أسس قبل جامعات أوروبا .

وكان العصر العباسى الأول أهم العصور الاسلامية انتاجا فى العلم فقـــد انتشر فى زمن الرشيد مجموعة من الكتب المنقولة من اللغات العالمية المعروفة ، فى ذلك العصر من علوم الطب ، والفلك ، والفلسفة ، والحكمة والآداب والقصص ، وغيرها . هـــذا فضلا عن المؤلفات العربية الجـــديدة التى أنتجها علماء العرب فى شتى أنواع العلوم القرآنية ، والنحـــو ، والتاريخ ، وســـائر الفروع الأخرى .

واقتفى الرشيد اثر جـــده فى تشجيع الانتاج العلمى ، فقـــد كتب الى الأمراء والأجنـــاد والى الولاة يشجعهم على الاهتمام بالعلم والعلماء فأغـــدق عليهم بالعطاء والمنح . وســـار على نهجه المـــأمون فكان مثالا فى سائر أسباب النهضة العلمية فاقتـــدى به بنـــو أمية فى الأندلس وتشبه به الحكم بن الناصر الذى تولى الخلافة ســـنة ٣٥٠ هـ . فأنشأ فى قرطبة مكتبة . واقتدى بخلفـــاء بغـــداد أيضا الخلفـــاء الفاطميـــون بمصر .

فيمكن أن يوصف بيت الحكمة ببغـــداد بأنه بناية كبيرة فيها عـــدد من القاعات والحجرات موزعة فى اقسام الدار ، تضم مجمـــوعة من خزائن الكتب فى كل خزانة

مجموعة من الأسفار العلمية الخاصة التى تنسب فى الغالب الى مؤسسها كخزانة الرشيد وخزانة المأمون . ووصفت أيضا بأنها دار كبيرة مقسمة الى عدة اقسام ، خصص البعض منها لحفظ الكتب والأقسام الأخرى للترجمة ، والنسخ والتأليف والتجليد والمطالعة ، وقدر لهذه الخزانة ان تصبح اعظم بيوت الحكمة شأنا عند المسلمين لما حوته من كتب نفيسة .

أما تسمية بيت الحكمة فأحيانا يستعمل العلماء اسم بيت الحكمة واحيانا اخرى خزانة ، فحاجى خليفة يستعمل كلمة بيت الحكمة فى كتابه كشف الظنون ، وابن النديم فى كتابه الفهرست يستعمل بيت الحكمة ( خزانة الحكمة ) حينا آخر .

وقد اختلف الباحثون فى شخصية مؤسس بيت الحكمة فزعم البعض أن مؤسس هذا البيت هو المأمون ، وأكد فريق آخر ان الرشيد هو الذى انشأ بيت الحكمة ، فياقوت الحموى يؤكد فى كتابه معجم الأدباء أن بيت الحكمة كان فى حيز الوجود أيام الرشيد اذ يقول عن علان الوراق انه كان ينسخ فى بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة . وجاء فى الفهرست لابن النديم : أن أبا سهل الفضل بن نوبخت كان فى خزانة الرشيد فكان له نقول عن الفارسية .

والحقيقة أن الرشيد هو الذى أنشأ بيت الحكمة . أما لماذا انشأها ؟ فقد تجمع لديه عدد كبير من الكتب ورأى انشاء مكان ليحفظ فيه هذه الكتب التى جمعها فأنشأ بيت الحكمة مما ساعد على انتشار التعليم . ثم جاء المأمون ويعتبر عصره أزهى أيام هذه الدار ، فقد ارتقت بفضله من مجرد مكتبة الى دار للترجمة والانتاج الفكرى ، فتحولت من « خزانة » الى مجمع أو اكاديمية للبحث العلمى يعمل على خدمة العلم وترجمة ثمار الفكرين الاغريقى والفارسى . وان تاريخ بيت الحكمة من حيث الخدمات العلمية التى أداها للفكر العربى تخص المأمون وعصره .

أما موقع بيت الحكمة التى أنشأها الرشيد ببغداد فلا يعلم أن كان جزءا من قصر الخليفة أو بناية مستقلة ، غير أنه كان على الأرجح دارا خاصة بالكتب ضمن قصور الخلافة تتكون من عدد من الحجرات والخزائن .

وحسب ظنى أن بيت الحكمة كان مجموعة من الخزائن لكل مجموعة من الكتب خزانة ، كخزانة الرشيد وخزانة المأمون وخزانة البرامكة . ونرى أن بيت الحكمة يختلف عن دور العلم التى ظهرت فى القرن الثالث الهجرى ، فهى مؤسسات أدبية ، اكثر كتبها فى اللغة والأدب والفقه والأخبار والسيرة .

اما بيوت الحكمة الخاصة فهى المكتبات التى انشأها العلماء والأغنياء والأدباء والأعيان فى دورهم : وكان يستفيد منها الناس ، فكانت شبه عمومية ، وكانت تضم كتبا فى مواضيع متنوعة كالمنطق والفلسفة والفلك . فقد كانت بغداد مراكز لتجمع الثقافات لما بذله الخلفاء العباسيون من جهود حبا لنشر العلم بين كافة الطبقات واقتدى الناس بالخلفاء ، فانشأ على بن يحيى المنجم مكتبة فى قصره سماها خزانة الحكمة وفتحها للراغبين فى الدرس يقصدها الناس فيقيمون فيها ويتعلمون منها صنوف العلم ، والكتب مبذولة والنفقة من ماله . . .

أما وظيفة بيت الحكمة والعاملين فيه ، فاقترن بيت الحكمة البغدادى بعدد من الاعلام المشهورين كالرشيد والمأمون والبرامكة والمتوكل . كما ورد فيهما ذكر عدد من العلماء والخزان والموظفين ، فكان يدير بيت الحكمة مديرون أمناء على الترجمة ومعهم كتاب حذاق ويشتغل فيه أيضا علماء ونساخون وخزان ومجلدون من مختلف الأديان والأجناس والمذاهب والثقافات ومنهم الوراقون . فكان بيت الحكمة عبارة عن مجلس للترجمة أو النسخ أو الدرس أو التأليف فيجلس النساخ فى أماكن خاصة بهم ينسخون لأنفسهم أو بأجور معينة وكذلك المترجمون والمطالعون والمؤلفون .

أما مدير بيت الحكمة ، والقيم عليه فيدير شئونه ويسمى صاحب بيت الحكمة ، وعين المأمون قيما لبيت الحكمة يدعى خازنا لادارة شئونه وصيانة كنوزه هو سهل بن هارون ، كما عين مشرفا على القسم الذى أحضرته بعثة القسطنطينية بالاضافة الى ادارة بيت الحكمة عامة . كما كان يتولى تنظيم خزانة المأمون بصورة خاصة .

ونرى أن بيت الحكمة أول ما بدأ بوظيفة مكتبة عامة فأصبح لهذه المكتبة شأن فى العالم الاسلامى ، ثم تطور وأصبح أول جامعة اسلامية اجتمع فيها العلماء والباحثون ولجأ اليها الطلاب وكانت تجرى فيها الأبحاث والدراسات العليا ، فأصبح مؤسسة علمية للثقافة العالية اكثر كتبه فى الحكمة والفلسفة والمنطق والطب والنجوم والرياضيات وغيرها من الكتب العلمية المختلفة . ثم ارتقت دار الحكمة من مجرد مكتبة الى دار للترجمة والانتاج الفكرى وكثر المترجمون فى هذه الدار فى عصر المأمون فكانوا يقومون بواجبهم العلمى ويتبادلون الرأى .

والحقيقة أن بيت الحكمة كان مدرسة عالية للبحث التجريبى المستند الى الملاحظة

ومكتب ترجمة كانت تتم فيه عملية التعـريب للكتب الأجنبية بلغاتها المختلفـة الى العربية . ولكن من دراسة النصوص التاريخية المتعلقة بهـذه الحركة العلمية يتبين لنـا ان هـذا البيت لم يكن مقتصرا على الترجمة وانمـا كانت هناك اعمال اخرى . منها تجليد الكتب التى تتم عملية تعريبها او عملية نسخها باكثر من نسخة لتوزيعها على المكتبات المعروفة آنذاك . خارج بغـداد كبيت الحكمة التونسى فى القيروان او دار الحكمة الفاطمية بالقاهرة . كما كانت الكتب المترجمـة والمؤلفـة يقتنيها الأغنياء والمؤسسات العلمية الأخرى مـع الاحتفاظ بالنسخة الأصلية فى بيت الحكمة .

وللوصول الى دقـة الكتب المترجمة كانت تراجـع الترجمات التى كان يقوم بهـا النقلة فى دار الحكمة من قبل خبراء ، وكان ثابت بن قرة الحرانى فى دولة المعتضد من الذين راجعـوا او صححوا الترجمات العربية فى المؤلفات الرياضية والفلكيـة والمنطق . كذلك فعـل حنين بن اسحاق فقـد جعل لـه المتوكل كتـابا عالمين بالترجمة كانوا يترجمون ويراجع ويتصفح ما ترجموا .

وقـد ادت الحركة العلمية الذى يعتبر بيت الحكمة لولبهـا الى ازدياد طلب المعرفة من قبل مئات لا يستهان بها من الناس . الأمر الذى أدى بدوره الى الاقبـال على شراء الورق . لـذا اسست مصانع الورق فى عهـد الرشيد فى بغـداد ، ثم انتشرت صناعته فى انحاء البلاد العربية فكان ظهور الورق فاتحة لانتشار الثقـافة العربية ومضى العلمـاء يفدون من صنعة الوراقـة ، فاتخـذوا لأنفسهم وراقـين ينقـلون عنهم كتبهم .

واذا نظرنا الى منهج التدريس فى بيت الحكمة وجـدناه راقيـا جـدا ، فكانت تدرس فيه العلوم الفلسفية والطبية والرياضيات والفلك والعلوم الطبيعية والتاريخ والجغرافيا والموسيقى فكان خريج بيت الحكمة اذا انهى هـذه العلوم يكون قـد بلغ مرحلة عالية من العلم تساوى المرحلة العلمية التى يصل اليها اليوم طلابنا حينما يتخرجون من الجامعات الحـديثة ، ومن هنا نستطيع أن نستنتج ونحكم على مستوى بيت الحكمة العلمى من مقـدرة أساتذته وطلابه ومديره . واتخـذ العلماء والمدرسون لهم زيا خاصا فكان أبو يوسف أول من غير لبس العلماء ، واقترح لتمييز هـذه الطائفة عمامة سوداء وطيلسانا لعله الروب الجامعى ، ومنذ ذلك الحين أصبح هـذا الزى ضروريا للمدرسين والفقهاء . وكانت رعاية المـأمون لبيت الحكمة وما انفق عليـه من مال مضرب الأمثال ، فهو أول من نادى بألا يكون نشاط بيت الحكمة متوقفا على سـخاء الخلفاء والأمراء ، فهيأ للعلماء أرزاقا سخية يتقاضونها فى أوقات ثابتـة ،

يفيض ريعها عن التكاليف المطلوبة لهــذه المؤسسة العظيمة ، وكذلك جرى العمــل من بعــده على أن يكون لكل معهد أو مدرسة أو مؤسسة وقف ثابت يفى بنفقاتها .

وفى عهــد الدولة العباسية كثر اختلاط العرب مــع غيرهم من الأمم التى دانت لحكمهم وزادت رغبتهم بالاطلاع على علوم القوم ومعارفهم فقربوا العلمــاء والاطبــاء والحكماء واهــل الفنون والآداب ، وأجزلوا لهم العطاء . واجتمع فى خزائنهم ثقافة الشرق والغرب واهتم العباسيون بعلم صنعة الكيمياء وظلوا يزدادون عليها حتى ظهر فى العصر العباسى جابر بن حيان وهــو ابن صــيدلى ، وخلف كثيرا من النظريات فى هــذا العلم ، وترجمت طائفة منها الى اللاتينية وأفاد منها الأوروبيون .

وحتى يتم مشروع ترجمة الكتب الاجنبية وحفظها فى بيت الحكمة ولى هارون الرشيد عــدة علماء أمر بيت الحكمة فعهد الى فضل بن نوبخت أمر العناية بالكتب الفارسية ، والى يوحنا بن ماسويه ترجمة الكتب الطبية القــديمة التى كان يعثر عليها فى أسفاره وبين البلاد فى غزواته ، وجهاده . فقــد حمل معه من أنقره الى عمورية وغيرها من بلاد الروم كتبا كثيرة ، ومنح العلماء الكثير من الحرية والتكريم فقــد منح مرة لأحــد العلماء مائة ألف درهم . ومعظم الكتب التى نقلت عن الهنود فى الطب والفلك والرياضيات . وقــد تم الانتهاء من نقلها فى عصر الرشيد . وكان بعض علماء الهنود قــد وفــدوا الى بغــداد منذ عهد المنصور سواء من تلقــاء أنفسهم أو يدعــوهم الخلفاء للحضور وقــد وجهت العناية فى بداية أيام الرشيد الى الكتب الفارسية والهندية ثم جاءت الثروة الضخمة فى أخريات أيام الرشــيد وخلال عهد المــأمون عن طريق التراث اليونانى .

وقام المــأمون بتوسيع وتدعيم بيت الحكمة فاهتم بأنواع عــدة من الثقافة ولم يقتصر اهتمامه على الثقافة الفارسية لأنه كان مغرما بدراسة كتب الفرس القــديمة فقط ، وانمــا اهتم بجمع الكتب الاغريقية فأرسل الحجاج بن يوسف بن مطر وابن البطريق وسلما صاحب بيت الحكمة بجمــع الكتب الاغريقية وغيرهم . فأخــذوا ما وجــدوا وأحضر المــأمون حنين بن اسحاق وامره بنقــل ما يقــدر عليه من كتب الحكماء اليونانيين الى العرب واصلاح ما ينقــله غيره . فكان يعطى المــأمون من الذهب زنة ما ينقله من الكتب الى العربية مثلا بمثل . فجمع فى دار الحكمة كنــوز العلم وآثاره من اســلامية وغير اســلامية .

وحقيقة أخرى هى أن بيت الحكمة فى عهد المــأمون كانت مفتوحة الأبواب أمام

العلماء الذين يريدون الدراسة والتحقيق ولم يكن الخليفة بعيدا عن أمور البحث والدراسة والمناقشة فيما تضمنته هذه الكنوز العلمية .

كما أن ميل المأمون الى الفلسفة والمنطق واتساع دائرة معارفه العامة وتأثره بمذهب الاعتزال ما دفعه الى ايجاد حركة نقل وتأليف قوية عنيفة . كان من نتائج اقبال العرب وغيرهم على تلك المؤلفات وأمثالها أن تولد عندهم علم الكلام والفلسفة الأفلاطونية الجديدة فظلت النهضة مستمرة بعد المأمون الى عدد من خلفائه حتى نقلت أهم الكتب الى العربية .

وبلغ من شغف المأمون بكتب الحكمة والفلسفة ، أنه اذا ما عقد معاهدة مع بعض ملوك الروم فانه كان يشترط عليه أن يرسل اليه من نفائس كتب الحكمة فى بلاده ، كما فعل مع ميخائيل الثالث قيصر الروم الذى ارسل اليه احدى المكتبات الشهيرة فى القسطنطينية كان بين ذخائرها الثمينة كتاب بطليموس فى الفلك فأمر المأمون بنقله الى العربية وسماه « المجسطى » وكان المأمون يجل علماء الملل الاخرى من نصارى وغيرهم ويحتفى بهم فى مجلسه .

ولم يكن التسامح يسود بيت الحكمة فى زمن المأمون فقط بل وفى معظم عهود الخلفاء العباسيين حبا بنشر الروح العلمية الخاصة بين كافة الطبقات . وكذلك من أشرفوا على حركة الترجمة فيه هم النصارى السريان ولهم منزلة رفيعة عند الخلفاء . فلا أثر للتعصب الذميم . فنجد فى بيت الحكمة أصحاب الفلسفة من الديانات الأخرى يناظرون المسلمين فى الأمور الدينية بكل صراحة ويتكلم أهل الملل والنحل الأخرى بما يبدو لهم ، وبما يعتقدون ويرونه أقرب الى العقل والمنطق . وقد أخرج هؤلاء من أديرة سوريا وآسيا الصغرى وسواحل الشام وفلسطين . كتبا خطية فى الفلسفة والتاريخ وعلم الهندسة لعلماء اليونان وفلاسفتهم ثم ترجموها الى العربية بدقة وعناية . فأقبل أهل المعرفة والأدباء من الأمصار وأجرى عليهم المأمون الأرزاق فرغب الناس فى صنعة النظر ، وتعلموا البحث والجدل فكان سحابة منهلة على العلماء والمتكلمين .

وكان عصر المأمون ألمع عصور الحضارة العربية على الاطلاق فسمى بحق العصر الاسلامى الذهبى ، وأن العشرين سنة التى قضاها فى حكمه قد تركت كنوزا زاخرة من الثروة الفكرية . سهل العباسيون على الناس أن يقفوا على الكتب العلمية النادرة التى ترجمت من اللغات المختلفة الى العربية ، وصرف فى سبيل الحصول عليها وعلى ترجمتها وتجليدها المبالغ الكبيرة ، فذلل الخلفاء للناس سبيل

المطالعة والدرس فى بيت الحكمة الذى أنشىء لنشر العلوم والمعارف المنقولة عن الامم الأخرى . والتى رغب الخلفاء بنشرها بين الناس ليقفوا على حقائق الأمور ، وتراث الأمم التى تقـــدمتهم فى شتى النواحى الفكرية والعلمية .

وكان من زعماء الترجمة الحسن بن سهل الذى استوزره المـأمون وأحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى ، صاحب كتاب فتوح البلدان وابو حفص عمر بن الفرخان الطبرى احـد رؤساء التراجمة والمحققين بعلم النجوم والحجاج بن يوسف بن مطر الذى ولد فى الكوفة وعاش فى بغـــداد ، وكان موظفا فى ببت الحكمة ، نقـل أصول الهندسة لأقليدس نقلتين أحـــداهما تعرف بالهارونى والأخرى بالمـأمونى . ونقـل أيضا حنين بن اسحاق المتطبب وهـو من اشهر المترجمين الى العربية توجـه الى بغـــداد فرعاه أبناء موسى بن شاكر وقـــدموه الى الخليفة المـأمون وجعله على رأس معهد الحكمة فكان يترجم بالعربية والسريانية . وتمكن حنين أن يأتى بأصدقائه الأطباء من مدرسة جنديسابور الى بغـــداد والم بالدراسة العربية ، وخـدم بالطب المتوكل ، وكان قـديرا فى ترجمته وهـو الذى أوضح معانى كتب أبو قراط وجالينوس ولخصها احسن تلخيص ولـه كتاب فى المنطق ، وقـــد ترجم عشرين كتابا لجالينوس ، وأربعة عشر مؤلفا الى العربية . وكان لـــه ولدان داوود واسحاق ، أما داوود فلم يبرع براعـــة اخيه اسحاق الذى كان أوحـــد عصره فى علم الطب وكان يلحق بأبيه فى النقـل وفى معرفته باللغات .

أما فيلسوف العرب والاسلام الكندى ، أبو يوسف يعقوب بن اسحاق العربى الأصـــل ينسب الى كنده ، انتقل الى بغـــداد واشتغل بعلم الأدب ثم بعلوم الطب والنجوم والفلسفة والحساب والمنطـق ولـــه كتب كثيرة ، وانزله المـأمون منزلة عظيمة ، فكانت دولة المعتصم تتجمل به وبمصنفاته ، وحاول الكندى فى مذهبـــه الفلسفى أن يجمع بين آراء أفلاطون وأرسطو واعتبر الرياضيات الفيثاغورسية أساس العلم كله . وأما آل بختيشوع فكانوا فى كل عهود الدولة العباسية واشتهر منهم جبريل بن بختيشوع الذى تبحر فى جميع العلوم الداخلة فى علم الطب وكتب فى حيـــاة الحيوان رسائل تدل على سـعة اطلاعه فقربه الرشيد واتخـذه فى دور الخلافـــة وأخـذ الناس يرجعون اليه فيما يشير به من العـــلم لحملهم على الأعراض عن الدجـــالين .

وان النشاط والازدهار للمترجمين وجماع العلوم لم تقتصر مؤازرته على الخلفاء فقط بل جاراهم فى ذلك الوزراء والولاة وكبار القـواد ولم يترك الخلفاء فى بغـداد

طريقا لاجتذاب اشهر العلماء فى العالم الاسلامى الا سلكوه واذا صحت رواية جوستاف لوبون « أن أحد الخلفاء شن الحرب على قيصر الروم ليأذن لأحد الرياضيين المشهورين للتدريس فى بغداد » ، وهكذا ضمت خزانة الحكمة الكتب اللسانية والشرعية بالاضافة الى ما ترجم عن الفارسية واليونانية والسنسكريتية والكلدانية والقبطية فألفت الكتب بطلب من الخلفاء أنفسهم لكى توضع فى بيت الحكمة ونرى أن العرب لم يكتفوا بما نقلوه عن غيرهم ، واستبقوه على حاله بل هم درسوه وزادوا عليه من نتائج قرائحهم وعقولهم .

أما ماذا كانت نهاية بيت الحكمة ، لقد سطع نور بيت الحكمة فى أيام المأمون ثم خبا ذلك النور من بعده فصرنا نتلمس أخبارها فى بطون الكتب ، فلم نجد فيها ما يشفى . والراجح أن انتقال الخلافة من بغداد الى سامراء وتعاقب الفتن على بغداد وما حل بها من البلايا بتوالى السنين كل ذلك تضافر على الحط من مكانة هذه الدار ، وايصالها الى حال فقدت معها سالف مجدها : وقد أهملت بعد المتوكل . كما أهمل المعتصم شأن هذا البيت العظيم كما كان للفتن والحروب بين المعتز والمستعين أثر فى اهمال بيت الحكمة .

وظلت دار الحكمة تقاوم الى أن داهم المغول بغداد سنة ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م ، ولم يشفق المغول على خزائن كتبها العامة والخاصة فأحرقوا جانبا منها وطرحوا بعضها الآخر فى نهر دجلة فسد مجراه وزعم بعض المؤرخين أن هولاكو ابتنى بتلك الكتب اسطبلات الخيول ، وطاولات المعالف عوضا عن الطين ، وهكذا قضى هولاكو على جميع الكتب التى ترجمها والفها العلماء والأدباء المسلمون بتشجيع الخلفاء والتى عملت على نشر الثقافة بين جمهور المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى .

ومن أهم الحقائق التى ابرزها البحث أنه عن طريق بيت الحكمة كسبت اللغة العربية كثيرا من الزاد والمعرفة بما جرى فيها من نشاط علمى ، وقد حفظ هذا البيت للانسانية كثيرا من تراث العالم المتحضر الذى ضاعت أصوله ، ولم يجد الغرب غير العربية وسيلة للحصول على تراث الحضارة الأوروبية القديمة .

وقد قامت بيت الحكمة بجهد فريد من نوعه فى تاريخ القرون الوسطى فكانت اداة لنقل الحضارة القديمة والحضارة العربية الى الغرب ومنطلق العلم الحديث ، كما كانت أساسا لتلك المدرسة العلمية الكبيرة التى عرفت باسم مدرسة بغداد ، وظل اثر هذه المدرسة قائما فى أوروبا حتى النصف الثانى من القرن الخامس عشر .

ولهـــذه المدرسة يرجـــع الفضل فى تحقيق استمرار الحضارة الانسانية بعـــد انهيار الحضارة الرومانية فى القرن السادس الميلادى ، ومن هـــذه المدرسة ظهر كيان العلماء العرب لأنها حـــوت كنوز التراث العربى الاسلامى الذى يجـــد فيـــه الشباب فرصة للاطلاع على منجزات أجـــدادهم الأولين فى شتى فروع العلم والمعرفة وليجـــد فيه الكبار مرجعا لمـــا احتوته بيت الحكمة من المخطوطات العلمية النادرة التى لا يوجـــد الكثير منها فى عالمنا اليوم .

# المصادر والمراجع

## أولا — المخطـــوطات :


١- — ابن الدبيثى ( جمـــال الدين الواســـطى ) ( ذيل على ذيل تاريخ بغـــداد ) مخطوط دار الكتب المصرية برقم ٣٩٥٠ تاريخ .

٢ — ابن حجر ( معجم ابن حجر ) مخطوط بدار الكتب برقم ٢٥ مجاميع م .

٣ — ابن حنزابه ( مجالس ابى مسلم ) مخطـــوط بدار الكتب المصرية برقم ٧٧ ادب .

٤ — البيهقى ( تاريخ حكماء الاسلام ) مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٣٦٦ تاريخ .

٥ — الصـــابى ( رسوم دار الخلافة ) مخطوط بالمتحف العراقى رقم ١٥ .

٦ — العينى ( بدر الدين محمود بن أحمد ) ( عقـــد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ) مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٥٨٤ تاريخ .

٧ — الكتبى ( الوافى بالوفيات ) من مخطوطة — لندن — ج ٢٤ ، الورقة ١٢ .

٨ — المقريزى ( تقى الدين احمد بن على ) ( اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ) مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة لوحة ٥٩ ب .

٩ — مجموعة رسائل بجامعة اسطنبول مخطوط ورقة ٣٧ ب .

## ثانيا ــ المصـــادر العربية المطبــوعة :

١٠ ــ القــرآن الــكريم .

١١ ــ الحــديث الشريف .

١٢ ــ ابن أبى أصيبعة ، موفق الدين أبى العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدى الخزرجى ( ٦٦٨ هـ/١٢٧٠ م ) .

( عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ) . بيروت ــ دار الفكر ــ ١٩٥٦ م .

١٣ ــ ابن الأثير ، أبى الحسن على بن الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحـــــد الشيبانى المعروف بابن الاثير الجزرى الملقب بعز الدين ( ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٢ م ) .

( الكامل فى التاريخ ) . المطبعة المنيرية ــ مصر ــ ١٣٤٩ هـ ، طبع بيروت ( دار صـــادر ــ بيروت ــ ١٩٦٥ م ) .

١٤ ــ ابن جلجل ، أبى داوود سليمان بن حسان الاندلسى المعــروف بابن جلجل ( توفى بعــد سنة ٣٨٤ هـ/٩٩٤ م ) .

( طبقات الأطباء والحكماء ) ألفه سنة ( ٣٧٧ هـ/٩٨٧ م ) تحقيق فــؤاد السيد . مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ــ القاهرة ١٩٥٥ م .

١٥ ــ ابن خرداذبه ، أبى القاسم عبيــد الله بن عبــد الله ( ت ٣٠٠ هـ/٩١٢ م ) .
( المسالك والممالك ) . طبع ليدن ١٨٨٩ م .

١٦ ــ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون المغربى ( ت ٨٠٨ هـ/١٤٠٥ م ) .
( المقــدمة ) المكتبة التجارية الكبرى ــ مطبعة مصطفى محمد ــ القاهرة .

١٧ ــ ابن خلكان ، شمس الدين أبى العباس أحمد ( ت ٦٨١ هـ/١٢٨٢ م ) .
( وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ) . المطبعـــة الميمنية ــ القـــاهرة ــ ١٣١٠ هـ .

١٨ ــ ابن جماعة ، بدر الدين ( ت ٨٤٣ هـ/١٤٤٠ م ) .
( تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم ) . حيدر أباد ١٣٥٣ هـ .

١٩ ــ ابن شاكر الكتبي ، محمد بن شاكر بن أحمد الحلبي ( ت ٧٦٤ هـ/١٣٦٢ م ) .
( فوات الوفيات ) تحقيق احسان عباس ــ دار صادر ــ بيروت ــ لبنان ــ طبعة بولاق ( ١٢٩٩ هـ/القاهرة ١٩٥٤م ) .

٢٠ ــ ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن ( ت ٦٥٤ هـ/١٢٥٧ م ) .
( المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ) . حيدر آباد ــ الدكن ــ دائرة المعارف العثمانية ١٣٥٧ هـ .

٢١ ــ ( مناقب بغداد ) نشرة محمد بهجت الأثري ــ بغداد ــ العراق ١٣٤٢ هـ .

٢٢ ــ ( صيد الخاطر ) تحقيق السيد عبد القادر أحمد عطا ــ مكتبة الكليات الأزهرية ــ القاهرة ١٣٩٩ هـ .

١٣ ــ ابن الساعي ، أبي طالب علي بن أنجب تاج الدين الملقب بابن الساعي ( ت ٦٧٥ هـ/١٢٧٥ م ) .
( الجامع المختصر في عيون التواريخ وعيون السير ) ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد . المطبعة السريانية الكاثوليكية ــ بغداد ، ١٩٣٤ م .

٢٤ ــ ابن الطقطقي ، فخر الدين محمد بن علي بن طباطبا ( ت ٧٠٩ هـ/ ١٣٠٩ م ) .
( الفخري في الآداب السلطانية ) مطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، القاهرة .

٢٥ ــ ابن العبري ؛ غريغوريوس بن هارون بن توما الملطي المعروف بابن العبري . ( ت ٦٨٥ هـ/١٢٨٦ م ) .
( تاريخ مختصر الدول ) المطبعة الكاثوليكية ــ بيروت ــ ١٩٥٨ م .

٢٦ ــ ابن رجب الفقيه ؛ زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن شهاب .
( ذيل طبقات الحنابلة ) مطبعة السنة المحمدية ( ١٣٧٢ هـ/١٩٥٢ م ) .

٢٧ ــ ابن الجزري .
( غاية النهاية في طبقات القراء ) مكتبة الخانجي ــ مصر ( ١٣٥١ هـ/ ١٩٣٢ م ) .

٢٨ ـ ابن دحية ، عمر بن أبى على حسين بن على ( ت ٦٣٣ هـ ) .
النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس ) صححه ابراهيم العزاوى ١٩٤٧ م .

٢٩ ـ ابن الفوطى ، عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد الصابونى ( ت ٧٣٢ هـ/١٣٣٣ م ) .
( الحوادث الجامعة والتجارب النافعة ) تحقيق مصطفى جواد ـ بغداد ـ المكتبة العربية ١٩٣٢ م .

٣٠ ـ ( تلخيص مجمع الآداب فى معجم الالقاب ) تحقيق مصطفى جواد ـ دمشق ـ وزارة الثقافة والارشاد القومى ، ١٩٦٤ م .

٣١ ـ ابن القفطى ، جمال الدين أبى الحسن على بن يوسف ( ت ٦٤٦ هـ/ ١٢٤٨ م ) .
( أخبار العلماء بأخبار الحكماء ) طبع ليبزج ، ١٣٢٠ هـ .

٣٢ ـ ( انباء الرواة على انباء النحاة ) مصر ، ١٣٦٩ هـ .

٣٣ ـ ابن الكازرونى ، ظهير الدين على بن محمد ( ٣١١ هـ/٩٦٧ هـ ) .
( مختصر التاريخ من أول الزمان الى منتهى دولة بنى العباس ) تحقيق مصطفى جواد ، دار العلم للملايين ، مطبعة الحكومة ـ بغداد ـ ١٩٧٠ م .

٣٤ ـ ابن الدبيثى ، محمد بن سعيد ( ت ٦٣٧ هـ/١٢٣٩ م ) .
( المختصر المحتاج اليه ) تحقيق مصطفى جواد ، مطبعة دار الدهان ـ بغداد ( ١٣٧١ هـ/١٩٥١ م ) جزءان فقط .

٣٥ ـ ابن كثير ، أبى الفداء الحافظ اسماعيل بن عمر الدمشقى ( ت ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٢ م ) .
( البداية والنهاية ) . طبع مكتبة المعارف ـ بيروت ، ومكتبة النصر الرياضى ١٩٦٦ م .

٣٦ ـ ابن النديم ، ابن النديم ( ت ٢٨٣ هـ/أو ٣٨٥ هـ/٩٩٣ م أو ٩٩٥ م ) .
( الفهرست ) بيروت ـ لبنان ١٣٢٨ هـ .

٣٧ ـ ابن عبد ربه ، أبو عامر احمد بن محمد .
العقد الفريد ) تحقيق أحمد أمين واحمد الزين وابراهيم الأبياري .
الطبعة الثانية ـ القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٨ م .

٣٨ ـ ابن قتيبة ، أبى عبد الله مسلم بن قتيبة الدينورى ( ت ٢٧٦ هـ/٨٨٩ م ) .
( عيون الأخبار ) مطبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٩٢٥ م .
١٩٣٠ م .

٣٩ ـ ( الامامة والسياسة ) جزءان ـ القاهرة ١٣٣٢ هـ .

٤٠ ـ ( كتاب المعارف ) تحقيق د. ثروت عكاشة ـ القاهرة ١٣٥٣ هـ/١٩٣٤ م .

٤١ ـ أبو الفداء ، اسماعيل بن على عماد الدين صاحب حماه ( ت ٧٣٢ هـ/ ١٣٣٢ م ) .
( المختصر فى أخبار البشر ) دار الكتاب ـ بيروت ، بدون .

٤٢ ـ أبو المحاسن ، جمال الدين بن يوسف بن تغرى بردى ( ٨٧٤ هـ/١٤٦٩ م ) .
( النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ) طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٧٠ هـ/١٩٥٢ م .

٤٣ ـ الأصفهانى ، الامام ابى الفرج على بن الحسين ( ت ٣٥٦ هـ/٩٦٦ م ) .
( الأغانى ) طبعة دار الكتب المصرية ، والساسى ١٢٥٨ هـ .

٤٤ ـ البلاذرى ، أحمد بن محيى بن جابر ( ت ٢٧٩ هـ/٨٩٢ م ) .
( فتوح البلدان ) نشره ووضع ملاحقه وفهارسه صلاح الدين المنجد .
مطبعة لجنة البيان العربى ـ القاهرة ١٣١٨ هـ .

٤٥ ـ البيرونى ، أبى الريحان محمد بن أحمد الخوارزمى ( ت ٤٤٠ هـ/١٠٤٨ م ) .
( الآثار الباقية عن القرون الخالية ) ليبزج ، ١٩٢٣ م .

٤٦ ـ البغدادى ، اسماعيل
( هداية العارفين فى أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ) طبع اسطنبول ١٩٥١ م .

٤٧ — الثعالبى ، ابو منصور عبد الملك بن محمد ( ٤٢٩ هـ/١٠٣٧ م ) .
( لطائف المعارف ) نشر دى يوانغ ، ليدن ١٨٦٧ م .

٤٨ — ( يتيمة الدهر ) القاهرة ١٣٥٣ هـ/١٩٣٤ م .

٤٩ — الجاحظ ، أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصرى ( ت ٢٥٥ هـ/٨٦٨ م ) .
( التاج فى أخلاق الملوك ) تحقيق أحمد زكى . المطبعة الأميرية — القاهرة ١٩١٤ م .

٥٠ — ( البيان والتبيين ) تحقيق عبد السلام هارون . نشر مكتبة المثنى — ببغداد والخانجى بمصر ١٩٦٠ م .

٥١ — ( الحيوان ) . مطبعة السعادة بمصر ١٩٠٧/٥ م .

٥٢ — ( ثلاث رسائل ) وتسمى ( رسائل الجاحظ ) باعتناء فنكل القاهرة ١٣٤٤ هـ .

٥٣ — الجهشيارى ، محمد بن عبدوس ( ت ٣٣١ هـ/٩٤٢ م ) .
( الوزراء والكتاب ) . البابى الحلبى بمصر ١٩٣٨ م .

٥٤ — خليفة ، مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجى خليفة ( ت ١٠٦٧ هـ/ ١٦٥٦ م ) .

( كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ) . طبع دار المعارف التركية ١٩٤١ م .

٥٥ — أبو شجاع ، الروذراورى ( الملقب بظهير الدين الروذراورى الهمدانى ) .
( ذيل تجارب الأمم ) . نشر امدروز القاهرة ١٣٣٤ هـ/١٩١٦ م .

٥٦ — الأربلى ، عبد الرحمن سنبط بن ابراهيم بن قنيتو ( ت ٧١٧ هـ/١٣١٧ م ) .
( خلاصة الذهب المسبوك ) تحقيق مكى جاسم — بغداد — مكتبة المثنى ١٩٦٤ م . الأصفهانى ، الحسين .

٥٧ — ( محاضرات الأدباء ) القاهرة ١٢٨٧ هـ .

٥٨ ــ الأصفهانى ، عماد الدين محمد بن حامد الأصفهانى .
( تاريخ دولة سلجوق ) القاهرة ١٣٧٢ هـ .

٥٩ ــ الأنبارى ، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ( ت ٥٥٧ هـ/١١٨١ م ) .
( نزهـــة الألباء فى طبقات الأدباء ) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . دار نهضة مصر للطبع والنشر ــ القاهرة .

٦٠ ــ البيهقى .
( تاريخ حكماء الاسلام ) مطبعة الترقى ، دمشق . ومطبوع تتمة صيوان الحكمة ، تحقيق الأستاذ محمد شفيع . طبعة لاهور ١٣٥٠ هـ .

٦١ ــ التنوخي ، أبو على الحسن بن على بن ابى الفهم التنوخى ، ( ت ٣٨٤ هـ/ ٩٩٤ م ) .
( نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ) ، دمشق ١٣٤٨ هـ .

٦٢ ــ التوحيدى ، أبو حيان ، على بن محمد بن العباس ( ت ٤١٤ هـ/١٠٢٣ م) .
( الامتاع والمؤانسة ) تحقيق ونشر أحمــد امين وآخرين ، لجنــة التأليف والترجمة والنشر ، القـــاهرة ١٩٤٢ م .

٦٣ ــ ( المقابسـات ) تحقيق السندوبى مــع مقــدمة ــ المكتبــة التجــارية ــ القـــاهرة ١٩٢٩ م .

٦٤ ــ الحصرى ، أبو اسحاق ابراهيم بن على القيروانى ( ٤١٣ هـ/١٠٢٤ م ) .
( زهر الآداب وثمر الألبـــاب ) جـ ٢ مفصل ومشروح بقلم زكى مبارك ، دار الجيل ــ بيروت ١٩٧٢ م .

٦٥ ــ الحنبلى ، ابن العماد ، أبو الفـــــلاح عبد الحى الحنبلى ( ت ١٠٨٩ هـ/ ١٦٧٨ م ) .
( شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ) ، القاهرة ١٣٥٠ هـ .

٦٦ ــ الذهبى ، الحافظ شمس الدين ( ت ٧٤٨ هـ/١٣٤٧ م ) .
( ميزان الاعتدال فى نقــد الرجال ) ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٢٥ هـ .

٦٧ ــ ( تذكرة الحفاظ ) دار احيــــاء التراث العربى ــ بيروت ــ ١٣٧٤ هـ .

٦٨ — الزرنوجي ، برهان الاسـلام .
( تعلم المتعلم طريق التعلم ) ، القاهرة ١٩٤٢ م .

٦٩ — السبكى ، تاج الدين ابى نصر عبد الوهاب .
( طبقات الشافعية الكبرى ) مصر ١٣٢٤ هـ .

٧٠ — السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر ( ت ٩١١ هـ/١٥٠٥ م ) .
( تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة ) المطبعة الخيرية ، مصر .

٧١ — ( الاشباه والنظائر ) حيدر آباد — الدكن ١٣١٦ هـ .

٧٢ — الشهرستانى ، أبى الفتح محمد بن عبد الكريم بن ابى بكر بن أحمد ( ت ٥٤٨ هـ/١١٥٣ م ) .
( الملل والنحل ) تحقيق محمد سيد كيلانى ، نشر مصطفى البابى الحلبى ، مصر ١٩٦١ م .

٧٣ — الصابى ، ابى الحسن هلال بن المحسن الصابى ( ت ٤٤٨ هـ/١٠٥٦ م ) .
( تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء ) ، مطبعة البـابى الحلبى — مصر — القـاهرة .

٧٤ — صاعد بن احمد الأندلسى ( ٤٢٠ هـ/٤٦٢ هـ — ١٠٢٩ م/١٠٧٠ م ) .
( طبقـات الأمم ) مصر .

٧٥ — الصفدى ، صلاح الدين خليل بن أيبك ( ٧٦٤ هـ ) .
( الوافى بالوفيات ) اسطنبول ١٩٣١ م .

٧٦ — طاش كبرى زاده ، أحمد بن مصطفى الشهير .
( مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم ) تحقيق كامل بكرى وزميله ، دار الكتب الحـديثة ، مصر .

٧٧ — الطبرى ، أبى جعفر محمد بن جرير ( ت ٣١٠ هـ/٩٢٢ م ) .
( تاريخ الرسل والملوك ) تحقيق أبى الفضل ابراهيم ، طبع دار المعـارف بمصر ١٩٦٠ م ، ١٩٦٣ م .

٧٨ ــ طيفور ، ابى الفضل احمد بن ابى طاهر ( ٢٨٠ هـ/٨٩٣ م ــ ٨٩٤ م ) .
( تاريخ بغــداد ) طبعة ليبزج ١٢٨٧ هـ/١٩٠٨ م .

٧٩ ــ العمرانى ، محمد بن على بن محمد المعروف بالعمرانى ( ٥٨٠ هـ/١١٨٥ م ) .
( لأنباء فى تاريخ الخلفاء ) تحقيق د. قاسم السامرائى ط ليدن ١٩٧٣ م .

٨٠ ــ العمرى ، ابن فضل الله ( ت ٧٤٩ هـ/١٣٤٨ م ) .
( مسالك الأبصار فى المــالك والأمصــار ) مطبعــة دار الكتب المصرية ١٩٢٤ م .

٨١ ــ الغزالى ، الامام أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد ( ت ٥٠٥ هـ/١١١١ م ) .
( احياء علوم الدين ) مطبعة مصطفى البابى الحلبى ١٣٥٨ هـ/١٩٣٩ م .
القـــاهرة .

٨٢ ــ ( تهافت التهافت ) تحقيق د. سليمان دنيا ، سلسلة ذخائر العرب ، دار المعــارف بمصر ١٩٦٨ م .

٨٣ ــ الفــارابى ، أبو نصر .
( احصاء العلوم ) تحقيق د. عثمان أمين ــ القاهرة ــ ١٩٤٩ م .

٨٤ ــ القلقشندى ، أبى العباس أحمد بن على ( ت ٨٢١ هـ/١٤١٨ م ) .
( صبح الأعشى فى صناعة الانشا ) المطبعة الأميرية ــ القاهرة ١٩١٣ م .

٨٥ ــ المراكشى ، محيى الدين أبى محمد عبد الواحــد بن على التميمى ( ٦٦٩ هـ/ ١٢٧١ م ) .
( المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ) مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٢٤ هـ .

٨٦ ــ المرتضى المهدى لدين الله أحمد بن يحيى ( ٣٣٥ هـ/٩٣٦ م ) .
( المنية والأمل فى شرح الملل والنحل ) ط الهند ، حيذر آباد ، ١٣١٦ هـ .

٨٧ ــ المسعودى ، أبى الحسن علىّ بن الحسين بن على ( ت ٣٤٦ هـ/٩٥٧ م ) .
( مروج الذهب ومعادن الجوهر ) مطبعة دار الرجاء ، القاهرة ١٣٧٠ هـ/ ١٩٣٨ م .

٨٨ ــ ( التنبيه والاشراف ) ، ليدن ، مطبعة بريل ١٩٦٧ م .

٨٩ ــ مسكويه ، ابى على احمد بن محمد بن يعقوب ( ٤٢١ هـ/١٠٣٠ م ) .
( تجارب الأمم ) طبع مكتبة المثنى ــ بغــداد ، العراق .

٩٠ ــ المصرى ، ابن نباته ، جمال الدين محمد بن محمد ( ٧٦٨ هـ ) .
( سرح العيون ) القــاهرة ، ١٢٧٨ هـ .

٩١ ــ المقــــدسى ، شمس الدين ابى عبــد الله بن احمد المعروف بالبشــارى
( ت ٣٧٥ هـ/٩٨٥ م ) .
( احسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ) ليدن ، مطبعــــة بريل ١٩٦٧ م .

٩٢ ــ المقرى ، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمسانى ( ١٠٤١ هـ/١٦٢٣ م ) .
( نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب ) تحقيق احسان عباس ــ بيروت
ــ دار صادر ١٣٨٨ هـ/١٩٦٨ م .

٩٣ ــ المقريزى ، تقى الدين أحمد بن على ( ٨٤٥ هـ/١٤٤١ م ) .
( اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ) تحقيق جمال الدين الشيال ،
القاهرة ، لجنة احياء التراث الاسلامى ١٩٦٧ م .

٩٤ ــ ( المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار ) بولاق ١٢٧٠ هـ القــاهرة .

٩٥ ــ القرطبى ، عريب بن ســعد ( ٣٦٦ هـ/٩٧٧ م ) .
( صلة تاريخ الطبرى ) طبعة ليدن ١٨٩٧ .

٩٦ ــ ياقــوت الحمــوى ، أبى عبد الله شــهاب الدين بن عبد الله الرومى ،
( ٦٢٦ هـ/١٢٢٩ م ) .
( معجم الأدباء ) تحقيق احمد فريد رفاعى ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابى
الحــلبى ١٩٣٦ م .

٩٧ ــ ( معجم البلدان ) مطبعة السعادة القاهرة ١٣٣٢ هـ/١٩٠٦ م .

٩٨ ــ اليعقوبى ، أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر وهب بن واضح .
( كتاب البلدان ) تحقيق دى غــويه ، لندن ، بريل ١٨٩٢ م .

## ثالثا ـ المراجع العربية الحديثة :

٩٩ ـ الأبراشي ، محمد عطيه ( أعلام الطب ) ، من نوابغ الفكر العربي الاسلامي .

١٠٠ ـ الأصمعي ، محمد عبد الجواد ( أبو الفرج الأصفهاني ) دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٤٠ م .

١٠١ ـ الألوسي ، محمود شكري البغدادي ( ت ١٢٧٠ هـ ) ( بلوغ الأرب في معرفة احوال العرب ) شرح وتصحيح محمد بهجت الاثري ، المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٢٤ م .

١٠٢ ـ الأهواني ، احمد فؤاد ( التربية في الاسلام ) دار المعارف بمصر . طبعة ١٩٧٥ م .

١٠٣ ـ ( الفلسفة الاسلامية ) دار القلم بمصر ـ القاهرة ١٩٦٥ م .

١٠٤ ـ ( الكندي فيلسوف العرب ) طبع وزارة الثقافة والارشاد القومي . المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، عدد ٢٦ القاهرة ، ١٩٦٣ م .

١٠٥ ـ ابو خشب ، ابراهيم ( تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول ) دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٧٤ م ، ١٩٧٥ م .

١٠٦ ـ ( تاريخ الادب العربي في العصر العباسي الثاني ) دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٧٥ م .

١٠٧ ـ أبو زهرة ، محمد شاهين حمزة ( محاضرات في المذاهب الفقهية ) مطبعة مخيمر ، القاهرة ١٩٦١ م .

١٠٨ ـ أبو الفيض ، السيد محمود ( أصالة العلم وانحراف العلماء ) دار نهضة مصر بالفجالة ، القاهرة . .

١٠٩ ـ أحمد ، امام ابراهيم ( تاريخ الفلك عند العرب ) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧٥ م .

١١٠ ـ اسحاق ، روفائيل بابو ( مدارس العراق قبل الاسلام ) بغـداد ، العراق ١٩٥٥ م .

١١١ ـ ( تاريخ نصارى العراق ) مطبعة المنصور . بغـداد ١٩٤٨ م .

١١٢ ـ ( أحـوال نصارى بغـداد في عهد الخلافة العباسية ) مطبعة شفيق . بغـداد ، العراق ١٩٦٠ م .

١١٣ ـ أسماء فهمي ( مبادىء التربية الاسلامية ) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القـاهرة ١٩٤٧ م .

١١٤ ـ أمين ، أحمد ( فجر الاسلام ) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنصر ط ٣ ١٩٣٥ م .

١١٥ ـ ( ضحى الاسلام ) دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٣٠ م .

١١٦ ـ ( ظهر الاسلام ) ، دار المعارف بمصر ط ٣ ، ١٩٣٩ م .

١١٧ ـ أمين ، حسين ( تاريخ العراق في العصر السلجوقي ) مطبعة الارشـاد ـ بغـداد ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥ م .

١١٨ ـ أمين ، مصطفى ( تاريخ التربية ) دار المعارف بمصر ، بدون .

١١٩ ـ الباشا ، حسن ( دراسات في الحضارة الاسلامية ) دار المعارف بالاسكندرية ١٩٦٨ م .

١٢٠ ـ بدوي ، عبد الرحمن ( دور العرب في تكـوين الفكر الأوروبي ) بيروت ، لبنـان ط ٣ ، ١٩٧٩ م .

١٢١ ـ البرقوقي ، محمد عاطف ـ والتوانسي ، أبو الفتوح محمد ( الخوارزمي العالم الفلكي الرياضي ) الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٤ م .

١٢٢ ـ بليع ، عبد الحكيم ( أدب المعتزلة ) مطبعة الرسالة ، القاهرة ١٩٦٥ م .

١٢٣ ـ البهى ، محمد ( الجانب الالهى من التفكير الاسلامى ) بيروت ، لبنان ط ٥
١٣٨١ هـ/١٩٧٢ م .

١٢٤ ـ التوانسى . ابو الفتوح ( من أعلام الطب العربى ) دار الكاتب المصرى ،
القاهرة ، ١٩٧٣ م .

١٢٥ ـ الجرارى ، عبد الله بن عباس ( تقدم العرب فى العلوم والصناعات
وأستاذيتهم لأوروبا ) دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٦٣ م .

١٢٦ ـ جمعه ، محمد لطفى ( تاريخ فلاسفة الاسلام فى المشرق ) من المقدمة
ط ١ ، المكتبة العلمية ، ليون ، فرنسا ١٩٠٩ م .

١٢٧ ـ الجميلى ، رشيد حميد حسن ( اثر الترجمة فى الحضارة الاسلامية فى القرن
الثانى الهجرى ) اطروحة ماجستير مكتوبة على الآلة الكاتبة .

١٢٨ ـ ( حركة الترجمة فى المشرق الاسلامى فى القرنين الثالث والرابع الهجريين )
الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلام ـ طرابلس ـ ليبيا ط ١
١٣٩١ هـ/١٩٨٢ م .

١٢٩ ـ الجندى . أنور ( الفكر والثقافة المعاصرة فى شمال أفريقيا ) طبعة الدار
القومية بالقاهرة ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥ م .

١٣٠ ـ الجوارى ، احمد عبد الستار ( الشعر فى بغداد حتى القرن الثالث
الهجرى ) وزارة الاعلام والثقافة ، العراق ، بغداد ١٩٦٥ م .

١٣١ ـ الجومرد ، عبد الجبار ( هارون الرشيد ) مطبعة دار الكتاب ، بيروت ،
لبنان ، ١٩٥٦ م .

١٣٢ ـ الجيار ، ابراهيم ( تاريخ التعليم الحديث ) دار الثقافة ، القاهرة ١٩٧١ م .

١٣٣ ـ ( دراسات الفكر التربوى ) وكالة المطبوعات ، الكويت ١٩٧٤ م .

١٣٤ ـ الجيزاوى ، سعد الدين ( دراسات فى الأدب العربى ) دار نهضة مصر
بالفجالة ، القاهرة .

١٣٥ ـ الحاجرى ، طـه ( الجاحظ حياته وآثاره ) دار المعارف بمصر ١٩٦٨ م ٠

١٣٦ ـ حجاب ، محمد نبيه ( مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى حتى نهاية القرن الثالث الهجرى ) حـ ١ ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ١٣٨١ هـ/١٩٦١ م ٠

١٣٧ ـ حسن ، حسن ابراهيم ( تاريخ الدولة الفاطمية فى المغرب وسوريا ومصر وبلاد العرب )مكتبة النهضة المصرية حـ ٢ ، ١٩٥٨ م ٠

١٣٨ ـ ( تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ) مكتبة النهضة المصرية ط ٣ ، ١٩٥٣ م ٠

١٣٩ ـ حسن ، زكى محمد ( كنوز الفاطميين ) ، القاهرة ١٩٣٧ م ٠

١٤٠ ـ حسن ، على ابراهيم ( التاريخ الاسلامى العام ) مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٩ م ٠

١٤١ ـ حسنين ، عبد النعيم ( سلاجقة ايران والعراق ) مكتبة النهضة المصرية ط ٢ ـ ١٣٨٠ هـ/١٩٧٠ م ٠

١٤٢ ـ حسين ، طـه ( تجديد ذكرى أبى العلاء المعرى ) دار المعارف بمصر القاهرة ١٩٣٢ م ٠

١٤٣ ـ حماد ، حسنى احمد السيد ( الحضارة العربية نشأتها وتطورها ) المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٧ م ٠

١٤٤ ـ حمادة ، محمد ماهر ( المكتبات فى الاسلام ) مطبعة الرسالة ـ بيروت ، لبنان ١٩٧٣ م ٠

١٤٥ ـ الحفنى ، محمود أحمد ( اسحاق الموصلى ) الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، اعلام العرب عـ ٢٤ ، ١٩٦٤ م ٠

١٤٦ ـ الحوفى ، أحمد ( تيارات ثقافية بين العرب والفرس ) دار نهضة مصر ، بالفجالة ، القاهرة ١٩٦٨ م ٠

١٤٧ — الخربوطلي ، على حسني ( الحضارة العربية الاسلامية ) طبعة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٢ م .

١٤٨ — ( المسعودى ) نوابغ الفكر العربى ، دار المعارف بمصر عـ ٣٨ ، ١٩٦٨ م .

١٤٩ — خراساني ، محمد غفراني ( عبد الله بن المقفع ) مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، القاهرة ١٩٧٠ م .

١٥٠ — الخضرى ، الشيخ محمد ( تاريخ الأمم الاسلامية — الدولة العباسية ) المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ١٩٧٠ م .

١٥١ — خطاب ، عطيه على ( التعليم فى مصر فى العصر الفاطمى الأول ) القاهرة ١٩٤٧ م .

١٥٢ — الخطيب ، محمد عجاج ( لمحات فى المكتبة والبحث والمصادر ) مؤسسة الرسالة بيروت ، لبنان ط ٦ ، ١٣٨٩ هـ/١٩٦٩ م .

١٥٣ — خفاجه ، محمد عبد المنعم ( صور من الفكر العربى وتاريخ الاسلام ) مكتبة النجاح ، القاهرة ١٣٧٧ هـ/١٩٥٨ م .

١٥٤ — ( الآداب العربية فى العصر العباسى الثانى ) القاهرة ١٩٥٧ م .

١٥٥ — خليل ، شوقى ( جرجى زيدان ) دار الفكر — دمشق ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م .

١٥٦ — الخوارزمى ، محمد بن موسى ( الجبر والمقابلة ) دار الكتاب العربى ، القاهرة ١٩٦٨ م .

١٥٧ — الدايم ، عبد الله ( التربية عبر التاريخ ) بيروت ، لبنان ط ٢ ، ١٩٧٥ م .

١٥٨ — الدش ، محمود محمد ( أبو العتاهية ) دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٨ م .

١٥٩ — الدفاع ، على عبد الله ( موجز التراث العربى الاسلامى ) مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٧ م .

١٦٠ — الدورى ، عبد العزيز ( العصر العباسى الأول ) مطبعة التثقيف الأهلية ، بغداد ١٩٤٢ م .

١٦١ ــ الديوه جى ، سعيد ( بيت الحكمة ) مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، العراق ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م .

١٦٢ ــ الرافعى ، مصطفى صادق ( تاريخ أدب اللغة العربية ) دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان ١٩٧٠ م .

١٦٣ ــ الراوى ، طه ( بغداد مدينة السلام ) سلسلة اقرأ ( ٧ ) دار المعارف بمصر ــ القاهرة ١٩٤٤ م .

١٦٤ ــ الرفاعى ، أحمد فريد ( عصر المأمون ) مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٨ م .

١٦٥ ــ الرفاعى ، انور ( الاسلام فى نظمه وحضارته ) دار الفكر ، بيروت ، لبنان ١٩٧٣ م .

١٦٦ ــ زاهية قدورة ( الشعوبية اثرها الاجتماعى والسياسى فى الحياة الاسلامية فى العصر العباسى ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ١٩٧٢ م

١٦٧ ــ زغلول ، الشحات السيد ( السريان والحضارة الاسلامية ) دار الكاتب المصرى ، الاسكندرية ١٩٧٣ م .

١٦٨ ــ ( الاتجاهات الفكرية فى التفسير ، دار الكاتب المصرى ، الاسكندرية ١٩٧٥ م

١٦٩ ــ زكى ، صالح ( آثار باقية ) مجلد ٢ ط اسطنبول ١٣٢٩ هـ .

١٧٠ ــ الزهرانى ، محمد مسفر ( نظام الوزارة فى الدولة العباسية فى العهدين البويهى والسلجوقى ) مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ١٩٨٠ م .

١٧١ ــ الزيات ، أحمد حسن ( تاريخ الأدب العربى للمدارس الثانوية ) مطبعة الرسالة القاهرة ، بدون .

١٧٢ ــ زيادة ، نقولا ( صور من التاريخ الاسلامى ) دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، بدون .

١٧٣ ــ زيدان ، جرجي ( تاريخ التمدن الاسلامى ) مراجعة وتعليق حسين مؤنس .
طبع دار الهلال ، القاهرة ١٩٣١ م .

١٧٤ ــ سالم ، عبد العزيز ( دراسات فى تاريخ العرب ، العصر العباسى الاول ) مؤسسة الشباب الجامعى بالاسكندرية ، بدون .

١٧٥ ــ السامرائى ، محمد رجب ( علم الفلك عند العرب ) منشورات دائرة الشئون الثقافية والنشر بغداد ، العراق ١٩٨٤ م ( الموسوعة الصغيرة ) ١٣٨ .

١٧٦ ــ السباعى ، الشيخ مصطفى ( من روائع حضارتنا ) المكتب الاسلامى ، بيروت ، لبنان ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م .

١٧٧ ــ سرور ، محمد جمال الدين ( تاريخ الحضارة الاسلامية فى المشرق ) دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٦٥ م .

١٧٨ ــ سليم ، محمود رزق ( عصر سلاطين المماليك ) طبعة مكتبة الآداب بالجماميز ، القاهرة ١٩٤٩ م .

١٧٩ ــ سميرة مختار الليثى ( جهاد الشيعة فى العصر العباسى الأول ) دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٦ هـ/١٩٧٦ م .

١٨٠ ــ السودانى ، عبد مزهر ( الشعر العراقى فى القرن السادس الهجرى ) ، ط ٨ ، دار الرشيد ، بغداد ــ العراق ، بدون .

١٨١ ــ الشايب ، أحمد ( العامل السياسى فى أدب العصر العباسى الأول ) مكتبة مصر بالفجالة ، القاهرة ، بدون .

١٨٢ ــ شريف ، محمد بديع ( الصراع بين العرب والموالى ) طبعة القاهرة ١٩٥٤ م .

١٨٣ ــ شلبى ، أحمد ( تاريخ التربية الاسلامية ) ط ٥ مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٧٧ م .

١٨٤ ــ ( التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ) مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٠ م .

١٨٥ ــ الشريقى ، ابراهيم ( التاريخ الاسلامى ) القاهرة ١٩٧١ م .

١٨٦ ــ الشيبانى ، عمر محمد التومى ( فلسفة التربية الاسلامية ) الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلام ، طرابلس ، ليبيا ط ١ ، ١٩٧٥ م .

١٨٧ ــ الصيحى ، محمد ابراهيم ( العلوم عند العرب ) مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، القاهرة ، بدون .

١٨٨ ــ ضيف ، شوقى ( العصر العباسى الأول ) دار المعارف بمصر ، القاهرة ط ٢ ، ١٩٦٣ م .

١٨٩ ــ الطباع ، عبد الله انيس ( علم المكتبات بالادارة والتنظيم ) دار الكتاب اللبنانى بيروت ، لبنان ط ٢ ، ١٩٧٢ م .

١٩٠ ــ طلس ، محمد أسعد ( عصر الازدهار ، تاريخ الدولة العباسية ) الكتاب الأول ط ١ ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٦٤ م .

١٩١ ــ طوطح ، خليل ( تاريخ التربية عند العرب ) القدس ١٩٣٣ م .

١٩٢ ــ طوقان ، قدرى حافظ ( تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ) دار الشروق ، بيروت ، لبنان ١٩٦٣ م .

١٩٣ ــ ( العلوم عند العرب ) مكتبة مصر ، ٣ شارع كامل صدقى بالفجالة ، سلسلة الألف كتاب رقم ٤ ، ١٩٥٦ م .

١٩٤ ــ عاشور ، سعيد عبد الفتاح ( فضل العرب على الحضارة الأوروبية ) مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٥ م .

١٩٥ ــ ( المدنية الاسلامية واثرها فى الحضارة الأوروبية ) مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ط ٢ ، ١٩٨٢ م .

١٩٦ ــ عائشة عبد الرحمن ( بنت الشاطىء ) ( تراثنا بين ماض وحاضر ) دار المعارف بمصر ١٩٧٠ م .

١٩٧ ــ ( لغتنا والحياة ) دار المعارف بمصر ١٩٧١ م .

١٩٨ — ( القرآن وقضايا الانسان ) دار العلم للملايين ، بيروت ط ٢ ، ١٩٧٥ م .
١٩٩ — العبادى ، أحمد مختار ( فى التاريخ العباسى والأندلسى ) دار النهضة المصرية بيروت ، لبنان ط ٢ ، ١٩٧٢ م .

٢٠٠ — عبد الرءوف ، عصام الدين ( الحواضر الاسلامية الكبرى ) دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٧١ م .

٢٠١ — عبد العزيز ، محمد الحسينى ( الحياة العلمية فى الدولة الاسلامية ) وكالة المطبوعات ، الكويت ١٩٧٣ م .

٢٠٢ — عبد الغنى ، مصطفى لبيب ( الكيمياء عند العرب ) دار الكاتب المصرى ، القاهرة ١٣٨٧ هـ/١٩٦٧ م .

٢٠٣ — العدوى ، أحمد ابراهيم ( الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم ) القاهرة ١٩٥٨ م .

٢٠٤ — ( السفراء العرب الى أوروبا فى العصور الوسطى ) دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٥٧ م .

٢٠٥ — عزام ، عبد الوهاب ( الاسلام والعلم فى الاسلام اليوم وغدا ) دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، بدون .

٢٠٦ — العش ، يوسف ( تاريخ عصر الخلافة العباسية ) دار الكتاب ، دمشق ١٩٨٠ م .

٢٠٧ — العقاد ، عباس محمود ( اثر العرب فى الحضارة الأوروبية ) دار المعارف بمصر ، ١٩٦٣ م .
٢٠٨ — العقيقى ، نجيب ( المستشرقون ) دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٥٨ م .
٢٠٩ — على ، محمد كرد ( الاسلام والحضارة العربية ) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ط ٢ ، ١٩٥٠ م .
٢١٠ — ( أمراء البيان ) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٠م .

٢١١ ـ عمر ، فاروق ( العباسيون الأوائل ) جـ ٢ مطبعة الرسالة ، بغداد ، العراق ١٩٦٣ م .

٢١٢ ـ العمرى ، أحمد جمال ( أبو بكر الصولى ) الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، أعلام العرب ١٩٧٣ م .

٢١٣ ـ عون ، حسن ( صور ملهمة من واقع المجتمع العربى ) ط ٢ ، القاهرة ، بدون .

٢١٤ ـ عنان ، محمد عبد الله ( الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مؤسسة الخانجى ، القاهرة ١٩٥٩ م .

٢١٥ ـ عيسى ، أحمد ( التهذيب فى أصول التعريب ) القاهرة ، ١٩٢٣ م .

٢١٦ ـ غرابة ، حمودة ( ابن سينا بين الدين والفلسفة ) مطبعة مجمع البحوث الاسلامية ، القاهرة ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م .

٢١٧ ـ غنيمة ، محمد عبد الرحيم ( تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى ) دار الطباعة المغربية ، تطوان ، المغرب ١٩٥٣ م .

٢١٨ ـ فراج ، عز الدين ( فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ) دار الهنا للطباعة ١٩٧٨ م .

٢١٩ ـ فروخ ، عمر ( تاريخ الفكر العربى الى أيام ابن خلدون ) ط ٢ ، المكتب التجارى ، بيروت ، لبنان ١٩٦٢ م .

٢٢٠ ـ ( عبقرية العرب فى العلم والفلسفة ) منشورات المكتبة العصرية بيروت ، لبنان ط ٣ ، ١٩٦٩ م .

٢٢١ ـ فوقية ، حسن محمود ( الامام الجوينى امام الحرمين ) المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، أعلام العرب عـ ٤٠ ، ١٣٨٤ هـ/١٩٦٤ م .

٢٢٢ ـ الكبيسى ، حمدان عبد المجيد ( أسواق بغداد فى بداية العصر البويهى ) مطبعة وزارة الاعلام ، بغداد ، العراق ١٩٧٩ م .

٢٢٣ ــ كحالة ، عمر رضا ( المرأة فى عالمى العرب والاسلام ) ط ٢ ، مطبعة الترقى ، دمشق ١٩٧٢ م .

٢٢٤ ــ كوركيس ، عواد ( خزائن الكتب القديمة فى العراق ) مطبعة المعارف ، بغداد ، العراق ١٩٤٨ م .

٢٢٥ ــ الكيالى ، سامى ( النفس الانسانية فى ادب الجاحظ ) دار المعارف بمصر ، سلسلة اقرأ ١٩٦١ م .

٢٢٦ ــ ماجد ، عبد المنعم ( تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى ) مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٣ م .

٢٢٧ ــ ( العصر العباسى الأول ) مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧٧ م .

٢٢٨ ــ الماحى ، التيجانى ( تاريخ الطب عند العرب ) الخرطوم ١٩٦٠ م .

٢٢٩ ــ المحاسنى ، زكى ( المتنبى ، نوابغ الفكر العربى ) ط ٤ ، دار المعارف بمصر ١٩٧١ م .

٢٣٠ ــ محمد ، التوم الطالب ( تاريخ الحضارة الاسلامية ) أبو ظبى ، جامعة الامارات ١٩٨٤ م .

٢٣١ ــ مجيد ، زكى فاضل ( الفكر السياسى والعربى الاسلامى بين ماضيه وحاضره ) ط ٢ دار الحرية للطباعة ، بغداد ، العراق ١٩٧٦ م .

٢٣٢ ــ محمود ، حسن أحمد ، والشريف ( العالم الاسلامى فى العصر العباسى ) دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٧٣ م .

٢٣٣ ــ محمود ، زكى نجيب ( جابر بن حيان ) الهيئة المصرية العامة ، القاهرة أعلام العرب ع ١٣ ، ١٩٦١ م .

٢٣٤ ــ محمود ، عبد الحليم ( التفكير الفلسفى فى الاسلام ) دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان ١٩٧٤ م .

٢٣٥ ــ المدور ، جميل نخلة ( حضارة الاسلام فى دار السلام ) مطبعة الاعتماد ، بمصر ١٩٣٢ م .

٢٣٦ ــ مصطفى ، شاكر ( فى التاريخ العباسى )، دمشق ، ١٣٧٦ هـ/١٩٥٧ م .

٢٣٧ ــ مظهر ، اسماعيل ( تاريخ الفكر العربى ) نشر مجلة العصور لنشر المعرفة والآداب ، القــاهرة ١٩٢٨ م .

٢٣٨ ــ مظهر ، جلال ( علوم المسلمين أساس التقــدم العلمى ) الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر عــ ٢٤٧ القاهرة ١٩٧٠ م .

٢٣٩ ــ ( حضارة الاسلام وأثرها فى الترقى العلمى ) القاهرة ١٩٧٤ م .

٢٤٠ ــ معروف ، ناجى ( أصالة الحضارة العربية ) ط ٣ دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٥ م .

٢٤١ ــ ( تاريخ علماء المستنصرية ) جـ ١ مطبعــة جامعــة بغــداد ، العراق ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥ م .

٢٤٢ ــ ( المدارس الشرابية ) مطبعة الارشاد ، بغــداد ، العراق ، ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥ م .

٢٤٣ ــ المعلوف ، عيسى اسكندر ( تاريخ الطب عند العرب ) بيروت ، لبنــان ، ١٩٣٥ م .

٢٤٤ ــ منتصر ، عبد الحليم ( تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقــدمه ) ط ٤ دار المعارف بمصر ، القــاهرة ١٩٧١ م .

٢٤٥ ــ مؤنس ، حسين ( تاريخ الدولة العربية الاسلامية فى العصور الوسطى ) الكويت ١٤٠١، هـ/١٩٨١ م .

٢٤٦ ــ الميدانى ، عبد الرحمن حسن حنبكه ( اسس الحضارة الاسلامية ووسائلها ) ط ٢ دار القلم ، دمشق ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م .

٢٤٧ ــ النبهان ، محمد فاروق ( مبادىء الثقافة الاسلامية ) دار البحوث ، الكويت ١٩٧٣ م .

٢٤٨ ــ هاشم ، زكريا ( فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ) مكتبــة نهضــة مصر بالفجــالة ، القــاهرة ، بدون .

٢٤٩ ــ الهاشمى ، محمد ( الفكر العربى جــذوره ، ثماره ) مكتبة الفلاح ، الكويت ١٩٧٨ م .

٢٥٠ ــ الهاشمى ، محمد يحيى ( الكيمياء فى التفكير الاسلامى ) دار الفكر العربى . القـــاهرة ١٩٥٨ م .

٢٥١ ــ هــداره ، محمد مصطفى ( اتجاهات الشـــعر العربى فى القرن الثانى الهجرى ) دار المعارف بمصر ، الاسكندرية ١٩٧٠ م .

٢٥٢ ــ وديعة طــه نجم ( الشعر فى الحاضرة فى القرنين الثانى والثالث الهجريين ، شركة كاظمة للنشر ، الكويت ١٩٧١ م .

٢٥٣ ــ اليازجى ، كمال ( معالم الفكر العربى فى العصر الوسيط ) دار العـلم للمــلايين ، بيروت ١٩٦٦ م .

٢٥٤ ــ اليوزبكى ، توفيق سلطان ( تاريخ أهــل الذمة فى العراق ) دار العــلوم للطباعة والنشر ، السعودية ، الرياض ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ م .

## رابعا ــ المراجــع الأجنبية المترجمــة :

٢٥٥ ــ أرنولد ، توماس وآخرون ( تراث الاسلام ) ترجمة جرجيس فتح الله . المطبعة العصرية الموصل ، العراق ١٩٥٤ م .

٢٥٦ ــ الدوميللى ( العلوم عند العرب ومكانتها فى التطور العلمى العالمى ) ، ليــدن هـــولندا ، ١٩٦٦ م .

٢٥٧ ــ أوليرى ، دى لاسى ( مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ) ترجمة تمــام حسان ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٦٣ م .

٢٥٨ ــ ( الفكر العربى ومكانه فى التاريخ ) ترجمةتمام حسان ، دار الفكر العربى ، القـــاهرة ١٩٦١ م .

٢٥٩ ــ ( علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب ) ترجمة وهيب كامل ، القاهرة ١٩٦٢ م .

٢٦ ــ بادو ، جنــون ( عبقرية الحضارة العربية ينبوع النهضة ) مركز الوثائق والدراسات بأبو ظبى ١٣٧٩ هـ/١٩٧٧ م .

٢٦١ ــ بخش ، خــودا ( الحضارة الاسلامية ) ترجمــــة وتعليق على حسنى الخربوطلى ، نشر دار الكتب الحــديثة ، القاهرة ١٩٦٠ م .

٢٦٢ ــ بارثولد ، ف ( الحضارة الاسلامية ) ترجمة حمزة طاهر ط ٣ ، طبع دار المعارف بمصر ، القــاهرة ١٩٤٢ م .

٢٦٣ ــ براون ، ادوارد جــورج ( الطب العربى ) ترجمة داوود سليمان على ، مطبعة العانى ، بغــداد ١٩٦٤ م .

٢٦٤ ــ بروكلمان ، ( كارل ) ( تاريخ الشعوب الاسلامية ) ترجمة نبيــه فارس وزميلة ، بيروت ١٩٥٣ م .

٢٦٥ ــ بيكر ، هنيرش ( تراث الأوائل فى الشرق والغرب ) ترجمة عبد الرحمن بدوى ، بيروت ١٩٤٩ م .

٢٦٦ ــ جوستاف ، جرونيباوم فون ( حضارة الاسلام ) نقله للعربية عبد العزيز جاويد وعبد الحميد العبادى ، مكتبة مصر ، ٣ شارع كامل صدقى بالفجالة الألف كتاب (٢٠ ) ١٩٥٦ م .

٢٦٧ ــ حتى ، فيليب ( تاريخ العرب المطــول ) ترجمة ادوارد جرجى وجبرائيل جبور ، دار الكشاف ، بيروت ، لبنان ١٩٦٥ م .

٢٦٨ ــ حيد بامات ( اســـهام المسلمين فى الحضـــارة الانسانية ) ترجمــــة ماهر عبد القادر وآخرون ، دار المعرفة الجامعية ، الأزاريطة بالاســـكندرية ، بدون .

٢٦٩ ــ دى بور ( تاريخ الفلسفة فى الاسلام ) ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٨ م .

٢٧٠ ــ ديورانت ، ول ( قصة الحضارة ) ترجمة محمد بدران ، طبع الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية .

٢٧١ ـ روزنتال ، فرانتز ( مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى ) ترجمة انيس فريحه ، بيروت ، لبنان ١٩٦١ م .

٢٧٢ ـ ريسلر ، جاك . س. ( الحضارة العربية ) ترجمة غنيم عبدون ، طبع الدار المصرية للتاليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٦ م .

٢٧٣ ـ سيد أمير على ( روح الاسلام ) ترجمة محمود أمين الشريف ، مكتبة الآداب ، القاهرة ١٩٦٣ م .

٢٧٤ ـ ( مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامى ) ترجمة رياض رأفت ، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٨ م .

٢٧٥ ـ سيديو ، ل. ا. ( تاريخ العرب العام ) ترجمة عادل زعيتر ، نشر البابى الحلبى ، مصر ١٩٤٨ م .

٢٧٦ ـ شيدر ، هانز هيزس ( روح الحضارة العربية ) ترجمة عبد الرحمن بدوى ، بيروت ١٩٤٩ م .

٢٧٧ ـ لوبون ، جوستاف ( حضارة العرب ) ترجمة عادل زعيتر ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٥٦ م .

٢٧٨ ـ ماير هوف ، ماكس ( التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية ) ترجمة عبد الرحمن بدوى ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٠ م .

٢٧٩ ـ متز ، آدم ( الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ) ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٤٧ م .

٢٨٠ ـ ناتنج ، انتونى ( العرب انتصاراتهم وأمجاد الاسلام ) ترجمة راشد البراوى ١٩٧٤ م .

٢٨١ ـ نالينو ، كارلو ( تاريخ الفلك عند العرب ) طبع فى روما ١٩١١ م .

٢٨٢ ـ نجلاء عز الدين ( العالم العربى ) ترجمة محمد عوض ابراهيم ، القاهرة ، بدون .

٢٨٣ ـ هسل ، الفرد ( تاريخ المكتبات ) ترجمة شعبان عبد العزيز خليفة ، دار الثقافة ، القاهرة ١٩٧٣ م .

٢٨٤ ـ هل ، يوسف ( الحضارة العربية ) ترجمة أحمد العدوى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .

٢٨٥ ـ هولميارد ، ا. ج. ( الكيمياء حتى عصر دالتون ) باريس ١٩٢٨ م .

٢٨٦ ـ هونكه ، زغريد ( شمس العرب تسطع على الغرب ) ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقى ، بيروت ١٩٦٤ م .

٢٨٧ ـ ويلز ، هـ. ج. ( موجز تاريخ العالم ) ترجمة عبد العزيز جاويد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٧ م .

## خامسا ـ المجلات الدورية :

٢٨٨ ـ ( مجلة المؤرخ العربى ) بغداد ، العراق .

٢٨٩ ـ ( مجلة الفيصل ) المملكة العربية السعودية .

٢٩٠ ـ ( مجلة العربى ) الكويت .

٢٩١ ـ ( مجلة الباحث ) بيروت ، لبنان .

٢٩٢ ـ ( مجلة الاسلام والعصور الحديثة ) دكا ، بنجلاديش .

٢٩٣ ـ ( صحيفة جامعة بيشاور ) الباكستان .

٢٩٤ ـ ( مجلة المورد ) بغداد ، العراق .

٢٩٥ ـــ ( مشالات الشبلى ) مجلد ٦ ، غرام كاره ، الهند .

١٩٦ ـــ ( مجلة درع الوطن ) ابو ظبى ، الامارات العربية المتحدة .

٢٩٧ ـــ ( مجلة الأستاذ ) بغـــداد ، العراق .

٢٩٨ ـــ ( مجلة النجم ) بغـــداد ، العراق .

٢٩٩ ـــ ( مجلة ايزيس ) بغـــداد ، العراق .

٣٠٠ ـــ ( مجلة المقتطف ) مجلد ٣٩ ، بيروت ، لبنـــان .

٣٠١ ـــ ( مجلة المشرق ) بغـــداد ، العراق .

## سادساً ـ المراجع الأجنبية :

302 — A. M. A. SHUSHTERY
OUTLINES ISLAMIC CULTURE, Lahore, Pakistan, 1975.

303 — BARTHOLD, W.
TURKESTAN DOWN ON THE MONGOL INVASION, Luzac, 1938.

304 — BROWN, E.
A LITERARY HISTORY OF PERSIA, London, 1926.

305 — E. H. WILDS
THE FOUNDATIONS OF MODERN EDUCATION, London, 1959.

306 — ENCYCLOPEDIA OF ISLAM, ART MASJID.

307 — GIBB, H.
ARABIC LITERATURE, Oxford, 1928.

308 — ISLAMIC CULTURE, 1929.

309 — HITTI, P. K.
THE HISTORY OF THE ARABS, London, 1949.

310 KHUDA BUKHSH
CONTRIBUTION OF THE HISTORY OF ISLAMIC CIVILIZATION, Calcutta, 1905.
ISLAMIC LIBRARIES, 1942.

311 — HUGHES, THOMAS PATRICK
DICTIONARY OF ISLAM, London, 1885.

312 — J. WINDROW SMEETMAN
ISLAMIC AND CHRISTIAN THEOLOGY, London, 1945, vol., I, II.

313 — MUHAMMAD MARMADUKE
PICKHALL, London.

314 — NICHOLSON, R. A.
A LITERARY HISTORY OF THE ARABS, Cambridge, 1930.

315 — PALMER, E.
HARUN RASHID, Marcus Ward, 1881.

316 — RICHARD COKE
BAGDAD THE CITY OF PEACE, Thornlon 1927.

317 — ROBERT BRIFFAULT
THE MAKING OF HUMANITY, England 1919.

318 — S. AMEER ALI
A SHORT HISTORY OF SARACENS, London, 1916.

319 — S. AMEER ALI
THE SPIRIT OF ISLAM, London, 1940.

320 — Sir. THOMAS ARNOLD
LEGACY OF ISLAM, Oxford University, 1931.

321— SAYED MUHAMMAD AL-NAGIB AL-ATTAS
AIMS & OBJECTIVES OF ISLAMIC EDUCATION,
King Abdul Aziz University, 1979.

322 — SAYED SAJJAD HUSSAIN
CRISTAIN MUSLIM EDUCATION, England, 1919.

323 — AMAN — ALLAH KHAN
AL MAMWN AND HIS BAYT AL-HIKMAT,
Pakistan, Lahore, 30 November 1962.

# الفهرس

صفحة


الاهـداء ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٣

مقـدمة ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٥

بحث فى المصادر والمراجع ... ... ... ... ... ... ... ... ... ١١


## البــاب الأول

### الفصل الأول : تأسيس بيت الحكمة وأهـدافها


١ ــ المؤسسون لبيت الحكمة أهــو الرشيد أم المــأمون ؟ ... ... ... ٢٨

٢ ــ تاريخ تأسيس بيت الحكمة ... ... ... ... ... ... ... ... ٣٣

٣ ــ الأهــداف المراد تحقيقها من تأسيس بيت الحكمة ... ... ... ... ٤٠


### الفصل الثانى : انشاء بيت الحكمة


١ ــ من هم منشئو بيت الحكمة ؟ ... ... ... ... ... ... ... ٤٨

٢ ــ الطرق والوسـائل التى تم بها انشاء بيت الحكمة ... ... ... ... ٥٣

٣ ــ العوامل التى ساعدت على انشاء بيت الحكمة ... ... ... ... ... ٥٧


### الفصل الثالث : النظام الادارى فى بيت الحكمة


١ ــ القائمون على تنظيم بيت الحكمة ... ... ... ... ... ... ... ٦٠

صفحة


٢ ـ المشرفون على بيت الحكمة ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٦٨

٣ ـ رواتب العاملين داخل بيت الحكمة ... ... ... ... ... ... ... ٧١


**الفصل الرابع : اثر بيت الحكمة فى حياة المجتمع العباسى**


١ ـ تشجيع الحركة العلمية فى بيت الحكمة ... ... ... ... ... ... ... ٧٦

٢ ـ التغيرات التى تحدث داخل بيت الحكمة فى التصنيف والترجمة ... ... ٧٨

٣ ـ نشر روح اليقظة الاسلامية فى المجتمع العباسى ... ... ... ... ... ٨٠

٤ ـ انقاذ التراث بادخال نظام المكتبات على العالم الاسلامى لحفظ التراث من الضياع ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٨٣


## البـاب الثانى

**الفصل الأول : تاريخ المدارس الاسلامية وأثر بيت الحكمة فيها**


١ ـ نشأة المدارس الاسلامية قبل انشاء بيت الحكمة ... ... ... ... ... ٩١

٢ ـ المدارس الاسلامية حالتها بعد انشاء بيت الحكمة ... ... ... ... ٩٩

٣ ـ أثر بيت الحكمة فى المدارس الاسلامية ... ... ... ... ... ... ... ١٢٠


**الفصل الثانى : التدريس والمدرسون فى بيت الحكمة**


١ ـ عمل المدرسين فى بيت الحكمة ... ... ... ... ... ... ... ... ١٢٨

٢ ـ رواتب المدرسين فى بيت الحكمة ... ... ... ... ... ... ... ... ١٣٥

٣ ـ المواد الدراسية التى تدرس فى بيت الحكمة ... ... ... ... ... ... ١٣٧

صفحة


**الفصل الثالث : حركة التأليف فى بيت الحكمة**

١ ــ نشأة حركة التأليف فى بيت الحكمة ... ... ... ... ... ... ... ١٤٤

٢ ــ تشجيع حركة التأليف فى بيت الحكمة على يد الخلفاء والوزراء ... ... ١٥٠

٣ ــ عمل المؤلفين فى بيت الحكمة ورواتبهم ... ... ... ... ... ... ١٦٠

**الفصل الرابع : المباحثة والمناظرة بين العلماء والخلفاء والوزراء فى بيت الحكمة**

١ ــ تشجيع الخلفاء للمباحثة والمناظرة فى بيت الحكمة ... ... ... ... ... ١٦٦

٢ ــ رغبة الخلفاء والوزراء فى المباحثة والمناظرة داخل بيت الحكمة ... ... ١٧٦

٣ ــ مشاركة العلماء والشعراء والأدباء فى المناظرة والمباحثة فى بيت الحكمة ١٨٢

**الباب الثالث**

**الفصل الأول : بيت الحكمة فى عهد المأمون**

١ ــ حالة بيت الحكمة قبل عهد المأمون ... ... ... ... ... ... ... ... ١٩٠

٢ ــ عناية واهتمام المأمون ببيت الحكمة ... ... ... ... ... ... ... ... ١٩٥

٣ ــ صرف الأموال فى سبيل ازدهار وارتقاء بيت الحكمة ... ... ... ... ٢٠٣

**الفصل الثانى : بيت الحكمة بعد عهد المأمون**

١ ــ بيت الحكمة تستمر فى رحلتها العلمية والأدبية ... ... ... ... ... ٢١٠

٢ ــ عناية الخلفاء والوزراء ببيت الحكمة بعد عهد المأمون ... ... ٢١٤

٣ ــ الحركة العلمية ونشاطها فى بيت الحكمة بعد عهد المأمون ... ... ٢٢٣

صفحة

**الفصل الثالث : تأثير بيت الحكمة كمؤسسة علمية**
**وتعليمية على المدارس الاسلامية**

١ ـــ بيت الحكمة نموذج رائع للمدارس الاسلامية فى النواحى العلمية والتعليمية ٢٣٠

٢ ـــ المدارس الاسلامية تتأثر بالعلوم التى تدرس فى بيت الحكمة ... ... ٢٣٣

٣ ـــ موقف المدارس الاسلامية من بيت الحكمة ومدى تأثرها بها ... ... ٢٣٨

**الفصل الرابع : بيت الحكمة كجامعة اسلامية عظيمة**

١ ـــ هل كانت بيت الحكمة جامعة يدرس بها الطب ايضا ؟ ... ... ... ... ٢٤٢

٢ ـــ هل كانت جامعة بيت الحكمة دار اقامة للطلاب والأساتذة ؟ ... ... ٢٤٦

٣ ـــ هل كانت هناك علاقة بين الرصد المامونى فى دمشق وفى بغداد ؟ ٢٤٨

## البـــاب الرابع

**الفصل الأول : بيت الحكمة كمؤسسة علمية وحركة الترجمة فيها**

**١ ـــ العلوم الاسلامية فى بيت الحكمة :**

ـــ علم الكلام ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٢٥٨

ـــ علم المنطق ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٢٦٤

ـــ علم الفلسفة ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٢٦٨

ـــ علم الرياضيات ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٢٧٤

ـــ علم الطب ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٢٨٦

صفحة


ـ علم الفلك والتنجيم ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٢٩٦

ـ علم الكيمياء ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٣١٣


**الفصل الثانى : الحياة العلمية ونشاط الترجمة فى بيت الحكمة**


١ ـ المترجمون الذين عملوا فى بيت الحكمة ... ... ... ... ... ... ... ٣٢٤

٢ ـ حركة النقل والترجمة على أيدى الموالى ... ... ... ... ... ... ٣٣٤

٣ ـ دور المترجمين فى تنشيط حركة التاليف والترجمة ... ... ... ... ... ٢٤٣

٤ ـ ترجمة التراث والفكر العالمى الى اللغة العربية ... ... ... ... ... ٣٥٢


**الفصل الثالث : العلاقة بين مؤسسة بيت الحكمة والحكومة**
**والعلماء الذين عملوا فيها**


١ ـ تشجيع الخلفاء والوزراء للذين عملوا فى بيت الحكمة ... ... ... ٣٦٨

٢ ـ دور الخلفاء والوزراء فى المحافظة على نشاط مؤسسة بيت الحكمة ... ٣٧٧

٣ ـ حرص الخلفاء والوزراء على تقسوية أواصر المحبة والتعاون بين من
عملوا داخل بيت الحكمة ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٣٨٥


## البـــاب الخامس

**الفصل الأول : مكانة بيت الحكمة بين مدارس وجامعات العالم**


١ ـ أثر بيت الحكمة فى المدارس الاسلامية والجامعات الاسلامية فى العالم ٣٩٤

٢ ـ بعث روح اليقظة الاسلامية الكبرى لمثيلاتها فى العصور الوسطى ... ٤٠٥

٣ ـ انقاذ التراث العالمى من الفناء بجلب كنوز المعرفة من أنحاء العالم ... ٤٠٩

صفحة

**الفصل الثانى : ازدهار العلوم الاسلامية فى بيت الحكمة**


١ ـــ تأثير بيت الحكمة فى العلوم الاسلامية ... ... ... ... ... ... ... ٤٢٦

٢ ـــ نشر التعليم والمعرفة بين المسلمين وحثهم على طلب العلم والمعرفة ... ٤٣١

٣ ـــ ادخال نظام جـــديد للمكتبات على العـــالم الاسلامى ... ... ... ... ٤٣٤


**الفصل الثالث : مميزات بيت الحكمة بين الجامعات الحديثة**


١ ـــ مكانة جامعة بيت الحكمة بين الجامعات الحـــديثة وأثرها فيها ... ٤٤٠

٢ ـــ بيت الحكمة كجامعة ذات اثر فكرى وفلكى فى الجامعات الحـــديثة ... ٤٤٥

٣ ـــ تأثير جامعة بيت الحكمـــة فى الجامعات الحـــديثة فى شتى فروع العلم والمعرفـــــة ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٤٤٩

خاتمـــة البحـــث ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٤٦٣

المصـــادر والمراجـــع ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ... ٤٧٣

رقم الايداع بدار الكتب القومية

٨٩/٤٦١٦

الترقيم الدولى x — ٠٣٥٠ — ١٠ — ٩٧٧

شركة دار الاشعاع للطباعة

١٤ ش عبد الحميد ــ جنينة قاميش
السيدة زينب ــ القاهرة
ت : ٣٦٣٠٤٦٩

Some Historians said that Howlaku ( The leader of Al Maghole ) built the Stables and the animal food containers from these books instead of mud.

Thus, Howlako destroyed all the valuable books that were tranns-lated by the Muslems writers and scholars who were encouraged by Chaliphs who helped in spreading culture among Muslims and others.

Another point worth nothing is that **Bayt AL Hikmat** preserved and mastered a lot of the Culture of the old civilized world.

We should notice the importance of **Bayt EL Hikma** in the birth of the Islamic civilization. In fact it was the main reason behined the progress the Muslims achieved in all aspects of their new civilizations.

**Bayt Al Hikma** was the link between the Arabs on one hand and Greeks, the Indians and the Persians on the other. It played a great role in knowing the old cultures and civilizations, keeping their legaly and passing it to the following generation. Without this great role, all these civilizations would fall down through losing it's legacy.

**Bayt Al Hikma** without doubt, was the main reason behind that all.

He could bring his friends who were physicians from Gondjasabore to Baghdad and studies Arabic. He had a book in Logic.

Haneen ben Ishaq revised Batlaimous book which was translated by Ibrahim Ben selt.

He was very skillful in translation which made him very closed to Al Maamoun. He visited syria and little Asia in ordered to collect books. Dawoud and Ishak were his sons. Dawoud was very specialised in medicin.

Al kendy or Abu Yousuf Yaakaup Ben Ishak, who was an Arab, was the Arab and Islam Philosopher. He worked on, medicin, astronomy, philosophy and logic. In his joined between Aflatoun and Arresto opinions in Philosophy.

About all Bakhtjshun who was during the Abbasside state - became very famous. Jebreel Ben was highly educated in all the subjects involved in medicin. He wrote many books in paleozoology.

Supporting the translator was not restict on the Caliphas but also on the ministers, rulers, and the cheif officer.

So, **Bayt Al Hikma** contained the books written in legislation and ureology. The Arabs were not only satisfied with translating the books but also they studied them carefully in order to benefit from them.

It was most probable that **Bayt AL Hikmat** lost it's shining after Al Mutawakel due to the transforme of the successior from Baghdad to Samarra. **Bayt AL Hikmat** went on Resisiting until Al Maghole conquered Baghdad in 656 Hijri 1258.

Al Maghole or Al Tatar, did not care of it's book treasuries so they burnt some and threw the others in the Tigirus.

He was very interested in Philosophy and Logic by which he could build up his general knowledge and theology.

Al Maamoun used to ask the Roman Kings to provide him with the valuable wisdom books whenever he reached to an agreement with them. Consequently, Mekheel the third sent one of the famoust library in kustanteena.

Furthermore, he respected all the scientists from all the Christian creeds whom were invited to his palace.

**Bayt AL Hikma** was the pulpit of forgivness during AL Maamoun and the Abbasiden successors age.

The Philosophers from the other religions used to debate with the Muslems in all religious affairs.

Books in philosophy, Engineering and History were written by the monasteries in Syria, Little Asia, Syrian Coast and Palestine.

Al Maamoun age is considered as the most prominent age in the Arab Culture. Consequently it was called the Golden Islamic age.

The Abbassides successors made it easy for people to get all the scientific books were available at that time. So, **Bayt AL Hikma** was created in order to propogate the other nations cultures and knowledges.

Al Hassan Ben Sahel was one of the prominent translator during the age of Al Maamoun and Ahmed Yehia Ben Jaber.

Abu Hafs Omar Ben Al Farkhan Al Jabari was a translator and specialised at astronomy.

Haneen Ben Ishaq who wes introdused to Al Maamoun by Musa sons, was assigned as the head of Al Hikma Institution.

The rich people used to keep a copy of the translated books but the originals were kept in **Bayt AL H:kma.**

The translated material was revised by Thabet Al Harrani and Haneen Ben Ishak who were profissional in translation.

Paper factories were established in Bagdad and all the Arab countries during Al Rasheed age. But before that, AL Barde papers, leathers and even bones were used for writing.

The paper manufacturing prosperity helped to propogate the Arabic Culture. Teaching syllabus was in higt standard specially in philosophy, Physices, Maths, Astronomy, History, Giography and Music.

Abu Yousuf was the first one who applied the teacher's uniform which was a black turban and cloak.

Chemistry was one of the scientific subject considered during the Abbassied's age. Jaber Ben Haian became one of the prominent chemists at that time. He invented many thiories which were translated into Latin.

Al Rasheed assigned Al Fadel Ben Nubikht in order to translate and keep the Pherisian books. Ben Mousaweih was also incharged of the old Medical Book which were brough during his missions.

The movement of Arabizing the books in medicine, astronomy and maths from the Indian Language increased during Al Rasheed age.

Many Indian Scientists came Baghdad or were invited by Al Maamoun. A great emphasis was put on the Indian and Phersian books during the first days of Al Rasheed.

Al Maamoun opened all the doors of **Bayt Al Hikma** treasuries infront of all the scientists and he was aware of all the researches, studies and discussions raised at that time.

Such libraries contained books in all subjeats like logic, philosophy, and astronomy were open for public people.

The Abbasied successors propogated the science among all the ranks of people.

Ali Ben Yehia — Died in 275 Hijra — established a Library in his palace called al Hikma treasury where people form different countries used to come to study and accomodated on his account.

**Bayt Al Hikma** was managed by the owner who was in charged of its affairs.

Sahl Ben Haroun was assigned by Al Maamoun who took care and maintained the treasuries. He organised Al Maamoun's private treasuries.

Ebn Abi Al Hareesh was a binder in Al Hikma treasury.

Yeuhanna Ben Mussaweeh was the translation trustee during the ages of Al Rasheed, Al Ameen, Al Maamoun and Al Mutawakel.

Maths, Engineering and Music were taken care by Banu Shaker.

Qusta Ben Luga supervised the translation section in **Bayt Al Hikma** because he was an expert in Greek.

**Bayt AL Hikma** started to be a Public Library then it was developed till it became an Islamic University in which the scientists and researchers used to meet.

It became a high scientific and Cultural establishment that contained books in Logic, medicin, Maths and Philosophy.

By studying the historic documents, it was found that **Bayt AL Hikma** did not restrict on translation but on some other duties such as bibliopegy and producing copies to be distributed to the well known libraries at that time like **Bayt AL Hikma** in Tunisia and Cairo.

treasuries. In each one there were many Volumes. **Bayt AL Hikma** was devided into different sections which were used for keeping books, translation, dictating, writing, books binding and reading.

Some people used to call it **Bayt Al Hikma or Al Hikma treasury.**

Haji Khalifa — in Kashf Al Thunoon — called it Bayt Al Hikma and Ibn Al Nadeem — in Al Fahrest — called it Al Hikma treasury.

The researchers disagreed on the establisher of **Bayt Al Hikma.** Some of them said that it was established by Al Maamoun and more than one of them said that it was established by Al Rasheed. It was confirmed by Yaquot Al Hamawi that it was established during Al Rasheed age.

Abu Sahel translated materials from Persien to Arabic during Al Rasheed age.

Al Rasheed propagated the education by establishing a place where he collected and kept agreat number of the valuable books. He also tried to increase the number of these books and took care of their titles. AL Maamoun made Dar Al Hikma not only a Library but also a translation centre which eventually was changed into an academy so, Al Maamoun age is considered as the most prosperous days of **Bayt Al Hikma.**

It is said that **Bayt Al Hikma** which contained rooms and treasuries an independent building of the successor's palaces.

I think Bayt means Al Rasheed, Al Barameka and Al Maamoun treasuries. Each one is considered for a certain kind of books.

It is clear that **Bayt Al Hikma** differes from any other educational institution established on the third Hijra century.

The Al Hikma private houses were the libraries established by the scientists, rich people, liturers and the well known people.

# A SUMMARY OF THE RESEARCH

By now, it has been made clear my objective is to study **Bayt Al Hikma** in abbasside age since its establishment until it became an academic and educational establishment for the scientific and high studies.

During the prosperity of the Abbasside age, Baghdad was the Kaaba for the scientists and physicians form all the religions. It was the first Islamic Center for the high study and translation. There were a Public Library and an observatory in **Bayt Al Hikma.** It was established before **Al Azhar** and any other **European Universities.** Consequently, it was one of the oldest Colleges and Universities established at that time.

It can be said that the first Abbasside age was the most productive period in Islam.

A collection of translated books was known during **Al Rasheed age** in Medicine, Astronomy, Philosophy, Wisdom, Literature and Stories.

There were some other books which were written in Quraan, Grammer,and History. **Al Rasheed** followed his grandfather in encouraging the Scientific Production. He wrote to the Princes and to the Soldiers encouraging them to take care of the science and scientists.

Al Rasheed was an example to Al Mamoun, Banou Aumhaiah and Al Hakam Ben AL Nasser who was assigned in 350 Hijra. He established a Library in Kurtubah.

**Bayt Al Hikma** can be described by saying that it was a larg building in which there were many rooms that contained collections of books